وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي آفلو

تنوير

للبحوث الانسانية والاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد 10 جوان 2019

ISSN2571-9793

الهيئة العلمية

أ د/ حسين بوداود. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ د/ بن طاهر تيجاني. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أ د/ عبد الحكيم الغزاوي الجامعة اللبنانية (لبنان)

أ د/طارق الجوازنة جامعة اليرموك الأردن

أد/ عبد الغني عماد الجامعة اللبنانية (لبنان)

أد/ داودي محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

أد/ بن سعد أحمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بوفاتح محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ عمومن رمضان. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ عون علي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ صخري محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ نوري محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ حران العربي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بن عون البودالي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بكاي رشيد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ سعودي أحمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ بن جلول هزرشي. جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ سعد عبد السلام. جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ طحطاح مبروك. جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ محيوز كريمة جامعة الجزائر 02

د/ صباح نوري هادي العبيدي جامعة ديالى العراق.

د/ صاحب أسعد ويس جامعة سامراء العراق.

د/ بلبكاي جمال المدرسة العليا للأساتذة سكيكدة

د/ لطرشي الطيب جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د/ عميره عليه الصغير جامعة منوبة تونس

د/ عمار عبد الله محمود الفريحات جامعة البلقاء الأردن

د/ رأفات احمد احمد جامعة دمشق سوريا.

د/ علة مختار جامعة "زيان عاشور" الجلفة

د / خيالي بلقاسم. المركز الجامعي آفلو

د/ سعداوي مريم. المركز الجامعي آفلو

د/ ميلق عبد القادر. المركز الجامعي آفلو

د / قاسم سعاد. المركز الجامعي آفلو

د / زروقي ثامر. المركز الجامعي آفلو

د/ جلالي ناصر. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ ناجم مولاي. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ رماضنية أحمد المدرسة العليا للأساتذة الأغواط

د/ صافي محمد. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د / عياط لمين. جامعة "عمار ثليجي" الأغواط

د/ قروج بولفعة. المركز الجامعي آفلو

د / مايدي كمال. المركز الجامعي آفلو

د / شتوح بختة. المركز الجامعي آفلو

د/بن فارح الميهوب المركز الجامعي آفلو

أ / قريبي مشري. المركز الجامعي آفلو

أ / تمير بولرباح. المركز الجامعي آفلو

أ / مهدي محمد. المركز الجامعي آفلو

أ / يزير جمال. المركز الجامعي آفلو

أ / بن سعيد جمال. المركز الجامعي آفلو

أ / بلحماري بشير. المركز الجامعي آفلو

قواعد النشر

1. تنشر المجلة البحوث العليمة للأساتذة في التخصصات التالية (علم النفس وعلوم التربية، التاريخ، فلسفة، علم الاجتماع).
2. تقدم البحوث على قرص مكتوب بنظام word (**2007**) أو عن طريق البريد الإلكتروني:
revu.tanwir2017@gmail.com
3. يرفق البحث بملخص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخص ثان باللغة الفرنسية أوالإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخص للسيرة الذاتية للباحث.
4. أن لا يكون البحث منشورا من قبل، أو مقدما للنشر في جهة أخرى، ويقدم الباحث تعهدا مكتوبا بذلك.
5. أن لا يكون البحث فصلا من رسالة جامعية.
6. أن لا تقل صفحات البحث عن 12 صفحة، وأن لا تزيد عن 25 صفحة.
7. أن تكتب البحوث العربية باستخدام خط simplified Arabic بحجم 14، والبحوث باللغة الإنجليزية أو الفرنسية باستخدام خط Taime New Romans
8. أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.
9. في التوثيق يمكن اعتماد منهجية (**APA**)أو التهميش أسفل الصفحة ـ استعمال التهميش الآلي ـ هنا يكون في أسفل كل صفحة وبترقيم متسلسل، كما يجب أن تجمع المراجع في نهاية البحث وترتب ألفبائيا.
10. أن يرفق بالبحث أدوات البحث المستخدمة إن وجدت.
11. البحوث التي تخل بأي ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.
12. تخضع البحوث و المقالات لرأي محكمين من مختلف الجامعات الوطنية والدولية.
13. ترتيب البحوث لا يخضع لأهمية البحث و لا لمكانة الباحث.
14. البحوث التي تقدم للمجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلة بأبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، و لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أوالمركز الجامعي. كما لا تتحمل المجلة مسؤولية الإخلال بقواعد الملكية الفكرية.

فهرس الموضوعات

الوحدة العربية: الواقع والآفاق د/ هزرشي بن جلول .... جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ الجزائر.	01
حاضرة تنبوكتو خلال أواخر القرن التاسع عشر في عيون فرنسية (مونوغرافية الأب أوغوسطان بروسبير هاكار نموذجا) د/ عادل بن محمد جاهل ـ جامعة ابن زهر، أكادير، المملكة المغربية.	12
مساعي إسبانيا لمهادنة الجزائر "تحليل لبنود معاهدة 1786 بين إسبانيا والجزائر في بعدها الإقليمي والدّولي" ... د/ عبد الكريم طهير ـ جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف- الجزائر.	41
اثنوغرافية المجتمعات المحلية وبنيتها الاجتماعية. د/ شويشي زهية ـ جامعة محمد لمين دباغين. سطيف2 ـ الجزائر.	64
أثر الفايسبوك على النسق القيمي والأخلاقي للشباب - دراسة ميدانية على عينة من الشباب بولاية ورقلة- .... د/ ساحي علي ... جامعة عمار ثليجي الأغواط ـ الجزائر.... الباحثة / كزيز أمال .. جامعة قاصدي مرباح ورقلة ـ الجزائر.	89
في الجزائر اقتصاديات الإعلام السياسي د/ بن ديدة بغداد ـ جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة ـ الجزائر.	104
دور الإعلام الجديد في عملية التنشئة السياسية لدى المواطنين. الباحث/ وشان عبد الرؤوف ـ جامعة محمد الأمين دباغين سطيف -2- الجزائر.	124
الجريمة والمجتمع: المرأة المجرمة انموذجا -دراسة تحليلية للعوامل الكامنة وراء تزايد نسب جريمة المرأة داخل المجتمع الجزائري- د/أمال عوكي ـ جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري ـ الجزائر.	143
دور الجامعة في تنمية المجتمع الجزائري – مقاربة سوسيولوجية - د/ زيوش سعيد... د/ بومدفع الطاهر ... جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر.	161
إدارة الوقت في ظل التعليم الإلكتروني بالجامعة الجزائرية مدخل لتحقيق التنمية الاجتماعية. د/عياط أمين..... د/ عائشة العيدي....جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ الجزائر.	180
التنمر و أثره على التفاعل الإجتماعي "دراسة ميدانية بمتوسطة الخنساء " ببلدية الجلفة" أ/ أحمد لبقع.... جامعة البليدة 2 ـ .... د/ سحوان عطاءالله... جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ الجزائر.	194
فاعلية العلاج بالقبول والانخراط في تحسين مستوى مفهوم الذات لدى القاصرات المتعرضات للتحرش الجنسي في محافظة دمشق. د/ رأفات أحمد أحمد ـ جامعة دمشق ـ سوريا.	208
الكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس الجامعي كمؤشر للجودة التعليمية من وجهة نظر الطلبة. د/ بوعموشة نعيم ـ جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل ـ الجزائر.	226
المقاربة بالكفاءات ودورها في الحد من ظاهرة الانقطاع الدراسي مرحلة التعليم المتوسط أنموذجا . دراسة ميدانية على أساتذة التعليم المتوسط الباحث/ نورالدين حمر العين ـ جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ الجزائر.	245
جودة الحياة الوظيفية و علاقتها بالدافعية للانجاز عند الموظفين دراسة ميدانية بالمدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها بدالي إبراهيم – الجزائر العاصمة د/ محيوز كريمة ـ جامعة الجزائر 2	260
إستراتيجيات التعامل مع الأطفال ذوي التوحد الباحثة/ بودان كوثر ـ جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف ـ الجزائر.	277

منظومة التكوين الجامعي بالجزائر والفكر المقاولاتي.... الباحث/ طاليبي محمد ـ جامعة الجزائر2	291
تقنيات التنشيط التربوي في الوسط المدرسي "البديل التربوي للممارسات البيداغوجية" أ/ مدور ليلى... جامعة الحاج لخضر باتنة01.... د/ رقية نبار... جامعة مولاي الطاهر سعيدة ـ الجزائر.	310
مفهوم الصلابة النفسية: أبعادها و أهم النماذج النظرية المفسرة لها. الباحثة / عزوز حميدة ـ جامعة الجزائر 2.	328
الأرض المقدسة والهيكل في الفكر والوجدان اليهودي د/ الشيخ عدة ـ جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف- الجزائر.	344
التمادي النرجسي الغربي الراهن ....رصد للنرجسية في قراءاتها الفلسفية وتمظهراتها النفسية . الباحثة / نسيمة ضيافات ـ جامعة سطيف 2 ـ الجزائر.	359
الخبرة الجمالية في الفلسفة البراغماتية " التداخل بين الوظائف الجمالية والنفعية للفن " جون ديوي أنموذجا الباحث/ سفيان عمران ـ جامعة محمد الأمين دباغين سطيف 2 ـ الجزائر.	373
موقف ابن خلدون من علم الكلام الباحثة / مريم فيلالي ـ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة- الجزائر.	401
"نظرية كل شيء" و نسبية النظرية الفيزيائية د/ محمد تونسي ـ جامعة عمار ثليجي الاغواط ـ الجزائر.	422
PROJET D'UN MUSÉE MARITIME À MAHDIA (TUNISIE) D/Adel Njim -Université de Sfax (Tunisie).	438

الوحدة العربية: الواقع والآفاق

د/ هزرشي بن جلول

جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ الجزائر.

الملخص:

لتجاوز حالة التجزئة , والتخلف التي فرضها الاستعمار منذ القرن التاسع عشر , وكرسها عبر وعد بلفور , واتفاقية سايكس بيكو طرح المفكرون , والسياسيون مشروع الوحدة العربية كآلية لاستعادة العرب لدورهم العالمي, ومسيرتهم الحضارية غير أن هذا المشروع اصطدم رغم نجاحه في تحقيق بعض الانجازات بمجموعة من التحديات الداخلية والخارجية حالت دون نجاحه , الأمر الذي دفع بدعاته إلى إعادة التفكير في وسائل تحقيقه من خلال طرح عدة مداخل للوحدة وعدم التركيز فقط على العمل السياسي , ومن خلال الدعوة إلى الكتلة التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الوحدة العربية , التجزئة , الاستعمار , الصهيونية , التتريك , سايكس بيكو , فلسطين, الاستبداد , المصالح المشتركة.

Abstract:

In order to overcome the situation of fragmentation and backwardness imposed by colonialism since the 19th century, and dedicated through the Balfour Declaration, the Sykes-Picot Agreement, the thinkers and politicians presented the Arab unity project as a mechanism for restoring Arabs to their global role and cultural path. Internal and external factors prevented his success, which prompted his thinking to rethink the means to achieve through the introduction of several entrances to the unit not to focus only on political action, and by calling for the historic bloc.

Key words: Arab unity, retailing, colonialism, Zionism, titration, Sykes Pico, Palestine, despotism, common interests.

مقدمة:

منذ مطلع عشرينيات القرن المنصرم، وحتى اللحظة الراهنة ظل العرب يحاولون تحويل الوحدة العربية من يوتوبيا إلى واقع ، ومن فكر إلى ممارسة . غير أن تلك المحاولات المتكررة وعلى تنوع أساليبها ، وتعدد تجاربها ، وإختلاف فتراتها التاريخية لم تكلل حتى الآن بالنجاح المطلوب . فأين تكمن يا

ترى مواطن الخلل والقصور في تلك المحاولات الوحدوية ؟ ولماذا فشلنا حيث نجح الآخرون ؟ ولماذا نبقى أسرى للأطروحات القومية التقليدية من قبيل نظرية الإقليم–القاعدة لنديم البيطار الذي يرى إستحالة قيام وحدة عربية دون مصر وإمكانية الإستغناء عن الأطراف ؟ وإلى متى تبقى الوحدة العربية من المحرمات الدولية والإقليمية والقطرية ؟ وهل هي أصلا سباحة ضد تيار الإستراتيجية الدولية ؟ وكيف نجعل من الوحدة العربية فكرة تحظى بقبول شعبي ؟ وكيف نحولها إلى حالة ضغط على الأنظمة العربية تجعلها تتجاوب مع آمال الجماهير العربية ؟ و هل الوحدة كهدف مرتبطة فقط بحزب البعث العربي الإشتراكي والناصرية أو بمختلف القوى والحركات الفاعلة على الساحة العربية ؟وإلى متى تستمر المحنة العربية: الدولة ضد الأمة؟.

أولا: الوحدة العربية: السياق التاريخي.

إرتبطت الدعوة إلى فكرة الوحدة العربية كأداة لمواجهة التحديات الداخلية ، والأخطار الخارجية بمجموعة من العوامل والأسباب يمكن رصدها فيما يلي :

1- **حركة التتريك الثقافي** والإستعلاء العرقي التي مارسها الأتراك على العرب ، والتي قوامها التفاخر بقومهم وجنسهم ، وتهميش اللغة العربية ، والدعوة إلى تنقية اللغة التركية من الألفاظ العربية وتعمّد إضعافها ونعتها باللغة الميتة وعدم قدرتها على مسايرة التطورات العلمية . يضاف إلى ذلك إسراف حكومة الإتحاد والترقي في عزل أبناء العرب من وظائفهم(1). وعليه كانت (لحظة التتريك إذا هي لحظة التدشين والإنشاء للفكرة القومية الجديدة في الوعي العربي)(2). وقد ساهمت محاولة المس بالهوية العربية وهضم حقوق العرب في ظهور جمعيات وأحزاب عربية دعت إلى الحفاظ على الهوية العربية ، وتبني نظام اللامركزية ، والمساواة مع الأتراك في نطاق الدولة وانتهت إلى الثورة والإنفصال.(3)

2- **الإستعمار الحديث** الذي تعرضت له أغلب الأقطار العربية ، والذي إرتبط بأزمة النظام الرأسمالي العالمي . وعلى أساس ذلك إعتبر منظرو الإستعمار أن إستمرار تطور الغرب يمر حتما عبر السيطرة على المواقع الإستراتيجية، وإستنزاف الثروات البشرية والطبيعية التي تكتنزها الأرض العربية . ولتمزيق النسيج الداخلي العربي ، ولإضعاف روح المقاومة والممانعة وتكريس فكرة القابلية للإستعمار لدى نخبه أذكى الغرب النعرات القومية ، وأثار الصراعات الطائفية والإثنية بين مكوناته، و تثوير العرب على العثمانيين وإحتضان الأقليات المسيحية (مؤتمر 1913 ،

مراسلات حسين–ماكماهون ، ثورة الشريف حسين ، دور الغرب في القضاء على الحركة الوحدوية لـ: إبراهيم باشا ، الشريف حسين ، عبد الناصر ، صدام حسين.) .

3– **التجزئة الإستعمارية** التي تعرضت لها المنطقة العربية خلال فترة ما بين الحربين ، والتي لم تكن سوى تجسيدا عمليا لبنود معاهدة سايكس–بيكو ، ووعد بلفور، ومقررات مؤتمر سان ريمو . والملاحظ على التوجه الوحدوي خلال هذه الفترة إقتصاره على البعد الإقليمي من خلال التركيز على وحدة بلاد الشام بشكل خاص نتيجة خضوع بلدان المغرب العربي للسيطرة الإستعمارية وبروز النزعة الإقليمية الفرعونية في مصر. وقد تعددت مشاريع التجزئة وطرحت عدة مخططات لعل من أبرزها ما قدمه المؤرخ الصهيوني الأمريكي الشهير برنارد لويس ودعوته لتقسيم الوطن العربي والعالم الإسلامي إلى أكثر من ثلاثين دولة إثنية ومذهبية عبر :

- إقامة دولة كردستان من خلال سلخ مناطق من تركيا وإيران والعراق وسوريا .
- تقسيم العراق إلى ثلاث دول : دولة كردية في الشمال ، دولة سنية في الوسط ، ودولة شيعية في الجنوب.
- تجزئة سوريا إلى ثلاث دول : دولة درزية ، دولة علوية ، دولة سنية.
- تقسيم الأردن إلى كيانين : أحدهما للأردنيين والآخر للفلسطينيين .
- تجزئة المملكة العربية السعودية إلى إمارات وإعادتها إلى ما كانت عليه قبل 1933.
- تجزئة لبنان إلى خمس دويلات : دولة مسيحية ، دولة سنية ، دولة شيعية ، دولة درزية ، دولة علوية(4). يضاف إلى ذلك مشروع تقسيم إسرائيلي ظهر سنة 1982 تضمن تجزئة بعض الأقطار العربية على النحو التالي :
- تقسيم مصر إلى أربع دويلات : دولة قبطية في الشمال عاصمتها الإسكندرية ، دولة نوبية عاصمتها أسوان في الجنوب ، دولة مسلمة عاصمتها القاهرة ، دولة رابعة تحت النفوذ الإسرائيلي .
- تقسيم لبنان إلى سبع كانتونات .
- تقسيم السودان إلى أربع دويلات(5).

4– **النضال السياسي والفكري للمفكرين والأحزاب السياسية:** ساهم تعرض المنطقة العربية للسيطرة الإستعمارية و ما ترتب عنها من تخلف وتبعية في بروز كوكبة من أعلام الفكر والإصلاح والوحدة أسسوا جمعيات ، وأحزاب وطرحوا تصورات ورؤى لتجاوز واقعهم . وعلى هذا الأساس

أسّس نجيب عازوري سنة 1905 حزب "جامعة الوطن العربي" ودعا إلى تكوين إمبراطورية عربية تمتد من وادي دجلة والفرات حتى السويس، ومن البحر المتوسط حتى بحر عمان يحكمها سلطان عربي حكما ملكيا دستوريا . وألّف كتابا سنة 1905 بعنوان "يقظة الأمة العربية" نبّه فيه إلى الخطر الصهيوني بالقول : "إن ظاهرتين هامتين متشابهتي الطبيعة بيد أنهما متعارضتان لم تجذب إنتباه أحد حتى الآن، تتضحان في هذه الآونة في تركيا الأسيوية: يقظة الأمة العربية وجهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة. إن مصير هاتين الحركتين هو أن تتصارعا بإستمرار حتى تنتصر إحداهما على الأخرى"(6). وفي سنة 1933 ظهرت " عصبة العمل القومي" التي أسّسها مجموعة من المثقفين السوريين واللبنانيين طالبت بالإستقلال والوحدة . كما دعا ساطع الحصري الملقب بـ: "فيلسوف القومية العربية" والذي حمل لواء الدعوة إلى الوحدة العربية فكرا وممارسة من مدخل التربية والتعليم . كما واجه وحارب دعاة الإقليمية المحلية الذي طرحه أنطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي الإجتماعي. وفي السياق ذاته برز دور حزب البعث الوحدوي من خلال إعتباره في أحد مبادئه الأساسية الوطن العربي وحدة سياسية وإقتصادية لا تتجزأ ولا يمكن لأي قطر من الأقطار العربية أن يستكمل شروط حياته منعزلا عن الآخر . في السياق ذاته يمكن الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبه بعض قادة الفكر الوحدويين من أمثال الأستاذ معن بشور ، والدكتور خير الدين حسيب في الدعوة للوحدة العربية من خلال تأسيس المراكز ، والمنتديات ، والمؤتمرات . وهنا يجب أن نستحضر بكل فخر وإعتزاز تجربة المؤتمر القومي العربي، ومخيم الشباب القومي العربي ، والمؤتمر القومي الإسلامي ، ومؤتمر الأحزاب العربية والمركز العربي الدولي للتواصل والتضامن . كما يمكن الإشارة إلى دور مركز دراسات الوحدة العربية في الدعوة إلى الوحدة من خلال ما يعقده من ندوات ، وما ينشره من كتب ، وما تتضمنه مجلة المستقبل العربي من دراسات . ولعل أكبر مشروع أنجزه المركز بالتعاون مع مجموعة من الباحثين هو المشروع النهضوي العربي الذي نتدارس ونناقش أهدافه اليوم ، والمتمثلة في : الوحدة العربية، الديمقراطية ، التنمية المستقلة ، العدالة الإجتماعية ، الإستقلال الوطني والقومي ، والتجدد الحضاري(7).

5- **قيام الكيان الصهيوني** : تكمن خطورة المشروع الصهيوني في أنه يتعدى هدف إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين إلى إضعاف الوطن العربي ، وتمزيقه وتجزئته وإبقائه في دائرة التخلف والتبعية . كما يقوم الفكر الصهيوني على إنشاء دولة "إسرائيل الكبرى" ذات الهوية اليهودية

النقية القوية في المنطقة ، وعلى أساس ذلك سعت إلى تقديم الوحدة العربية بإعتباره مشروعا يستهدف إبادة غير العرب(8) . وتزداد الأمور خطورة عندما ندرك التحالف العضوي بين الموقف الصهيوني ، والإستعمار الغربي من الوحدة العربية.وهنا نشير إلى دعوة نابليون بونابرت اليهود سنة 1799 بالعودة إلى فلسطين(9) ، وإلى الموقف البريطاني من مشروع محمد علي الوحدوي 1831-1840 ، وإلى وثيقة كامبل بنرمان سنة 1907 التي أشارت إلى ضرورة إنشاء حاجز بشري وغريب في المنطقة التي تربط آسيا بإفريقيا يكون معاديا لأهل المنطقة ومعتمدا على الغرب . كما ينبغي التذكير بوعد بلفور،وسعي "إسرائيل" منذ تأسيسها إلى تضخيم مشكلة الأقليات العرقية والدينية(10) ، وإستغلالها ضد أي مشروع وحدوي ، وتحريضها على التمرد والإنفصال(11). وعلى أساس ذلك أصبح خيار تحرير فلسطين لدى البعض مقدمة للوحدة العربية.

ثانيا: التجارب الوحدوية

إذا كانت الوحدة العربية الشاملة لم تحدث حتى الآن رغم طول فترة التبشير فإن الدعوة لها من قبل الأفراد والأحزاب لم تتوقف ، بل وأضحت هدفا من أهداف المشروع النهضوي العربي . وحين نستحضر التجربة الوحدوية تاريخيا يمكن الإشارة إلى المحاولات التالية :

1- تجربة محمد علي باشا الوحدوية عبر إستقلال مصر عن الدولة العثمانية وضم بلاد الشام لبناء الدولة العربية المستقلة عن الباب العالي . غير أن التواطؤ البريطاني-الفرنسي أفشل هذا الهدف في عهد إبراهيم باشا .
2- الدعوة إلى إقامة دولة عربية موحدة بقيادة الشريف حسين والتي إرتبطت بالثورة على الدولة العثمانية وبوعد بريطاني تضمنته مراسلات حسين-ماكماهون .
3- وحدة المملكة العربية السعودية . وهي نتاج عملية توحيد تمت في الثلاثينيات بين نجد والحجاز وعسير .
4- جامعة الدول العربية 1945 كإطار للتعاون والتنسيق بين الأقطار العربية المستقلة رغم كونها فكرة بريطانية كان الهدف منها القضاء على كل أمل في الوحدة العربية الحقيقية .

5- الوحدة السورية-المصرية 22 فيفري 1958 – 28 سبتمبر 1961 ، والتي شكلت أول تحدي حقيقي لمشروع التجزئة الإستعماري وللكيان الصهيوني ، غير أنها لم تدم سوى ثلاث سنوات بفعل التواطؤ الداخلي والتآمر الخارجي.

6- وحدة ليبيا ستة 1963. وهي نتاج وحدة تمّت بين طرابلس وبرقة وفزّان.

7- الوحدة الثلاثية بين مصر ، العراق ، سوريا 1963.

8- وحدة الإمارات العربية المتحدة 1971 الناتجة عن إتحاد : أبو ظبي ، الشارقة ، دبي، رأس الخيمة ، عجمان ، أم القوين ، الفجيرة.

9- وحدة مصر ، سوريا ، ليبيا 1971.

10- بيان وحدوي بين تونس وليبيا 1974 .

11- ميثاق العمل القومي بين العراق وسوريا 1979.

12- مجلس التعاون الخليجي 1981.

13- مجلس التعاون العربي (مصر ، العراق ، اليمن ، الاردن) .

14- إتحاد المغرب العربي 1989.

15- توحيد شطري اليمن 22 ماي 1990 .

ثالثا: لماذا أخفقت الوحدة العربية؟

يمكن رصد أهم العوامل والأسباب التي أدّت إلى إخفاق تجربة الوحدة العربية –رغم التضحيات المبذولة- فيما يلي:

1- العمل الخارجي المتمثل في القوى الإستعمارية المعادية لفكرة الوحدة العربية ، التي ترى في قيامها تهديدا مباشرا لمصالحها الإستراتيجية ، وتحررا لشعوب المنطقة من كل أشكال التبعية والسيطرة الأجنبية .

2- إرتباط فعل الوحدة في الوطن العربي بالحكام وليس بفعل الشعوب والمؤسسات كما تمّ في الإتحاد الأوربي .

3- غياب الإرادة السياسية لدى العرب وإن توفرت فقد إرتبطت بفترة تاريخية محددة، وبقادة وحكام معروفين . والأهم من ذلك ضعف القوى السياسية والإجتماعية التي تملك القدرة للمحافظة على الوحدة في حالة تعرضها لأزمات داخلية أو ضغوطات خارجية.

4- التباين الواضح في توجهات الأقطار العربية . فالدول الغنية والمحدودة في عدد سكانها ومساحاتها تعتقد أن الوحدة ستكون على حسابها ، وتساهم في تبديد ثرواتها وتخاف بالتالي إبتلاعها من قبل الدول الكبيرة .

5- ضعف الممارسة الديمقراطية داخل الأحزاب والحركات القومية (هذه الظاهرة تنطبق على كافة التيارات والقوى السياسية في الوطن العربي) .

6- مصادرة فكرة القومية والوحدة من قبل بعض الأنظمة والأحزاب التي نصبت نفسها ناطقة بإسم الأمة العربية رغم الصراع القائم بينها (لم تكن الناصرية على وفاق مع البعث ، كان البعث العراقي والبعث السوري على طرفي نقيض ، تشظت الناصرية إلى أحزاب) .

7- كل التجارب الوحدوية قادتها أنظمة حكم تفتقد المشروعية ولا تعبر عن الإرادة الشعبية (الجزائر : الشرعية التاريخية ، الشرعية الدينية ...)

8- أبرز وأهم التجارب الوحدوية افتقرت إلى مبدأ المرحلية والتراكم ولم تكن سوى رد فعل لتحد خارجي أو ضغط داخلي. فمجلس التعاون الخليجي ارتبط بالتهديد الأمني الذي فرضته الحرب العراقية-الإيرانية ، ومجلس التعاون العربي للرد على أربع مصادر خطر هي تركيا ، إيران ، إثيوبيا ، "إسرائيل", والاتحاد المغاربي ارتبط بما يمكن أن يترتب من تحديات يفرضها الاتحاد الاوروبي.

إذا كانت هذه الأسباب والعوامل قد عرقلت مشروع الوحدة في الوطن العربي منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن ، فإن الأوربيين قد نجحوا في إمتحان الوحدة رغم الإختلاف اللغوي والديني والتاريخي وحجم الصراع والإختلاف الذي ميّز العلاقات الأوربية-الأوربية والذي عكسته بشكل واضح حربان عالميتان ساهمتا في تدمير أوربا إقتصاديا وبشريا ، وكرسّت تبعيتها للمعسكر الشرقي أو الغربي بعد الحرب العالمية الثانية . ويمكن تفسير نجاح الأوربيين في الوحدة بالعوامل التالية :

- العامل الخارجي وفّر أرضية مناسبة لإنطلاق الوحدة الأوربية (حلف شمال الأطلسي ، مشروع مارشال). والعكس حدث بالنسبة للعرب.
- تبديد مشاعر الخوف بين الدول الأوربية . ولذلك وضع الفحم والصلب تحت سيطرة أوربية لأنها عصب الصناعة العسكرية (تخوف فرنسا من عودة ألمانيا العسكرية) **(عندنا نحن العرب : العدد الأصغر مقابل العدد الأكبر ، الدول المكروسكوبية مقابل الدول العملاقة ، الخوف من الإبتلاع ...إلخ)**

- المصلحة والمنفعة أساس الوحدة الأوربية مقابل التركيز على البعد السياسي واللغوي والديني عند العرب .

رابعا: كيف يمكن تحقيق الوحدة العربية ؟ :إقتراحات

كيف يمكن تحويل الوحدة العربية من مجرد أمنيات يتغنى بها الفنانون ، ويرددها السياسيون، ويدعو لها المفكرون إلى مشروع سياسي وإقتصادي متكامل يتجاوز النظرة التقليدية ، ويتمرد على بعض المسلمات الجاهزة ، ويستفيد من أخطاء التجارب الوحدوية السابقة ؟. تأسيسا على هذه الإشكالية ، وإنطلاقا من الإيمان بمشروعية ، وضرورة ، وحتمية الوحدة العربية وعلى أساس أن أول خطوات العلاج هي تشخيص المرض على نحو واضح، ومن خلال المصارحة مع الذات أرى أن الطريق إلى تجسيد فعل الوحدة ينبغي أن يمر عبر:

1- تجاوز الذهنية القبلية التي مازالت تسيطر على السلوك السياسي العربي ، والتي لا ترتبط فقط بالأنظمة ذات النظام القبلي ولكنها تنسحب على بعض القوى والأحزاب الليبيرالية .
2- ضرورة أن يؤمن الداعون للوحدة العربية بعدم وجود تناقض بين العمل من أجل تطوير الوطن وإزدهاره إقتصاديا وتكنولوجيا ، وبين العمل من أجل الوحدة العربية والتضامن الإسلامي (الترابط بين الوطنية ، والعروبة والإسلام). ذلك أن الإعتراف بالدولة القطرية شرط لتجاوزها ، والإستمرار في إعتبارها كيان مصطنع من عمل الإستعمار سيدفع بها إلى معاداة الفكرة القومية وتضخيم الأنا القطري(12). وعليه أيضا لا يضير العروبة أن يعتز كل بلد بتاريخه وحضارته . فمن حق المصري- على سبيل المثال – الإفتخار بالحضارة الفرعونية ، ومن حق العراقيين الإعتزاز بالحضارة البابلية والآشورية ، ومن حق اللبنانيين الإفتخار بالحضارة الفينيقية(13).
3- أهمية ترتيب الأولويات . فلا يستقيم الحديث عن وحدة عربية في أقطار تعاني التفتيت والتجزئة بسبب الصراعات العرقية والإحتراب الطائفي.
4- ضرورة إقناع الأقليات فكرا وممارسة بأن الوحدة العربية ضامنة لوجودها ومحافظة على حقوقها وخصوصيتها ، وضمانة لعدم إنصهارها وذوبانها وسط الغالبية السائدة. وقبل ذلك يجب الإقرار بوجودها أصلا ، وعدم إنكارها كحقيقة ، ثم البحث عن الأسباب الحقيقية وليست المصطنعة للنزاع لمعالجتها ، وعدم الإكتفاء بنظرية التآمر الإستعماري(14).

5- لا يمكن تحقيق الوحدة العربية داخل مجتمع مقموع ، وحريته مصادرة . أي ضرورة دمقرطة الحياة السياسية ، وتطبيق مبدأ التداول على السلطة ، وإحترام حقوق الإنسان وضمان نزاهة الإنتخابات ، وتجاوز فكرة الزعيم والبطل. وعليه فإن إنجاز الوحدة يمر حتما عبر الديمقراطية وتحرير الإنسان العربي(15).

6- يجب تجاوز أسلوب إنجاز الوحدة القديم القائم على إتفاقيات فوقية توقعها الأنظمة (العكس في أوربا من خلال الإستفتاء) ثم تتهاوى وتنهار بسبب تأزم العلاقات بين الحكام. وعليه يجب أن تكون الوحدة تعبيرا عن الإرادة الحرة للجماهير العربية وجميع قواها الوحدوية .

7- ضرورة تجاوز التصور البيسماركي للوحدة الذي يعتمد على الإلحاق القسري والإخضاع بالقوة والذي يتولى العسكر تنفيذه.

8- يجب أن تتعدد مداخل الوحدة ولا تقتصر على المدخل السياسي وذلك من خلال :

- المدخل الإقتصادي المضمون النتائج لتحقيق الوحدة حيث ينعكس بشكل إيجابي وسريع على عموم الأفراد في الوطن العربي من خلال إيجاد حل للمشاكل التي تعاني منها الدولة القطرية (أزمة الغذاء ، غلاء الأسعار ، الأمية ، المديونية .....) كما أن المصلحة المتولدة عن الوحدة تساهم في تكوين قوى محلية تدافع عنها .
- المدخل التربوي : يتم عبر التربية الحزبية داخل الأحزاب ، ومن خلال العملية التعليمية داخل المدرسة ، الجامعة ، المسجد ، الكنيسة. وأيضا عبر مضاعفة الحصص التاريخية والجغرافية المتعلقة بالوطن العربي ، وإبراز عظمة الحضارة العربية الإسلامية ودور العرب في تطور البشرية ، ومن خلال إختيار أسماء الأبناء داخل العائلات تحمل أسماء ذات توجه وحدوي.
- المدخل الإعلامي : من خلال تأسيس قناة وجريدة ذات بعد قومي ، دور نشر تهتم بنشر التراث القومي العربي، إنشاء مواقع إلكترونية ذات بعد قومي ...إلخ.

9- تعميق التفاعل والتفاهم مع القوى صاحبة المصلحة في الوحدة وذلك من أجل بناء الكتلة التاريخية التي تجمع مختلف القوى والتيارات الفاعلة على الساحة العربية (القوميون ، الإسلاميون ، الليبراليون) .

10- على المرأة أن تلعب دورها داخل المجتمع العربي وتدافع عن رسالتها الوحدوية . ولا يتم ذلك إلا من خلال توسيع نطاق نضالها داخل الأحزاب ، والجمعيات ، والمنتديات ، والمؤتمرات .

11- المرحلية والتراكم شرطان ضروريان لنجاح الوحدة . ولذلك ينبغي تجاوز ظاهرة حرق المراحل والتدرج في تحقيق الهدف الأسمى عبر : إلغاء التأشيرة ، حرية تنقل الأفراد ، تأمين حق العمل والإقامة والتملك ، سوق عربية مشتركة .

12- على القوى الوحدوية التماهي مع الجماهير وعدم التعالي عليها ، أو التنظير لها من أبراج عاجية على أساس أنها قاعدة الوحدة وقوتها الأساسية.

الخاتمة:

ليست الوحدة العربية ترفا ومجرد أمنية وأحلام تراود الداعين لها ، ولكنها أصبحت مطلبا وضرورة حياتية ، ومعركة طويلة في مواجهة البعد الداخلي والإقليمي والدولي. والوحدة العربية تحتاج إلى جهد كل القوى الفاعلة وإلى مساهمة كل التيارات الفكرية . وفي غياب الوحدة يستحيل الكلام عن إستقلال الأقطار العربية إقتصاديا وسياسيا واجتماعيا . ويزداد الأمر خطورة عندما تصبح مشاريع التجزئة, والتفتيت, والتقسيم على أسس عرقية, ومذهبية, ودينية مشاريع غربية معروفة , وسياسات يتم الإفصاح عنها علنا , ويتم تنفيذها في جغرافيا الوطن العربي. والهدف هو اضعاف المنطقة , وإبقائها دائما في دائرة التبعية للغرب كسوق للبضائع الأجنبية , ومصدرا للمواد الأولية. وانطلاقا من ذلك يمكن القول أنه لا يمكن للعرب أن يستعيدوا دورهم العالمي, ويستكملوا رسالتهم الحضارية , والإنسانية إلا من خلال الوحدة العربية.

الهوامش:

1. توفيق, برو, **العرب والترك في العهد الدستوري 1908-1914**, معهد الدراسات العربية العالمية, القاهرة, 1960, ص 96.
2. عبد الإله بلقزيز ، **لحظة التتريك في تكوين الوعي العربي** ، جريدة المستقبل ، العدد 3808 ،(22 تشرين الأول 2010)، ص 22.
3. محمد علي, الأحمد, **سقوط الخلافة. عرب الشام والدولة العثمانية**, ط1, دار الإسراء للنشر والتوزيع, الأردن 2007, ص ص 179-303.
4. **"إسرائيل" وأحلام تفتيت الوطن العربي** ، www.alkashif.org
5. مها حابس الفايز ، **إسرائيل ودورها في بلقنة الوطن العربي "السودان نموذجا"** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف الدكتور محمد عوض الهزايمة ، قسم العلوم السياسية كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الأوسط ، 2011 ، ص ص.48-49.

6. نجيب, عازوري, **يقظة الأمة العربية**, تعريب وتقديم أحمد أبو ملحم, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, (د.ط), ص ص 17-24.
7. للاطلاع على أبرز أسسه أنظر الكتاب الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان: **المشروع النهضوي العربي, نداء المستقبل**, ط3, مركز دراسات الوحدة العربية, لبنان, 2013, ص ص 51-118.
8. ساسين, عساف, **مشروع النهوض العربي. رؤية وحدوية**, ط1, منتدى المعارف, لبنان, 2018, ص ص 148-158.
9. محمود أمين, عبد الله, **مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**, سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, العدد 96, الكويت, 1984, ص 13
10. علي, المحافظة, **موقف فرنسا وألمانيا وايطاليا من الوحدة العربية 1919-1945**, ط1 مركز دراسات الوحدة العربية, لبنان 1985, ص ص 105-121
11. أحمد سعيد, نوفل, **دور اسرائيل في تفتيت الوطن العربي**, ط1, مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات, بيروت, 2007, ص ص 43-55.
12. محمد صالح الهرماسي ، **العبور إلى المستقبل ، في إعادة بناء الفكر القومي** ، ط2 (دمشق: 2005)، ص99.
13. محمد علي عمر الفرا ، **العروبة ... إلى أين؟ أمة بلا قيادة** ، ط1(الأردن : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، 2008) ، ص268.
14. حيدر إبراهيم علي و ميلاد حنا ، **أزمة الأقليات في الوطن العربي** ، ط1 (دمشق : دار الفكر 2002)، ص112. انظر أيضا : سالم شاكر ، **الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر** ، حبيب الله منصوري(مترجم) ، ط2 (الجزائر : دار القصبة للنشر 2003) ، ص ص 106-125.
15. حبيب حداد ، **الوحدة العربية ... إلى أين؟** ، المستقبل العربي ، العدد 240 ، (لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية ، فيفري 1990)، ص93.

حاضرة تنبوكتو خلال أواخر القرن التاسع عشر في عيون فرنسية
(مونوغرافية الأب أوغوسطان بروسبير هاكار نموذجا)

د/ عادل بن محمد جاهل ـ جامعة ابن زهر، أكَادير، المملكة المغربية.

ملخص باللغة العربية:

تروم هذه الورقة تسليط الضوء على جوانب من تاريخ حاضرة تنبوكتو (الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والديني، والعلمي)، في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، من خلال شهادة الأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، الرجل العارف بخبايا بلاد السودان الغربي، وبعادات التواركَ، وبتقاليد بلاد البيظان، والمتمكن من مختلف اللغات واللهجات، التي يستعملها أهالي تلك المناطق الإفريقية، وما يزيد من أهمية البيانات التي استجمعها الأب السالف الذكر، كونها مستقاة من عين المكان، الشيء الذي يجعلنا نطمئن لها بكثير من الارتياح.

الكلمات المفتاحية: حاضرة تنبوكتو، نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، الكتابات التاريخية الفرنسية، أوغوسطان بروسبير هاكار.

Abstract:

This paper sheds light on aspects of the history of the social, economic, cultural, religious and scientific history of Tombouctou, at the end of the nineteenth century, through the testimony of the French father and explorerAugustin Prosper Hacquard, the man who knows the secrets of Western Sudan, the customs of the Tuareg people,and the traditions of Bidan, He is also fluent in local languages and dialects spoken by the inhabitants of those regions, What gives added value to the aforementioned explorer's data is that it is a field investigation, which makes us very satisfied with it.

Keywords: Timbuktu, The End of The Nineteenth Century, The French Writings, Augustin Prosper Hacquard.

تقديم عام:

يبدو أن أغلب الرحالين والمستكشفين الفرنسيين، الذين جابوا مجاهل حاضرة تنبوكتو، جوهرة الصحراء الكبرى، وقلب بلاد السودان الغربي، على الأقل منذ عشرينات القرن التاسع عشر، كانت المغامرة، وارتياد المجهول، واكتشاف العجيب والغريب، والتنقيب عن الطريف والمدهش، والخروج على المألوف، والبحث عن الثراء السريع، والرغبة في الحصول على جائزة خاصة، من الغايات الرئيسة

والأساسية، التي دفعتهم إلى التنقل إلى عين المكان، متجشمين عناء السفر في البر والبحر، ومخاطرين بأرواحهم وأجسادهم، أملا منهم في تحقيق بعض المكاسب المادية، والمعنوية، والرمزية. وعلى هذا الأساس، وانطلاقا من تلك الدواعي، وصل إلى حاضرة تنبوكتو، التي تكتسي في مخيّلة الأوروبيين بشكل عام، طابعا غرائبيا، عدد كبير من المغامرين والمدنيين الفرنسيين، الذين ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم، ومنهم أيضا، المستكشفين والرحالين المحترفين، الذين تعوّدوا على الرحلة، وركوب الأمواج، ومنهم رجال الدين، الذين رغبوا في القيام بعملية التمسيح والتبشير، ومنهم رجال العلم، الذين استهوتهم الأبحاث عن الغريب في الطبيعة والإنسان. ونجد من بين هؤلاء المستكشفين، أيضا، الضباط العسكريين، الذين عملوا على إعداد معرفة جغرافية، ورصد أحوال المنطقة والساكنة، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والبيانات، مهما بدت صغيرة وتافهة، تمهيدا لغزو قد يأتي لا محالة، ومنهم المستكشف بالصدفة، الذي وصل إلى المنطقة، بكيفية أو بأخرى، فاستهوته مجاهل حاضرة تنبوكتو، حاضرة "العجائب"، و"الغرائب"، و"الخوارق"، و"الإثارة"، فحرّر على إثرها، ارتسامات، وخواطر، وانطباعات، مرتبطة بالمجال والإنسان التنبوكتي. علاوة على ما تقدّم، نجد أن أغلب هؤلاء الرحالين والمستكشفين الفرنسيين، قبل أن تطأ أقدامهم حاضرة تنبوكتو، والمناطق الإفريقية القريبة منها، كوّنوا خلفية تاريخية، وجغرافية، ودينية، وحضارية، أصيلة وعميقة حول المنطقة؛ حيث درسوا الثقافة الإفريقية بأبعادها المختلفة، بل أكثر من هذا، تعلموا اللهجات المحلية، والعلوم الإسلامية، وعادات السكان المحليين؛ وذلك كله، من أجل تسهيل مأموريتهم، والنجاح في مهمتهم.

وانطلاقا من ذلك، تمكّن هؤلاء الرحالين والمستكشفين الفرنسيين، من جمع كم هائل ومهم من الأخبار، والمعلومات، والمعطيات، والبيانات القيّمة، عن الوضعية السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والقبلية، لحاضرة تنبوكتو، كما كانوا شهود عيان على الكثير من التفاصيل الدقيقة عن أوضاع هذه الحاضرة، وجغرافيتها، ومسالكها، وحياة قاطنيها، ومُثلهم الأخلاقية، خلال طيلة الشهور والسنوات التي قضوها فيها؛ قصد التقصي والاستخبار، عن جزء مهم واستراتيجي من بلاد السودان الغربي. في المقابل، واجه هؤلاء المستكشفين والرحالين الفرنسيين، أثناء تسللهم للمنطقة المذكورة، أو أثناء إجراءهم لبحوثهم الميدانية فيها، صعوبات، وعراقيل، ومشقات، جمّة، حيث إن بعضهم تعرض للأسر، والإغارة، والسرقة، والموت، والجوع، والعطش، والتهديدات البشرية، وتباين الألسنة، واختلاف العادات، ومنهم أيضا، من واجه الحرارة المفرطة، وضربات الشمس الحارقة، والزوابع الرملية والغبارية، والرياح الجافة والساخنة، والمرض، والأوبئة، وأعباء السفر، وبعد الشقة، وآلام الغربة، ومخاطر الطريق، وطول

مسافة السفر، وتقلبات الطقس، ومصاعب المناخ، وعدم وضوح معالم الطريق، ولسعات العقارب المميتة، ولدغات الحيات والأفاعي القاتلة. وكيفما كان الحال، ورغم الصعوبات، والمشاق، والعقبات، الطبيعية والسوسيو ثقافية، الكثيرة والمتنوعة، التي اعترضت هؤلاء الرحالين والمستكشفين الفرنسيين، أثناء تسللهم للمنطقة المذكورة، أو أثناء أبحاثهم وتحرياتهم الميدانية فيها، إلا أنهم تمكّنوا جميعهم، من تقديم مادة معرفية أولية، عمّا شاهدوه وسمعوه وعاينوه، عن شؤون وأوضاع هذه الحاضرة الإفريقية المجهولة وغير المعروفة لديهم، سكانا وقبائل وشيوخا، خاصة وأن هذا المجال، يُعتبر من المجالات التي لم يتيسّر للرواد والمستكشفين الفرنسيين الأوائل، زيارتها ومعرفة تفاصيل أحوالها وشؤونها عن قرب.

ويعتبر كتاب "مونوغرافية تنبوكتو"(Monographie de Tombouctou)، للأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، من بين الشواهد المصدرية التاريخية الأجنبية القليلة التي أرّخت لحاضرة تنبوكتو في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، خاصة لما لهذه المرحلة من أهمية قصوى من الناحية التاريخية، حيث تميزت بتسارع الأحداث، وتلاحق الوقائع، إضافة إلى ما كان لها من تأثير كبير في توجيه تاريخ حاضرة تنبوكتو المعاصر، وإحداث تحولات كان لها وقع عميق في بنياتها المختلفة، سواء من الناحية السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الدينية، أو الديموغرافية، وحتى الثقافية. وهكذا تضمّن الكتاب السالف الذكر، معلومات، ومعطيات، وإيماءات، تعتبر بحق، نادرة، وثمينة، ومثيرة، وقلّما تلتفت إليها المصادر المحلية الإفريقية، المتميزة بالشح والابتسار، على صعيد عناصرها الإخبارية، وهي خصيصة، تشترك فيها كل المجالات الصحراوية البدوية، والتي تتميز بضعف التدوين، وقلة المكتوب. وفي مقابل تأخر انتشار ثقافة التدوين وتقاليده في المنطقة المذكورة، نجد غلبة الثقافة والرواية الشفهية التي تتوارثها الأجيال الإفريقية أبا عن جد، في أحايين كثيرة جدا، خارج سياقاتها الطبيعية، زمنا وموضوعا، الشيء الذي يجعل من المستحيل أمام هذه الوضعية الإسطوغرافية المحدودة والهزيلة، تكوين صورة متكاملة وشاملة حول تاريخ المنطقة الإفريقية وحضارتها بدقة وموضوعية. وهكذا، يمكن اعتماد الكتابات الأجنبية، كبديل مكمّل ومنطلق أساسي في إعادة تركيب جزء من أحداث الماضي التنبوكتي بشكل خاص، وإفريقيا الغربية بشكل عام، خلال الحقبة التاريخية المذكورة أعلاه؛ وذلك بعد تمحيص تلك الشهادات المصدرية الأجنبية والتدقيق فيها، وفق منهج علمي صارم وواضح المعالم، قصد استخلاص الجيد، والاستفادة منه، وطرح الرديء، والتخلص منه.

إذن، ما هي الصورة التي رسمها الأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، عن حاضرة تنبوكتو؟ وإلى أي حد تمكّن من تشخيص الواقع

الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والديني والعمراني للمنطقة المذكورة، في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي؟

هذه الأسئلة وغيرها، هي التي سنحاول البحث عن أجوبة لها في قادم سطور هذا العرض المتواضع.

أولا: التعريف بالأب أوغوسطان بروسبير هاكار ومونوغرافيته

1: من هو الأب أوغوسطان بروسبير هاكار؟

ازداد أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) في فرنسا يوم 18 شتنبر 1860م، وتحديدا في قرية ألبيرسطروف (Albestroff)،التابعة لمقاطعة نانسي (Nancy)، والواقعة في إقليم اللورين (Lorraine)[1]، استهل دراسته الابتدائية في قريته المذكورة، وبعد ختمه لدراسته فيها عام 1873م، التحق بمدرسة "بونت-أ-موسون" (Pont-à-Mousson)، في حلقة دراسية صغرى، قبل أن يلتحق سنة 1877م بحلقة دراسية كبرى في مقاطعة نانسي. وفي سنة 1878م، قدّم طلبا للقبول في الجمعية الإفريقية للمبشرين (الآباء البيض)، التي أسسها الكاردينال شارل مارتيال لافيجوري (Charles Martial Lavigerie) عام 1868م بـ "الجزائر الفرنسية"[2]. ورغم رفض والديه لرغبته في الانضمام للجمعية المذكورة آنفا، سافر في مطلع شتنبر 1878م نحو مارسيليا ثم إلى "ميزون كاري" (Maison-Carrée) أو مدينة الحراش، والقريبة من مدينة الجزائر العاصمة. وفيها تولى التدريس ما بينسنوات 1881م و1883م، وتحديدا في معهد قرطاج (Collège de Carthage). وبموازاة مع ما تقدّم، تمّ تعيين الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) في 8 شتنبر 1884م "قسا" (Prêtre)، ثم أستاذا في مدرسة سانت أوجين (Saint-Eugène)بالجزائر العاصمة[3]، وفي فترة لاحقة عيّنه الكاردينال شارل مارتيال لافيجوري (Charles Martial Lavigerie) محافظا للدروس في نفس المدرسة الآنفة الذكر، وهكذا شرع يعد لامتحانات التاريخ بكلية "إيكس أون بروفانس" (Aix-en-Provence)، وبها حصل في 28 يوليوز 1884م على شهادة الإجازة بميزة (حسن) محققا بذلك الرتبة الأولى في فوجه. وبعد هذا التفوق البيّن طلب منه

---

[1]– Aylward (Shorter), **Les Pères Blancs au Temps de la Conquête Coloniale: Histoire des Missionnaires d'Afrique 1892–1914**, [Traduit de l'Anglais par Gérard Guiraudin], Paris: Édition Karthala, 2011, p.67.

[2]– Jean-Claude (Ceillier), **Histoire des Missionnaires d'Afrique (Pères Blancs): de la fondation par Mgr Lavigerie à la mort du fondateur (1868–1892)**, Paris: Édition Karthala, 2008, p.277.

[3]– Aylward (Shorter),**Les Pères Blancs...**, op.cit., p.67.

الكاردينال شارل مارتيال لافيجوري (Charles Martial Lavigerie) السالف الذكر، إعداد أطروحة دكتوراه حول موضوع (إفريقيا المسيحية القديمة)[1].

إلى جانب ما سلف ذكره، أسند الكاردينال شارل مارتيال لافيجوري (Charles Martial Lavigerie)سنة 1891م للأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، مهمة رئاسة هيئة دينية وعسكرية حديثة في مدينة بسكرة بـ "الجزائر الفرنسية"، هذه الهيئة أُطلق عليها اسم "رهبان الصحراء المسلحون" (les Frères Armés du Sahara)[2]، وقد أخذت هذه المؤسسة على عاتقها مهمة محاربة العبودية والاسترقاق، وأيضا استقبال العبيد الفارين من أسيادهم في المنطقة المذكورة، ونتيجة ذلك تمكّن أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، من خلق علاقات وصلات جيدة ومتينة مع الجنود الفرنسيين أو مع أهالي تلك المناطق[3]. ونلاحظ، من جهة أخرى، أن الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، سرعان ما استبدل بطريقة أو بأخرى، العلم والرهبنة بالاستكشاف والمغامرة، وهكذا أضحى يوجه اهتمامه بشكل عميق نحو اكتشاف مجاهل ومفاوز السودان الغربي، في إقبال نادر، ورغبة جامحة، واندفاع غريب، بقصد الاستخبار والتقصي،وتجميع معلومات تهم بالأساس الميادين: الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعمرانية.لذلك، أسندت إليه الدوائر الاستعمارية الفرنسية، مهمة استكشاف بلاد التواركَ في 12 يناير 1894م، هو ومجموعة من الرهبان، خاصة وأن الأخير كان يجيد اللغة العربية واللهجات المحلية، وتحديدا لهجة "التماشق التواركَية"، إضافة إلى طريقته الخاصة والفريدة في التعامل مع الساكنة المحلية[4]، وقد حققت هذه البعثة انطلاقا من تلك المؤشرات، الغايات المرجوة منها، وهي تكوين صورة واضحة وجلية حول مجال السودان الغربي، المراد الانقضاض والسيطرة عليه،وهو ما يمكن أن نطلق عليه "مرحلة التأسيس للغزو، وتعبيد الطريق أمامه". وفي ذات الاتجاه، قام الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، برحلة استكشافية جديدة في 25 دجنبر 1894م مع بعض "الرهبان البيض" (Les Pères Blancs)، من أجل تعميق البحث حول بعض الحواضر الإفريقية، وتحديدا تنبوكتو وبعض المناطق القريبة منها، مثل: موبتي (Mopti)، ودجيني

[1]–انظر: أوغوسطان (هاكار)، **مونوغرافية تمبوكتو**، [تقديم وترجمة زوليخة بنرمضان وحسن أميلي]، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، طبعة 2017، ص.15.

[2]– Aylward (Shorter),**Les Pères Blancs**…, op.cit., p.67.

[3]– Ibidem.

[4]– Augustin (Hacquard),**Monographie de Tombouctou**, Paris: Société des Études Coloniales et Maritimes, 1900, pp.VI–VII.

(Djenne)، وبانديكَارا (Bandiagara)، وسانسانديكَ (Sansanding)، إضافة إلى حوض النيجر والداهومي العليا، وغيرها من المناطق الإفريقية الأخرى.

توفي الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، المعروف لدى أهالي حاضرة تنبوكتو باسم "عبد الله"، في أوج عطائه العلمي والتبشيري، يوم الخميس 4 أبريل 1901م،في ظروف تبدو غامضةومبهمة، بيد أن بعض الشهادات المصدرية البريطانية، تُبيّن بجلاء أن الرجل توفي غريقا في منطقة "سيكَو" (Ségou) بحوض النيجر، أثناء قيامه بالاستحمام أو السباحة هناك[1]. كما أن جثته لم يُعثر عليها أبدا، وهكذا فقدت الدوائر الاستعمارية الفرنسية، عصرئذ، أحد أقطابها الكبار في بلاد السودان الغربي، من ناحية الاستكشاف، والمغامرة، والتبشير[2]، مخلفا وراءه أعمالا تاريخية دقيقة، وبحوثا جغرافية قيّمة، عن أهم المجالات والحواضر الإفريقية، وعلى وجه الخصوص حاضرة تنبوكتو.

2: مونوغرافية تنبوكتو: قراءة في قيمتها العلمية ومكانتها التاريخية

يُعتبر كتاب "مونوغرافية تنبوكتو" (Monographie de Tombouctou) للأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، من بين الأعمال العلمية التاريخية والاثنوغرافية والاجتماعية والعسكرية والروحية العظيمة القدر والأهمية، حول أهم وأعرق حاضرة في بلاد السودان الغربي "تنبوكتو"، خاصة وأن المُؤَلِّفْ أرّخ للمنطقة المذكورة في فترة كانت حبلى بأحداث جسام، شهدتها مجمل البلاد السودانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لعل أبرزها الهجمة الامبريالية الأوروبية الشرسة على إفريقيا الغربية. وما يزيد من أهمية هذا الكتاب، هي الطريقة والمنهجية التي اعتمدها المُؤَلِّفْ أثناء تحرير صفحات كتابه، والقائمة أساسا على المشاهدة المباشرة والوصف الدقيق لأحوال مجتمع حاضرة تنبوكتو، التي زارها المستكشف وخبر شؤونها عن قرب، ويكفي أن يلقي المرء إطلالة سريعة على مضامين الكتاب، ليتأكد عن كثب على جودة المواضيع التي عالجها صاحب التأليف، بأرقى أساليب التعبير، لذلك ليس غريبا، إذا لاحظنا أن الدوائر الاستعمارية الفرنسية تنعته بـ **"الرجل الذي يعرف جيدا [خبايا] السودان الفرنسي"**[3].

لعل ما يسترعي الانتباه في هذا الصدد، هو أن مونوغرافية الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، تعتبر فريدة في بابها، متميزة على غيرها، حيث لم تكن ممزوجة

[1]– Aylward (Shorter),**Les Pères Blancs…**, op.cit., p.68.

[2]– Augustin (Hacquard),**Monographie…**, op.cit., p.VII.

[3]–Ibid., p.VI.

بالخيال والسذاجة، كما لم يغلب عليها روح المغامرة والإثارة، ولم يكتنفها الكثير من الغموض، غموض حاضرة تنبوكتو، عندما حاول الرواد الأوائل اقتحامها أو الكتابة عنها، وينبغي ألا يغيب عن الأذهان، في هذا السياق، أن صاحب التأليف كان خبيرا ومتمكنا من مادته المعرفية، عارفا بخباياها، سابرا لأغوارها، كيف لا؟ والمُؤَلِّفْ **"كان على دراية تامة بالبيظان وبعادات التواركَ ويجيد مختلف اللغات واللهجات التي يستعملها ساكنة السودان"**[1]. على أن ما يسترعي انتباهنا أكثر، في هذا الباب، هو أن الكتاب رغم أنه أُلِّفَ بتوجيه خاص من طرف الحركة الاستعمارية الفرنسية، إلا أنه يحمل في طياته ومضامينه نسبة كبيرة من الدقة والموضوعية، عكس بعض الكتابات الأجنبية الأخرى، التي غابت الحقائق عنها، أو غيّبتها عن عمد أو قصور، لدواعي امبريالية مكشوفة، أملتها الظرفية والمرجعية الاستعمارية، الشيء الذي جعلها تسقط في الكثير من التناقضات والمزالق العلمية، إضافة إلى تكريسها تلك النظرة الاستعلائية النمطية المتحاملة، المبنية على التفوق الغربي، وعلى هيمنت الحضارة الغربية، وكل ذلك، من أجل خدمة أجندة الاحتلال والاستغلال، حيث صوّرت الساكنة المحلية، كأجناس متوحشة وهمجية تارة، ومتخلفة ورجعية تارة أخرى، تعيش خارج نطاق التاريخ، وتفتقد إلى الحضارة والمدنية، وبالتالي، وجب إخراجها من عتمة البدائية إلى دائرة ضوء الحضارة الأوروبية المتقدمة.

الملاحظة الرئيسة التي لابد من إبرازها، هنا، هي أن مونوغرافية الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، هي عبارة عن تحريات وأبحاث ميدانية دقيقة، وفي عين المكان، كما استغلت أيضا، مجمل الروايات الشفهية المتواترة، ممّن لهم خبرة وتجربة بالمجال والإنسان التنبوكتي، أجانب كانوا أم من الأهالي، الشيء الذي جعل من مونوغرافيته عبارة عن تسجيلات وثائقية، تُصوِّر بدقة متناهية ما يثير الملاحظة حقا، بحيث قلّما نجد لها نظيرا في باقي مصادر تاريخ بلاد السودان الأخرى، سواء المحلية منها أو الأجنبية. لكن، ورغم أهمية هذا المصنف المونوغرافي، في التأريخ لحاضرة تنبوكتو بشكل خاص والسودان الغربي بشكل عام، إلا أننا نجد هذا التراث العلمي ظلّ لحقبة طويلة، مغمورا، خامل الذكر، بعيدا عن كل إشارة؛ لأسباب مختلفة ومتعددة، منها: النظرة السلبية للإنتاج الكولونيالي الذي يُوصف في الغالب الأعم وإلى عهد قريب، بأنه تحصيل حاصل، لا يقدّم ولا يؤخّر، أو أداة للهيمنة والسيادة على الآخرين، إضافة إلى مشكل اللغة، ثم صعوبة الوصول إلى هذه النوعية من المصادر النفيسة، التي تبقى في المجمل حبيسة رفوف الخزانات والربائد الأجنبية.ومهما يكن من أثر، فإن

[1]–Ibid., pp.VI–VII.

مونوغرافية الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، تنفرد بعدة خصائص ومميزات، أمكن إجمالها على الشكل التالي:

أ: من حيث طبيعة المواضيع المدروسة

درس المُؤَلِّفْ جملة من المواضيع المتنوعة، ذات الصلة بـ (التاريخ، والسياسة، والدين، والاقتصاد، والجغرافيا، والأنثروبولوجيا، والسوسيولوجيا)، وغيرها، لكن ما يميز هذا الكتاب أكثر، هو دراسته المستفيضة للمواضيع الاجتماعية، مثل (القضايا المرتبطة بالتركيبة السكانية، والاستهلاك، واللغة، والتغذية، والأسرة، والعادات، والتقاليد، والصحة، واللباس، وسلوك السكان المحليين، والممارسات الدينية والروحية). هذا دون نسيان الأنشطة الفلاحية والثروات الطبيعية والحيوانية، التي تتمتع بها حاضرة تنبوكتو، كما أنه أرَّخ لمنسيي التاريخ، ولمن لا تاريخ لهم، من بسطاء ومستضعفين ومهمشين، وغيرهم، الشيء الذي جعل من مونوغرافيته المذكورة مجال "التاريخ اللاّمفكر فيه"، أو مجال "التاريخ المنسي"، وهكذا أفرز لنا هذا الكتاب، منتوجا علميا، بالمعنى والكلمة، جدير بالاهتمام والدراسة.

ب: من حيث الفترة الزمنية المدروسة

عالج صاحب التأليف فترة زمنية دقيقة ومعقدة، وهي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أما عن أهمية هذه الفترة، فتكمن في كونها تؤرخ لمرحلة تاريخية، سماتها الأساسية هي تزايد واشتداد الضغوط والأطماع الاستعمارية الفرنسية على إفريقيا الغربية، وقد توجت هذه الضغوط طبعا، بالسيطرة الفرنسية الكاملة على حاضرة تنبوكتو في 6 يناير 1894م، وقد آثار هذا الحدث المأسوي بطبيعة الحال، ردود أفعال كثيرة، سواء في الأوساط السودانية، أو العربية، أو الإسلامية.

ج: من حيث اللغة والأسلوب والمنهجية المتبعة

اعتمد صاحب التأليف أسلوبا ومنهجا علميا واضح المعالم، فهو لم يعتمد أسلوب الاستهزاء والسخرية، أو أسلوب الدهشة والغرائبية، الممزوج بطابع النزعة الأوروبية الاستعلائية، التي تحاول احتقار الآخر والتنقيص من شأنه وقيمته، بل نجده يعتمد أسلوبا علميا صارما، أساسه الدقة والموضوعية. ويؤكد هذا القول، الباحثان حسن أميلي وزوليخة بنرمضان اللذين ذكرا بأنه **"بالنظر للقيمة العلمية للكتاب من حيث مادته المتنوعة ومنهجه الدقيق وصفا وتحليلا، تكون المدرسة التاريخية الفرنسية الإفريقية قد تجاوزت مع نهاية القرن 19م مرحلة المغامرات الكشفية الفردية والجماعية، المدنية والرسمية (...)**

ليسد فراغا مهولا (...) مصححا بذلك الزلات التي وقع فيها [مواطنوه]"[1]. أما عن منهجيته وطريقته المتبعة في تحرير صفحات كتابه، فهي تستند بالأساس إلى مشاهداته ومعايناته الشخصية، إضافة إلى ما حصل عليه من بيانات ومعطيات، أثناء تحرياته الميدانية في عين المكان، أي في بلاد السودان الغربي، والذي خبر شؤونه وأحواله، كيف لا؟ وهو الذي عاش فيه لسنوات طوال[2].

هـ: من حيث أهمية الكتاب في الأوساط الاستعمارية والعلمية

استطاع هذا الكتاب أن يفرض وجوده منذ اللحظة التي خرج فيها من دور النشر والطباعة إلى دور المكتبات والخزانات العلمية، حيث بفعل وزنه العلمي المتميز وكذا بفعل مادته المتنوعة والمضبوطة، **"تمكن من فرض أهميته في الأوساط الاستعمارية الفرنسية (...) في وقت لم يتم فيه طبع التواريخ السودانية المحلية الثلاث "تذكرة النسيان" (1910)، لمؤلف مجهول، و"تاريخ الفتاش" لمحمود كعت وحفيده (1911)، و"تاريخ السودان" لعبد الرحمن السعدي (1913)، مفاتيح الذاكرة السودانية التي عززت لاحقا الكتابات الاستعمارية والأكاديمية"**[3].

والخلاصة التي تتحصل لدينا من هذه المعطيات، أن مونوغرافية الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، حول تاريخ حاضرة تنبوكتو، منارة بلاد السودان الغربي، تعتبر بحق من بين التصانيف المهمة والقليلة التي حاولت دراسة المنطقة المذكورة، بكيفية أصيلة وعميقة، من أجل تكوين مادة معرفية دقيقة لدوائر الحركة الاستعمارية والأوساط العلمية والاستكشافية الفرنسية. وهكذا، استفاد هؤلاء مما تحتوي عليه من بيانات متنوعة، ومعطيات عالية القيمة؛ كمّا ونوعا، كيف لا؟ وهي لامست جوانب كثيرة من تاريخ المنطقة وحضارتها، وبنياتها الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية، والدينية، والروحية، والعمرانية.

ثانيا: حاضرة تنبوكتو (الموقع والمظهر العام للمنطقة)

---

[1]– أوغوسطان (هاكار)، **مونوغرافية...**، م.س، صص.11-12.

[2]– Augustin (Hacquard),**Monographie...**, op.cit., p.VI.

[3]– أوغوسطان (هاكار)، **مونوغرافية...**، م.س، ص.12.

تتضمن مونوغرافية الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، بيانات مهمة ودقيقة حول العناصر الجغرافية، والطبيعية، والمناخية، والهيدروغرافية لحاضرة تنبوكتو، وهي معلومات تمتح وتستقي قيمتها من كونها عبارة عن تحريات وأبحاث ميدانية، وفي عين المكان، الشيء الذي يجعلنا نطمئن إلى نتائجها ودقتها وصدقها. وهكذا، يُشير الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حاضرة تنبوكتو تقع بين خط عرض 16° و43 شمال خط الاستواء، وخط الطول 5° شرق غرينيتش[1]، ويضيف بأن حاضرة تنبوكتو شيدت عند جانبيْ تلَّة أو كَثِيب رملي، ينحدر اتجاهه من ناحية الشرق إلى الغرب، وعلى منحدر جنوبي لكَثِيب رملي آخر موازي للأول وإلى الشمال منه. وعليه تتخذ المنطقة شكل مثلث قاعدته عند الجنوب[2]. إلى جانب هذه المعطيات، يذكر المستكشف والمبشر السالف الذكر، بأن الحاضرة تعرف مجموعة من الهضاب الحديدية، بمتوسط ارتفاع يتراوح ما بين 90 و100 متر، كما تعرف المنطقة أيضا سلسلة جبلية مرئية طويلة، تمتد من الشرق من بحيرة "فاكَيبين" (Faguibine) وبحيرة "تيلي" (Télé)[3]. وإلى جانب ما سبق ذكره، أورد الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، تفاصيل مهمة عن الموارد المائية التي تتمتع بها حاضرة تنبوكتو والمناطق المجاورة لها، وممّا ينبغي تسجيله بخصوص هاته المعطيات، هو أن المنطقة المذكورة تعتمد أساسا وبشكل كبير على مياه الأنهار والبحيرات، حيث يُبين صاحب التأليف أن نهر النيجر يمثل **"روح وقلب السودان"**[4]، هذا النهر الذي ينبع من شمال جمهورية ليبيريا عند جبل "كوكونوتي" (Kokonaute)، والذي يتدفق بداية نحو ناحية الشمال الشرقي إلى أن يبلغ حاضرة تنبوكتو، ثم ينحرف نحو الشرق، إلى أن يصل إلى "كَاو" (Gao) أو "كَوكَو" (Gogo)، ومن هذه المنطقة يستمر تدفقه في اتجاه جنوب الجنوب الغربي ليصب في خليج البنين[5]. كما أن هذا النهر توجد روافده الأساسية على الضفة اليمنى حيث رافد "باني" (Bani)، وأيضا على الضفة اليسرى حيث رافد "سوكوتو" (Sokoto)، ورافد "بينووي" (Bénoué)[6].

ويُخبرنا الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن نهر النيجر له أسماء عديدة ومختلفة، وذلك حسب المناطق التي يخترقها ويتدفق فيها، حيث نجد مثلا أنه في بلاد

[1]– Augustin (Hacquard),**Monographie…**, op.cit., p.1.

[2]– Ibidem.

[3]– Ibid., p.13.

[4]– Ibid., p.8.

[5]– Ibidem.

[6]– Ibid., p.9.

البامبارا (Pays Bambara) يُطلق عليه اسم "دجوليبا" (Djoliba) وفي بلاد السنغاي (Pays Songoy) يُطلق عليه اسم "إيزا" (Isa)، وفي بلاد التواركَ (les Touareg) يُطلق عليه اسم "إيكَيريُّو" (Egherreo)[1].

إلى جانب نهر النيجر، توجد في جميع أنحاء حاضرة تنبوكتو، بعض البرك الطبيعية أو التي هي من صنع الإنسان المحلي، حيث توفر هذه الأخيرة كميات معتبرة من المياه للساكنة المحلية، بيد أن هذه البرك أثناء فيض النهر السالف الذكر يصيبها الجفاف، وهو ما حصل فعلا في سنة 1898م، حيث جفت تلك البرك تقريبا، لدرجة أن الساكنة لم تجد مياها صالحة للشرب إلا بالكاد[2].هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وفيما يتعلق بالمناخ والأحوال الجوية، يذكر الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن مناخ تنبوكتو هو **"مناخ (...) صحي نسبيا، لأنه جاف"**[3]، وذلك رغم أن المنطقة تعرف فترات مطيرة للغاية، بين شهري يونيو وأكتوبر، وتصل كميات التساقطات في السنة إلى 250 ملم، وتتراوح عدد العواصف الرعدية والأعاصير ما بين 15 و20 خلال الأشهر الأربعة المذكورة آنفا[4]، وكلها تهب من جهة الشمال الشرقي، ومن جهة الشرق، ومن جهة الجنوب الشرقي، وتعتبر العواصف الآتية من الشمال الشرقي الأكثر عنفا وخرابا، حيث غالبا ما تُحدث هاته العواصف أضرارا كبيرة وفادحة في حاضرة تنبوكتو، من خلال الإطاحة بالجدران التي تغمرها الأمطار، وكانت أقوى عاصفة لوحظت منذ أربع سنوات حسب الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، هي العاصفة التي حدثت في يوم 30 يوليوز 1898م، إذ بلغت تقريبا كمية التساقطات آنذاك إلى حوالي 63 ملم[5]. أما الحرارة فتتراوح درجاتها في السنة ما بين 50° إلى 4° في الظل، بينما نجدها ترتفع بشكل مهول في الفترة ما بين أبريل وأكتوبر، كما أن الحاضرة المذكورة تسودها في الفترة ما بين أكتوبر وأبريل رياحا شرقية، والتي تتحول بسرعة إلى رياح غربية[6]، كما تشهد الحاضرة من وقت لآخر رياح القبلي، الذي يهب من جهة الشمال، والذي يلهب الجو بشكل كبير، وما يزيد من لهيب هذا الجو الحار والساخن، هو غياب الجبال في الحاضرة المذكورة[7].

---

[1]– Ibid., pp.8–9.

[2]– Ibid., p.13.

[3]– Ibidem.

[4]– Ibid., pp.13–14.

[5]– Ibid., p.16.

[6]– Ibid., p.14.

[7]– Ibidem.

وبموازاة مع ما تقدّم، يحتفظ لنا الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، بمعلومات وايماءات عديدة، تتعلق أساسا حول الغطاء النباتي، الموجود في حاضرة تنبوكتو والمناطق المجاورة لها، وهكذا يصف الأب السالف الذكر ذلك الغطاء النباتي، بالفقير والرديء، حيث يشير إلى أن أفضل وأجمل الأشجار في الحاضرة المذكورة لا تتجاوز خمسة أو ستة أمتار[1]. ويضيف بأن المنطقة المسماة بـ "كيسو" (Kissou)، والمنطقة المسماة بـ "كيللّي" (Killi)، هي أكثر المواقع السودانية غنى بالأشجار والنباتات والأعشاب[2].

ومن شأن ما أثبتناه من معطيات أعلاه، أن يُعطينا فكرة واضحة وجلية حول الأهداف البارزة التي جعلت المستكشفين والرحالين الفرنسيين يجوبون هذه المجاهل الإفريقية، وهي جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والأخبار، مهما بدت تافهة، أو بسيطة، أو سطحية، بيد أن الدوائر الامبريالية الفرنسية، وقتذاك، اعتبرتها بيانات ثمينة، ونادرة، ومهمة، وصالحة حقا لتوظيفها في إعداد خطة للتغلغل في المجالات السودانية، التي يمكن أن تكون في يوم من الأيام، جزءً من الإمبراطورية الفرنسية الشاسعة الأطراف.

ثالثا: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والدينية في حاضرة تنبوكتو

تناول الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، جملة من القضايا ذات البعد الاجتماعي، والاقتصادي، والعلمي، والديني، لحاضرة تنبوكتو، وهي تفاصيل، غلب عليها طابع التجسس، والاستخبار، ومراكمة المعلومات، هي في المجمل، عبارة عن شتات من الأخبار، توحّدها رغبة استجلاء تاريخ بلاد السودان وحضارته، وهكذا، كان بإمكان هذه البيانات المتنوعة، التي استجمعها الأب الآنف الذكر، أن يطويها الزمن، وتحشر في غياهب النسيان، لولا أنه اختزنها في ذاكرته، ودوّنها في مؤلفه.

1: الحياة الاجتماعية

أ: السكان والفئات الاجتماعية

[1]– Ibid., p.16.

[2]– Ibid., p.18.

يُشير الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن ساكنة حاضرة تنبوكتو، تنقسم إلى ثلاثة عناصر مختلفة ومتمايزة، الأولى هي عنصر السنغاي (les Songoy) والثانية هي عنصر الأرمى (les Arma) أو الرماة (Rouma)، ويبين أن العنصر الأول هو أكثر أصالة وعراقة واستقرارا بالمنطقة المذكورة، قبل مجيء العنصر الثاني القادم من بلاد المغرب الأقصى[1]، كما تعرف المنطقة أيضا عنصر ثالث، هو عنصر الألفا (Alfa)، أو العلماء (les Savants)، هذه الفئة الأخيرة ليست متجانسة إثنيا، بل هي فئة قَدِمَتْ من مختلف أقطار المعمور، إما للدراسة أو التدريس؛ ورغم ذلك فهي تشكل طبقة مؤثرة جدا، وذات نفوذ قوي[2].وفي ذات السياق، أورد الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، بيانات دقيقة حول عدد ساكنة حاضرة تنبوكتو، وتحديدا في نهاية القرن التاسع عشر، وبالضبط في سنة 1898م، حيث ذكر أن ساكنة الحاضرة المذكورة تنقسم إلى ساكنة ثابتة (la Population Fixe)، وأخرى متحركة (la Population Flottante)، الأولى تقدر بحوالي 5000 نسمة، بينما الثانية تقدر بحوالي 4000 نسمة، هذه الفئة الأخيرة أي الساكنة المتحركة، نجدها تتألف أساسا من التجار العرب، والمغاربة، والطرابلسيين، والغدامسيين، وتجار تندوف، وتاجاكانت، وتوات، وجميعهذه العناصر تأتي إلى حاضرة تنبوكتو، لقضاء بضعة أشهر كل عام من أجل التجارة أو التبضع[3].

ب: الحياة الأسرية

يذكر الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أنه في حاضرة تنبوكتو، وعلى غرار بقية الشعوب الإسلامية، فإن تعدد الزوجات يُعتبر من الأمور العادية، بل تُشكل في كثير من الأحيان قاعدة، وهكذا يُحدد مدى ثراء كل رجل في حاضرة تنبوكتو، من خلال ما يتوافر عليه من زوجات، بينما الفقير عندهم هو كل شخص لا يحظى إلا بزوجة واحدة، ويُخبرنا كذلك بأن الحريم لا يعشن في نفس المنزل، حيث تحظى كل زوجة بمنزل خاص تعيش فيه مع أطفالها[4]. وحسب نفس المؤلف، فإن الطلاق شائع جدا في حاضرة تنبوكتو، حيث بمجرد أن تتوقف المرأة عن الإثارة والإعجاب، يتم إهمالها في منزلها، وغالبا مع أطفالها أيضا[5].

ج: السكن والمأوى

---

[1]– Ibid., p.25.

[2]– Ibidem.

[3]– Ibid., p.24.

[4]– Ibid., p.46.

[5]– Ibidem.

يُستشف من معطيات وبيانات الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أنه كان مهتما بشكل كبير بالمنازل والبيوت المشيدة في حاضرة تنبوكتو، حيث خصص لها حيّزا مهما في مونوغرافيته، وهكذا يشير إلى أن أغلبية الدور والمساكن الموجودة في الحاضرة المذكورة، هي إما مبنية بالطوب (Briques) أو بمادة الصلصال المجفف في الشمس (Poignées d'argile Séchées au Soleil)[1]. وممّا يلفت النظر بهذا الصدد، هو عدم استعمال الساكنة المحلية مادة الحجر في عملية البناء، والسبب راجع بالأساس حسب الأب السالف الذكر، إلى ندرة هذه المادة في حاضرة تنبوكتو[2]. ويضيف بأن الهندسة المعمارية في الحاضرة المذكورة، تُعتبر في المجمل بسيطة وعادية للغاية، بيد أنه لم يفته التأكيد على أن بعض البيوت تتوفر على مظهر مرضي، بل وتشكل مشهدا لطيفا ورائعا نسبيا للعين، حيث الواجهة محاطة بأعمدة كبيرة وضخمة، وحينما يتوفر البيت أو المنزل على طابق، يكون مزينا بأعمدة صغيرة تتخلله نوافذ مشيدة بدقة ومهارة، يغلب عليها الطابع والأسلوب الموريسكي[3].علاوة على هذه المعطيات المهمة، يذكر الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن ثلث المنازل التي تعود إلى علية القوم في حاضرة تنبوكتو مجهزة تجهيزا جيدا، وغالبا ما كانت هذه الدور تتكون من عدة غرف، حيث نجد غرفة تدعى "سيفا" (Sifa)، غالبا ما نجد فيها بعض العبيد ينتصبون هناك واقفين، وربما في بعض الأحيان سيد المنزل، وهي غرفة مخصصة للزيارات، ثم إلى جانب هذه الغرفة، هناك غرف أخرى خلفها محجوزة أيضا للزيارات، كما تتوفر هذه المنازل على ساحات داخلية واسعة نوعا ما، ومحاطة بغرف خاصة بالعنصر النسوي[4]. وغالبا ما كان العبيد، يقومون بسحق الدخن والقمح في هذه الساحات، في حين نجد النسوة يقمن بتخليص القطن من بذوره، ومراقبة المطبخ واستقبال الزيارات. إضافة إلى هذا، نجد أيضا أن هذه المنازل تتوفر على السطوح، تنفتح عليها شقتان أو ثلاث تشكل طابقا، هذا هو مكان استقبال الأصدقاء، أو الشخصيات المميزة والنافذة[5].

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، يبين الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن منازل الساكنة الفقيرة والمعوزة في الحاضرة المذكورة، غالبا ما كانت عبارة عن أكواخ بسيطة، مصنوعة أساسا من مادة القش، أما عبيد التواركَ، فهم الآخرون، لا يتوفرون إلا على خيام

[1]– Ibid., p.5.

[2]– Ibidem.

[3]– Ibidem.

[4]– Ibid., pp.5-6.

[5]– Ibid., p.6.

منخفضة، مصنوعة من مادة الجلد[1]. والجدير بالملاحظة هنا، هو أن أثاث منازل ودور حاضرة تنبوكتو، يغلب عليه طابع البساطة وعدم التكلف، هذا الأثاث، يتكون في الغالب من بعض المستلزمات والأدوات المنزلية، مثل: الفرش، والأغطية، وأدوات الطبخ، وصناديق مصنوعة من الخشب، يضعون فيها ملابسهم، كما يضعون فيها أيضا الأشياء الثمينة، مثل النقود والمجوهرات، أما السرير فغالبا ما يتكون من سجادة وبعض البطانيات الممدودة على الحصير أو على "الكارا" (kara)، هذه الأخيرة، هي عبارة عن منصة من الخشب أو من التراب[2]. وتؤثث الوسائد والحصير مختلف الشقق، وهي غنية من حيث البطانيات المصنوعة من الصوف المتعدد الألوان، كما أن بعض الساكنة وخاصة فئة التجار، غالبا ما كانوا يحتفظون بغرفة أو أكثر، حيث يستخدمونها كمخازن لهم[3].

د: العادات الغذائية

أورد الأب والمستكشف الفرنسي أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، بيانات وارتسامات عديدة وثمينة حول العادات الغذائية، بكل مكوناتها وتلاوينها وعناصرها في الحاضرة المذكورة، ويظهر بجلاء أن الأطعمة والأشربة، التي كانت تؤثث المائدة التنبوكتية، في الفترة الزمنية المذكورة أعلاه، يغلب عليها طابع البساطة والتقشف، وهو طابع يلائم ظروف ونمط العيش في حاضرة تنبوكتو، وهي ظروف تتسم بقساوة البيئة وصعوبة المجال. وقمين بالإشارة في هذا السياق، أن الغذاء الأساسي والرئيسي لمعظم سكان حاضرة تنبوكتو، يتجلى بالأساس في مادتيْ الدخن والأرز، حيث لا تنتج المدينة سوى القليل من الحبوب أو لا تُنتجها على الإطلاق، حيث يتم استيرادها من مناطق عدة، مثل: "دجيمبالا" (Djimballa)، و"دجيني" (Djenné)، و"كيسو" (Kissou). وغالبا ما كانت تصل كميات هائلة من جميع أنواع الدخن والأرز من منطقة "كابارا" (Kabara) في نونبر ودجنبر[4].وممّا ينبغي لفت النظر إليه بهذا الشأن، هو أن مادة القمح كانت تشكل غذاءً مميزا للطبقة الغنية والميسورة، بينما الخضروات والفواكه فهي تكاد تكون غير معروفة في حاضرة تنبوكتو، أما لحوم الجاموس والغنم والماعز فكانت من بين المواد الاستهلاكية التي يقتات عليها سكان حاضرة تنبوكتو، خاصة وأن سعرها كان منخفضا وزهيدا نسبيا[5]. وإلى جانب ما سبق، شكلت أسماك نهر النيجر، هي الأخرى، مادة استهلاكية مهمة بالنسبة

[1]– Ibid., pp.7–8.

[2]– Ibid., p.8.

[3]– Ibidem.

[4]– Ibid., p.34.

[5]– Ibid., p.35.

للطبقة العاملة وحتى للفقراء والمعوزين، بينما كان الميسورون منهم يزدرونها ويمقتونها، والسبب يرجع وفقهم إلى أن تلك الأسماك تصل إلى حاضرة تنبوكتو في حالة يرثى لها، حيث تصل نتنة وجافة وفاقدة لكل طعم[1].

ونستدل من بعض الإشارات الأخرى، أن ساكنة الحاضرة السالفة الذكر، كانت تقتات أيضا على لحوم الصيد والطرائد، ومن ضمن هذه الأنواع، نجد كل من: الأرانب البرية، والغزلان، والظباء، والدجاج، والحمام. ولحوم هذه الأخيرة كانت رائجة وبوفرة كبيرة في أسواق الحاضرة المذكورة[2]. وحسب إحدى الإشارات التي دوّنها الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، فإن فقراء حاضرة تنبوكتو كانوا أيضا يَتَغَذَّوْنَ على بعض الأعشاب والثمار البرية، غير القابلة للاستهلاك البشري، والتي لا تأكلها عادة إلا الماشية، وذلك لأجل سد الرمق ومصارعة الجوع، ومنها على سبيل المثال لا الحصر عشبة تدعى "الداني" (les Daney)، هذه العشبة كان يتم استغلال بذورها في إعداد بعض الوجبات الغذائية[3].بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه أعلاه، يحفل نص "مونوغرافية تنبوكتو" بمعطيات عديدة، حول ما يُمكن أن نُسميه بتقاليد المائدة وآداب الأكل بالحاضرة المذكورة، وممّا أمكن التقاطه من إشارات وشهادات في هذا الجانب، ما ذكره الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، حيث يبين أن ساكنة حاضرة تنبوكتو كانوا يتناولون ثلاثة وجبات رئيسة مختلفة في اليوم، الأولى هي وجبة الفطور أو ما يسمى في اللسان المحلي بـ"الجير كاري" (le Tjirkare)، هذه الوجبة تتناولها الساكنة عند حوالي الساعة الثامنة صباحا، وغالبا ما كانوا يتناولون فيها بقايا وجبة الليلة السابقة، أو يتناولون فيها الخبز المبلل في الزبدة والعسل، أو حساء يدعى في اللهجة المحلية بـ "الدون" (Don)، وهو حساء يتألف من الطحين أو الدهن أو القمح والتوابل، ثم وجبة ثانية تدعى "التيركوزي" (le Tjirkose)، هذه الوجبة تتناولها ساكنة حاضرة تنبوكتو في حوالي الساعة الثانية والنصف بعد الزوال، وأخيرا وجبة المساء في حوالي التاسعة ليلا، والمسماة في اللسان المحلي بـ "الهاورو" (le Haourou). بالإضافة إلى هذه الوجبات، هناك وجبات أخرى تتناولها الساكنة المحلية، منها وجبة "التازو" (le Taso) أو الكسكس[4].

---

[1]– Ibid., p.36.

[2]– Ibid., pp.35-36.

[3]– Ibid., p.17.

[4]– Ibid., p.38.

أما بالنسبة للأشربة المنتشرة في حاضرة تنبوكتو، في الفترة الزمنية المذكورة أعلاه، فيتضح بجلاء من خلال نص "مونوغرافية تنبوكتو"، أنها كانت تتمثل أساسا في الماء لا غير، ويُخبرنا في هذا الصدد الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أنه بفعل تحريم الشريعة الإسلامية شرب ومعاقرة الخمور، فإن الساكنة المحلية يكتفون فقط بشرب الماء، الذي يحتفظون به غالبا في جرار طينية كبيرة، بيد أنه في المقابل يُشير إلى أن هناك مشروب محلي يُستهلك بكثرة، هذا الأخير، كان يتم إعداده من الدخن، أو العسل، أو سيقان النجيلية، المعروفة في اللسان التنبوكتي بـ "الكوندو-هاري" (koundou-Hari)، وتعتقد الساكنة المحلية بأن هذا المشروب، يكون أكثر متعة وروعة وفائدة حينما يسكّر[1]. إضافة إلى هذا المشروب، هناك مشروب آخر مسكّر ومنعش في نفس الآن، حسب شهادة الأب السالف الذكر، دائما، هذا المشروب يُصنع من قصب السكر، حيث يحتوي ساق هذا القصب الأحمر اللون، على عصير من خلاله يتم إعداد ذلك المشروب[2]. وممّا يلفت الانتباه في هذا السياق، أنه في حاضرة تنبوكتو كانت بعض الأشربة حكرا فقط على الفئات الغنية، وخاصة مشروب الشاي الذي كان من أهم المشروبات الفاخرة، التي تقبل عليها الفئة الميسورة بنهم منقطع النظير، بينما نجد أن مشروب القهوة قليل ما يُستهلك في حاضرة تنبوكتو والمناطق المجاورة لها، والسبب راجع بالأساس إلى قلة البن وندرته في الحاضرة السالفة الذكر[3].

وفي الأخير، تجدر الإشارة، إلى أن فئة قليلة من ساكنة حاضرة تنبوكتو الثرية، كانت تقبل على تناول واستهلاك بعض الأغذية والأطعمة الفاخرة، حيث وصفها الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) بـ "الأغذية الكمالية" (les Accessoires de L'Alimentation)، وهي في المجمل عبارة عن حلويات ومملحات، وهي كثيرة ومتنوعة، منها المسماة بـ "الكاجي" (les Katji)، و"الفينتا" (les Finta)، و"الفيتاتي" (les Fitati)، و"الكولو" (les Kolo)، و"الفورمي" (les fourme)، و"النيمتي" (les Nempti)، و"الجيميتا" (les Djimita)، وكل هذه الأنواع من الحلويات والمملحات السودانية التنبوكتية، تصنع عادة من: طحين القمح، والعسل، والأرز، والفاصولياء، والدخن، والفلفل الحار[4].

هـ: اللباس والزينة

[1]– Ibid., p.39.

[2]– Ibid., pp.17–18.

[3]– Ibid., p.39.

[4]– Ibid., pp.39–40.

أورد الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، تفاصيل عديدة حول الألبسة والأزياء التي كان يرتديها إنسان تنبوكتو، والعادات والتقاليد المتبعة في كيفية ارتدائها، كما لم يفته الإشارة إلى لباس العبيد وأدوات الزينة، التي يستعملها الرجل وحتى المرأة، في حاضرة تنبوكتو وبعض المناطق المجاورة لها.بالنسبة لملابس الرجل، يُشير الأب السالف الذكر أنها تتكون عادة من "سيبي" (Sibi)، وهو عبارة عن سروال واسع شيئا ما، وغالبا ما يكون مصنوعا من القطن الأزرق أو الأبيض، ثم من "تيلبي" (Tilbi)، وهو عبارة عن لباس واسع مفتوح الجانبين، مخيط فقط على الأطراف السفلية، كما يحتوي على جيب كبير عند الصدر[1]، هناك لباس آخر يدعى "المصاورية" (Messaouria)، وهو عبارة عن قميص ذو أكمام واسعة[2]، إضافة إلى هذا، يرتدي الرجل في حاضرة تنبوكتو نوعا من العمامة، هي على شكل قبعة طويلة مصنوعة من القطن لونها إما أصفر أو أزرق، والبعض الآخر يرتدي قبعة يونانية بيضاء اللون تحت العمامة[3]. وفي خصوص النّعال والأحذية التي ينتعلها رجل حاضرة تنبوكتو، يذكر الأب الآنف الذكر، أنها تكمن في نوع من الخفاف العربية، المصنوعة من الجلد ذو اللون الأصفر[4]، بينما يُبين أن أثرياء الحاضرة المذكورة غالبا ما ينتعلون أحذية طويلة صفراء أو حمراء اللون، في حين نجد أن الفقراء وهم غالبية حاضرة تنبوكتو يمشون حفاة، أو ينتعلون نعلا هو عبارة عن بطانة من الجلد مربوط بالقدمين بأحزمة جلدية، يُطلق عليها في اللسان المحلي التنبوكتي بـ"الجيلامبو" (Tjelambou)[5].

في المقابل، نجد أن ألبسة النساء التنبوكتيات، غالبا ما كانت تتجلى في ثوب أو قماش مصنوع إما من الكتان، أو من القطن، أو من الحرير، وعادة ما يتم استيراد هذه الأنواع من الأثواب من أوروبا الغربية، كما يرتدين كذلك "الصاية" (la Saya) أو "المصاورية" (Messaouria)، ذات الأكمام الطويلة والواسعة التي تنتهي بذُرْوة[6]. كل هذه الملابس التي ترتديها النساء في حاضرة تنبوكتو، هي مزينة بشكل أو بآخر بالحرير الأحمر، أو الأبيض، أو الأصفر، أو الأخضر، وذلك وفق ثروة وإمكانيات تلك النسوة[7]. النسوة[7]. أما فيما يتعلق بلباس الرأس فعادة ما نجد أن نساء الحاضرة المذكورة يخرجن برؤوس عارية أو مغطاة بغطاء أسود اللون[8]. بينما ينتعلن على مستوى أرجلهن نعالا ذات بطانة رقيقة مزركشة بالحرير[1].

---

[1]– Ibid., p.27.

[2]– Ibid., p.28.

[3]– Ibid., p.30.

[4]– Ibid., p.28.

[5]– Ibid., p.30.

[6]– Ibid., p.28.

[7]– Ibidem.

[8]– Ibid., p.30.

أما فيما يخص ألبسة العبيد، فهي تتألف أساسا من ألبسة جلدية، تكمن في الغالب الأعم من جلباب طويل ضيق يغطي الكتفين والجسم حتى الركبتين، هذا بالنسبة للرجل العبد. في حين ترتدي الإماء "تنورة" (Jupon)، هي الأخرى مصنوعة من الجلد، تتكون عادة من قطع متنوعة الألوان، مزينة بشرائط طويلة ذات أشكال ورسوم مختلفة[2].وبموازاة مع ما تقدّم، يذكر الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن الرجال في حاضرة تنبوكتو لا يتزينون إلا بالخواتم والدمالج، المصنوعة إما من الحجر، أو الرخام، أو الصلصال، والمزدانة باللون الأخضر، أو الأبيض، أو الأحمر[3]، بينما نجد النسوة التنبوكتيات يتزيّنّ بمجوهرات وحلي عديدة ومختلفة، مثل: الخواتم، والدمالج، والخلاخل، المصنوعة من النحاس، أو الفضة، والمرصعة والمزدانة بالأحجار الكريمة[4].

و: الصحة والأمراض

سجل الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، بيانات قليلة حول الأمراض والأوبئة التي كانت متفشية ومنتشرة بين ساكنة حاضرة تنبوكتو، وهكذا أورد معطيات عابرة متناثرة هنا وهناك، لا تسمح مطلقا بإعطاء تصور واضح ودقيق حول الوضعية الصحية في الحاضرة المذكورة، خاصة في الفترة الزمنية التي تهمنا هنا أي أواخر القرن التاسع عشر، ومهما يكن من أثر، فإن الأب السالف الذكر يُخبرنا بأن مناخ تنبوكتو صحي نسبيا نظرا لشدة جفافه[5]، ورغم ذلك يُبين أنه في حاضرة تنبوكتو، توجد بعض الطفيليات الخطيرة التي تسبب بعض الأمراض والعلل المتباينة الخطورة، ومنها "دودة غينيا" (le Ver de Guinée)، هذه الأخيرة، كما يتبين من إشارات وإيماءات الأب السابق الذكر، تنجح في كثير من الأحيان في شل وتشويه المريض المهمل[6]، ثم هناك "الديدان المعوية" (les Vers Intestinaux)، التي لا تقل خطورة عن الطفيلية الأولى، وهي الأخرى، منتشرة بشكل مهول في الحاضرة المذكورة،وتسبب مجموعة من المشاكل الصحية للساكنة المحلية[7].

ز: العادات الاجتماعية

---

[1]– Ibid., p.28.

[2]– Ibid., p.33.

[3]– Ibid., pp.31-32.

[4]– Ibid., p.31.

[5]– Ibid., p.13.

[6]– Ibid., p.21.

[7]– Ibidem.

أورد الأب والمستكشف الفرنسي أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، مجموعة من المعطيات الثمينة والنادرة حول العادات الاجتماعية الرائجة والمألوفة في حاضرة تنبوكتو، وهي عادات كثيرة ومتنوعة، ومن بين هذه العوائد المتفشية بين ساكنة حاضرة تنبوكتو، وعلى نطاق واسع، (عادة حمل السلاح، وعادة التدخين، وعادة وسم الندب على الوجه ونقش الخدين والجبهة عند النساء، وعادة حمل العصا والتمائم عند الخروج من البيت).

- **عادة حمل السلاح**

يُخبرنا الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حمل السلاح يشكل إحدى أهم العادات الاجتماعية المألوفة والشائعة في حاضرة تنبوكتو ومنذ أزمنة قديمة، حيث يُشير إلى أن مجمل ساكنة هذه الحاضرة، تَعتبر حمل السلاح والتجوال به عادة جيدة، ويرجع السبب لانتشار هذه العادة بينهم، هو الخشية من الاصطدام مع التواركَ، الذين يبتزونهم ويسيئون لهم في كل وقت وحين، ومن بين أهم أنواع الأسلحة المنتشرة في حاضرة تنبوكتو في أواخر القرن التاسع عشر، نجد كل من: الرماح، والسيوف، والبنادق[1].

- **عادة شرب الدخان**

يُعتبر شرب الدخان في حاضرة تنبوكتو، من العادات الاجتماعية الرائجة والمألوفة بشكل منقطع النظير، حيث يتبين بجلاء من خلال "مونوغرافية تنبوكتو"، أن كل فئات هذه الحاضرة، كبارا وصغارا، إناثا وذكورا، كانوا يستهلكون التبغ، ويتعاطونه علانية، وفي كل وقت وحين[2]، وما زاد من الإقبال على هذه العشبة في تلك الحاضرة السودانية، هو كثرتها، حيث يُخبرنا الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، في هذا الصدد، أنه في تنبوكتو وحتى في المنطقة الشرقية منها، وتحديدا في مدينة "بامبا" (Bamba)، يُعتبر التبغ من المحاصيل الهامة والرئيسة، إذ تستهلك منه المنطقة المذكورة أكبر جزء منه، أما الباقي فيتم تصديره إلى قرى الجنوب، والجنوب الغربي، وإلى بلاد التواركَ[3].

- **عادة وسم الندب على الوجه، ونقش الخدين والجبهة عند النساء**

[1]– Ibid., pp.33–34.

[2]– Ibid., p.32.

[3]– Ibid., p.23.

تُمثل عادة وسم الندب على الوجه بالنسبة للنسوة التنبوكتيات، من العادات الاجتماعية المتوارثة عبر الأسلاف، وعليه يَعتبرون وسم الندب على الوجه، من صميم التقاليد المحلية الأصيلة التي وجب المحافظة عليها، حيث يُخبرنا في هذا السياق الأب الآنف الذكر، أن هذه العادة تُعدّ من العلامات المميزة لأهالي حاضرة تنبوكتو، وهكذا كانت نساء تلك الحاضرة، يخضعن لعملية ندب صغيرة، وعمودية في وجوههم، حيث يبلغ طولها حوالي 1.5 سم عند التقاء العينين، كما يقمن كذلك إلى جانب وسم الندب على الوجه، بنقش الخدين والجبهة بخطين أو ثلاثة[1].

- **عادة حمل العصا عند الخروج من البيت**

يذكر الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن الرجال في حاضرة تنبوكتو يحافظون بشكل مثير على عادة حمل العصا، حيث يُشير إلى أنهم لا يخرجون من بيوتهم إلا وهم حاملون لها، هذه الأخيرة، غالبا ما تكون طويلة، ومزينة بشرائح من النحاس[2].

- **عادة حمل التعاويذ والتمائم**

يُبين الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حمل التمائم والتعاويذ من قبل ساكنة حاضرة تنبوكتو، تُعتبر من العوائد الاجتماعية العادية والمتفشية بشكل كبير في الحاضرة المذكورة، حيث يحملون معهم تعاويذ كثيرة أو قليلة، ومن مختلف الأشكال والأحجام[3].

2: الأنشطة الاقتصادية

يبدو من خلال المعطيات والارتسامات، التي دوّنها الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، في إطار مونوغرافيته السالفة الذكر، أن حاضرة تنبوكتو العاصمة الروحية لبلاد السودان الغربي، كانت تتوفر على إمكانيات اقتصادية مهمة ومتنوعة، سواء من ناحية الثروات الفلاحية (زرعا وضرعا)، أو من ناحية الإمكانات التجارية الكبيرة التي تتميز بها (الأسواق، والحرف، والصنائع، والمنتوجات)، الشيء الذي جعل من الحاضرة السودانية المذكورة آنفا، مركز وقطب اقتصادي وتجاري بامتياز.

أ: الإنتاج الفلاحي

[1]– Ibid., p.31.

[2]– Ibid., p.32.

[3]– Ibidem.

- **الثروة الزراعية**

يظهر من بيانات ومعلومات الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حاضرة تنبوكتو كانت تتمتع في أواخر القرن التاسع عشر، بثروات فلاحية مهمة، ومنتوجات زراعية مختلفة، وقد ساعدها في ذلك ما تتعرض له الحاضرة، من فيضانات لمدة طويلة، تتراوح ما بين 7 أو 8 أشهر في السنة، وهو ما انعكس بالإيجاب على أنشطتها الفلاحية، ومن بين المنتوجات الفلاحية التي تتمتع بها الحاضرة المذكورة، نجد الأرز بمختلف أشكاله وألوانه، والذي يُشرع في حصاده في شهر نونبر، وينتهي في شهر دجنبر، ثم هناك أيضا زراعة الدخن بنوعيه الأسود والأبيض، الكبير والصغير[1]. كما أن الحاضرة تُنتج أيضا كميات مهمة من القمح، فرغم تواضع جودة الأخير إلا أنه يمد الأهالي بالخبز[2]. وإلى جانب ما سبق، تُنتج بساتين حاضرة تنبوكتو، كميات مهمة وهائلة من البطيخ الأبيض، والأصفر، والأحمر، وقليلا من الشمام ذي اللون الأخضر والقشرة البيضاء، إضافة إلى مجموعة من الخضروات، مثل: القرع، والفاصولياء، والكرنب، واللفت، والبصل[3]، والملوخية[4]، وأمام ندرة الطماطم في الحاضرة المذكورة، فغالبا ما كانت تستورد كميات معتبرة منها، من بعض المناطق العربية أو الأوروبية[5].

- **الثروة الحيوانية**

يتبين جليا من خلال مونوغرافية الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حاضرة تنبوكتو كانت غنية من حيث الإنتاج الحيواني، الذي يظهر أنه كان متنوعا إلى درجة كبيرة، ومن بين الأصناف الحيوانية المعروفة في الحاضرة المذكورة، نجد كل من: الجاموس، والغنم، والماعز[6]، والإبل، وخاصة النوع المسمى في اللسان المحلي التنبوكتي بـ"هيو"(Hio)[7]، كما تتمتع الحاضرة أيضا بأنواع مختلفة من الدواجن، مثل: البط[8]، والدجاج الحبشي[9].

ب: النشاط الحرفي

---

[1]– Ibid., pp.22 –23.

[2]– Ibid., p.23.

[3]– Ibidem.

[4]– Ibid., p.35.

[5]– Ibid., p.23.

[6]– Ibidem.

[7]– Ibid., p.22.

[8]– Ibid., p.20.

[9]– Ibidem.

تحتوي "مونوغرافية تنبوكتو" للأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، على معلومات عديدة وكثيفة حول الأنشطة الحرفية، وكذا الصناعات التقليدية الرائجة وقتذاك في حاضرة تنبوكتو، وتحديدا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وما يميز هذه الحرف والصنائع المتنوعة، هي أن كل فئة من فئات الحاضرة المذكورة، تختص في حرفة أو حرف معينة، وهكذا نجد أن فئة "الألفا" (les Alfa)، أو "العلماء" (les Savants)، تختص في أعمال الخياطة، أما فئة "الأرمى" (les Arma)ذوي الأصول المغربية، نجدها تختص في صناعة الأحذية والنعال. في حين نجد أن السكان ذوي "الأصول السنغية" (la Population Songoy)، يقومون بأعمال وحرف متنوعة ومختلفة، ومنها حرف: الجزارة، والحدادة، والسباكة، والنجارة، وصناعة الأثاث، وحياكة القماش، والحلاقة، والسمسرة، والبناء[1]، بينما الساكنة ذي "الأصول الصانصاندينكَية" (Sansanding)، يختصون في أعمال صباغة الأقمشة، وخياطة النسيج[2]. ولعل ما يلاحظ، في هذا الصدد، هو أن هذه الحرف وهذه الصنائع المختلفة، كان يُشرف عليها عليها مشرفون وأمناء خاصون، حيث كانوا يمارسون نوعا من السلطة على الأعضاء الذين ينتمون إليها، فمثلا نجد أن أمين الجزارة كان يراقب سوق اللحوم، ويصادر اللحوم النتنة والفاسدة، واللحوم المباعة بسعر أعلى من السعر الذي حدده سلفا[3]. وقد ساعد على ازدهار هذه الحرف والصنائع، توفر الحاضرة المذكورة المذكورة على المواد الأولية المحلية، وعلى الأسواق التجارية، التي ساعدت بشكل كبير في تسهيل عمليات البيع والشراء بين الأهالي.

ج: النشاط التجاري

تُعتبر حاضرة تنبوكتو من حواضر بلاد غرب إفريقيا القليلة، التي عرفت رواجا ونشاطا تجاريا مهما، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث سمح موقعها الجغرافي الاستراتيجي المتميز، الذي هو عبارة عن ملتقى طرق القوافل التجارية التي تجوب الصحراء الإفريقية الكبرى، **"وهمزة وصل بين**

[1]– Ibid., p.40.

[2]– Ibid., p.43.

[3]–Ibid., p.40.

العالم العربي وإفريقيا السوداء"[1]، في خلق مركز تجاري مهم، استقطب مجمل تجار أقطار المعمور، سواء القادمين من إفريقيا الشمالية، أو من المناطق الإفريقية، أو من أوروبا، أو من بعض المناطق العربية، وكل هذا خلق حركة وديناميكية اقتصادية مهمة، وعليه اعتبر الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، حاضرة تنبوكتو **"مكان التقاء أولئك الذين يسافرون بالقوارب وأولئك الذين يسافرون بالجمال"**[2]، وحتى نستشف بجلاء القيمة الاقتصادية والتجارية لحاضرة تنبوكتو، في الفترة الزمنية المذكورة أعلاه، يقول شارل بغوسلاغ (Charles Brosselard) أحد أقطاب الإدارة الاستعمارية الفرنسية في القارة الإفريقية على لسان أحد المغاربة: **"[تنبوكتو] أرض مباركة. إنها منجم ذهب، كل ما عليك فعله هو الانحناء لجمعه؛ رحلة واحدة إليها تثري المرء"**[3]. وفي ذات الاتجاه، يُخبرنا كل من الباحثان الفرنسيان لوسيان هوبير (Lucien Hubert) وموريس دولافوس (Maurice Delafosse)، أن حاضرة تنبوكتو كانت تُشكل لفترة طويلة السوق الكبير للصحراء الغربية[4]، وهكذا كانت تستقبل تلك الحاضرة وإلى سنة 1887م، ما يقرب عن 400 قافلة تجارية، وكان عدد الإبل المكونة لتلك القوافل حوالي 350 رأس[5]. ومن جهته، يُشير الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، إلى أن حاضرة تنبوكتو تُشكل مكانا تجاريا متميزا لتبادل مجمل منتوجات بلاد السودان الغربي بمنتوجات طرابلس، وتونس، والجزائر، والمغرب، وواحات الصحراء، حيث من الشمال تصل كميات معتبرة من (الملح، والأقمشة، والجلود، والأسلحة، ومسحوق البارود، والأواني الزجاجية، والسكاكين، والسكر، والشاي، والتمر). أما جهة الجنوب فتأتي منها مواد كثيرة ومتنوعة، مثل: (الدخن، والأرز، وزبدة الشيا، والعسل، وجوز الكولا، والأسماك المجففة، والحديد)[6].

وتجدر الإشارة هنا، أن ساكنة حاضرة تنبوكتو ورغم أن كل واحد من هذه الساكنة يتوفر على مهنة أو حرفة معينة، إلا أنهم يمتهنون التجارة وعلى نطاق واسع، من البائع الصغير للخبز، والعناب، وبذور البطيخ، إلى كبار التجار في الأقمشة، والحبوب، والعبيد، حيث كلهم لا يستغلون ذكاءهم وفطنتهم إلا

---

[1]– محمد (ولد عبدي)، "حاضرة تنبكتو تاريخها ومنجزها الحضاري وصورتها في مرايا الرحالة"، مقال ضمن ندوة بعنوان: **الرحلة العربية: المغرب منطلقا وموئلا**، [تحرير وتقديم نوري الجراح]، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2009، ص.184.

[2]– Augustin (Hacquard),**Monographie...**, op.cit., p.48.

[3]– Charles (Brosselard),**Tlemcen et Tombouctou**, Alger : Imprimerie de A. Bourget, 1861, p.7.

[4]– Lucien (Hubert) et Maurice (Delafosse),**Tombouctou: Son Histoire–Sa Conquête**, Paris: Édition Grand Imprimerie Parisienne, 1894, p.5.

[5]– Ibid., p.11.

[6]– Augustin (Hacquard),**Monographie...**, op.cit., p.48.

لحساب الربح المحتمل في قضية ما[1]. ويذكر الأب السالف الذكر، أنه بعد استقرار مجموعة من التجار الفرنسيين ومن سانت لويس (Saint-Louis)بحاضرة تنبوكتو، أضحوا يستوردون بعض المنتوجات الأوروبية، وعليها أصبحوا ينافسون التجار المغاربة والطرابلسيين[2].ونلاحظ، من جهة أخرى، وحسب الأب السالف الذكر، دائما، أن مجمل العمليات التجارية في حاضرة تنبوكتو، كانت تُجرى في السوق وذلك مباشرة بعد أن أقرت السلطات الاستعمارية الفرنسية ذلك، حيث كان التجار في السابق، يمارسون تجارتهم أمام منازلهم، وفي الساحات، وفي الأزقة المجاورة[3]، سوق حاضرة تنبوكتو كما يذكر الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، هو سوق حديث وفسيح، مستطيل الشكل، شيدت جوانبه على شكل أروقة، يقيم بها الباعة مع بضائعهم، هذا السوق كان إلى غاية عام 1896م، يتكون من عدد كبير أو أقل من أكواخ مصنوعة من القش، ومآوي الحصير فوق ساحة ضيقة[4]، هذا السوق أيضا، تُعرض فيه منتوجات متنوعة وشديدة الاختلاف، من أبرز هذه المنتوجات، نجد كل من: (الدخن، القمح، الأرز، البطيخ، الدجاج، الحمام، البيض، الكولا، الفلفل الحار، الملح، التوابل، الملوخية، البرتقال، البصل، الثوم، الجبن، الحليب، الزبدة، الفول السوداني، الأسماك، الحلويات، العسل، التبغ، الزجاج، المجوهرات بمختلف الأشكال، الأقمشة بمختلف الألوان، الأحذية)، وغيرها كثير[5].

وفي نفس السياق، يرى الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أنه بفعل تنوع المنتوجات والبضائع التي يشهدها سوق حاضرة تنبوكتو، يُوَلِّدُ بكيفية أو بأخرى، حركية كثيفة تجعل من السوق المذكور، الجزء الأكثر حيوية في حاضرة تنبوكتو برمتها[6]، وفي إشارة فريدة يذكر الأب السالف الذكر، أن أغلب الباعة في الحاضرة المذكورة هم من النساء، حيث لا يبيع الرجال سوى الأقمشة، والملح بالجملة، واللحوم، والأحذية، كما يذكر أن أغلب التجار هم من فئة الإماء، يعمل البعض لحساب أسيادهن، في حين الأخريات، وهم الأغلبية، يعيشن على عائدات ما يستبدلونه من منتوجات، وعندما يحصلون في المساء على فرنك أو ثلاثة، لن يكن قد أضعن أبدا يومهم، حيث بإمكان العديد منهم استيفاء حاجياتهم المختلفة؛ لأن الحياة المعيشية ليست مكلفة بالحاضرة المذكورة، إذ بـ 0.15 فرنك أو 0.20، أن

[1]– Ibidem.

[2]– Ibidem.

[3]– Ibidem.

[4]– Ibid., p.5.

[5]–Ibid., p.49.

[6]– Ibidem.

يقضين يومهم على ما ينبغي[1].من زاوية أخرى، يُخبرنا الأب أوكَوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن البنية التجارية لحاضرة تنبوكتو سواء مع المغرب، أو مع أوروبا، أو مع حواضر بلاد غرب وشرق إفريقيا، أو مع بعض المراكز التجارية في شمال إفريقيا، تتلخص على الشكل التالي:

- **الصادرات:** ريش النعام[2]، الصمغ[3]، العاج[4]، التبغ[5].
- **الواردات:** النحاس[6]، الحديد[7]، الملح[8]، الطماطم[9]، الدخن، الأرز[10].

وهكذا، ومن خلال ما سبق، نستطيع القول إن حاضرة تنبوكتو تُعد من أكبر الحواضر السودانية، التي شهدت حركية تجارية وديناميكية اقتصادية معتبرة، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رغم الصعوبات والعراقيل الجمة التي عرفتها الحاضرة بشكل خاص، وبلاد السودان الغربي بشكل عام، والتي تتجلى بالأساس في الهجمة الامبريالية الفرنسية، التي اكتسحت الحاضرة المذكورة في سنة 1893م، الشيء الذي أثر على الدينامية التجارية في المنطقة المذكورة.

3: الأوضاع الدينية والثقافية والعلمية

يحفل نص "مونوغرافية تنبوكتو" (Monographie de Tombouctou)، للأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، بمعطيات ومعلومات مهمة وغنية عن الأوضاع (الدينية، والثقافية، والعلمية) بحاضرة تنبوكتو، حيث يتضح بجلاء أن هذه الحاضرة السودانية، كانت ملتقى للعلماء والطلبة من مختلف الأقطار الإفريقية والعربية، غايتهم الأساسية اكتساب العلم والتنافس في طلبه، وركوب المخاطر من أجله، والاغتراب عن الأهل والأحبة في سبيل تحصيله، هدفهم الاستكثار من لقاء العلماء الأعلام، والحصول على إجازاتهم بأسانيدهم في رواية الكتب والعلوم،وجلب أحمال الكتب، والنوادر من المؤلفات والمخطوطات.

---

[1]– Ibid., pp.49–50.
[2]– Ibid., p.23.
[3]– Ibid., p.51.
[4]– Ibid., p.23.
[5]– Ibidem.
[6]– Ibid., p.41.
[7]– Ibid., p.42.
[8]– Ibid., pp.50–51.
[9]– Ibid., p.23.
[10]– Ibid., p.34.

أ: الأوضاع الدينية

يُخبرنا الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن دين الحاضرة هو الإسلام، وأن جميع عاداتها، وكل تقاليدها مستمدة منه[1]. وحسب نفس المؤلف، فإن ما تتميز به حاضرة تنبوكتو "جوهرة الصحراء"، و"مدينة الأولياء"، هي كثرة مساجدها، هذا دون احتساب المصليات الخصوصية، المنتشرة في مختلف ربوع الحاضرة، ومن المساجد المعروفة والشهيرة في الحاضرة المذكورة، نجد مسجد "جينجيري بير" (Djingerey-Ber) الواقع في أقصى الجنوب الشرقي من الحاضرة السالفة الذكر، هذا الأخير، تم تشييده في القرن الحادي عشر الميلادي من قبل أحد "المرابطين" (Marabout)، المعروف باسم "ألكالي–ألاكيب ألاكوم" (Alkali-AlakibAlakoum)، ثم مسجد "صانكوري" (Sankore)، الواقع في شمال الحاضرة، والمشيد في نفس الفترة الذي شيد فيه المسجد الأول، هذا المسجد شيد من طرف امرأة ثرية[2]، ثم هناك أيضا مسجد آخر معروف باسم "سيدي يحيى" (Sidi Yahya)، هذا الأخير يقع وسط الحاضرة، وقد شيد في القرن الخامس عشر من طرف عمر حاكم تنبوكتو وقتذاك[3]. وفي ذات الاتجاه، يُشير الأب الآنف الذكر، أن كل مسجد من مساجد حاضرة تنبوكتو، يتوفر على إمام يشرف على إقامة الصلاة العامة (la prière publique) والوعظ والإرشاد بالمسجد، وغالبا ما يتم اختيار هؤلاء الأئمة من فئة الألفا (les Alfa)، المعروفين بعلمهم الغزير وتقواهم[4].

ب:الأوضاع الثقافية والعلمية

يُشير الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حاضرة تنبوكتو تُعتبر من الناحية الثقافية أحد أكبر المراكز العلمية، والأكثر أهمية للعلوم الإسلامية في بلاد السودان الغربي، مدارسها عديدة، حيث يرتادها ليس فقط من قبل شباب الحاضرة، ولكن أيضا من قِبل العديد من الطلبة الأجانب الذين يعودون إلى وطنهم بعد إقامة معيّنة في حاضرة تنبوكتو لتلقين مواطنيهم مختلف ما تلقوه من الدروس والعلوم[5]. إلى جانب ما سلف ذكره، يضيف الأب السالف الذكر أن حاضرة تنبوكتو تتوفر على حوالي عشرين مدرسة، وعادة ما يُشرف على هذه المدارس فئة الألفا (les Alfa)، حيث يقومون بتدريس اللغة العربية، والإشراف على تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره للطلبة، في مقابل هذا يتلقى

---

[1]– Ibid., p.25.

[2]– Ibid., p.2.

[3]– Ibid., pp.3–4.

[4]– Ibid., p.43.

[5]– Ibid., p.25.

المدرسون أجرة تتناسب ومكانة الوالدين، وغالبا ما تُقام الدروس في الصباح عند الفجر، ثم نحو الساعة الثالثة بعد الظهر، وفي المساء عند حوالي الساعة التاسعة مساء. ويضيف المؤلف السالف الذكر، أن الأطفال المتمدرسين يلتحقون بالمدارس وحلقات الدرس بالتناوب في أوقات مختلفة من اليوم. ومن يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، يُفترض أنه قد أنهى دراسته؛ وبعد ذلك تُقام حفلة عائلية على شرفه، ويتم الطواف به بفخر منقطع النظير عبر الحاضرة برفقة بعض أصدقائه، ثم يتلقى المدرس هدية على ذلك تتألف عادة من أحد العبيد[1].

خاتمة عامة:

يبدو من حصاد ما سلف، أن "مونوغرافية تنبوكتو" (Monographie de Tombouctou)، للأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)،نفيسة ونادرة، نظرا لما تزخر به من معطيات ومعلومات قيّمة في غاية من الأهمية، من شأنها، إذا ما استغلت بالكيفية المثلى، أن تساعنا لا محالة على ملأ الفراغ المعرفي الذي تشكو منه الكتابات التاريخية السودانية، المتميزة بالشح والابتسار، على صعيد عناصرها الإخبارية. وعليه، فالعودة إلى مثل هذه الكتابات الأجنبية، رغم نظرتها الاستعلائية، وأحكامها المسبقة، وخطابها الذي يشرعن للغزو والهيمنة، أضحت اليوم ضرورة ملحة، يفرضها البحث التاريخي المعاصر، من أجل الاستفادة منها، خاصة في مقاربة مواضيع وقضايا جديدة، تهم أساسا: التاريخ الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والديني. صحيح أن هذه الكتابات، لن تمكننا أبدا من رسم صورة شاملة وكاملة وواضحة، حول تاريخ المنطقة المذكورة وحضارتها، بيد أنها على الأقل بإمكانها أن تستكمل لنا بعض التصورات، وتسد بعض الفجوات، التي تعاني منها المصادر المحلية السودانية.

ـ لائحة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

1: المصادر والمراجع باللغة العربية

- عبدي (محمد ولد)، "حاضرة تنبكتو تاريخها ومنجزها الحضاري وصورتها في مرايا الرحالة"، مقال ضمن ندوة بعنوان: **الرحلة العربية: المغرب منطلقا وموئلا**، [تحرير وتقديم نوري الجراح]، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2009، (ص ص.175-193).

[1]– Ibid., p.44.

- هاكار (أوغوسطان)، **مونوغرافية تمبوكتو**، [تقديم وترجمة زوليخة بنرمضان وحسن أميلي]، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، طبعة 2017.

2: المصادر والمراجع باللغات الأجنبية

- Brosselard (Charles), **Tlemcen et Tombouctou**, Alger : Imprimerie de A. Bourget, 1861.
- Ceillier (Jean-Claude), **Histoire des Missionnaires d'Afrique (Pères Blancs): de la fondation par Mgr Lavigerie à la mort du fondateur (1868-1892)**, Paris: Édition Karthala, 2008.
- Hacquard (Augustin), **Monographie de Tombouctou**, Paris: Société des Études Coloniales et Maritimes, 1900.
- Hubert (Lucien) et Delafosse (Maurice), **Tombouctou: Son Histoire-Sa Conquête**, Paris: Édition Grand Imprimerie Parisienne, 1894.
- Shorter (Aylward), **Les Pères Blancs au Temps de la Conquête Coloniale: Histoire des Missionnaires d'Afrique 1892-1914**,]Traduit de l'Anglais par Gérard Guiraudin[, Paris: Édition Karthala, 2011.

مساعي إسبانيا لمهادنة الجزائر "تحليل لبنود معاهدة 1786 بين إسبانيا والجزائر في بعدها الإقليمي والدّولي"

د/ عبد الكريم طهير ـ جامعة حسيبة بن بوعلي–الشلف– الجزائر.

ملخص:

ظلّت العلاقات بين الجزائر وإسبانيا متوترة طيلة الحكم العثماني للجزائر، وذلك بسبب الاحتلال الإسباني لمدينة وهران من جهة، ولتحكم الجزائر في خطوط المواصلات البحرية، وفي نهاية القرن الثامن عشر شهد حوض البحر المتوسط تغيرات دولية وإقليمية بتصاعد دور القوى الأوروبية في معادلة توازن القوى، وتراجع دور الجزائر المؤثر في قضايا البحر المتوسط، أمّا إسبانيا فكانت لاتزال تبحث عن مكان لها في إطار هذه المعادلة، هذه المعطيات الجديدة فرضت على كل من الجزائر وإسبانيا عقد معاهدة صلح سنة 1786م بعد صراع استمر ثلاثة قرون. فما هي الظروف الإقليمية والدّولية التي حرّكت الطرفين لتوقيع هذه المعاهدة ؟

الكلمات المفتاحية: إسبانيا، الجزائر، مساعي مهادنة، معاهدة 1786م،البعد الإقليمي،البعد الدولي.

Abstract :

The relations between Algeria and Spain were tense throughout the Ottoman rule of Algeria, because of the Spanish occupation of Oran's city, on the one hand, and for the control of Algeria in the maritime transport lines. At the end of the eighteenth century the Mediterranean basin witnessed international and regional changes with the rise of the European powers in the balance of power equation. Algeria is influential in the Mediterranean issues, while Spain was still looking for a place in this equation, these new data imposed on Algeria and Spain to conclude a peace treaty in 1786 ?

Keys works: Spain, Algeria, Endeavors Truces , Treaty of 1786 , Regional dimension, International dimension.

تقديم:

شهد حوض البحر الأبيض المتوسط خلال نهاية القرن الثامن عشر تطوّرات سياسية بارزة ساهمت فيها تجاذبات إقليمية ودولية، ونظرا لكون إيالة الجزائر قوّة إقليمية رئيسية في المنطقة فقد شكلت في علاقاتها بالقوى الأوروبية محورا مهما في توازن القوى في حوض البحر المتوسط، فقد أظهرت الجزائر قدرة كبيرة على مقاومة التحرشات والاعتداءات الأوروبية معتمدة في ذلك على قوّتها العسكرية المتمثلة في الأسطول البحري.

اتسمت علاقات الجزائر في عهدها العثماني مع القوى الأوروبية بالعداء المستمر نظرا لتضارب المصالح الاقتصادية والاستراتيجية، ولذلك فإنّ طابع المواجهة العسكرية كان هو الغالب على علاقات الطرفين، لكن عوامل عديدة دفعت هذه العلاقات إلى أن تتجه نحو السلم والصلح من قبل الأطراف المتنازعة.

تمثل إسبانيا صورة لهذه العلاقات التي تأرجحت بين العداء والسلم، فقد كانت إسبانيا أكثر الدول الأوروبية التي تجمعها بالجزائر علاقة عداء نظرا لاستمرار احتلال المرسى الكبير ووهران منذ1505م، إضافة إلى انزعاج إسبانيا من تحكم الجزائر في خطوط المواصلات البحرية، خاصّة خطوط المواصلات الإسبانية في البحر المتوسط، فقد استمرت المواجهة بين الطرفين لأكثر من ثلاثة قرون، لكن البلدين جنحا أخيرا إلى السلم، حيث عقد الطرفان معاهدة صلح سنة 1786م نقلت هذا الصراع إلى مرحلة الاستقرار، وبغض النّظر عن الأسباب الدّاخلية التي دفعت إلى توقيع هذا الصلح فإنّ هناك ظروفا إقليمية ودولية حرّكت الطرفين لتوقيع هذه المعاهدة.

1) واقع العلاقات الجزائرية الإسبانية قبل توقيع المعاهدة

تميّزت علاقات الجزائر بإسبانيا بالطابع العدائي طوال عهد الأتراك، وذلك منذ أن احتل الإسبان المرسى الكبير1505م ووهران1509م[1]، فقد حاول العثمانيون بالجزائر مرارا إخراجهم منها، لكن ظروف السلطة العثمانية بمدينة الجزائر لم تسمح بذلك، ومنذ عهد الدّاي الحاج مصطفى(1700-1705م)، بدأ الاهتمام العملي بتصفية الوجود الإسباني بوهران، والمرسى الكبير، وفي عهد الداي محمد بقطاش(1707-1710) تمّ إجلاء الإسبان من وهران سنة 1708م[2]، لكن ذلك لم يدم طويلا ففي سنة 1732م تمكن الإسبان من استرجاعها مجددا[3].

---

[1]- مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، ج1، مكتبة المعارف للنّشر والتوزيع، الرباط، 1404هـ/1984م، ص300، أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص96-98.

[2]- لقد تمّ تحرير وهران يوم 16 أفريل 1708م بقيادة مصطفى بوشلاغم باي الغرب في عهد الداي محمد بكداش أو بقطاش، ويذكر الأستاذ جمال قنان ضمن وثائق القرن 18 تحت رقم 73 معاهدة بين الحاكم الإسباني لمدينة وهران جوان فرانكو وباي الغرب مصطفى بوشلاغم بتاريخ 10 جوان 1707م، لكن هذه المعاهدة لم يكن لها أي صدى لدى السلطات المركزية التي استمرت في استعداداتها لتحرير مدينة وهران، إلى أن تمكنت من ذلك في جانفي 1708م، من طرف مصطفى بوشلاغم، جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1930، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010م، ص201.

[3]- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، قبل سنة 1830، ج1، ط1، شركة دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007م،ص148.

بعد عودة الإسبان إلى وهران تجدّد الصراع بين الطرفين، لكنّه تركز هذه المرّة حول مدينة الجزائر[1]، ذلك أنّ الإسبان تأكدّوا أنّ وجود الأتراك بمدينة الجزائر خطر دائم على وجودهم بوهران، فأولوا كلّ جهودهم لاحتلال المدينة ليضعوا حدّا للأخطار المحيطة بهم[2]، فقاموا بشن غارات متتالية على الجزائر،خاصة في زمن انشغال الدّاي محمد عثمان[3](1766-1791م) بحربه ضدّ الدانمارك سنة 1770م[4]،وما إن انتهى هذا الأخير من حربه هذه حتّى تفرغ لمواجهة إسبانيا حيث أعلن الحرب عليهم، وتتبع سفنهم وأساطيلهم في البحر المتوسط واقتحم موانئهم في إسبانيا منذ 1773م[5].

وكرد فعل على ذلك قام **كارلوس الثالث**[6](1759-1788م) ملك إسبانيا بشن ثلاث حملات على العاصمة في أعوام 1775، 1783م، و1784م، فشلت كلّها، واضطرت إسبانيا بعدها أن تسعى جاهدة وبكلّ الوسائل إلى عقد معاهدة صلح مع الجزائر[7]، خاصّة أنّ البّحرية الجزائرية بدأت تركز على التّعرض التّعرض لمراكب القراصنة الإسبان في البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي،بل وكثفت غاراتها على الشواطئ الإسبانية نفسها، ممّا اضطر الملك الإسباني أن يرّحل سكان السواحل إلى المناطق الداخلية[8].

2) وسائل الإسبان في فرض معاهدة الصلح

ظلّت علاقات الجزائر بإسبانيا متوترة جدّا طوال الوقت، وكان ميزان القوّة يميل نسبيا إلى الجزائر، ويظهر ذلك من خلال قدرتها على رد العدوان الإسباني، والسيطرة على حركة المواصلات في البحر

---

[1]- منذ احتلال الإسبان لمدينة وهران والعلاقات الجزائرية الإسبانية في توتر، خاصّة أنّ إسبانيا كانت لها محاولات متعددة لاحتلال المدن الساحلية الجزائرية، ومنها مدينة الجزائر التي ستتحوّل خلال العهد العثماني إلى أهم مدينة في الجزائر، لذلك فقد شهدت أهم حملة إسبانية ضدّها، وهي حملة شارلكان سنة 1541م، والتي كان مآلها الفشل الذريع، وأسفرت عن هزيمة نكراء، بل أنّ المدينة استغلت هذه الهزيمة لتكوّن أسطولا قويا على أنقاض الأسطول الإسباني، مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص142-143.

[2]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2008م، ص51.

[3]- للاطلاع على مسيرة الداي محمد عثمان باشا ينظر كتاب: أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، داي الجزائر 1766-1791م، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدّولة والحياة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

[4]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص241.

[5]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص51.

[6]- ولد الملك كارلوس الثالث في مدريد 1716م ملك إسبانيا وجزر الهند الأسبانية بين 1759- 1788 وملك نابولي وصقلية ودوق بارما، كان الابن الأكبر لفليب الخامس ملك إسبانيا وزوجته الثانية الأميرة إليزابيث من بارما في 1731، أصبح كارلوس في سن الخامسة عشر دوق بارما وبياتشينوا باسم كارلوس الأوّل، توفي في عام 1788م.

[7]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 51.

[8]- المرجع نفسه، ص63.

المتوسط، وحرمان إسبانيا من الاستفادة منها، أو حتى مهاجمة إسبانيا في عقر دارها[1]، ولم تكن إسبانيا تملك من أسباب القوّة في علاقتها بالجزائر سوى سيطرتها على وهران والمرسى الكبير، لذلك سعت جاهدة وبكل الوسائل إلى عقد معاهدة صلح مع الجزائر تضمن من خلالها مصالحها في البحر المتوسط.

1.2) استخدام القوّة :

كانت إسبانيا تسعى إلى عقد السلم مع الجزائر بكلّ الوسائل، فقد أرسل الملك كارلوس الثالث مبعوثا إلى الدّاي محمد عثمان باشا لتهنئته بعد توليه حكم إيالة الجزائر، كما دعاه لعقد صلح مع مملكته مقابل الحصول على أموال ضخمة، لكنّ الدّاي محمد عثمان باشا رفض العرض، وردّ على المبعوث الإسباني قائلا"إنّي لا أخاف من القوّات الإسبانية، وأنّ السلاح هو الفاصل بيننا"[2]،ونتيجة لذلك أعدّ الملك الملك الإسباني كارلوس الثالث حملة بحرية أسند قيادتها إلى الضابط **أوريلي** Le comte d'Orielly، وصلت هذه الحملة بمعداتها الثقيلة إلى مياه مدينة الجزائر في 31 جويلية 1775م، لكنّها تعرضت لهزيمة ساحقة بسبب حصانة المدينة، وقوّة الأسطول الجزائري، ومشاركة قوات جميع البايليكيات، بل أنّ الجزائر قد غنمت معدّات عسكرية هامّة، وانسحب أوريلي ومن معه مذحورين[3].

كانت هذه الهزيمة مؤثرة على إسبانيا،فقد أحطّت من مكانتها وهيبتها الأوروبية، بينما زاد انتصار الجزائر من شأنها في البحر المتوسط، حيث اتجهت الدوّل الأوروبية إلى عقد معاهدات سلم مع الجزائر[4]،ولم يكن أمام إسبانيا سوى السير على نفس النّهج، حيث ظلّت تسعى إلى الصلح مع الجزائر، لكن الدّاي محمد عثمان كان صريحا حيث رفض ذلك مطلقا، وكان يفضل المواجهة العسكرية على حساب عقد صلح[5]،لذلك أعاد الإسبان استعمال القوّة من جديد، فكانت حملة الدون أنطونيو برثلو الأولى D.A.Barselo سنة 1783م، والتي وإن خلّفت خسائر بمدينة الجزائر إلاّ أنّها كانت فاشلة، حيث استطاع

---

[1]– صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر. تونس. المغرب الأقصى، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993م، ص39.

[2]– شكيب بن حفري، العلاقات الأسبانية الجزائرية في القرن الثامن عشر من خلال مخطوط عثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 1، قسنطينة، الجزائر، 2002، ص124.

[3]– خير الدين سعيدي، الحملات الإسبانية على الجزائر خلال العهد العثماني(1518–1775م) من خلال مخطوط –الزهرة النادرة– ابن قتيبة التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد29، ص100–101.

[4]– عزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة، محمود علي عامر، دار النّهضة العربية، بيروت، 1989م، ص532–533، محمد قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا(1679–1830م)، وزارة المجاهدين، 2007، ص208.

[5]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492–1792م،ص473.

الأسطول الجزائري صدّها، كما أنّ هذه الحملة لم تكن بمثل الحملة الأولى من حيث التّجهيز، لذلك فقد كانت حملة استعراضية كان الهدف منها الضغط على الجزائر من أجل قبول الصلح[1].

لم يمنع فشل هذه الحملة من شن حملة أخرى بقيادة الدون أنطونيو برتلو مرّة ثانية سنة 1784م، وكانت هذه الحملة عبارة عن تحالف أوروبي مبارك من طرف البابا بيوس السادس(1775-1799م) في الفاتيكان، شاركت فيه كلّ من البرتغال، مالطا، ونابولي وفي المقابل استعدّ الداي محمد عثمان لمواجهة الحملة الإسبانية، كما تلّقت الجزائر دعما عسكريا من الباب العالي لصدّ الحملة الإسبانية،أمّا مآل هذه الحملة فكان الفشل كسابقاتها بسبب تمكن الجزائر من صدّ الهجوم وإفشاله[2].

2.2) الاعتماد على الوساطة الدولية

بالموازاة مع استخدام إسبانيا الضغط العسكري بدلت كذلك مساعي ديبلوماسية حثيثة للوصول إلى الحل السياسي، والذي ارتكز على إقناع الجزائر بقبول معاهدة سلم معهم[3]، وفي هذا الصدد اتصلت بالدّول التي يمكن أن تشكل ضغطا على الجزائر، أو لديها قدرة على إقناعها، فحاولت إسبانيا الحصول على وساطة الدّولة العثمانية في الأمر، ذلك أنّ إسبانيا استطاعت التوقيع مع الباب العالي على معاهدة صلح سنة 1782م، ورغم إقدام العثمانيين على إخبار الجزائريين بالصلح الذي حدث مع إسبانيا إلاّ أنّ الدّاي محمد عثمان رفض ذلك طالما بقيت تحتل وهران والمرسى الكبير، ورفض كلّ مساومة في الموضوع[4]، فبعد فشل الإسبان في حملتهم الأولى سنة 1775م على الجزائر رأوا أنّه من الضروري التوجه نحو الحل التفاوضي الذي يوصل إلى عقد معاهدة سلم مع جميع القوى المحليّة الإقليمية والدّولية تضمن مصالح إسبانيا التجارية في البحر المتوسط، لذلك بدأت التحرك اتجاه الدّولة العثمانية، بهدف الضغط على حكام الجزائر لإبرام معاهدة سلم وصداقة معها سنة 1783م، لكن الدّاي محمد عثمان اشترط على الإسبان ترك وهران أوّلا، لذلك فشلت المحاولة[5].

---

[1]- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص184.

[2]-محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، دراسات في شمال إفريقية الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، 1969م، ص 116-117، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص66.

[3]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص68.

[4]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص509.

[5]- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص39.

كما حاولت إسبانيا الاعتماد على وساطة المغرب بقيادة السلطان محمد بن عبد الله (1757-1789م) الذي كانت له مساعي دبلوماسية لإقناع الجزائر بالصلح، فقد أرسل كتابا إلى الداي يدعوا فيه إلى القبول بالصلح مقابل الحصول على أموال كثيرة من الإسبان[1]، لكن الدّاي رفض الصلح، وفي المقابل وافق على تبادل الأسرى مع الإسبان في عام 1768م[2]، وبذلك يفهم أنّ سياسة الوساطة لم تجد نفعا أمام إصرار الجزائر على عدم عقد الصلح، إيمانا منها بقدرتها على ردع أي عدوان عسكري.

3.2) الاعتماد على العلاقات الخاصة مع حسن وكيل الخراج

كانت هذه الوسيلة أكثر الوسائل نجاعة التي مكنّت أخيرا الجزائر من قبول الصلح، وذلك بالاعتماد على وساطة حسن وكيل الخراج الشخصية الثانية في إيالة الجزائر بعد الدّاي محمد عثمان باشا، ذلك أنّ هذا الشخص لعب دورا محوريا في قبول الجزائر التفاوض مع إسبانيا كما لعب دورا استثنائيا خلال المفاوضات، بسبب منصبه المهم في إيالة الجزائر، وشبكة علاقاته المتشعبة، مع الباب العالي، فرنسا، المغرب، إسبانيا، والتي استغلتها إسبانيا أحسن استغلال.

يعود ظهور حسن وكيل الخرج كشخص مؤثر في علاقة إسبانيا بالجزائر إلى مرحلة ما بعد انتصار الجزائريين على الإسبان في حملة أوريلي عام 1775م، حيث كلّف من قبل الدّاي محمد عثمان باشا بحمل هدية معتبرة إلى السلطان العثماني، لكن سفينة إسبانية استطاعت احتجاز المركب الذي كان على متنه حسن، ونقله إلى قرطاجنة بإسبانيا، ولم يكن الإسبان على علم بأنّ بداخل المركب الذي احتجزوه شخصية مهّمة بمثل حسن وكيل الخراج[3].

خلال أسره بقرطاجنة بإسبانياوجّه حسن وكيل الخرج رسالة في أفريل 1776م إلى ملك فرنسا لويس السادس عشر(1774-1791م) من أجل التوسط له لدى الإسبان لإطلاق سراحه، فتدخل الملك الإسباني بواسطة سفيره في مدريد وقنصله في قرطاجنة من أجل اطلاق سراحه، وهو ما كان، فعاد إلى الجزائر على مركب إنجليزي برفقة ألكسندر بازيليني يوم 23 ماي 1776م[4]، وهذا ما يؤكد أنّ العلاقة القوية كانت تربط حسن بالفرنسيين أوّلا.

---

[1]- شكيب بن حفري، المرجع السابق، ص124، 125.

[2]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص68.

[3]- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص116.

[4]- يحي بوعزيز،المرجع السابق، ص67.

وما يؤكد الاهتمام الكبير الذي كان تحض به قضية اطلاق سراح حسن وكيل الخراج لدى الفرنسيين أنّهم بذلوا جهودا دبلوماسية كبيرة من أجل ذلك، كما كانت هذه القضية تلقى اهتماما من كبار رجال الدّولة الفرنسية على رأسهم الملك الفرنسي، كما كانت محل اهتمام من طرف كاتب الدّولة البحرية الفرنسية الذي تؤكد رسائله إلى كلّ من حسن وكيل الخرج يوم 3 جوان 1776، والدّاي محمد عثمان يوم 29 جويلية من نفس السنة المساعي الفرنسية بهذا الخصوص[1]، ويبدوا أنّ الفرنسيين خلال هذه الفترة كانوا مهتمين كثيرا بأن يتم الصلح بين الجزائر وإسبانيا، لتكون هذه الأخيرة قادرة على الوقوف في وجه الطموحات المتزايدة لبريطانيا في حوض البحر المتوسط، ففي 50 جوان 1785م وصل الكونت ديكسبي إلى الجزائر للتفاوض حول السلم مع الجزائر، والغريب في الأمر أنّ الداي كلّف قنصل فرنسا باستقباله، وقد مكث المبعوث الإسباني عند القنصل بضعة أيام، قبل أن يلتقي بالداي[2]، وهو أمر يثير الاهتمام ويطرح التساؤل حول الدور الفرنسي في المفاوضات.

ويورد الزّهار اتهاما صريحا لحسن وكيل الخراج في الحملة الإسبانية الثالثة على الجزائر سنة 1785م في عهد الداي محمد عثمان، حينما أقدم بأمر القبطان بإعطاء ربع سلطاني في اليوم الواحد بدل سلطاني كامل للبحرية الذين يقذفون، وقد أثّر ذلك على قتالهم، ولم يستطيعوا إخراج الإسبان إلاّ بعدما أعادوا لهم عطاء السلطاني كاملا أي بعدما حشدت همّتهم من جديد، كما يذكر الزهار أنّ هذه المعركة شهدت قذفا مباشرا للمقذوفات على دار الإمارة، وكأنّ الإسبان كانوا يعلمون موقعها[3].

أمّا عن حيثيات الاتهام الموجه لحسن فيذكر الزّهار أنّها جاءت بعد سفر حسن وكيل الخرج إلى استانبول لتقديم الهدية إلى السلطان العثماني بعد صد حملة أوريلي الإسبانية 1775م،حيث استطاعت المراكب الإسبانية أن تلحق به وهو في الطريق إلى هناك وطلبت منه أن يتوسط لإسبانيا في الصلح، وأهدوه هدية ثمينة، لكنّ الداي محمد عثمان لم يقبل اقتراح حسن وكيل الخرج، لذلك كانت الحملة الثالثة المقصود منها التأثير على الداي لقبول الصلح[4].

كانت علاقة حسن بالساسة الإسبان متينة، وكانت لديه مراسلات كثيرة معهم سواء يوم كان وكيلا للخرج أي وزيرا للبحرية، أو بعد أن أصبح دايا، ففي الفترة مابين 1780- 1798 وجه 38 رسالة إلى

---

[1]- المرجع نفسه، ص67.

[2]- جمال قنان، المرجع السابق، ص283.

[3]- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص34.

[4]- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح: أحمد توفيق المدني، 1974، ص34.

الملك الإسباني ووزيره الأوّل، منها 17 حينما كان وكيلا للخرج، و21 عندما أصبح دايا[1]، وكان حسن وكيل الخرج يلّح في مراسلاته إلى الوزير الأوّل الإسباني بضرورة إسناد مهمّة لألكساندر بازيليني، لأنّه على ما يبدوا هو الذي أسره في البحر واقتاده إلى إسبانيا، وهو الذي رافقه بعد ذلك إلى الجزائر بعد اطلاق سراحه[2]، ففي رسالة له إلى الملك الإسباني بتاريخ 26 مارس 1786م ذكر بأنّه يعرف جيدا بازيليني، وبأنّه هو الذي رافقه من تركيا إلى قرطاجنة، وقدّم له خدمات مهمّة، وصحبه كذلك من قرطاجنة إلى الجزائر، وطلب منه أن يكافئه، وفعلا تمّ توظيف ألكساندر بازيليني في وظيفة مهمّة حسب رسالة بعث بها فلوريد بلانكا يوم 25 أبريل1786، فرد عليه حسن وكيل الخرج في رسالة مؤرخة في شهر فيفري 1787 شكره فيها على المجهودات التي بذلها من أجل ألكساندر بازيليني، وأنّه سيبذل كلّ ما في وسعه من أجل إطلاق سراح الأسرى الإسبان[3].

إذا تتبعنا العلاقات الجزائرية الإسبانية خلال هذه الفترة سنجد أنّ إسبانيا كانت لها مساعي جدية لعقد الصلح مع الجزائر، لكن الداي محمد عثمان باشا كان يرفض ذلك رفضا مطلقا، بل أنّه كان يرى أنّ المواجهة العسكرية هي الحل، لكنّه سرعان ما عدل عن ذلك ودخل في مفاوضات مع الإسبان، فما الذي دفعه لتغيير مواقفه؟ قد تكون الحملات التي شنتها إسبانيا رغم فشلها سببا، فتأثيرات هذه الحملات لا تبدو مادية محضة، بل معنوية ترتبط بالداي والسكان معا، لكن رغم ذلك لا يمكن إغفال الدور الخفي لوكيل الخرج في الوصول إلى عقد معاهدة سلم مع إسبانيا، فحينما وصل المبعوث الإسباني إلى الجزائر لعرض السلم على الجزائر جمع الداي عثمان كبار الموظفين وأعلن لهم أنّه تم عرض معاهدة صلح عليه مع إسبانيا، فكان غالبية الموظفين موافقين على عقد المعاهدة، ولم يتحفظ منهم إلاّ الآغا الذي رأى أنّه سيضعف البحرية كثيرا، أمّا وكيل الخرج فقد قال للداي أنّ هذا الصلح سيعقد آجلا أم عاجلا، ورغم أنّ الدّاي كان في حالة تردد شديدة، إلاّ أنّ موافقة جميع الموظفين على الصلح مع إسبانيا قد دفعه إلى إبداء رغبة للتباحث في الصلح[4].

3) الظروف الدولية والإقليمية لعقد الصلح

إنّ علاقات الجزائر الخارجية في العهد العثماني كانت تسير في ثلاثة اتجاهات، يحكمها طابع الاختلاف الشديد بسبب تضارب المصالح، وطبيعة التحولات التاريخية في محيط البحر المتوسط، كما

---

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص69.

[2]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص69.

[3]- المرجع نفسه، ص69.

[4]- جمال قنان، المرجع السابق، ص265.

تحكمت فيها التقاطعات المصلحية للجزائر مع كثير من القوى المختلفة، فجمعت الجزائر خلال هذه الفترة علاقات بدول المغرب المجاورة، وعلاقات بالدول الأوروبية، إضافة إلى علاقاتها مع الدّولة العثمانية، ففي الحالتين الأولى والثانية كان الهدف الجزائري الأساسي واحدا، يتمثل في تفادي تشكيل أي تجمع، أو تحالف قوي يؤدي إلى القضاء على الإيّالة، أو تهديد أمنها الداخلي، ومهما يكن فإنّ طبيعة الخط الساحلي للشمال الإفريقي، والعلاقة الدينية قد منعت من قيام العمليات الجزائرية ضدّ القراصنة المسلمين الآخرين[1].لكنّ علاقتها بالدوّل الأوروبية تحكمت فيها ظروف ومتغيرات كثيرة.

1.3) الظروف الإقليمية لعقد الصلح

لم تكن علاقات الجزائر بجيرانها حسنة دائما، فقد كان العداء يحكم علاقات الجزائر بتونس والمغرب الأقصى وفي بعض الأحيان بطرابلس، وذلك لعدة اعتبارات لعل أبرزها رفض كل من المغرب وتونس الانضواء تحت هيمنة الجزائر، لذلك فلم تكن دول المغرب العربي في حالة وفاق، ولم تعمل على تنسيق سياساتها الخارجية ضد الأخطار الخارجية خاصة تلك القادمة من أوروبا، وهو ما حفز الأوروبيين على الاعتداء على الجزائر الدولة الأقوى في المنطقة[2]، ويمكن وصف الوضع الإقليمي كما يلي:

- المغرب الأقصى:

كانت علاقات الجزائر والمغرب مضطربة في معظم الأوقات، فقد قاوم المغاربة محاولة الأتراك السيطرة على بلادهم، لذلك اعتبروا الجزائر خطرا جاثما عليهم يجب التخلص منه بكل الوسائل، حتّى لو استدعى ذلك التآمر مع قوى مسيحية، يضاف إلى ذلك أطماع المغرب الأقصى في إقليم تلمسان منذ أمد بعيد، وقد كانت هناك محاولات عديدة للمغرب في هذا الصدد، فقد زحف السلطان المغربي مولاي إسماعيل(1672-1727م) على غرب الجزائر غير أنّ الداي شعبان باشا استطاع دحره إلى غاية أسوار فاس[3].

---

[1]- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 136.

[2]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص44.

[3]- صلاح العقاد، المرجع السابق، ص67.

في المقابل فإنّ العلاقات الإسبانية المغربية أصبحت تتسم بالوديّة في عهد السلطان محمد بن عبد الله (1757-1789م)، خاصّة بعد عقد معاهدة صلح بين الطرفين عام 1768م[1]، وقد كان من نتائج هذه المعاهدة أن طلبت إسبانيا من السلطان المغربي التوسط لإقناع الجزائر بالصلح، وهو ماكان فعلا حيث قام السلطان محمد بن عبد الله بمساعي دبلوماسية كثيرة لهذا الغرض، فقد أرسل كتابا إلى الدّاي يدعوه فيه إلى القبول بالصلح مقابل الحصول على أموال كثيرة من الإسبان، لكن الداي رفض الصلح، ولكنّه وافق على تبادل الأسرى مع الإسبان في عام 1768م[2]، وقد حضر من يمثل المغرب في عملية المبادلة بين أسرى الإسبان والجزائر[3]، وشهدت بعد ذلك العلاقات المغربية الإسبانية تحسنا كبيرا، حيث عقد الطرفان في ماي 1780م معاهدة جديدة تضمنت ما يشير إلى ضرورة جعل علامة على المراكب المغربية لكي تميّزها البحرية الإسبانية عن المراكب الجزائرية خاصّة في الليل[4]، وقد كان التقارب الإسباني المغربي يصب في مصلحتهما الحيوية في البحر المتوسط.

كان لدى السلطان محمد بن عبد الله اهتمام بزيادة التّجارة وتوسيعها، وتدخل كوسيط لعقد الصلح بين الفرنسيين والجزائر، وقد قصد من جرّاء ذلك الحصول على مركز مرموق يكون مساويا أو منافسا للسلطان العثماني كما اعتقد أسلافه تماما، حيث كان سلاطين فاس لا يعترفون بشرعية خلافة العثمانيين ويعتبرون أنفسهم أصحاب الشرعية الحقيقيون، لأنّهم يعتمدون على تأييد الأشراف لهم، بينما اعتمد حسب اعتقادهم العثمانيين على قوّتهم في إثبات شرعيتهم، لذلك ظلّ الأتراك يراقبون بحذر شديد تطلعات سلاطين فاس للخلافة، ولهذا واجهوا محاولاتهم مواجهة علنية وصريحة. وبرغم ذلك فهناك كثير من المظاهر التي كانت تدّل على حسن العلاقات بين العثمانيين وسلاطين فاس خاصّة بعد تراجع سطوة

---

[1]-استطاع السلطان محمد بن عبد الله فرض سلطانه على البلاد وأعاد للملك هيبته، كما استطاع أن يجاري التواجد العثماني في المغرب العربي، مستغلة خاصة المنازعات الداخلية والثورات الشعبية التي كانت تشهدها الجزائر، ، صلاح العقاد، المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1957، ص151.

[2]- الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ق2، ج8، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ص38، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص44.

[3] - المصدر نفسه، ص39.

[4]- محمد السعيد بوبكر، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية (1119-1206هـ/1708-1792م)، ط1، بيت الحكمة، 2015م، الجزائر، ص183.

العثمانيين على البحر المتوسط بشكل عام[1]، والذي يعزى إلى تراجع نشاط البحرية الجزائرية خلال القرن الثامن عشر بشكل خاص[2].

أقام السلطان محمد بن عبد الله علاقات جيّدة مع الفرنسيين كذلك، وممّا دفعه إلى هذا التقارب تخوفه على تجارة بلاده، ولكن عندما تدهورت الأوضاع الداخلية في فاس قطع الفرنسيون علاقاتهم معها، فلجأ قراصنة فاس لمهاجمة السفن الفرنسية، كذلك فقد كان الجزائريون يهاجمون السفن الفرنسية رافعين العلم الفاسي، فأدرك الفرنسيون أنّ التّقرب من الفاسيين يضمن لسفنهم نوعا من الحماية فدخلوا معهم في مفاوضات مطوّلة انتهت بتوقيع معاهدة في ماي 1767م بقيادة سفير فرنسا بفاس (بيروغنون)، وهي معاهدة تختلف عن المعاهدات التي يقوم برعايتها دايات الجزائر وتونس، وجاء في المادّة التاسعة من المعاهدة "تلتزم فرنسا الحياد التام في حال وقوع الحرب بين فاس والجزائر"[3]، وهذا دليل أنّ الجزائر كانت مستهدفة من هذه المعاهدة.

وكانت سياسة محمد بن عبد الله يكتنفها الغموض، فأحيانا يظهر الخوف من الأتراك، وأحيانا يحاول مجاراتهم بإقامة علاقات أسوة بالعثمانيين[4]، وفي بعض الأحيان يحاولون التقارب مع الأتراك، ففي سنة 1786م ذهب أبو القاسم أحمد الزياني بصفته سفير حاكم فاس إلى استانبول، وطلب من السلطان وضع حد لاعتداءات الجزائريين عليهم، فأصدرت استانبول الفرمانات والأوامر السلطانية التي تحذرهم من الاستمرار بهذا الطريق، ولكنّه صدر عفو عام عنهم لأنّهم كانوا منشغلين بالغزو والفتوحات، وأنّ الواجب يفرض الوقوف إلى جانبهم[5].

- تونس:

بعد عديد من التغيرات التي أصابت نظام الحكم في تونس في ظلّ الوجود التركي، استقر أخيرا نظام الحكومة في تونس على خط البايات في شكل حكم عائلي انجرت عنه احتكاكات دورية بين الأوصياء في الوقت الذي كان فيه دايات الجزائر يطالبون للتدخل في عديد من الخلافات العائلية للحكام

---

[1]- عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص 497.

[2]- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر. تونس. المغرب الأقصى، ص44.

[3]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 499.

[4]- المرجع نفسه، ص 499.

[5]- عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص 501.

التونسيين، فقد تدخلت الجزائر في شؤون تونس أكثر من مرّة[1]، فالجزائر كانت دائما تعتبر تونس إقليما تابعا لها، وكانت تسعى دائما أن تجعل هذه التبعية حقيقة وملموسة، وكانت تونس ترفض ذلك وترى أنّها مثل الجزائر تتبع رأسا للباب العالي، ففي سنة 1740م، وبعد وفاة باي تونس حسين بن علي ساندت الجزائر ابنه علي ضدّ مطالبة ابن عمّه لتاج البايلكية، وقد مكّنوه من الوصول إلى الحكم سنة 1756م مقابل دفع ضريبة سنوية على شكل كمية من الزيت، وإضافة إلى هذا التدخل المباشر فإنّ باي قسنطينة كان في سعي مستمر لتوسيع بايلكه على حساب تونس، لكن الدّاي كان يرفض هذا المسعى بسبب الارتباط بالتزامات مع الدّولة العثمانية[2]، لذلك فقد كرّس بايات تونس بعد ذلك جهودهم لبناء تجارة مزدهرة وجيش منّظم ليقاوموا التسللات الجزائرية، بل أنّهم أقدموا على تقديم المساعدات للإسبان عندما كانت الجزائر في صراع معهم حول ميناء تونس، أمّا إسبانيا فكانت تستفيد من ذلك الصراع، وممّا يذكر في هذا الشأن أنّها تدخلت كوسيط بين البندقية وتونس حينما قامت البندقية بحملات بحرية على موانئ سفاقص، سوسة، وحلق الوادي، وبنزرت ردا على استيلاء تونس على إحدى السفن التابعة لجمهورية البندقية، وكان هدفها من ذلك جذب صداقة باي تونس[3].

2.3) الظروف الدّولية لعقد المعاهدة

في بداية القرن السابع عشر بدأت مرحلة من التوازن النسبي بين قوّة البحرية العثمانية والأوروبية خاصة بعد الدور النشيط لدول شمال أوروبا في قضايا البحر المتوسط، التي أصبحت منافسة للدوّل الجنوبية منه، وبرغم اتساع المنافسات الأوروبية واشتدادها في البحر المتوسط فإنّ الجزائر ظلّت مستفيدة من هذا الوضع، ذلك أنّ التهديدات الأوروبية ظلت فردية على الجزائر، ولم تكن الدول الأوروبية قادرة على الوصول إلى تفاهم سري في مسألة الحملات البحرية[4]، كما أنّها عجزت رغم كثير من الحملات العسكرية عن الوصول إلى نوع من التعاون الجماعي ضدّ الجزائر، فقد استطاع الدّاي محمد عثمان إعادة كثير من القوّة للدولة الجزائرية في مواجهة الحملات الأوروبية[5]، ففشلت بذلك معظم محاولات استخدام

---

[1]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص137.

[2]– عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص 234.

[3]– صلاح العقاد، المرجع السابق، ص34، 49.

[4]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص169.

[5]– اشتهر الداي محمد بجانب جهاده ضد الإسبان بجهوده في ميادين التعمير وبسط الأمن والرخاء في البلاد، صلاح العقاد، المرجع السابق، ص39.

القوّة ضدّ الجزائر، فتعرضت الجزائر لقصف الإسبان بالقنابل سنة 1602م، ولقصف الفرنسيين في 1617م، ولقصف الإنجليز في 1620م، وقصف الهولنديين لمدينة الجزائر سنة 1770م[1].

كانت قوّة الدّولة الجزائرية تستمد بشكل مستمر من الأسطول الجزائري الذي ظلّ يتطوّر وبشتى الطرق، برغم أنّ الأساطيل البحرية الأوروبية بدأت مرحلة من التفوق التقني مستفيدة من الثورة الصناعية التي بدأت تنتشر في أوروبا، وقد تعاملت الجزائر بذكاء مع هذا الوضع حيث حصلت على عدد كبير من السفن عن طريق الحروب البحرية، فالسفن المقبوض عليها كانت تسّلح، ثم تعود إلى البحر بأسماء جديدة، كما أنّها لم تهمل الاستعانة بالفنيين الأوربيين المتخصصين في صناعة السفن، وهو السر في محافظة البحرية الجزائرية على قوّتها بدرجة مساوية لبحرية أوروبا، برغم الخسائر التي تسببت فيها مختلف الحملات البحرية الأوروبية التي جردت ضدّ الجزائر، والتي فشلت في إيقاف العمليات البحرية الجزائرية، نظرا لعدم متابعتها بعمليات عسكرية داخل الجزائر، أو بمعاهدات سياسية سلمية تقوّيها[2].

إنّ النشاطات المستمرة للبحرية الجزائرية قد أحدث نوعا من سوء التفاهم بين الجزائريين والباب العالي وذلك بعد التزام الدولة العثمانية باتفاقيات مع أوروبا اعترافا منها بنمو وتساوي القوات البحرية في البحر الأبيض المتوسط، وتحتوي عديد من المعاهدات بين الباب العالي والدوّل المسيحية القويّة على إشارات بهذا المشكل[3]، وقد طالبت معاهدة 1737م بين السويد والباب العالي من السلطان أن يتأكد من تطبيق الإيالات الثلاث لمعاهدة السلم السابقة التي كانت قد وقعتها السويد سنة 1729م مع الجزائر وتونس وطرابلس، وفي سنة 1739م ضمن محمّد الأوّل في الاتفاقية المتجددة مع السويد شرطا، هو المادّة الثامنة التي تقتضي بأنّ جميع العلاقات الخارجية لدول شمال إفريقيا تتطلب موافقة الباب العالي، مادامت تلك الدوّل داخلة في اطار السيادة العثمانية[4]، لكنّ سياسة الدايات بالجزائر كانت تتعارض مع سياسة الباب العالي في كثير من الأحداث الدولية في البحر المتوسط، وبناء على هذا فقد أعلن الدّاي محمد الحرب على النمسا متجاهلا وصية الديوان الهمايوني الذي نصّ على عدم معاداة النّمسا ومحاربة

[1]- وليم سبنسر، المرجع السابق ، ص149.
[2]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص252.
[3]- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 174-177.
[4]- المرجع نفسه، ص175-177.

سفنها[1]. وهو مثال من أمثلة كثيرة تؤكد قدرة الجزائر على الاستقلال بقرارها السياسي خارج دائرة السلطة العثمانية.

في ظلّ قوّة الأسطول الجزائري وعدم قدرة القوى الأوروبية فرض حلول سياسية وعسكرية على الجزائر، فإنّ الضريبة التي فرضتها الجزائر في البحر المتوسط كانت مفتاح العلاقات الجزائرية الأوروبية، فكانت أوروبا تدفع ضرائب معتبرة للجزائر، والتي كان بالإمكان أن تتضاعف من سنة إلى أخرى على البلدان منفردة، وكثيرا ما كانت الجزائر تعلن الحرب على الدوّل التي تتأخر في دفع الضرائب والهدايا، وأكثر الدوّل التي كانت تتعرض لنقمتها هي: البرتغال والمدن الإيطالية، والدّول الإسكندنافية، ولهذا كانت تضطر إلى دفع مزيد من الضرائب كلّ سنة حتى تتقي خطر أساطيلها[2]،وبالرغم من الأضرار المالية للضرائب المفروضة على الأوروبيين إلاّ أنّها كانت تحافظ على التوازن التجاري في البحر المتوسط، وسمحت للأمم الصغيرة أكثر مثل الدانمارك وهولندا بالمحافظة على توازن لصالحها كان ضروريا لاقتصاداتها[3]، فالضريبة المدفوعة هي بمثابة حماية فردية، وكانت أيضا امتيازا للدوّل الأوروبية الصغيرة التي تعتمد في حياتها على التّجارة السلمية[4].

بالموازاة مع الواقع المذكور آنفا فقد عقدت معظم الدوّل الأوروبية معاهدات صلح مع الجزائر[5] ألزمت من خلالها الدول الأوروبية على دفع إتاوات وهدايا إلى الجزائر نظير تأمين ملاحتها في البحر المتوسط، ففي سنة 1676م وقعت إنجلترا معاهدة سلم وصداقة مع الجزائر[6]، كما عقدت اتفاقية مع الصقيليتين سنة 1740م والتي احتوت لغة متشابهة من حيث الاعتراف بأنّ القراصنة تنطبق عليهم قوانين السلوك العالمية ذاتها كتلك التي تربط العثمانيين بالأوروبيين، إضافة إلى معاهدات أخرى مع هامبورغ سنة 1751م، ومع البندقية سنة 1763م،وكانت هذه الاتفاقية تخص إيقاف أعمال القرصنة وتحديد الرسوم على الواردات، ومنع الاسترقاق، وفي 1769م وقعت اتفاقية مع أهم قوّة أوروبية وهي فرنسا، والتي جاءت بعد توتر العلاقات بين الطرفين بسبب خرق مسؤولي الباستيون للمعاهدات، حيث تضمنت

---

[1]– عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص520، 534.

[2]– يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية (1500–1830)، الجزائر، 1985م، ص 49.

[3]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص52.

[4]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص176.

[5]– لم تكن الجزائر تقيم الصلح مع الدوّل في آن واحد لأنّها كانت تريد المحافظة على الموارد المالية المهمّة للقرصنة، والتي كانت تعتبر المورد الأساسي للدولة، إضافة إلى أنّها كانت تمكن الدايات من حل أزماتهم المالية، عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص516.

[6]– وليم سبنسر، المرجع السابق، ص181.

المعاهدة الجديدة ترتيبات وتأكيدات لمعاهدات سابقة[1]، كما أذعنت الدانمارك إلى مفاوضة الجزائر بعد فشل حملتها العسكرية على الجزائر 1770م، حيث اضطرت إلى عقد معاهدة مع الجزائر، والتي كانت بين ملك الدانمارك والنرويج، من جهة وبين إبراهيم باشا داي الجزائر من جهة ثانية، تضمنت المعاهدة ستة عشر بندا نصّ على عدم تعرض الطرفين لسفن بعضهما البعض وإلى الأبد، كما تم تخفيض قيمة الضرائب على السلع التي تباع في موانئ الجزائر من10% إلى 5%، على غرار ما يفعله الإنجليز والفرنسيين والهولنديين[2]. وعليه فإنّ مصادقة الجزائر أصبح قاعدة في علاقات القوّة في البحر المتوسط[3].

كان البحث عن الصلح هدفا للدوّل الأوروبية كلّها، وقد نجحت دوّل كثيرة في إبرام الصلح مع الجزائر، وظلت دوّل أخرى تسعى إليه بكل السبل، ومنها إسبانيا التي وضعته من ضمن استراتيجيتها الخارجية، القائمة على التّوجه نحو الحل التفاوضي الذي يوصل إلى عقد معاهدة سلم مع جميع القوى المحليّة الإقليمية والدّولية، تضمن مصالح إسبانيا التجارية في البحر المتوسط، لذلك بدأت التحرك اتجاه الدّولة العثمانية، وسلطان المغرب الأقصى كخطوة أولى، ولقد تمكن الإسبان من إبرام معاهدة صلح مع الدّولة العثمانية في 14 من سبتمبر سنة 1782م، وكان الهدف منها جعل الباب العالي يضغط على حكام الجزائر لإبرام معاهدة سلم وصداقة معها، ويبدوا أنّ الإسبان كانوا يريدون التخلي عن وهران للإنجليز، فقد دخلوا في مفاوضات معهم سنة 1780م في محاولة منهم من أجل استبدال المدينة بجبل طارق الذي كانت احتلته إنجلترا سنة 1704م، لكنّ المفاوضات لم تنته إلى نتيجة[4]. على أنّ الإسبان تمكنوا أخيرا من السير على خطى الدول الأوروبية فتمكنوا فعلا من عقد معاهدة صلح مع الجزائر سنة 1786م.

4) دوافع عقد الصلح

بعد صراع طويل ومرير بين الجزائر وإسبانيا استمر زهاء ثلاثة قرون اقتنعا الطرفان أخيرا بضرورة الجلوس على طاولة المفاوضات من أجل مناقشة قضايا السلم بينهما، وقد كانت إسبانيا هي السباقة لعرض معاهدة صداقة مع الجزائر، ولابد أنّ هناك دوافع خاصة حركت إسبانيا للتوجه نحو ذلك،

---

[1]– صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص163.

[2]– المرجع نفسه، ص163.

[3]– محمد السعيد بوبكر، المرجع السابق، ص180.

[4]– صالح عباد، المرجع السابق، ص171.

تتعلق بجملة من المتغيرات الداخلية والخارجية، أمّا الجزائر وبعد رفض طويل، وإصرار على الحل العسكري قبلت التفاوض على معاهدة صلح مدفوعة في ذلك بوضع داخلي اقتصادي واجتماعي متردي.

-دوافع إسبانيا

كان الوضع الداخلي مشجعا على اهتمام إسبانيا بقضايا البحر المتوسط، ففي عهد الملك كارلوس الثالث انتهت حرب الوراثة، واستقرت الأوضاع الداخلية في البلاد، كما أنّ إسبانيا تمكنت من المحافظة على مستعمراتها فيما وراء البحار، فانعكس ذلك عليها بتدفق موارد وخيرات هذه البلاد عليها، لذلك بدأت تهتم كثيرا بتأمين طرق المواصلات البحرية[1]، لتنمية التجارة الإسبانية في البحر المتوسط، كما سعت إلى التقليل من هجمات القراصنة الجزائريين على السواحل والسفن الإسبانية، والدخول في منافسة على مناطق البحر المتوسط، خاصّة ضدّ بريطانيا التي استطاعت السيطرة على جبل طارق، وفرنسا التي كانت لها علاقات حسنة مع الجزائر قبل مغامرة نابوليون بونابرت في مصر 1798م[2].

وقد اقتضت الضرورة من الملك الإسباني كارلوس الثالث كي يحقق هذه الأهداف أن يتبع سياسة جديدة اتجاه الجزائر، بعيدة عن سياسة إسبانيا المعادية للمسلمين، والتي كانت شديدة خلال القرن السادس عشر في عهد الملكة إيزابيلا، خاصّة أنّ حروب الوراثة قد ساهمت في تراجع كبير لإسبانيا على المستوى الدولي، فقد ظهرت قوى أوروبية فاعلة مستفيدة من العداء الإسباني الإسلامي عموما، والجزائري الإسباني خصوصا، أهمها بريطانيا التي رفضت سنة 1780م مقايضة إسبانيا لمستعمرة جبل طارق بمدينة وهران، كما أنّ إسبانيا ظلّت تعاني من نشاط البحرية الجزائرية. كلّ هذه العوامل جعلت التجارة الإسبانية تتأثر في البحر المتوسط بشكل كبيرا[3].

ظهرت السياسة الجديدة للملك كارلوس الثالث بشكل جلي حينما كان يسعى لعقد معاهدة صلح مع الدولة العثمانية 1782م، وكان الهدف منها عزل الجزائر، والضغط عليها لدفعها لعقد معاهدة صلح مع إسبانيا، وفي هذا الصدد يقول مصطفى بن حسن خوجة الكاتب الرسمي للداي محمد عثمان باشا "إنّنا لاندري حيلة استطاع الملك الكافر عقد معاهدة صلح مع الباب العالي، والشكوى ضدّ الجزائر التي ألحقت خسائر كبيرة بسواحله، وسفنه التّجارية في البحر المتوسط[4].

---

[1]- جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص403.

[2]- محمد السعيد بوبكر، المرجع السابق، ص180.

[3]- المرجع نفسه، ص182.

[4]- شكيب بن حفري، المرجع السابق، ص127.

جدير بالذكر أنّ فشل إسبانيا في حملة أوريلي سنة 1775م والحملات التي تلتها على الجزائر زاد في تراجع مكانتها الدّولية، وجعل الدوّل الأوروبية تتردد في تأييد موقف إسبانيا في البحر المتوسط، فأدركت إسبانيا أنّ الحلول العسكرية أصبحت غير مجدية، وأنّ الحل يكمن في عقد معاهدة صلح مع الجزائر وفق شروطها، كما فعلت معظم الدول الأوروبية هو الحال بالنسبة لفرنسا الطرف المهم في توازنات القوى المنطقة، التي كانت تدفع الطرفين نحو عقد معاهدة الصلح تحقيقا لمصالحها الحيوية، مغيرة بذلك موقفها السابق المنحاز إلى إسبانيا.

-دوافع الجزائر

لقد كانت الجزائر في عهد الدايات(1671-1830م) مستقلة استقلال حقيقيا عن الدّولة العثمانية التي لم تستطع أن تغير هذا الواقع، فقد استطاع الدايات أن يتخلصوا من نفوذ السلطان العثماني برفض أي محاولة تدخل في سياسة الجزائر الداخلية، ويظهر ذلك من خلال مقاومة الدايات للوساطة التي كان يسعى الباب العالي القيام بها لدى الدوّل الأجنبية، وبذلك لم يبق للسلطان العثماني من مظاهر النفوذ الشكلية إلاّ الدّعوة له على المنابر يوم الجمعة والأعياد، وإصدار الفرمانات بالموافقة على تسمية الدايات المعينين منن قبل الديوان، وتلقي الهدايا، وكانت الجزائر تمتلك مظاهر السيادة من خلال الاتصال مباشرة بالدّول الأجنبية، كما كانت تعلن الحروب، وتعقد السلم، وتستقبل الأجانب، وتعتمدهم لديها دون الرجوع إلى الباب العالي[1].

أمّا فيما يخص قضية الصلح مع إسبانيا فكان الدّاي محمد عثمان باشا يمتلك نقاط قوّة جعلته لا يستجيب بسهولة لمساعي إسبانيا السلمية، لأنّه كان يعلم أنّ إصرار إسبانيا على عقد معاهدة سلم مع الجزائر كان غرضه خدمة عرش الملك الإسباني كارلوس الثالث الذي كان يسعى لتنمية التجارة الإسبانية في البحر المتوسط والتقليل من هجمات القراصنة الجزائريين على السفن الإسبانية[2].

وإذا كانت للجزائر خلال هذه الفترة القدرة على مفاوضة القوى الخارجية فإنّ ذلك كان يرتبط بقوّة الأسطول الجزائري، أمّا على المستوى الداخلي فإنّ الأمر كان مختلفا، فقد كانت الجزائر تعرف اضطرابات كثيرة بسبب تحكم الطبقة العسكرية في السلطة وتوجيهها للحياة العامّة، وهيمنتها على الوضع من خلال احتكارها للسلطة، إضافة إلى التناحر الشديد على الحكم، أمّا عامّة الشعب فتأثروا بالوضع

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 43، 44.

[2]- محمد السعيد بوبكر، المرجع السابق، ص179.

خاصّة وأنّ البلاد كانت تعيش في حالة حرب مستمرة، حيث شعر السكان بعدم الأمن والاطمئنان، ما جعلهم على صفيح ساخن ولهم استعداد للاستجابة لأي حركة عصيان وتمرد[1]، ويبدوا أنّ الجهود التي بذلها الداي محمد عثمان باشا لإقرار الوضع الداخلي لم تكن مجدية بشكل كاف، حيث شهد عهده كذلك عددا من الثورات.

فقد عمت الاضطرابات الاجتماعية أرجاء البلاد، وظهرت حالة تمرد وعصيان من طرف السكان كنتيجة للسياسة الضريبية الباهضة التي أرهقت السكان، فشهدت البلاد عددا من الثورات ارتقت بعضها إلى محاولة للقضاء على الحكم التركي في الجزائر، كما كان الحال في العاصمة، منطقة القبائل، تلمسان، متيجة، الأوراس، وقسنطينة، وزيادة على هذا يلاحظ قيام رجال الزوايا بالمشاركة في إثارة الثورات، وعلى رأسهم محمد بلحرش مقدم الطريقة الدرقاوية الشاذلية في إقليم قسنطينة[2].

لم تكن هذه الانتفاضات إلاّ انعكاسا لسوء الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته الجزائر خلال هذه الفترة، غير أنّه من المفارقات العجيبة أنّ هذا الوضع زاد سوءا بسبب تأثير الكوارث الطبيعية، فقد شهدت الجزائر زلازل مدّمرة منها زلزال 1716م و1717م، و1755م، كما حصلت أوبئة في أعوام 1752 و1753، وحصول جفاف في بعض السنوات ممّا أدّى إلى وفاة الألاف من الناس، وانتشار الفقر، وقلّة المؤن والمحاصيل الزراعية، وانعكس ذلك على المستوى الاجتماعي من خلال توسع التذمر الشعبي[3]، تجذر الإشارة إلى أنّ نقص عدد السكان خلال هذه الفترة قد أثّر بشكل مباشر على الأسطول الجزائري الذي فقد قوّته، وأصبحت الجزائر غير قادرة على استرداد تلك القوّة رغم كثير من الجهود التي بذلت[4].

تزامن أو ترابط هذا الوضع السيء مع تراجع عمليات مهاجمة السفن الأوروبية من قبل الجزائريين وهو ما يعني فقدان مصدر أساسي من مصادر تمويل ميزانية الإيالة، والتي كانت تخصص لصيانة أرصفة الميناء، وأصحاب السفن المساهمين في تجهيز السفن، وخزينة الدولة، وميزانية الداي، حيث انخفضت أعداد السفن العاملة في نشاط القرصنة إلى 10 قطع سنة 1788م وهو عدد ساهم في تراجع

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص44.

[2]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 43، 44.

[3]- المرجع نفسه، ص46.

[4]- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص 35-36.

مداخيل الدولة[1].هذا الوضع فرض على الداي إعادة النظر في موقفه من مسألة المفاوضات مع الإسبان، وضرورة التوصل إلى الصلح، ولكن بشرط تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية قد تساعد البلاد على تجاوز محنها.

5) تحليل بنود الصلح.

1.5) تلخيص محتوى المعاهدة.

بعد موافقة الجزائر على الصلح وصل أوّل وفد إسباني إلى مدينة الجزائر في 1785م مكوّن من الكونت ديسيبلي(D'Espilly)، والأميرال مازاريدو(Mazzredo)، استمرت المفاوضات بين الطرفين سنة كاملة توجت بتوقيع معاهدة الصلح في 1786م[2].يعد هذا الصلح أوّل اتفاقية سلم وصداقة بين الجزائر وإسبانيا بعد مرحلة طويلة من الصراع الدامي، ومن خلال الاطلاع على بنود المعاهدة نجدها تقريبا مطابقة لتلك التي عقدت مع فرنسا سنة 1769م، وهو ما أصّر عليه الإسبان خلال المفاوضات، وقد احتوت هذه المعاهدة على خمسة وعشرين بندا تناولت مسائل عديدة أهمها: الملاحة البحرية، المبادلات التجارية، وضعية الجالية الإسبانية، الصلاحيات الممنوحة للقنصل الإسباني، وقضايا الدفاع المشترك، والاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير[3].

نصت معاهدة 26 أوت 1786 على إيقاف القرصنة، وتنظيم الملاحة البحرية بين البلدين،مع إمكانية دخول التّجار الإسبان إلى الموانئ الجزائرية، ودخول تجار الجزائر إلى موانئ أليكانت ومالقا وبرشلونة فقط، كما نصت على تحديد الرسوم الجمركية، وإيفاد قنصل إسباني إلى الجزائر يكون مسؤولا عن حل الخلافات التي تنشأ بين الإسبان في الجزائر، بالإضافة إلى تمثيل بلاده من قبل السلطة التركية، إضافة إلى امتيازات تتمتع بها الجالية الإسبانية بالجزائر[4]، كما نصت المعاهدة على الدفاع المشترك في حالة تعرض مراكب الطرفين للاعتداء.

---

[1]- شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ط1، ج2، تر: محمد مزالي، البشير بوسلامة، دار النشر التونسية، 1983، ص371، أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م، ص411-412.

[2]- مولاي بلحميسي، صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الإسبانية معاهدة 1786م بين الجزائر وإسبانيا، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد11، الرباط، 1996م، ص12، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص117.

[3]- للاطلاع على نص بنود الصلح ينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص76-81.

[4]- يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد(1780-1798) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993، ص39-44.

2.5) تحليل البنود

من خلال تحليل بنود المعاهدة يظهر لنا جليّا أنّ الجزائر استفادت كثيرا من معاهدة الصلح مع إسبانيا ماديا، فقد دفع الإسبان أموالا طائلة للوصول إلى السلم مع الجزائر، يقدرها البعض بعشرين مليون فرنك[1]، يذكر أنّ هذه الأموال مكنّت من إدخال الكماليات إلى مدينة الجزائر، فأنشأ البعض حدائق عجيبة وشيّدوا دورا جميلة أدخل إليها الرخام الذي جيء به من جنوة وليفونا، كما استعملوا الزليج (الزجاج الذي كان يجلب من تونس وتركيا[2]، كما باعوا الأسير الواحد بألف ريال، بل أخذ الجزائريون ثمن الأسرى الذين ماتوا منذ توقيع الاتفاق حتى وصول النقود إليهم، وعدد وفير من الهدايا تتراوح بين المجوهرات والأمتعة والهدايا، إضافة إلى السفن، وفي أحد الأيام سئلت هيئة جزائرية معتبرة المقام عندما كانت في مدريد لماذا عقدتم الصلح ؟ أجابت الهيئة: إنّ الفائدة من الصلح يضمن لنا فوائد كثيرة، لأنّ هذا الصلح على الأغلب يستمر ثلاث سنوات، فالربح مازال مستمرا، فمن أجل كل هذه السنوات أخذنا كل هذه الأموال، ولم نخسر شيئا[3].

أمّا الوجه الأخر من استفادة الجزائر من المعاهدة فهي قدرتها على الوصول بأساطيلها إلى المحيط الأطلسي إلى المحيط الأطلسي، حيث نافست السفن البرتغالية والأمريكية هناك، وحصلت منها على غنائم عديدة، ممّا دفع بالبلدين إلى محاولة عقد معاهدة سلم مع الجزائر نظرا لتضرره سفنها من نشاط البحارة الجزائريين في المحيط الأطلسي[4].

إنّ الصلح كلّف إسبانيا أموالا ضخمة وبرغم ذلك فهي المستفيد الأكبر من المعاهدة من خلال الحصول على الامتيازات التجارية في الغرب الجزائري، تساوي الامتيازات الفرنسية في الشرق الجزائري، كما تمكنت إسبانيا من تحقيق الأمن لسواحلها الشرقية، واستطاعت بفضل هذه الاتفاقية تأمين الطرق التجارية للسواحل الإيطالية، وقد كانت هذه المعاهدة وبالنظر إلى النتائج المحققة نصر سياسي لإسبانيا باعتبار أنّها كانت مشروعا إسبانيا تم تحقيقه، والمتمثل في عقد معاهدات صلح مع الباب العالي والمغرب وطرابلس، وبالنظر إلى ما كانت تعانيه في البحر المتوسط، لأنّها تمكنت بموجبها من الحد من تهديدات البحرية الجزائرية في غرب المتوسط .

---

[1]– للاطلاع على حجم هذه الأموال، ينظر، مذكرات حاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص34.

[2]– صالح عباد، المرجع السابق، ص171.

[3]– عزيز سامح إلتر، المرجع السابق، ص546.

[4]– كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت، ترجمة وتعليق، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص18.

لقد تمّ التوصل إلى هذه المعاهدة برغم أنّ الإسبان ظلّوا يحتلون وهران والمرسى الكبير، حيث نصت المعاهدة في بندها العشرين على بقاء الوضع على ما هو عليه فيما يخصهما[1]، وهو ما فتح المجال أمام ظهور خلافات بين الجزائر وإسبانيا حول بعض بنود الصلح دون أن يحدث ذلك قطعا للعلاقات، ومنها مسألة التعويضات المالية، التجارة، ومصير وهران، وكانت الجزائر تصر دائما على احترام بنود المعاهدة الأصلية، وحذر الداي من تحريفها[2].

الخاتمة:

لقد أحدث توقيع الصلح بين الجزائر وإسبانيا ارتياحا كبيرا بين الطرفين، وذلك أنّ معاهدة 1786م أسست لقواعد واضحة للتفاهم بين البلدين، بعدما كانت الخلافات والصراعات هي القاعدة التي تقوم عليها العلاقات بينهما طيلة القرون الثلاثة التي سبقت توقيع الصلح، هذه المعاهدة أملتها توازنات القوى الدولية في البحر المتوسط من جهة، والظروف الداخلية لكل من إسبانيا والجزائر من جهة أخرى، لذلك يمكن اعتبارها معاهدة سلم حقيقية كان من ثمارها إنهاء جذور الخلاف بين الطرفين وذلك بجلاء الإسبان عن وهران والمرسى الكبير سنة 1791م.

بيبليوغرافيا:

- المصادر:

- الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ق2، ج8، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.

- كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت، ترجمة وتعليق، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

- مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، ج1، مكتبة المعارف للنّشر والتوزيع، الرباط، 1404هـ/1984م.

- محمد عثمان باشا، داي الجزائر 1766-1791م، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدّولة والحياة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974م.

- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

[1]- صالح عباد، المرجع السابق، ص171.

[2]- ظهر هذا الخلاف من خلال المراسلات بين مجموعة من المراسلات الرسمية الجزائرية الإسبانية الت تم تبادلها حول صلح عام 1786م، للتفصيل، ينظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص82-84.

- المراجع :

- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792م.
- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م.
- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م.
- جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1930، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010م.
- جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ط1، ج2، تر: محمد مزالي، البشير بوسلامة، دار النشر التونسية، 1983م.
- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.
- صلاح العقاد، المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1957م.
- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر. تونس. المغرب الأقصى، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993م.
- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر. تونس. المغرب الأقصى.
- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
- عزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة، محمود علي عامر، دار النّهضة العربية، بيروت، 1989م.
- محمد السعيد بوبكر، العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية (1119-1206هـ/1708-1792م)، ط1، بيت الحكمة، ، الجزائر 2015م.
- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، دراسات في شمال إفريقية الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، 1969م.
- محمد قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا(1679-1830م)، وزارة المجاهدين، 2007م.
- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، قبل سنة 1830، ج1، ط1، شركة دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007م.
- يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد (1780-1798) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993م.
- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2008م.
- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية (1500-1830)، الجزائر، 1985م.
أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

- الدوريات:

- خير الدين سعيدي، الحملات الإسبانية على الجزائر خلال العهد العثماني(1518-1775م) من خلال مخطوط – الزهرة النادرة- ابن قتيبة التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد29.
- شكيب بن حفري، العلاقات الأسبانية الجزائرية في القرن الثامن عشر من خلال مخطوط عثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 1، قسنطينة، الجزائر، 2002م.

- مولاي بلحميسي، صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الإسبانية معاهدة 1786م بين الجزائر وإسبانيا، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد11، الرباط، 1996م.

اثنوغرافية المجتمعات المحلية وبنيتها الاجتماعية.

د/ شويشي زهية ـ جامعة محمد لمين دباغين. سطيف2 ـ الجزائر.

الملخص:

إن علم الاجتماع عندما يدرس المجتمعات دراسة واقعية يركز على الموجود منها بالفعل والتي من أفرادها يتكون المجتمع، فالمجتمع عند كثير من علماء الاجتماع عبارة عن فكرة أو تصور. أما ما هو موجود في الواقع والذي يخضع للملاحظة العلمية ويمكن معه استخدام أدوات البحث المختلفة فهو الجماعات ومركبات الجماعات. ولهذا يهتم علم الاجتماع الحديث بموضوع الجماعة ويجعله نقطة الارتكاز في البحث والتحليل، وهذه الجماعات كما أنها تعيش واقعا اجتماعيا محددا تمارس نشاطها في منطقة جغرافية محددة تضيق أو تتسع حسب الظروف، وهي عبارة عن تجمع عدد من الجماعات في منطقة جغرافية معينة تمارس أنواعا متشابهة من النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وبالتالي فإنها تتميز بالاختلاف عن جماعات أخرى تعيش على منطقة جغرافية أخرى.

الكلمات المفتاحية: (المجتمع المحلي، البنية الاجتماعية، الخصائص الاجتماعية، الأنماط العمرانية، المسكن)

Summary:

Sociology when communities study a realistic study that focuses on what already exists and whose members are members of society, society in many sociologists is an idea or a concept. What already exists which is subject to scientific observation and can be used to search tools is different groups and groups of groups. This is why modern sociology is concerned with the subject of the community and makes it a focal point in research and analysis, These groups also live a specific social reality that operates in a specific geographical area that is narrowed or widened according to circumstances, It is a grouping of a number of groups in a particular geographical area that has similar types of social, economic and political activity, and thus differs from other groups living on another geographical area.
Keywords: (Community, social structure, social characteristics, urban patterns, housing).

مقدمة :

وهنا تبرز فكرة تنميط المجتمع إلى أنماط رئيسية تقوم على ما لديها من معرفة باختلافات تلك الأنماط وإذا ضيقنا دائرة التشابه وأبرزنا دائرة الاختلاف، يمكن أن تنحصر هذه الأنماط في نمطين كبيرين يوجدان تقريبا في كل المجتمعات الإنسانية، ويكاد علماء الاجتماع أن يجمعوا على أن هذين

النمطين هما الريف والحضر، وطالما أنهما ينتميان إلى منطقة جغرافية واحدة ويخضعان لسلطة واحدة، ويضمهما مجتمع واحد وثقافة واحدة، فقد اصطلح علماء الاجتماع اسم المجتمع المحلي على كل منهما، وهكذا تبين أن الباحثين يلتقون حول نقطة هامة وهي ضرورة وجود أساس جغرافي للمجتمع المحلي، وان اختلفوا في تحديد الخصائص التي تميز هذا المجتمع المحلي ولكنهم يسلمون بواقعية وجودها.

أولا: مفاهيم حول المجتمع المحلي

من أجل هذا وجدنا من المناسب أن نعرض مجموعة من التعريفات التي تناولت المجتمع المحلي وخصائصه، ليتبين موقف علم الاجتماع الحضري من هذا الموضوع الذي يحمل طابع الأهمية في دراساته المتعددة، حيث يقول أجبرن ونيمكوف OGBURN , NIMKFF أن هناك أنواعا كثيرة من المجتمعات المحلية، "المجتمعات الريفية والمدن و المدن الصغرى التي تختلف في الحجم ،وفي الخصائص العامة كأن تكون صناعية أو زراعية، وهذا يعكس تنوع المجتمعات المحلية، ما يجعل من الضروري التعرف عليها، ولهذا عرّف كلاهما المجتمع المحلي على أنه عبارة عن جماعة أو مجموعة من الجماعات التي تعيش في إقليم معين وبالتالي ترتبط بفكرة الإقامة في منطقة واحدة تميزهم عن غيرهم من المجتمعات، لكن حسب أجبرن ونيمكوف فكرة الإقامة في منطقة واحدة وارتباط الناس بها لا يجعل منهم بالضرورة مجتمعا محليا فقد يعيش حسب أجبرن ونيمكوف أناس في منطقة واحدة دون أن تربطهم صلات اجتماعية يمكن أن ترقى إلى مرتبة العلاقة الاجتماعية المنظمة التي تشمل كل نواحي النشاط الإنساني، ولهذا يضيف أجبرن ونيمكوف إلى شرط الإقامة شرطا آخر وهو التنظيم الكلي للحياة الاجتماعية في المنطقة التي يوجد عليها المجتمع المحلي[1].

ويرجع أصل كلمة " المجتمع المحلي " إلى فترة كانت فيه المناطق المسكونة صغيرة وتتكون من عدد قليل جدا من الأسر والجماعات، ولذلك كانت الأسر التي تعيش في مكان معين هي التي تكون المجتمع المحلي، ظل هذا المفهوم شائعا إلى غاية ازدياد المجتمعات اتساعا وحجما من حيث عدد السكان، فظهرت المدن الصغرى والكبرى التي تحتوي على جماعات لا تربطهم علاقات قرابة أو دم، ومن أبرز التعريفات التي تناولت المجتمعات المحلية تعريف كلا من ماكيفر MAGIEVER وبيج PAGE الذي رأى كل واحد منهما أن المجتمعات المحلية عبارة عن جماعة قد تكون صغيرة أو كبيرة العدد يعيش أفرادها بطريقة يتشاركون من خلالها الظروف الأساسية للحياة، وفيها يستطيع الفرد أن يقضي حياته كلها

[1]. أحمد أبو زيد. البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الأول، الدار القومية للطباعة، الإسكندرية، 1965، ص100.

داخله فالفرد لا يستطيع أن يحيا داخل مؤسسة أو منظمة، ولكنه يستطيع ذلك داخل قبيلة أو مدينة فإذن المقياس في المجتمع المحلي، هو أن نجد كل علاقات الفرد الاجتماعية موجودة فيه، ويرى ماكيفر أن المجتمع المحلي يقوم على أساسين عامين هما: الإقليم الذي يشغله الإنسان والشعور المشترك الذي يربط أعضاءه ويعطيهم طابعا خاصا ويؤدي إلى تماسكهم الاجتماعي.

ويتناول هنت HUNT المجتمع المحلي بقوله أنه يتكون من جماعة من الناس يعيشون في منطقة محلية، تكونت نتيجة المعيشة المشتركة وتحقيق المصالح المشتركة ومعايشة مشاكل مشتركة، ونظرا لقرب أعضاءها من بعضهم البعض فإنهم يتعاونون وينتظمون، ويتعين عليهم أن يبحثوا عن طرق لتوفير الخدمات والسلع من جميع الأنواع وإقامة كل التنظيمات الأخرى، يقول في هذا الصدد HUNt أن المجتمعات المحلية تختلف فيما بينها من حيث الطابع، والحجم، فالمجتمعات الريفية مثلا يبدو عليها التجانس والوحدة أكثر من المجتمعات الحضرية التي تتميز بالعلاقات غير المباشرة بين أعضائها، ويجب أن نميز بين المجتمع المحلي عن طريق وضع شرط القرب المكاني الذي هو أساس وجوده، دون إغفال تغير الجوار، ذلك أن الجوار يلعب دورا تنظيميا في حياة تلك المجتمعات. ضمن هذا المنظور يصبح مفهوم المجتمعات المحلية يحمل عدة أبعاد تخرج من مجال التخصصية، وقد أكد على ذلك تعريف LNNDBERG الذي قال بأن تأثير الجغرافيا على حياة الإنسان مشروط بالعوامل الثقافية، وبالتالي المجتمع المحلي ليس مجرد إقليم جغرافي يعيش فيه أناس تحت سيطرة المناخ والثروات الطبيعية، بل له عادات وتقاليد وأعراف تنظم علاقات الإنسان بالطبيعة وعلاقة الإنسان بالإنسان، فإذن المجتمع المحلي هو ظاهرة ثقافية. مثل هذه التعريفات تنظر إلى المجتمعات المحلية على أنها مستوطنات صغيرة ومستقلة نسبيا، ما يجعلها ترتكز على العلاقات الاجتماعية المفعّلة بالنظم الاجتماعية والثقافية، وهذا جعل العلماء ينظرون إلى ضرورة إبراز تلك العوامل، باعتبارها مكون رئيسي في المجتمعات المحلية وبالتالي النظر إليها على أنها ليست مجرد تجمع إنساني يحيا فيه الإنسان تحت تأثير الظروف الطبيعية والخضوع التام لها، معنى هذا أن المجتمع المحلي يجب أن ينظر إليه كجماعة متكاملة تعيش حياة مشتركة وكل تغيير يطرأ عليها لابد أن يفرض تحديات على مقومات تلك الحياة، ما يستلزم وضع توصيف لأنماط الحياة الاجتماعية، ووصف الأساليب التي بموجبها يحافظ المجتمع المحلي على أبنيته الاجتماعية وقيمه الثقافية وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اهتمام المجتمعات المحلية بالديناميات الداخلية، وأيضا أحد أهم المداخل المطروحة في علم الاجتماع، والتي تمكننا من فهم المجتمع المحلي، هي النسق الاجتماعي الذي يلقي الضوء على بناء وتنظيم المجتمعات المحلية، وكلنا نعلم مسبقا أن هذا النسق يقوم على مكونات

رئيسية هي المكانة والأدوار والجماعات، وأيضا على نظم أهمها نظام الحكومة والاقتصاد والتعليم والنظام الديني، الذي يستند إلى تصورات عضوية تمتاز في مجملها بالتساند والترابط والتداخل، ولا نريد أن ندخل في تفاصيل عن الأنساق لفهم المجتمع المحلي[1]، ولكن نود أن نشير إلى أن تركيزنا على الاتساق العضوي يعد ملائما لموضوع المجتمعات التي تعيش في الأرياف والمناطق الصحراوية، والمدن التي لم تتداخل فيها القيم الحداثية بشكل كبير أفقدها طاع المحلية، خصوصا عند التطرق إلى الكيفيات والعوامل التي تساعد على تطويرها كمجتمعات محلية، وهذا ما تبنته أكثرية المداخل السوسيولوجية بعيدا عن الحوارات النظرية، فمقالتنا تقرأ في خصائص المجتمعات التي تحمل طابع المحلية والتقليدية في عدة مجالات "اجتماعية، ثقافية، عمرانية " لكنها بدأت تمتزج مع مجتمعات محلية أكثر حداثة وهذا بفعل التقارب المكاني وزيادة الحجم السكاني وعوامل أخرى.

من هنا نرى أن جل التعريفات أجمعت على بعدين من الخصائص الرئيسية للمجتمع المحلي "هما المعيشة الاجتماعية الكلية والإقليم المحدد الدائم". ليس معنى هذا أن حركة الإنسان مقيدة بالمجتمع المحلي فهناك تحركات اجتماعية وهجرات داخلية تميز المجتمعات المحلية في اتجاه بعضها البعض، ومن هنا يصبح المجتمع المحلي الريفي والحضري من أكثر المجتمعات المحلية وضوحا وتغيرا في وقتنا الحاضر.

ويهتم علم الاجتماع بالمجتمعات المحلية من وجهات نظر متعددة، يمكن أن نلخصها في جملة واحدة وهي التنظيمات الاجتماعية التي تجعل الحياة الكلية ممكنة في كل نوع من أنواعها ولذلك يعالج المجتمع المحلي من منطلق الثقافة والشخصية والضبط الاجتماعي والأسرة والنظام الاقتصادي والتغير الاجتماعي، ولما كانت المجتمعات المحلية كما سبق وذكرنا ترتبط بوجود إقليم فإن من الضروري التعرف على ما يحتويه إقليمها من ثروات طبيعية، طبعا إلى جانب التعرف على طابع المناخ الذي يتمتع به وهو ما يسمى في علم الاجتماع بالمدخل الإيكولوجي الذي يعني كل بناء لمأوى في إطار تنظيم اجتماعي. فأول ما طبق هذا الاتجاه على الإنسان سمي الايكولوجيا الإنسانية، وهي معرفة أثر البيئة الطبيعية في تحديد العمران الإنساني

لقد ارتبط الإنسان بالمجتمعات المحلية التي إذا ما تغير فيها تغيرت وتغيرت معها تجاربه الاجتماعية والثقافية، والمقصود هو تطورها بفعل تطور البعد التاريخي الذي لعب دوراً في ذلك وإن عمدت الكثير من المجتمعات المحلية إلى مواجهة تلك التحولات والتجديدات بكل الأساليب والدليل على ذلك تباين وجهات

[1]. باشلار. جمالية المكان، ترجمة غالب هلسا، دار المجد للنشر، بيروت، لبنان، 1978، ص280.

نظر العلماء حول مفهوم المجتمع المحلي، إلا أن اتفاقا حول بعض النقاط الأساسية ينبغي النظر إليها بعين الاعتبار، وهي أن طبيعة البيئة الجغرافية تؤثر بطرق مختلفة على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية دون المبالغة في التأكيد على أثرها في حياة الناس، لكن أيضا تقتضي الضرورة التركيز على الظروف الإيكولوجية عند دراسة المجتمعات المحلية كونها هي من يشكل باقي الخصائص "الاجتماعية والعمرانية والثقافية"[1].

إن تكامل العلاقات الاجتماعية في المجتمعات المحلية بين الأفراد، مسألة هامة لابد من أخذها بعين الاعتبار، وهذا بسبب ما قد يعتريها من تحولات وتغيرات، كما أن المتغير الاجتماعي قد يصلح أحيانا في فهم طبيعة الجماعات المكونة للمجتمعات المحلية وما تحمله من نظم، إلا أن المتغير الثقافي الذي يتناول العادات والتقاليد والأعراف والقيم وغيرها، يعد مكملا ضروريا لفهم المجتمع المحلي، ذلك أن تشارك الأفراد في العلاقات الاجتماعية وتوحدهم في مجتمعاتهم يترتب عليه مشاركتهم في عدد من القيم والمعايير والأهداف المشتركة، وبالتالي يصبح المجتمع المحلي في نظرهم وحدة ثقافية في المقام الأول، تحكمه مجموعة من العادات والتقاليد والروابط والقيم الاجتماعية ما يثير فيهم الشعور بالانتماء، رغم إغفال هذه النظرة لأهمية وجود مؤسسات أو بناءات تنظيمية يمكن أن تساهم في تحقيق أفراد المجتمع لأهدافهم المرتبطة بكيفية صياغة مضمون يساعد في عملية تنمية المجتمع، ولهذا ذهب لويد كوك LOYD COOK إلى أن المجتمع المحلي لابد وأن يكون عبارة عن حيز مكاني يتميز أفراده بالاتصال الدائم الشيء الذي يساعدهم على نقل خبراتهم وتجاربهم من خلال مجموعة من المؤسسات التي تعمل على تنشيط المجتمع وتقوي وحدته وتماسكه.

هنا ربما تساعدنا هذه المعطيات في تعريف وفهم المجتمعات المحلية قروية كانت أو حضرية، أو بدائية صحراوية، قائما على معطيات موضوعية قد تساعدها التصورات النظرية السابقة في إظهارها بأكثر وضوح، فموضوع المجتمعات المحلية تتداخل خصائصها مع خصائص المجال العام الذي توجد فيه. فهي مجتمعات تمتاز بالتنظيم الاجتماعي المحكم والمنظم لحياة أفرادها، وبمواصفات ثقافية فريدة تتحّكم في وجودها العمراني البعد الإيكولوجي، الذي هو ركيزة بناءه ليصل عبر مراحل تاريخية طويلة إلى معطيات جديدة أفرزتها متغيرات الحداثة والتطور العمراني والزيادة السكانية ومعطيات أخرى فالبحث بهذه الطريقة ساعدنا في معرفة مدى ارتباطهم بمكان إقامتهم من خلال دراسة أبعاد تلك الإقامة على الصعيد

[1]. باكار. المغرب والحرف التقليدية في العمارة، ترجمة سامي جرجس، باريسأوتولوجي، 1974، ص35.

الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وحتى التاريخي، ومدى قدرة أفراد تلك المجتمعات ورغبتهم في المحافظة على نسقهم العام.

ولأن هذه المقالة جاءت لترتبط بشكل مباشر وكبير بوصف المجتمعات المحلية في جميع جوانبها يستدعي الأمر التركيز على البعد المكاني بوصفه عمرانيا ومرفولوجيا، ثم تسليط الضوء على أبعادها الاجتماعية والثقافية من خلال فهم علاقة أفرادها الفيزيقية واللامادية، ولأن المجتمعات المحلية التي تقطن مثلا في الأماكن القديمة والتاريخية، وتحيا في إطار عمراني غالبا ما يمتاز بالخصوصية في جوانبه العمرانية تتداخل فيه المحكّات التي أدت إلى ظهوره وساعدت في تطوره ، هذا ما يدفع إلى البحث في خصوصية تلك المجتمعات المحلية وهذا في ظل شواهد تاريخية مدعومة بوقائع اجتماعية وثقافية، فالبحث في محكّات وأبعاد المجتمعات المحلية التي تقطن النماذج العمرانية القديمة مثلا، ساعدت العلماء في البحث عن أصل ونشأة تلك المجتمعات، من تتبع عملية سيرورة وحداتها الاجتماعية وكيفية انتشارها وديناميكيتها على امتداد التاريخ، فهذه العملية تساهم في تعريفه بطابع العلاقات التي كانت سائدة داخله وعلاقاته بالمجتمعات المحلية الأخرى المجاورة له والأكبر منه، وطبعا نقطة انطلاق تلك العلاقات هي شبكة العلاقات القرابية باعتبارها ركيزة بنائه الداخلي التي تمتاز بنسيج متجانس خصوصا في مراحل تشكله الأول ولعبه دورا بارزا في توطيد علاقات أفراده الاجتماعية وصولا إلى تجاوزهم فكرة القرابة واتخاذهم أشكال أخرى من العلاقات كعلاقات الجيرة والمصاهرة، والتي مع مرور الوقت بدأت تعرف تراجعا بفعل تطور ذلك المجتمع وبروز قيم جديدة. كما أن البحث عن أصل ونشأة مجتمع القصور يقود بدوره إلى تتبع عمليات انتشار الوحدات الاجتماعية على أرضه وكذلك عمليات الانقسام والاتصال والوحدة وديناميات تلك العمليات على امتداد التاريخ الثابت والمعروف. والذي يمّكن من الإشارة إلى معالمه، كلها أمور تدخل في صميم عمل الباحث الاجتماعي داخل أي مجتمع محلي، ذلك أن عمليات التكوين والاتحاد والانفصال هي التي تفسر في الغالب أو على الأقل طبيعة العلاقات مع المجتمعات المحلية الأخرى داخل الوحدة الاجتماعية الأكبر، أو مع نفس الوحدة الاجتماعية التي ينتمي إليها المجتمع[1].

ثانيا: فما البنية الاجتماعية:

في البداية يعتبر مفهوم البنية الاجتماعية من المفاهيم الرئيسة في علم الاجتماع، ولسنا نغالي إذا قلنا بأنها المفهوم المحوري بالنسبة لعلم الاجتماع. ويتفق علماء الاجتماع على أنه أول القضايا التي

[1]. حسين عبد الحميد رشوان. البناء الاجتماعي الأنساق والجماعات، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2007، ص82

ينبغي على الباحث الاجتماعي أن يتناولها بالمعالجة، فنجد "رايت ميلز" (MILES) في كتابه "الخيال السوسيولوجي" يقول بأن: "النظرية الاجتماعية مطالبة بالإجابة أولاً على ماهي طبيعة البنية الاجتماعية؟ علاوة على المكونات الأساسية لهذه البنية؟" كما وأن علماء الاجتماع ومن بينهم "بوتومور"BOUTOMOUR يرى بأن المفهوم الأساسي، أو الفكرة الموجهة في علم الاجتماع هي البنية الاجتماعية، فهذا المفهوم تصدر اهتمام عالم الاجتماع بدراسة جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة التي لم تدرس من قبل إلا بطريقة غير منهجية ويصل البعض من العلماء إلى تحديد موضوع علم الاجتماع على أنه كان يرتبط بالبنية الاجتماعية، ويطرح أصحاب هذا الرأي تصورهم كالآتي:

- دراسة البنى الاجتماعية والعناصر المكونة للمجتمعات ووظائفها.
- دراسة الظروف التي تطورت فيها بعض النظم.
- مقابلة النتائج التي توصلت إليها العلوم الاجتماعية.
- دراسة التوافق بين تركيب التجمعات والتركيبات العقلية للأفراد الذين يكونون هذه المجتمعات.
- دراسة العوامل التي تساعد في حدوث التغيرات في البنى الاجتماعية.

ولأهمية البنية الاجتماعية تعددت الصياغات حول تعريفها، وتحديد المبادئ التحليلية اللازمة لها وذلك تبعاً لاختلاف المنطلقات المنهجية في دراسة البنية الاجتماعية. ويكاد يتفق الانثربولوجيين الاجتماعيين والوظيفيين على أن مفهوم البنية الاجتماعية، من المفاهيم التي يصعب تحديدها وتعريفها بدقة نظراً لوجود خلط في تحديدها باعتبارها مفهوماً له أكثر من معنى، حيث استخدم اصطلاح البنية الاجتماعية بمعاني مختلفة ومتنوعة، عند كثير من العلماء السوسيولوجيين والأنثربولوجيين نذكر منهم على سبيل المثال: "ليفي شتراوس، راد كليف براون، ريمون فيرث، ايفانز بريتشارد، فريدريك ليملي ومارتندال، دوركايم وبارسونز وغيرهم[1]، ومن أبرز الوظيفيين الذين قدموا تعريفاً للبنية "راد كليف براون" BRAWNE، بل يعود إليه التأثير الهام في انتشار المفهوم بعد المحاضرة التي ألقاها عام 1940 بعنوان "حول البنية الاجتماعية". ومن الملاحظ أنه قد سبقه "كارل ماركس" في تحليلاته لهذا المفهوم في كتابه "رأس المال"، ولهذا فإن فكرة المفهوم كانت موجودة قبل "راد كليف براون" في صياغات البنية الفوقية والبنية التحتية لماركس، وفي كتابات "دوركايم" عن التركيبات المورفولوجية. هذا بالنسبة لفكرة الاتفاق في المصطلح، لكن في قضية الاختلاف في المعنى والمقصود منه. يقول "راد كليف براون" في تأكيداته وتوضيحاته حول مفهوم البنية: "حينما نستخدم تعبير بنية فإننا نشير إلى نوع من الترتيب المنتظم للأجزاء أو المكونات

[1]. السيد الحسيني. الطبقة الاجتماعية والسلوك الانساني دراسات سكانية، القاهرة، 1972، ص115.

فاللحن الموسيقي له بنيته، وأيضاً أي عبارة لها بنية، والبناء له بنيته، ومكونات ووحدات البنية الاجتماعية هي أشخاص، وأي شخص هو كائن بشري ينظر إليه لا بوصفه كائناً، وإنما كمحتل لوضع في بنية اجتماعية"[1]، ويؤكد "راد كليف براون" في العناصر السابقة أن البنية الاجتماعية تتشكل من العلاقات الاجتماعية وأنها ليست تركيبة عشوائية، وإنما تتحدّد بالعملية الاجتماعية، وبقدر من الثبات النسبي. حيث أنه من المتوقع أن يكون هناك تغيّر في هذا المستوى، ولكن بصورة تدريجية في الغالب. كما يرى أن البنية الاجتماعية تدخل في نطاق التمايز القائم بين الطبقات والأفراد بحسب أدوارهم ومراكزهم الاجتماعية، كالاختلاف بين الرجل والمرأة، العامل وصاحب العمل، حيث يرى بأن التمايز تكمن أهميته في تحديد العلاقات الاجتماعية وطبيعة البنية الاجتماعية. كما يرى براون أن الأشخاص هم وحدات البناء الاجتماعي وعناصره الأولية، إلا أن الانساق الاجتماعية عنده هي الأجهزة التي تتفاعل فيما بينها داخل هذه البنية، والتي يقوم كل منهما بوظائفه الاجتماعية من أجل استمرار البنية، حيث يقوم كل نسق بوظيفته الأساسية التي تؤدي إلى حفظ هذه البنية رغم اختلاف البُنى والنظم المكونة لها. وقد ركز "براون" على العلاقات الاجتماعية العامة التي تتكون منها البنية الاجتماعية وتتكرر فيها الأنماط الاجتماعية باستمرار، وربط ذلك كله بموضوع ثبات البنية الاجتماعية واستمرارها، من خلال الاستقرار الديناميكي الذي يتغير بدرجات متفاوتة. ويؤكد "براون" أن الحالات الفردية التي تتجسد فيها العلاقات الاجتماعية، ليست هي موضوع الدراسة العلمية للبنية الاجتماعية، إنما هو السلوك المتكرر لعدد من الأفراد، والذي يمثل نمطاً اجتماعياً معيناً. وبالتالي يتكون البناء الاجتماعي من هذه الأنماط مجتمعة. ونجد في مقابل هذا ليفي "شتراوس" يشير إلى أن البنية الاجتماعية، مفهوماً مستقلاً عن مفهوم العلاقات الاجتماعية، "عكس فكرة براون "، إلا أنه لا يمكن أن يدرس إلا من خلال العلاقات التي تحويها. أما ايفانز برتشارد" (EVANZ) في دراسته عن مجتمع "النوير" والتي اهتم فيها بالنشاطات الاجتماعية من زاوية البنية السياسية. واستخلص تعريفاً للبنية الاجتماعية التي تعني عنده: "تلك العلاقات التي تربط بين الجماعات، والتي تتميز بدرجة عالية من الثبات والتركيب، والاستمرار والدوام في الوجود بغض النظر عما تحتويه من أفراد، يدخل فيها الأفراد عندما يولدون، ولا يخرجون منها إلا عندما يموتون، أي أن الأفراد يتغيرون. أما البنية فتبقى مستمرة وتدوم، عارض "بريتشارد" "براون" في اعتبار أن كل العلاقات الاجتماعية، بما فيها الثنائية أن تكون لها صفة في تكوين البنية الاجتماعية. فالبنية الاجتماعية عند "بريتشارد" هي: "عبارة عن جماعات اجتماعية متميزة في الوجود لوقت كافٍ، بحيث تستطيع الاحتفاظ بكيانها كجماعات رغم

[1]. عاطف غيث. الانثروبولوجية الاجتماعية، دار النهضة العربية للنشر، بيروت،1990، ص112.

التغيرات التي تحدث للأفراد والذين يشكلون تلك الجماعات، فهو بهذا يهتم بالجانب المورفولوجي للمجتمع، فنجد البنية الاجتماعية بالجماعات التي يتكون منها المجتمع، وبالعلاقات بين تلك الجماعات، وليست كما قال "براون" بالعلاقات الاجتماعية بين الأشخاص. فالبنية الاجتماعية إذاً هي علاقة بين جماعات وليست أفراد، والذي يدخل في تشكل البنية الاجتماعية ويعتبر بالتالي جماعة بنائية، وهي تلك الجماعة الكبيرة والصغيرة المتماسكة كالعشيرة والقبيلة[1]

أما "ريموند فيرث" فيطرح تصوره للبنية الاجتماعية كما يلي: "الحياة في المجتمع معناها تنظيم مصالح الأفراد وتوجيه سلوكهم بعضهم اتجاه بعض، ومحاولة تصنيفه إلى جماعات، من أجل العمل المشترك وبذلك نستطيع أن نرى العلاقات تؤثر في حياة الأفراد وطبيعة المجتمع ذاته، فيمكن أن نسميها الوظائف الاجتماعية، وفي هذا المجال يمكن مقارنة البنية الاجتماعية والوظيفة الاجتماعية من خلال تشريحهما مثل علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء بالنسبة للكائن الحي، وإذا كان "إيفانز بريتشارد" اهتم بالنشاطات الاجتماعية من زاوية البنية الاجتماعية في "المجتمع النويري" نجد أن "ريموند فيرث" اهتم بالنشاطات الاجتماعية ولكن من زاوية البناء الاقتصادي في "مجتمع تيكوبيا" نفهم من هذا أنّ البنية الاجتماعية عند "فيرث" تقوم على التخصص المهني باعتباره من المبادئ الأساسية في كل المجتمعات، وتقوم أيضاً على الاختلاف الطبقي، أو المرتبة الاجتماعية[2].

ومن العلماء الذي أشاروا إلى البنية الاجتماعية تحت مصطلح النظام الاجتماعي العام، "مارتن دال" (MARTINDAL) و"موناشيزي" (MONACHESI) الذين عرّفا النظم الاجتماعية بأنها: "تلك العلاقات التي تنعكس في قواعد السلوك التي ترتبط بين الجماعات الاجتماعية باعتبارها مجموعة من القواعد التنظيمية التي ترسي الأساس الذي ينهض عليه الفعل الاجتماعي، الذي ترتضيه الجماعة لتحقيق أهدافها، وكل مجموعة من هذه القواعد تشكل نظاماً معيناً، والنظام العام الذي يحوي هذه النظم في علاقاتها مع بعضها البعض". وهو ما أطلق عليه النظام الاجتماعي العام وعلى هذا فالنظام الاجتماعي لديهم يعني نماذج العلاقات الاجتماعية التي تألف ما بين مختلف الأسس المنظمة التي تكون النظم الاجتماعية.

أما عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت "بارسونز" PARSONS في دراساته حول "الحالة الراهنة للنظرية الوظيفية في علم الاجتماع" قدم تعريف للبنية الاجتماعية موضحا أنها: "عبارة عن مجموعة من العلاقات

[1]. عبد الحميد لطفي. الأنثروبولوجية، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر 2002، ص33.

[2]. عبد العزيز جاسم. تأملات الحضارة والاغتراب، الطبعة الاولى، بغداد، 1982، ص100.

بين أجزاء أي نسق حي، والتي يمكن ان تظهر على أساس امبريقي في شكل ثابت على امتداد فترة من الزمن". وبهذا المعنى فإن المحور الأساسي لأفكار كل من "براون" و"فيرث" نجد امتدادها لدى "بارسونز" ويقدم بارسونز تعريفاً آخر للبنية الاجتماعية مبيناً أنها: "مجموعة من العلاقات النمطية الثابتة نسبياً بين الوحدات، وحيث أن وحدة النسق الاجتماعي هي الفاعل، فإن البنية الاجتماعية هي نسق منمط لعلاقات اجتماعية بين فاعلين". وعلى أية حال فإن الخاصية المميزة لبنية انساق الفعل الاجتماعي، هي أن الفاعل في معظم علاقاته لا يشارك ككيان كلي، وإنما في ارتباط فقط بقطاع متباين معين من الفعل الكلي، مثل ذلك فإن الصياغة السابقة ينبغي تعديلها لتقول بأن البنية الاجتماعية هي نسق لعلاقات نمطية لفاعلين، وهم يقومون بأدوار في ارتباط كل منهم بالآخرين والدور هو المفهوم الذي يربط الأنساق الفرعية للفاعل بوصفه كياناً يسلك سلوكاً سيكولوجياً تجاه البنية الاجتماعية المميزة"[1].

تستند البنية الاجتماعية إلى عناصر التفاعل التي تدور بين سائر الأفراد. فالبنية الاجتماعية هي مبعث التصورات والمعايير المنظمة للسلوك في رأي "بارسونز"، كما أنها مصدر عملية التنميط التي تحدد السلوك الاجتماعي طبقاً لقوالب معينة يفرضها النسق الاجتماعي. والفارق بين النسق والبناء هو فارق في الدرجة، حيث أن السلوك داخل النسق الاجتماعي، هو جزء لا يتجزأ من نطاق آو مدار أوسع وأشمل هو إطار أو مجال البنية الاجتماعية، ويعرف أحمد أبو زيد بدوي البنية الاجتماعية بقوله "إنها نسيج من العلاقات الاجتماعية الدائمة المستقرة في المجتمع، والتي تبدو على هيئة أنساق متبادلة التأثير والتفاعل لكل منها وظائف اجتماعية، في الجماعات وبين الأفراد الذي تنظم علاقاتهم وتحدد أدوارهم التي تتباين بتباين المواقف التي يمارسونها، تلك المواقف التي تحدد بقواعد وإجراءات اجتماعية معقدة، كما أنها تتفاعل بالآخر داخل نطاق الجماعة أو المجتمع، بطريقة فيها كثير من الانسجام والاتساق"، كما عرّف أحمد زكي بدوي البنية الاجتماعية على أنها النمط المقرر للنظام الداخلي للمجتمع يتضمن مجموعة من العلاقات الموجودة بين أعضاء الجماعة، وبينهم وبين الجماعة أخرى وهي إطار المجتمع وعلاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية والتجمعات القائمة على أساس القرابة والجنس والسن والمصلحة المشتركة والمكانة والمنزلة، أو كنموذج مقام تبعاً لهذه العلاقة".

ثالثا: خصائص البنية الاجتماعية:

من التعريفات السابقة نستخلص الخصائص التي تميز البنية الاجتماعية في العناصر التالية:

[1]. عبد الفتاح تركي موسى. البناء الاجتماعي للأسرة، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، مصر،1998، ص252.

- **البنية الاجتماعية تتكون من أنماط العلاقات الاجتماعية**

تتضمن البنية الاجتماعية العلاقات الاجتماعية وقواعد السلوك وأنماطه المرتبطة بالبنية، والتي لا تحدث في فراغ بطريقة مستقلة أو عشوائية، بل يرتبط بعضها البعض بطريقة منتظمة. فعند دراستنا لبنية مجتمع معين نقوم بملاحظة العلاقات الاجتماعية في حدودها الواقعية المحسوسة والواضحة الملموسة، المحددة بزمان ومكان معينين. فقد تتمثل العلاقات الاجتماعية في الغالب في مجتمعاتنا بأنها علاقات قبلية أو أسرية أو علاقات عائلية أو علاقات فردية شخصية، حسب المجال العمراني الاجتماعي والبنية الاجتماعية.هناك اجماع بين علماء الاجتماع على أن البنية الاجتماعية عبارة عن شبكة من علاقات جماعة من الناس قد يضيق نطاقها أو يتسع حسب المجال والموقف الاجتماعي، ومثل هذه العلاقة تكون ذات طابع متبادل دائماً، لأن سلوك أي شخص من أعضاء الجماعة، يستمد معناه من علاقاته بالآخرين في تفاعل جماعي. ويرى علماء الاجتماع أن أنماط التوقعات هذه تعد أساس البنية الاجتماعية، ولكن من خلال إطارها الثقافي الذي يؤثر فيها، والذي يحدد طبيعتها والسلطة التي تنفذها وتحافظ عليها.ومن هنا فالبنية الاجتماعية لا يمكن ملاحظتها مباشرة، وإنما هي عبارة عن صورة علاقات اجتماعية محسوسة بين أفراد وجماعات مجتمع محلي بدوي، أو ريفي، أو شبه حضري، أو حضري. لأن لكل مجتمع بنيته الخاصة وشبكة علاقاته الاجتماعية التي تحكمه ويسير وفقها.

- **البنية الاجتماعية نسيج متشابك الأجزاء:**

إن البنية الاجتماعية هي كل متكامل ونسيج متجانس الأجزاء، وتعد دراسة أجزاء البنية الاجتماعية من أهم خصائص الأنثربولوجيا الاجتماعية، وذلك بالكشف عن العلاقات المباشرة وغير المباشرة التي توجد بين أجزاء البنية الاجتماعية، وفي هذا نجد "لندبرج" (LUNDBERG) يؤكد على أن البنية الاجتماعية ما هي إلا نظم اجتماعية تمثل في نفس الوقت الأنماط السلوكية الرسمية العامة والموحدة، والتي تعبر عن بقائها من خلال الجماعات الاجتماعية التي تتوارثها. ويرى أن دراسة النظم لابد وأن تكون من خلال الجوانب البنائية والوظيفية الأساسية لكل نظام، والأدوار الرئيسية فيه، وسماته البنائية والرمزية ودوره الوظيفي في إطار الكل الذي يحتويه، فإدراك العلاقات المتبادلة لجميع النظم أمر جوهري لفهم الحياة الاجتماعية.

من هنا فإن دراسة النظم لا بد أن تكون من خلال علاقاتها المتبادلة وخصائصها العامة. ذلك لأن كل مرّكب رئيسي من النظم إنما يشارك في حياة المجتمع، ويساهم فيها بعدة طرق، فهناك النظم القرابية

والنظم الاقتصادية والنظم السياسية والنظم الثقافية، ولا شك أن لكل مجتمع نظمه الخاصة التي تتفق أو تختلف مع غيره من النظم السائدة في مجتمعات أخرى، من حيث المكونات أو الوظائف وتبعاً لمتغيرات الزمان والمكان والظروف الايكولوجية ودرجة التطور الثقافي. فثقافة المجتمع البدوي ليست كثقافة المجتمع الحضري الذي يتمتع بدرجة عالية من التطور التكنولوجي.

وتوجد مظاهر أخرى للتغير في البنية الاجتماعية نذكر منها التغير في العلاقات الاجتماعية من يوم لآخر نظراً لتغير الأفراد وتغير الزمان والمكان، وتختلف سرعة هذا التغير، فقد يكون بطيئاً في المجتمعات البدوية بينما يكون سريعاً في المجتمعات الحضرية، أما المجتمعات النامية فتتغير بمعدل متوسط، وقد يحدث أن تتعرض البنية الاجتماعية لمؤثرات قد تكون من داخل المجتمع أو من خارجه يترتب عليها حدوث تغيرات سريعة في بعض أجزائها. ويمكننا أن نستنتج بأن البنية الاجتماعية تمثل كل أو نسيج اجتماعي تحوي بداخلها مجموعة من العناصر المتفاعلة بنائياً ووظيفياً، كونها في النهاية تمثل الإطار العام الذي يحتويها. ومهمة عالم الاجتماع والباحث الاجتماعي دراسة عناصر هذا البناء[1].

- **البنية الاجتماعية تتميز بالاستقرار والاستمرارية**

نكتشف من بعض التعريفات السابقة لمفهوم البنية الاجتماعية أنها مستقرة وثابتة نسبياً. إذ أن من أهم شروطها، الحفاظ على تماسكها واستمراريتها لفترات طويلة من الزمن. ولكن هذا الاستمرار لا يقصد به الجمود، بل الاستمرار المتغير، كما هو الحال بالنسبة لاستمرار البنية العضوية للكائن الحي، بحيث تشمل فكرة البنية الاجتماعية على الاستمرار من حيث العلاقات الارتباطية المعقدة في علاقات وظيفية تتحرّك من خلال إطار ثقافي عام يعتبر ملزماً اجتماعياً إلى حد كبير.

والبنية الاجتماعية بهذا المعنى عبارة عن نمط متحرك من العلاقات الاجتماعية المتبادلة تستمر خلال الزمن وإدراك العلاقات المتبادلة، كونها أمر جوهري لفهم الحياة الاجتماعية. ومن هنا فالتفاعل الاجتماعي يعتبر أساس العملية الاجتماعية ويشكل العامل المركزي في كل الحياة الإنسانية الاجتماعية. وإذا كان التفاعل يتم عن طريق العمليات الاجتماعية في إطار البنية الاجتماعية الذي يحتويها، والتي تتراوح ما بين التنافس والصراع، والتكامل والتعاون، والتوافق والتمثيل... إلخ. فإن تلك العمليات تبدوا دائماً متداخلة ومتفاعلة في إطار عملية التفاعل العام، وتعد الثقافة هنا عاملاً هاماً في الحياة الاجتماعية، فالمعايير الاجتماعية تلعب دوراً جوهرياً في تنظيم السلوك عن طريق طرح مجموعة من التوقعات لأنواع السلوك

[1]. دلال محسن ستيتة. التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن، 2004، ص211.

المختلفة التي نفترض أن يسلكها الأفراد في إطار الموقف الاجتماعي. فالثقافة هنا لا تمثل مجرد مجموعة واحدة متجانسة من المعتقدات بقدر ما تمثل قيماً متنوعة تتميز بقدر من الشيوع والقبول. والفعل الاجتماعي هنا يلعب دوراً هاماً في تطوير البنية الاجتماعية من خلال عمليات الخلق والإبداع والابتكار، ودور القيادة والدولة في تغيير المجتمع وتعديل النظم الاجتماعية. ويمكن أن نستدل في ذلك بمثال تدخل الدولة في تغيير النظم والبنى الاجتماعية من خلال إدخال التكنولوجيا الحديثة، في تغيير بعض البنى الاجتماعية كعملية تغير اجتماعي مقصودة من خلال التخطيط، تتم من خلال مجموعة من السياسات الاجتماعية التي تهدف في النهاية إلى إحداث مجموعة من التغيرات لتحقيق مستويات من الأهداف.

إن معظم عمليات التغير الاجتماعي الثقافي سواء كانت بالاستعارة أو التمدين أو الانتشار أو التثاقف فجميعها تنبع من عمل الإنسان، ويحدث التغير في البنية الاجتماعية في أجزائها أو في بنائها الكلي أو في عناصرها، أو في مضمونها الثقافي المادي أو المعنوي كما تشمل فوق ذلك كل التغيرات التي تحدث في النظام الاجتماعي، فالبنية الاجتماعية لا تُعد جامدة ولا ثابتة، ولا تخضع للتغير، و لا تقبل به، بل إنه يتغير عندما يتغير حجم المجتمع أو مع اتساع ونمو المدن، أو مع انتقال المجتمع من مرحلة الإقطاعية إلى الصناعية أو مع انهيار النسق الاقتصادي حسب قول "موريس برك"، أو عندما تحصل تغير في شكل البنية، فتتغير وظائف أنساقها كما قال "كنجزلي ديفز" (DIVES)[1] أو عندما يحدث تحول في نمط التفاعلات الاجتماعية والفعل الاجتماعي، وما ينجم عنها من آثار تنعكس على معايير وقيم المجتمع، ورموز ثقافته حسب اعتبار "ولبرت مور" (WELBERT). وبتعبير أوضح يولد التغير الاجتماعي في أحد انساق البنية الاجتماعية، أو في أحد فروعها الذي يؤدي إلى تغير وظيفة النسق البنائي، أي يحصل تغير في بنية النسق ذاته، وهذا يشير إلى حركية انساق البنية وما تشكله من سمة لها، مؤكدة بذات الوقت بأن الثبات والجمود لا يعكس سماتها. فمثلاً البنية الاجتماعية للمجتمع البدوي تظهر في عملية التثاقف والتكيف مع الحياة الحديثة، سواء في المدن أو عبر تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة هذا ما يؤدي إلى تغير نسبي داخل البنية البدوي في تطور بعض وظائفها ونشاطاتها، وأيضاً قد يحدث تغير في البنية الحضرية بمجتمع المدينة سواء تغير متقدم أو متأخر إلى الوراء وذلك بفعل التكنولوجيا والثقافة الحديثة، ففي بعض المدن قد يتراجع التغير وتلاحظ بعض ملامح الثقافة الريفية والبدوية بالوسط الحضري، هذا ما يؤدي إلى تصادم في التثاقف وتتغير الأفعال الاجتماعية والسلوكيات والتصورات...إلخ.

---

[1]. عبد الفتاح تركي موسى. مرجع سابق. ص253.

وخلاصة القول مما سبق أن دراسة البنية الاجتماعية من وجهة النظر التحليلية، بدراسة متعددة الجوانب فإذا كان "راد كليف براون" يؤكد على دراسة البنية الاجتماعية بجوانب الشخصية، ويركز على العلاقات الثنائية بين الأشخاص. فإن "إيفانز بريتشارد" لا يرى في البنية الاجتماعية إلا الجانب الثابت لدراسة الجماعات الاجتماعية وأنشطتها في مجال البناء السياسي. والتي تتميز بدرجة عالية من الديمومة والتركيب بينما نجد "ريموند فيرث" يقتصر على دراسة العلاقات المثالية، وعلى أهمية التوقعات السلوكية في الحياة الاجتماعية، والتي منحها طابعها المادي الاقتصادي. أما "بارسونز" فوجدنا أنه يرى بأن السلوك البنائي للأفراد الفاعلين، هو السلوك الذي يخضع للنزعة الكلية والجمعية وفقاً لأنساق التفاعل وطبقاً لقواعد التوقع.

ولأن الاتجاه الغالب في دراسة البنى الاجتماعية، إنما هو تقسيم المجتمع الكلي إلى عديد من المجتمعات المحلية، أو البنى الاجتماعية، وكل بنية جزئية يمكن أن تتكون من نسق قرابي (قبلي عائلي، أسري، فرداني) ونسق اقتصادي (رعوي، فلاحي، تجاري، صناعي)، ونسق ثقافي (تقليدي حديث) ونسق سياسي، ونسق اجتماعي...إلخ" وقد استخلص أحمد القصير المبادئ المنهجية لدراسة البنية الاجتماعية، ونحن بدورنا نلخص ما استخلصه في النقاط التالية:

أولا: المبدأ المنهجي القائل بأن العلاقات الاجتماعية ينبغي تحليلها بوصفها تشكل أنساقاً، وأن المجتمع كنسق يتكون من أجزاء مترابطة، وأن مفهوم البنية مدخل لدراسة المجتمع ككل متكامل.

ثانياً: المبدأ المنهجي القائل بأن البنية الاجتماعية لا يمكن اختزالها في مجموعة العلاقات الاجتماعية أي أن العلاقات ليست تعبيراً مباشراً عن البنية، وفي هذا الصدد يظهر الاتفاق بين البنيوية والماركسية. بينما ترى الوظيفية أن البنية هي المجموع العام لأجزائها، أي أن العلاقات الاجتماعية هي التعبير المباشر عن البنية[1].

ثالثاً: المبدأ المنهجي الذي يرى أن البنية لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر، إنما دراسة البنية تقتضي البدء بتحليل العلاقات الظاهرة، والأداء الوظيفي الظاهر لمكوناتها، حتى يمكن الوصول إلى المنطق الخفي للبنية المتخفية، فهي ذاتها وراء العلاقات الاجتماعية الظاهرة، وطبقاً لهذا المبدأ المنهجي فإن ما هو مرئي إنما يخفي واقعاً آخر أعمق غير ظاهر، وتمثل مسألة اكتشافه مضمون المعرفة العلمية.

[1]. دلال محسن ستيتة، مرجع سابق، ص213.

رابعاً: المبدأ المنهجي القائل بأن تحليل البنية في حالتها الراهنة نسق يدرس أصلها وتطورها، وهو المبدأ الذي اصطلح على تسميته بأولوية المعالجة الآنية على المعالجة عبر الزمن.

خامساً: يتمثل هذا المبدأ في دراسته البنية الاجتماعية على اعتبار أنها أسلوب الحياة الاجتماعية للناس والعنصر الأساسي في تحديد أشكال البنى الأخرى " سياسية، قانونية"، غير أن ذلك لا ينفي الاعتماد والتأثير المتبادلين بين العناصر المختلفة للبنية الاجتماعية، فضلاً عن الاستقلال النسبي لكل عنصر داخل البنية.

سادساً: يعتبر المبدأ المنهجي هذا أن عوامل تطور البنية إنما تكمن في تناقضاتها الداخلية، والأنماط المميزة للتحولات التي تحدث داخل البنى الاجتماعية هي التي تمكننا من التمييز بين أنماط مختلفة من المجتمعات، والماركسية هي التي تنفرد بهذا المبدأ.ومن خلال فهم المبادئ المنهجية الستة، يتبيّن لنا أن دراستنا الحالية يمكن لها أن تتبنى بعض من هذه النماذج المنهجية كمنطلقات نظرية. فيمكننا إسقاط المبدأ المنهجي الأول في واقع مجتمعاتنا الحالية، وهي بأن العلاقات الاجتماعية ينبغي تحليلها بوصفها تشكل أنساقاً، وأن البنية الاجتماعية تتشكل عن طريق العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وهذا ما يتضح في تمايز نمط العلاقات الاجتماعية بين العمران البدوي والريفي وشبه الحضري والحضري. كما يمكننا تبني المبدأ الثالث الذي يقول بضرورة دراسة العلاقات الظاهرة حتى يكون بالاستطاعة الوصول إلى العلاقات الخفية. وهذا ما يتضح في ميدان دراستنا أين نلاحظ أن العلاقات الاجتماعية بالمجال الحضري تبدو علاقات اجتماعية سطحية وفردانية، إلا أن البنية الخفية ودراستها تبين ظهور علاقات اجتماعية عشائرية وقبلية وعائلية وأسرية وفردانية تتقسّم في المجالات العمرانية باختلاف البنى الاجتماعية. أما إسقاطنا للمبدأ المنهجي الخامس والذي يتمثل في دراسة البنية الاجتماعية على اعتبار أن أسلوب حياة الناس هو العنصر الأساسي في تحديد أشكال البُنى الأخرى، خصوصاً ان دراستنا تنطلق من تحليل اختلاف البنى الاجتماعية بين بنى اجتماعية بدوية وريفية، وأخرى شبه حضرية وحضرية.ولأن الاتجاه الغالب في دراسة البُنى الاجتماعية، هو تقسيم المجتمع الكلي إلى العديد من المجتمعات المحلية أو البني الاجتماعية. وكل بنية جزئية يمكن أن تتكون من نسق قرابي (قبلي، عائلي، أسري، فرداني) ونسق اقتصادي "رعوي، فلاحي، تجاري صناعي). ونسق اجتماعي وثقافي.

رابعا: تصنيف البنى الاجتماعية:

اختلف العلماء حسب وجهة نظر كل منهم، في تصنيف البنى الاجتماعية إلا أننا سنتطرق إلى جملة من التصنيفات، فقد فرق العلماء بين البنى الاجتماعية الموجودة في المجتمعات المتجانسة، والبنى الاجتماعية المتواجدة في المجتمعات المتحضرة. ففي الأولى تقوم العلاقات الاجتماعية على أساس دموي قرابي كما تميل النظم الاجتماعية للقيام بواجبها وبوظائفها داخل إطار القرابة. أما في المجتمعات المتحضرة فتضعف حدة سيطرة الجماعات القرابية على أنشطة السلوك الاجتماعي، إذ نجد المدارس ودور العبادة، والمؤسسات الخدماتية والاجتماعية هي التي تقوم بهذه الوظائف، حيث تحكم سيطرتها على الأفراد بواسطة العدالة والضبط الاجتماعي، ولهذا فدائماً ما نقول بأن الحدود التنظيمية في المجتمع الحضري متمايزة ومرئية عمّا هي عليه في المجتمعات المتجانسة.

خامسا: الأنماط العمرانية المحلية وخصائصها السكنية

1. المسكن

إذا كان العمران هو أول تعبير وتواجد للمجتمع داخل المجال، وإذا كانت مدخلا لفهم البعد الحضاري والجماعي، فإن المسكن هو المساحة الأكثر داخلية للمدينة والعمران، وهو الذي يتواجد في الإطار الاجتماعي العام، ولقد كانت حسب العلماء دراسة المدينة مدخلا لدراسة جغرافية المسكن التي لا تعتبر مسألة حجز مساحة أو مكان مميز فقط، بل أنها جملة علاقات وممارسات وأحلام ومشاريع كما يعد المسكن بنية نفسية تعبر عن شخصية صاحبها، ومن خلاله يمكن القول أن التنظيم والتعبير في البناء ما هو إلا تنظيم وتغيير لذات الشخص ولقدراته ولدوره في محيطه، إذ أن كل تحرك للإنسان داخل مسكنه ما هو الا نتاج شخصي يذهب أبعد من الظاهر، وهو مبدأ أساسي برأي ELEB[1] والبناء السكني " العمارة " في نظره عبارة عن عمل يحمل معاني الاندماج، ويستعمل في اللغة العربية كلمات " بيت، مسكن، منزل " وكلها تحمل معنى الإقامة في المكان، أما البيت فهو اسم لمسقف واحد له دهليز يتخذ مأوى للإنسان أو البهائم سواء كان من حجر أو غيره وقد سمي البيت لاقترانه بمعنى العائلة لأنه رمز للعائلة، ومع ذلك يقترن اسم البيت باعتباره اسما مركبا " بيت الدين، بيت لشباب، بيت الله الحرام، أما المنزل فيعني مكان النزول من ينزل نزولا ومنزلاً فهو يحل عليه ضيفا أي يحل بالمكان، والمسكن هو المنزل والبيت مكان السكن وجمعها مساكن، أن تسكن منزلاً أي تقيم فيه وتتوطن، أما كلمة دار فهي كلمة لها دلالة دينية

[1]. حسين عبد الحميد رشوان، مرجع سابق، ص84

ترددت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وجمعها دور وديار وهي تستخدم لذكر الدارين " الدار الدنيا و الدار الآخرة ونقول دار فلان أي بيت فلان، حتى أن كلمة بيت بهذا المعنى تشير إلى البيوت المقدسة "بيت الله" ولكن نظرا لارتباط هذه الدراسة بفعل الإقامة والتوطن وما تحمله من معاني الديمومة والاستمرارية في العلاقة مع المكان والمجال السكني أكثر من النزول أو الحلول أو حتى الإقامة المؤقتة، ولهذا فكلمة مسكن هي المصطلح الذي يجيب على البعد العمراني والاجتماعي والأنثروبولوجي والثقافي والنفساني الذي نحن بصدد بحثه، وأول من تطلع لدراسة السكن والمسكنBACHE LARD و LE FEBVREضمن إطار تحليلي وظائفي فالمسكن هو خلق مساحة يومية وإحاطة بسلسلة واسعة من العلاقات والمشاهد التي يجب اكتشافها، وبذلك فإن ساكني المنزل يكونون في علاقة مع النسق الاجتماعي ومع أنماط جماعية أو عصبية يرتبطون فيما بينهم وبشكل خاص مع عائلاتهم بمركبات علائقية وأدبية معينة، فالساكن يعيش علاقات قرابية وجوارية مع محيطه، وعلاقات حب وكراهية اتجاه مسكنه، وقد تصل هذه العلاقات لتمس علاقة الساكن بمسكنه مع ما يحيط به خالقا بذلك علاقة بمسكنه الذي يرتبط بدوره بالجماعة FORME DE HABITAT FORME DU GROUPE ويعبر المسكن عن المكان كنموذج من نماذج التعلق الفردي والجماعي بالمجال، وهذا ما يجعل التعرض للمسكن وفلسفته قريب من التعرض للسكان ففكرة المكان لم تؤثر لغويا بل أثرت اجتماعيا ونفسانيا وأنثروبولوجيا، ولأن نهج فلسفة السكن هو نهج دفعنا إلى استعراض مجموعة من الفلاسفة الذين عالجوا فكرة السكن من أبرزهم غاستون باشلار G.BACHELARD[1] الذي تعرض لفكرة المسكن من ذكره لخصوصيته وملامح تصميمه التي توحي بالخصوصية " وهذا ما عبر عنه بقوله" المسكن هو مكان الطفولة ومركز تكييف المجال والخيال " كما عبر BACHELARD في كتابه " جمالية المكان LA POETIQUE DE L'ESPACE عن المسكن وأنه المساحة المحببة الأولى لنا، وأنه حامي القيم والحميمية يترك فينا وعبر مختلف مراحل حياتنا الذكريات والأحلام التي ترتبط بداخله قيم فردية خاصة، ذلك أن المشاعر تسكن فينا ومعنا، ويحمل المسكن أول طلة لنا على العالم منذ الولادة، كما يقول باشلار G.BACHE LAR أن المنزل هو الأكثر قرباً إلى الإنسان غالبا ما يكون مسكن الريف وليس مسكن المدينة وهذه الجملة لها دلالة بالنسبة لفروق العيش بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية حسب طبيعة كل بيئة وعاداتها وتقاليدها، فالمسكن الريفي يمتاز بالحميمية وبالمشاركة الجماعية لأفراد الأسرة ومن يحيط بها بعلاقات متضامنة تعكس طبيعة العلاقات الخارجية، صاغ بدوره لوفيبر H.LEFEBVRE تحليلاته عن المجال

[1]. علياء شكري. قراءات في الأسرة ومشكلاتها في المجتمع المعاصر، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ص54.

المنتج والمبني حولنا من خلال تساؤله عن مبدأ " السكن" وفعله حيث حث على ضرورة إيجاد مقاربة تحظى أو تهتم بالمجال المبني، لا تحد بعلاقة ما بين الطبقة الاجتماعية وبنمط المسكن وكيفية احتلاله، بل تدرس المسكن كمجال تنظم فيه الحياة الخاصة والعائلية وليس فقط الهندسة، كون المسكن تحكمه مقاييس ثقافية وليس فقط المقاييس الشكلية والمعيارية، ولأن المسكن يعد مكانا لتحرك الحياة اليومية وهو دائم التطور، وهذا التطور يدفعه إلى التحول والتغير اجتماعيا من خلال الممارسات اليومية المتنوعة " قرابة، جيرة " وهذه المسألة ذات بعد إنساني تختلف باختلاف البيئة الاجتماعية، فحسب تعبير لوفيبر "المسكن عبارة عن علاقة لغوية وذلك عبر إشارات وأنساق وهذه اللغة هي لغة المسكن " عبر طقوس الملبس والمأكل ولم يفصل LE FEBURE في كتاباته بين المسكن الريفي والمديني لأن المدينة الحديثة المعاصرة تنقسم إلى ثلاثة مستويات " مستوى سكني، مستوى مؤسساتي ومستوى مختلط، حيث تنظم بمستواها السكني مفهوم الإنسان وأفعاله الأساسية "أكل، شرب، نوم تكاثر وهو ما يؤدي إلى التنوع الاجتماعي بين البشر وإذا كان المسكن بالنسبة لـ G.BACHELARD هو حلم يقظة ومساحة وإطار لمرحلة الطفولة حيث التعرف على العالم الخارجي والطبيعة فإنه بالنسبة LE FEBURE مكان متعدد الوظائف من هنا تطرح إشكالية الفرد في علاقته بمحيطه ومنطقته؟ أما بالنسبة إلى موريس MORIS وكغيره من الطوباويين الخياليين فإن المسكن جزء من كل واسع يعني العيش في حضن المجتمع والدخول في المجموعة، وقد بيّن موريس MORIS طوباويته على أساس مثالي وهو حل التعارض ما بين الريف والمدينة والتحول إلى عالم يسوده الانسجام والمصالحة، وتقل فيه الصراعات كونه عالم يختلف في علاقاته بمؤسساته وبمساحته السكنية وقد حدّد BACHELARD المسكن بجدرانه أما MORIS AND LE FEBURE فلم يستغنيا عن ربط المسكن بالمحيط الاجتماعي لأنه المكان المفضل للفرد في العالم أما HOCDERLIN و HEIDEGGERالفيلسوف فيقول مع HOLDELRIN أن الإنسان يسكن العالم الكبير وهما هنا يريدان إضفاء الصبغة الاجتماعية على المسكن.

2. الشكل العمراني وأسلوب العيش

ونصل إلى نظرة أخرى لها صبغتها الفلسفية من خلال ما جاء به رابوبور A.RAPOPORT وهو باحث أمريكي ربط بين شكل البناء وبين طريقة وأسلوب العيش، وهذا ما يظهر بوضوح في المسكن حيث إقامة الإنسان وحيث الدلالة على التنظيم الاجتماعي. LORGANISATION SOCIALE، فالأبنية هي نتيجة التفاعل بين الإنسان والطبيعة والتوزيع الجغرافي، وماهي إلا صورة عن الثقافة الخاصة ويعتقد A.REPOPORT أن الصلة تتضاعف ما بين السلوك والشكل، ففهم مظاهر السلوك من ميول وأماني

ومشاعر، أمر أساسي لفهم الشكل المبني LA FORME. BATIE الذي بدوره مادة كل مظاهر السلوك، وقد أتى كتاب رابو بور[1] الأساسي عن المسكن كحصيلة دراسات متنوعة انطلقت من زاوية خلق أنماط وأشكال مدينية تعاني من قلة الكتابات حولها. فكان عمله يجمع بين اختصاصات كثيرة لم تقتصر على عمل المهندس المعماري، بل على دراسته السلوك من خلال كتابه ANTHROPLOGIE DE LA MAISON والذي ركز فيه على أن البناء يخضع لقوى مختلفة اجتماعية وثقافية وعلاقات داخلية وخارجية والسؤال المطروح كيف تأثر المتغيرات الثقافية المتمثلة في السلوك الاجتماعي على المتغيرات المحيطة والتي تظهر عبر الشكل المبني؟ ويرتبط الشكل بعدة عوامل تعكس القيم المجتمعية خاصة أن المسكن مؤسسة وليس مجرد بنية وشكل مادي، لأن بناءه ظاهرة ثقافية معقدة باعتبار أن الثقافة مجموعة من العادات والأفكار والمعتقدات والنشاطات السائدة في المجتمع، ومن أهم ما يميز هذه الظاهرة المعكوسة عبر الشكل وكما يراها RAPOPORT.

- **الحاجات الأساسية:** في البناء كإيجاد المطبخ، الحمام، مكان الطعام والجلوس والوقوف ومكان الإضاءة، وكلها ترجع لعادات الشعوب والمجتمعات "إن المنزل الشخصي يعكس المشاعر والقيم الشخصية أو الجماعية كما سماها YONG، التي تتركز وتتأكد في الذات البشرية حتى لو لم يبني الإنسان منزله بنفسه ويظهر المناخ CLIMAT بالنسبة إلى RAPOPORT في غاية الأهمية من خلال أمثلة أعطاها ووجد من خلالها أن خاصية البناء البدائي اشتهر بالتأقلم المطلق مع المناخ فدعا إلى عدم إهمال هذا المتغير وإلى وصفه في إطاره المحدد، كما شكلت مواد البناء والتكنولوجيا عامل من العوامل المتغيرة أيضا والتي تدخل في صلب عملية تطور المجتمعات وركز رابوبور على التوجهات الدينية التي يمكن لها أن تؤثر على استعمال تلك المواد . وقد كانت المساكن البدائية تبنى من المواد البسيطة التي الممكن الحصول عليها والتي يسهل حملها وتقطيعها، أما اليوم وفي المساكن الحديثة أصبحت المواد الجاهزة أو المصنعة أو القوية والأكثر ديمومة هي السائدة والمسيطرة.
- **الأسرة:** تلعب الأسرة دوراً أساسيا من حيث الدور الذي تفرضه في المجتمع وهي ترتبط بالنوع والبنية الخاصة بها " فالعائلة الواسعة الممتدة مثلا تتطلب منزلاً واسعاً".
- **مركز ووضعية المرأة:** فالمرأة لها دور كبير داخل المسكن، لأن وجودها داخل المسكن جزء من التنسيق العائلي، ويبرز دورها عبر البنية والشكل المنزلي.

[1]. السيد الحسيني. الطبقة الاجتماعية والسلوك الإنساني دراسات سكانية، القاهرة، 1972، ص200.

- **الحاجة للحميمية:** التي ترتبط بدورها بالمرأة وبالمسائل الجنسية، فكلما تزايدت هذه الحاجة كلما ازداد التطلع لبناء العمارات والزوايا الأكثر استقلالا، خاصة أن الثقافة أعطت لهذا المفهوم أهمية كبيرة واعتبرته رمزاً لإبراز الواقع الاجتماعي، وقد عرّج حسن فتحي على مفهوم الحميمية قائلا بأن مجرد الابتعاد عن الداخل" المسكن" والخروج عنه يفقد المسكن تلك الحميمية، فالمكان حسب حسن فتحي هو الذي يمكنه أن يثير الحميمية أو يلغيها.
- **العلاقات الاجتماعية:** تعد العلاقات الاجتماعية داخل المسكن من أهم مقومات الارتباط داخله والتي تتم بين أفراده، وقد جرت العادة أن تكون غرفة الجلوس مكان للعلاقات الاجتماعية، وإن كان هذا المقوم بدأ يتقهقر بفعل تراجع دور العلاقات الاجتماعية داخل المسكن وانتشارها أو انتقالها خارجه مثل الأماكن العامة " أماكن التسلية والترفيه.

وإذا انتقلنا إلى بول هنري شامبار دولو **PAUL HENRI CHANBART DELAWE**[1] فلابد من إبراز جهوده في المجال الخاص وتفسيراته الثقافية للمسكن، الذي اعتبره انعكاسا لتطلعات الأسرة والمجتمع وترتبط تفاصيل المسكن وحاجاته برأي CHAMBART DE LAWE بنظرة الأفراد لواقعهم ولانتماءاتهم الاجتماعية. أما أهم مكان يترعرع فيه مفهوم السكن هو داخل مؤسسة الأسرة. فكلما تطورت احتياجات الأسرة ازداد التحول في شكل السكن والمساكن " التحول من المجتمعات التقليدية الى المجتمعات الصناعية وركز CHAMBART DE LAWE على الأسرة الصغيرة وليس الكبيرة لأنها في رأيه النموذج الذي يؤدي إلى التحول الاجتماعي الحاصل حاليا، لما توفره من راحة وهدوء لأعضائها داخل المسكن وهذا لا يوجد في الأسرة الكبيرة، خاصة إذا كان المسكن عبارة عن فن وعلم وهذا ما اعتمده المهندس المعماري الفرنسي أوليفيه مارك OLIVIER MARK في دراسته للمسكن الذي اعتبره لغة اجتماعية جماعية نكتشفها عبر التحليل النفسي فكان كتابه LA PSYCHANALYSE – LA LAMAISIN PSSYCHOCOGIE DE أهم وثيقة أكدت بوضوح توجهه النفسي من خلال استخدامه المعاني التحليلية، وقد شكل المسكن بالنسبة لـOLIVIER MARK ملاذاً وحماية، إضافة إلى كونه عمل إبداعي كبير وشبه مارك المسكن بولادة الطفل من بطن أمه، فعندما نبني مسكنا فإننا نخلق مكان آمن يتمتع بالهدوء والسلام والأمان، تماما كتلك الصور التي نعيشها في بطن الأم وما توحيه لنا من طمأنينة والابتعاد عن العدوانية، وعليه يرى MARK أن العالم الخارجي بمثابة مهدد للبقاء، هذا الشعور أصبح مبعث قلق للإنسان. وعليه فإن المسكن وحدة حميمية داخلية ومنه انبثق المعبد والقصر

[1] سلوى محمد سعيد، السكن والمسكن والبيئة، جدة، 1986، ص36.

والمسرح والمسجد والكنيسة، وهي كلها عبارة عن تعابير فضائية ومجالية وشكلية ركز MARK على أن فهمنا للتطور النفسي للإنسان هو أساس فهمنا للمسكن ولجذوره، وهذا لا يعني إلغاء أهمية المناخ خاصة في تأقلم الساكنين لكن شكل المسكن لا يستوحى من المناخ فقط بل من النفس البشرية، وبالرجوع إلى التحليل النفسي نجد أن الدلالات غنية لتفسير مبدأ السكن والأحلام التي تدور حول المسكن، فما هي إلا أقنعة للوصول إلى الذات وإلى الوجود والنفس والروح LA PSYCHE وبالتالي المسكن عبارة عن روح جماعية وتنظيم داخل وسط طبيعي، وأن المسكن نتاج الأرض والحياة ومن هنا يمكن القول وحسب MARK[1] ما ينتجه المسكن من وعي إنما يعد فردي وجماعي في نفس الوقت. فراحة النفس برأي مارك MARK هي في المسكن في داخله وعبر أجزائه وعناصره، وللتأكيد على فكرته استشهد MARK بقول يظهره كمحلل نفساني "إننا عندما نقوم بالتحليل النفسي فإننا بذلك نبني للإنسان مسكنه FAIREUNE PSYCHANAALAYSE C'EST CONSTRUIRE SA MAISON هذه أهم التحليلات الفلسفية والنفسية التي ظهرت لتحليل المسكن ودوره على الصعيد الإنساني والاجتماعي وذكر أبعاده الاجتماعية، لكن هذه التحليلات لم تتوقف عند هذا الحد بل اتسعت لتشمل أعمال حسن فتحي الذي احتل اسمه موقعا كبير في علم الهندسة المعمارية العربية، مستخدما في تحليلاته الهندسية البعد الثقافي ما ساعده على إعادة اكتشاف المحيط والبيئة دون أن يهمل عناصر الهندسة المعمارية الإسلامية وإعادة توظيفها بطريقة إيجابية فكان يبحث دوماً عن إيجاد مادة للبناء تتوافق ليس مع المناخ والمحيط فقط بل أيضا مع الحاجات الاجتماعية والتراثية للناس المقيمين، وقد كانت فكرة العمل الأكثر إنتاجا لديه طريقة العمل التعاوني مراعيا العلاقات ما بين الدين الإسلامي وشكل المسكن وتخطيط المدن الإسلامية، خاصة في علاقتها الاجتماعية والقدسية مع المسجد لأنه إرث يجب المحافظة عليه برأي حسن فتحي وبعد كل ما قيل. المسكن هو البناء الذي يأوي إليه الإنسان ويشتمل على كل الضروريات والتسهيلات والتجهيزات والأدوات التي يحتاجها أو يرغب فيها الفرد لضمان تحقيق الصحة الطبيعية والعقلية والسعادة الاجتماعية له ولأسرته.

عرفت بدورها خبيرة الإسكان والعلوم المنزلية في الهند " ليتا بان LITA BANE المسكن على أنه المكان الذي يقيم فيه أفراد تجمعهم روابط الحب والتعاطف، وهو المكان الذي تنبع منه علاقة المحبة بين الأبوين وكل أفراد الأسرة وتجعلهم أكثر سعادة، وهو المكان الذي يتم فيه استضافة الأهل والأصدقاء ويتم فيه ممارسة مختلف الهوايات ويحفظ فيه المال، وهو أيضا مكان يستطيع فيه الفرد أن يشبع فرديته. أكثر

[1]. فاخر عاقل. أسس البحث في العلوم السلوكية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1988، ص211.

من ذلك المسكن مكان لحفظ الثقافات الأساسية ومكونات العادات واللغة والتقاليد التي تنتقل إلى الأجيال، إضافة إلى كونه يوفر الاحترام والعطاء والوفاء والخلق والابداع فقد اعتبر المسكن ومنذ القديم أحد الحقوق الأساسية والمشروعة للإنسان. وهذا الحق يتسم بأهمية قصوى بالنسبة لما يحيطه من أحياء وأماكن شعبية وتقليدية نحن بصدد دراستها في جانبها الميداني وعرضها على الصعيد النظري. وأنا أريد إبراز أهمية المسكن الذي يعد أحد القيم الاجتماعية التي ترمز إلى الهوية والشخصية الأسرية، وهو فوق ذلك دليل انتماء قديم جداً عاشت فيه العائلات ومارست فيه نظام الأسرة الأبوية وجميع الأعمال من اجتماع وأعمال يومية، ساعدت كممارسات على زيادة تماسك أفراد الأسرة، ولأن المسكن تطور عبر التاريخ في جميع المجتمعات بدوية ريفية، حضرية ولم يكن دوره محصوراً في تحقيق ضروريات الحياة من مأكل ومشرب ومنام فقط، فمثلا الإنسان قديما حصل على مأكله خارج المسكن ولم تكن الوظيفة الأولى أساسا هي الراحة الجسدية، لأن ذلك كان يمكن أن يتم خارج المسكن ، فيبدو أن المسكن كان في أصوله الأولى الأداة الحضارية التي تغلب بها الإنسان على الظروف المناخية والطبيعية واستطاع بناء أنماط من المساكن التي تحميه من شر الطبيعة " حرارة، رطوبة، أمطار، برودة" إلى جانب الحماية من قوة الطبيعة فلا شك أن وظيفة المسكن شملت حماية الإنسان من أعدائه وبالتالي بروز العامل الدفاعي في بناء المساكن، فلهذا تطور المسكن بسرعة بدأً من الكهوف التي استخدمت من طرف الإنسان البدائي للسكن. ولكون المسكن استحوذ على درجة عالية من الخصوصية، فقد جاء بناءه تلبية للاحتياجات البيولوجية التي شكلت ضرورة رئيسية منذ القدم، ما يؤكد أن فكرة الخصوصية بدورها فكرة قديمة نشأت لتغطية الاحتياج البيولوجي، وفيما عداه لم تكن هناك حاجة إلى الخصوصية بين أفراد المجتمع من الجنسين ومن الأجيال المختلفة. فالحياة في ظل الأنماط الاجتماعية والاقتصادية ساعدت على نشأة النظام الأبوي وكانت تظهر في صورة تجمعات منفتحة على بعضها في حياة اجتماعية تشاركية، لكن بقيت مسألة الشكل التي ركز عليها RAPOPoRT وأخذها بعين الاعتبار الكثير من الباحثين ومنهم رفعة الجادرجي[1] الذي قال في هذا الصدد" أن المحتوى يولد الشكل والشكل هو الذي يولد المحتوى" فمسألة الشكل بالنسبة إليه ظاهرة تعكس المطلب والحصيلة المادية لتفاعل جدلي متبادل بين المطلب الاجتماعي من جهة والتقنية المعاصرة للبناء بعناصرها الفكرية والمادية والذاتية من جهة أخرى. إن الشكل

[1]. ليوبولدو توريس بالباس، المدن الإسلامية الاسبانية، ترجمة إليو دورو دي لابينيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية،2003، ص555.

هو التكوين الهندسي الذي يظهر لنا المحتوى، واختصارا فإن إدراك المسكن يدخل في إدراك العائلة لأنه حامل الذاكرة العائلية التي تسمح بالاستقرار وبالدخول في تاريخ وعلاقات الماضي بالحاضر.

ولو حرصنا على تحليل هذا المضمون لوجدنا أكبر دليل على ذلك المسكن العربي الذي عرف بناءه ومنذ القدم عناصر مميزة، أثرت الصحراء والجبال في تشكيله فكانت السماء هي العنصر الذي يلطف جو المسكن عن طريق انفتاحه على السماء بواسطة الصحن وهذا معناه الانفتاح على التأمل، وقد شكّل المسكن باعتباره وحدة تتجاور مع مساكن أخرى مجموعة من الأهداف تراتبت على النحو التالي عزل الأسرة خاصة المرأة بهدف حفظ خصوصيتها، ولكنه يسمح أيضا باستقبال الضيوف والجيران ويتميز المسكن العربي القديم بعناصر معمارية أساسية وثانوية وظائفية تعكس تنظيم الجماعة وليس الأفراد ، فقد كان المسكن هو مسكن المجموعة " القرابية" وليس مسكن الفرد أو الأسرة محدودة الأفراد، فغابت خصوصية غرفة النوم على حساب غرف الاستقبال والجلوس والضيافة. كما غاب المطبخ والحمام لأنه كان حاجة جماعية ومكان لقاء اجتماعي يتجمع فيه الناس ويتلاقون، وهناك عناصر أخرى على غرار النافذة التي كانت مرتكز علاقات الجيرة والقرابة بين النساء، وهذا يشير إلى داخلية العالم النسائي في المسكن العربي، رغم أنه لم يظهر بشدة في العصور الإسلامية الأولى واختلفت أدوار ومظاهر العمارة الإسلامية بين مراعاة الطابع الإيكولوجي على غرار الفسقية أو حوض الماء التي توجد وسط الصحن لتوفر الجو المعتدل[1]، والقاعة التي تعد استمراراً لعملية نقل الطبيعة إلى الداخل عن طريق الرمز، كون الزخرفة التي عرفت بها قاعات المساكن تشعر الناظر وكأنه خارج مسكنه، هذا إضافة إلى دورها الاجتماعي والمتمثل في كونها "القاعة" عبارة عن مكان استقبال واسع ومنظم، والعتبة التي ترمز إلى المكان الوسيط بين الداخل والخارج وهي أماكن تفصل المسكن إلى عالمين خارجي وداخلي، وهي أيضا أمكنة لاستيعاب علاقات الساكنين بالعالم الخارجي، وقد عكس المسكن العربي بحق التنظيم الاجتماعي والعائلي والسياسي والاقتصادي للوضع السائد آنذاك فكان مميزا على صعيد العمارة، لكن هذا التميز لم يستمر طويلا إذ خضع لتغيرات في المجال العام وتأثر بها، ولم يصمد حتى في الحفاظ على بعض ميراثه فبتصاعد النمو الديموغرافي والمديني والاقتصادي اختفت من المسكن العربي نفحته التقليدية، تمهيداً لغياب التراث، إضافة إلى تخليه عن المواد التقليدية في البناء، واختلف التقسيم الداخلي له بتقسيمات حديثة استعملت بدون مراعاة الملائمة في حياة أفراد المسكن، واختفت المدينة كوحدة اجتماعية وعمرانية، وكل ما يترجم القيم الاجتماعية والثقافية المشتركة.

[1]. صلاح الدين كشريد. المدينة المسلمة، مؤسسات بن عبد الله للنشر، تونس، 2010، ص 123.

والسؤال الذي أطرحه حول ما مدى إمكانية تلبية عناصر البناء القديم لمتطلبات الحياة الحضرية وما عكسته من تحولات في الحياة الأسرية؟ لكني أتساؤل أيضا هل أن العمارة الحديثة تتجاوب مع التنظيم المطابق للاحتياجات الأسرية والاجتماعية والثقافية؟ كذلك إن عملية تغيير المسكن هذه قد سمحت للعائلات بأن تتهيكل، وقد أخذ هذا التهيكل عدة طرق فقد حافظت من جهة العائلات على بعض من تركيبتها، وهذا بالانتقال من نموذج عائلي مركب قبل البناء إلى نموذج عائلي مركب آخر بعد البناء، وبالتالي يمكن القول بأن في هذه الحالة البناء يعتبر حامي للبنية العائلية من انفجار الشيء الذي قد كان يحدث لو لم تكن هناك عملية بناء، كما ساعدت عملية البناء عائلات أخرى بأن تكون ممتدة بعدما انفصلت عن الخلايا الأساسية

خلاصة:

حاولنا من خلال هذا المقال استخلاص جملة من المعاني والمفاهيم "المجتمع المحلي، بنية المجتمع" ووصلنا إلى أن المجتمع المحلي قد يكون عبارة عن مجموعة من الأفراد يرتبطون ببعضهم البعض بروابط معينة ويشتركون في المصالح والاهتمامات، كما يشير المجتمع المحلي إلى بلدة صغيرة في داخل مجال مديني أو قرية أو جزء من مجتمع قروي، أو الإشارة إلى فكرة المعيّة أي العيش معا والسعي نحو الاستمرار وتحقيق الحياة والانتماء والاستمرار في الوجود داخل نطاق جغرافي معين، وإذا كان كذلك فقد اتضح في حديثنا أنه ينبغي وللإنصاف أن نعترف بصعوبة وجود مجتمعات محلية ذات حدود واضحة بسبب ذوبانها أو اندماجها داخل كيان المجتمع الأكبر الذي ينتمي إليه، ومن هنا كانت محاولتنا للفت النظر إلى قضية تحديد وتعيين حدود كل مجتمع محلي نتصدى له بالدراسة صعب، لكننا يجب أن نتفق بالرغم من ذلك على أن مثل هذه المجتمعات قائمة وموجودة ونحن نستشعر وجودها الفعلي والمؤثر خاصة على المستوى الثقافي الشعبي، ومن شأن ذلك أن يسهم في دراسة علاقات الجيرة باعتبارها خاصة بأفراد يعيشون في موقع معين ويشتركون في نظم اجتماعية ويشعرون بأن المؤسسات المحلية كالمدارس والأسواق والمساجد... إلخ هي بمثابة موجهات لحياتهم البسيطة، وهذا يجعل دراسة المجتمعات المحلية يأخذ مستويات عديدة للتحليل على المستوى الفردي والاجتماعي والنظامي، وهو ما تقتضي أيضا التعرف على أساليب الضبط الاجتماعي التي يفرضها ذلك المجتمع على أعضائه لكي يتبعوا أسلوب الحياة التقليدية السائد، و بالتالي ينبغي علينا أن يمتد اهتمامنا لدراسة أساليب الضبط غير الرسمي التي تفصح لنا عن مواقف وعلاقات معينة ومعيارنا في ذلك ذاتي يعكس القيم والمعايير السائدة والمنشودة في الموضع أكثر مما يعكسه الواقع المعاش.

إن الدراسة السوسيولوجية للمجتمعات المحلية تستهدف في نهاية المطاف تقديم إطار وإسهام يساعد في الكشف عن الطابع الأشمل للمجتمع المحلي، من خلال التعرف على الشخصية الثقافية لجماعة من الناس تكونت من جزئيات متضافرة اتحدت مع جزئيات أخرى فشكلت الصورة الكلية لثقافة ذلك المجتمع، والتي تأخذ طابع التوارث وهو شبكة مركبة من الأنماط والسلوكيات والتصرفات.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد أبو زيد. البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الأول، الدار القومية للطباعة، الإسكندرية، 1965.
2. باشلار. جمالية المكان، ترجمة غالب هلسا، دار المجد للنشر، بيروت، لبنان، 1978.
3. باكار. المغرب والحرف التقليدية في العمارة، ترجمة سامي جرجس، باريسأوتولوجي، 1974.
4. حسين عبد الحميد رشوان. البناء الاجتماعي الأنساق والجماعات، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2007 .
5. دلال محسن ستيتة. التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن، 2004.
6. سلوى محمد سعيد، السكن والمسكن والبيئة، جدة، 1986 .
7. السيد الحسيني. الطبقة الاجتماعية والسلوك الانساني دراسات سكانية، القاهرة، 1972 .
8. السيد الحسيني. الطبقة الاجتماعية والسلوك الإنساني دراسات سكانية، القاهرة، 1972 .
9. صلاح الدين كشريد. المدينة المسلمة، مؤسسات بن عبد الله للنشر، تونس، 2010.
10. عاطف غيث. الانثروبولوجية الاجتماعية، دار النهضة العربية للنشر، بيروت،1990 .
11. عبد الحميد لطفي. الأنثروبولوجية، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر 2002 .
12. عبد العزيز جاسم. تأملات الحضارة والاغتراب، الطبعة الاولى، بغداد، 1982.
13. عبد الفتاح تركي موسى. البناء الاجتماعي للأسرة، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، مصر،1998 .
14. علياء شكري. قراءات في الأسرة ومشكلاتها في المجتمع المعاصر، دار الثقافة للنشر، القاهرة .
15. فاخر عاقل. أسس البحث في العلوم السلوكية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1988 .
16. ليوبولدو توريس بالباس، المدن الإسلامية الاسبانية، ترجمة إليو دورو دي لابينيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية،2003.

أثر الفايسبوك على النسق القيمي والأخلاقي للشباب

– دراسة ميدانية على عينة من الشباب بولاية ورقلة–

د/ ساحي علي . الباحثة / كزيز أمال .

جامعة عمار ثليجي الأغواط ـ الجزائر. جامعة قاصدي مرباح ورقلة ـ الجزائر.

ملخص

يعتبر الفيسبوك أحد أبرز وسائل التواصل الاجتماعي في الوقت الحالي والتي باتت تشكل عالما افتراضيا للتفاعل بين مستخدمي الفيسبوك،إلا أن هذه الوسيلة كغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى تحمل في طياتها العديد من الآثار على المستوى القيمي والأخلاقي بشقيها الايجابي والسلبي، وعليه تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أثر الفيسبوك على هذا المجال من خلال صور التفاعل الاجتماعي كما تكمن أهمية الدراسة في الإحاطة بالرموز والمعاني سواء كانت مشتركة أم لا بين مستخدمي الفيسبوك وكيف تسهم إما في الحفاظ على القيم الاجتماعية أو تعدي ذلك لتنتقل للآثار السلبية لها على مستوى النسق القيمي والأخلاقي للشباب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الفايسبوك، النسق القيمي، المجتمع الافتراضي، وسائل التواصل الاجتماعي.

Abstract :

Abstract Facebook is one of the most prominent means of social communication at the moment, which is a virtual world of interaction between users of Facebook, but this method, like other social media have a lot of effects on the level of ethical side on both positive and negative effects, and this study aims to shed the impact of Facebook on this area through the images of social interaction, the importance of the study in the identification of symbols and meanings, whether shared or not among Facebook users and how to contribute either to the preservation of social values or to overcome the negative effects on the moral and ethical lines of Algerian youth.

Key words: Facebook, the value structure, the virtual community, social media.

مقدمة

يعيش المجتمع العديد من التغيرات الاجتماعية التي تؤثر على الحياة الاجتماعية للأفراد خاصة مع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي المنتشرة اليوم والتي لها تأثير كبير على الفرد خاصة على الجانب القيمي

والأخلاقي ومن بين هذه الوسائل الخاصة بالاتصال نذكر الفيسبوك والذي يعد من أبرز وسائل التواصل الاجتماعي التي يستعملها الفرد اليوم والتي لها تأثير على تشكي قيم الفرد من خلال مجموع التفاعلات الاجتماعية الافتراضية في هذا المجال الواسع والذي يضمن ثقافات عدة.

وعليه تتمحور إشكالية الدراسة في البحث عن المضامين الاجتماعية التي يشكلها الفيسبوك والتي تؤثر على النسق القيمي للفرد وكيف يمكن له التعامل مع هذه الوسائل التواصل الاجتماعية التي باتت جزءا لايتجزأ من حياة الفرد ولهذا تهدف الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على أحد هذه الوسائل وهي الفيسبوك وتأثيره على النسق القيمي والأخلاقي للشباب الجزائري، ومن هنا يمكن طرح التساؤل الرئيس للدراسة والمتمثل في:

▪كيف يؤثر الفيسبوك على النسق القيمي والأخلاقي للشباب الجزائري؟

وتنطلق هذه الدراسة من الفرضية التالية التي مفادها:

▪يؤثر الفيسبوك على تشكيل القيم الاجتماعية للشباب الجزائري من خلال التفاعل الافتراضي الذي يؤثر على ذهنيات الأفراد.

وتنقسم هذه الدراسة إلى محورين رئيسيين هما:

– **المحور الأول:** الإطار النظري للدراسة.– **المحور الثاني:** الجانب الميداني للدراسة ونتائجها.

المحور الأول: الإطار النظري للدراسة

1– تعريف الفيسبوك:

يعد الفيسبوك أحد مواقع التواصل الاجتماعي أطلق في الرابع من فبراير سنة 2004 و الموقع يتبع نفس شركة فيسبوك الخاصة و يسمح هذا الموقع للمستخدمين بالانضمام إلى عدة شبكات فرعية من نفس الموقع تصب في فئة.[1]

ويعرف أيضا على أنه من أهم مواقع التواصل الاجتماعي، حيث يمكن للعضو في هذا الموقع أن يقوم بإعداد نبذة شخصية عن حياته تكون بمثابة بطاقة هوية وتعارف لمن يريد أن يتعرف عليه ويتواصل معه ولذلك يشترط في هذا الموقع استعمال الأسماء الحقيقية، وتمنع الأسماء المستعارة

والألقاب.

ويستطيع كل عضو أن يقف على أخبار أصدقائه عن طريق ما يعرضه حائط العضو منرسائل أو نبذة من الأخبار لإبلاغ أصدقائه بأخباره واجتماعاته وأي صور أو مقاطع فيديو أوقطع موسيقية يرغب في اطلاعهم عليها وهنا تبرز أهمية الفيسبوك أو دوره في الحياة الاجتماعية لدى الفرد سواء على مستوى التفاعل أو التواصل.

1.1 – أهمية توظيف الفايسبوك لدى الشباب: يؤدي هذا الموقع خدمات إلى مستخدميه تسهل عليهم الكثير من أعمالهم وتواصلهم ومن هذه الخدمات:

- إتاحة الفرصة للصداقة والتواصل بين الأعضاء المشتركين في هذا الموقع وذلك عن طريق:إتاحة الفرصة لإضافة من يشاء العضو إضافتهم من الأصدقاء للتواصل معهم بعد اخذ موافقتهم.
- إرشاد صديقين إلى بعضهما على هذا الموقع، حتى وان كانا لا يعرفان بعضهما في الواقع الحقيقي.
- اقتراح أصدقاء جدد لمن يريد من الأصدقاء القدامى الذين يعرفهم..[2]
- إتاحة الفرصة لمشاهدة كل الأصدقاء مرة واحدة مرتبة أسماؤهم أبجديا مع أرقام هواتفهم
- يتيح الفايسبوك فرصة تحميل البومات الصور.

2.1– سلبيات التعامل مع موقع الفايسبوك:

هناك سلبيات ومحاذير ظهرت على السطح بعد انتشارموقع فايسبوك يمكن إيجازها فيما يلي:

- إضعاف العلاقات والمهارات الاجتماعية: وقد بدأت هذه الظاهرة في المجتمع الحقيقي بين الأفراد الذين أدمنوا استخدام موقع الفيسبوك والتواصل عبر مجتمع أو مجتمعات افتراضية وقد شمل هذا الأمر العلاقات الأسرية حيث تسبب في تدمير هذه العلاقات.
- انتهاك خصوصية المشتركين:حيث أن المعلومات التي ينشرها المشتركون احيانا تهدد خصوصياتهم.

---

[1]-متوفرعلى الموقع :(http://mawdoo3.com)، تاريخ الزيارة 1-03-2017، زمن الزيارة: 09:01

[2]- عثامنة نزيهة(2017/2016)، **تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على القيم الاجتماعية للطالب الجامعي**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة. ص22.

➢ استغلال الموقع من جهات كثيرة قد تكون معادية: يمكن لجهات كثيرة أن تستغل فيسبوك لخدمة أغراضها وتنفيذ أهدافها، وذلك بالاستفادة مما ينشر عل هذا الموقع من معلومات وصور ومشاركات قد تجعل من أصحابها عملاء لجهات معادية دون قصد ودون أن يعرفوا ذلك.[1]

2-الشباب:

يختلف تحديد مفهوم الشباب من بلد إلى آخر وهذا راجع إلى اختلاف التشريعات القانونية وإلى تغير في البنية الاجتماعية وهنالك من يعطي تعريفا لفئة الشباب مركزا على الجانب البنيوي وهنالك من يكز على جانب الرشد والعقل ويأتي الاختلاف أيضا من ناحية حصر الفئة(من...إلى)، وفي الجزائر يمكن أن نأخذ تعريفا للباحث ((**السعيد بومعيزة**)) بحيث يعطي تعريفا على أن" مرحلة الشباب تبدأ من (19 إلى 25) سنة ،لان فترة ما قبل 19 عاما قد تطغى عليها خصائص المراهقة أكثر،وان فترة ما بعد 29 عاما قد تحمل عواقب نفسية بالنسبة للشباب الذي يبلغ الثلاثين سنة " [2] ومن جهة أخرى يذهب علماء الأحياء وعلماء علم النفس إلى حصر مرحلة الشباب في التركيبة البنيوية للجسم بحيث يرون أن "اكتمال الأعضاء والأجهزة الوظيفية الداخلية والخارجية في جسم الإنسان ،فيما يذهب علماء النفس بالقول إلى أن مرحلة الشباب ترتبط باكتمال البناء الدافعي والانفعالي للفرد في ضوء استعداداته واحتياجاته الأساسية واكتمال نمو كافة جوانب شخصيته الوجدانية والمزاجية والعقلية بشكل يمكنه من التفاعل السوي مع الآخرين في المجال الاجتماعي"[3].

ويمكن أن نعطي تعريفا إجرائيا لفئة الشباب هم الأفراد الفاعلين في المجتمع ويمتازون بالحيوية والنشاط وتمتعون بالنضوج العقلي وبلغوا مرحلة التميز بين ما هو نافع وضار للمجتمع.

---

[1]-عثامنة نزيهة، مرجع سبق ذكره، ص29.

[2]- محمد الفاتح حمدي، (2014/2013)، **الإعلان في القنوات الفضائية العربية وانعكاساته على قيم الشباب الجزائري** – طلبة بعض جامعات الجزائر نموذجا السنة، رسالة دكتوراه غير منشورة،(جامعة الجزائر: كلية العلام والاتصال الجامعية)، ص .56.

[3]-يوسف بن عثمان الحزيم، (ب س)،**قوة التطوع** –تطبيقات سعودية–، (المملكة العربية السعودية: مركزالأميرة العنود لتنمية الشباب،بدون طبعة)،ص.169 .

3- القيم:

تدل كلمة "قيم" على معان متعددة، فمنها ما هو ذو علاقة بالجانب الروحي، ومنها ما هو ذو علاقة بالطابع المادي، ومنها ما له علاقة بالمحيط الاجتماعي، والقيم يسعى أفراد المجتمع إلى تحقيقها متى كان فيها نفعهم، وطردها والابتعاد عنها متى كانت مضرة بهم، وهذا ما يؤكده الدكتور **((طه عبد الرحمن))** بقوله: "القيم هي جملة المقاصد التي يسعى القوم إلى إحقاقها متى كان فيها صلاحهم، عاجلا أو آجلا، أو إلى إزهاقها متى كان فيها فسادهم، عاجلا أو آجلا."[1]

والقيم -كما يقول أهل الاصطلاح- قيم شخصية وقيم جماعية واتحاد هذه القيم يكون ما يسمى القيم الاجتماعية التي يدخل في معناها كل القيم التي ورثها المجتمع من دين أو عصبية أو غيرها من الروابط والضوابط والتقاليد والعوائد والعلاقات التي تستوعب اللسان كما تستوعب الدين والفكر في شكل عقد اجتماعي تكون غايته التواضع على قيم اجتماعية معينة، تحدد طبيعة ووجهة المجتمع، وتضفي عليه صبغة خاصة خالصة له، لا تكون لغيره.[2]

يتبين لنا مما سبق أن أفراد المجتمع هم الذين يبدعون هذه القيم التي تصبح متواجدة بينهم، فهي تكسو المعارف المختلفة والصنائع المتنوعة، يصح لنا القول بأن القيم هي ما يسعى أفراد هذا المجتمع أو ذاك إلى إيجادها داخل محيطهم الاجتماعي خاصة عندما تكون لهذه القيم مصلحة ترتبط بهذا المجتمع في القريب العاجل أو المستقبل القريب، فأفراد المجتمع باستطاعتهم إزالة هذه القيم عندما يرون بأنها تضر بهم حاضرا أو مستقبلا.

4- نظريات التواصل الاجتماعي:

1.4- النظرية البنائية:

وهي مقاربة اجتماعية تبحث عن عولمة العلاقات الاجتماعية وشبكات التواصل الاجتماعي،وحسب هذا الاتجاه هي مجموعة من العلاقات التي يكونها مجموعة من الأفراد، وتكون ذات نمط خاص ونوعي على سبيل المثال (التعاون، النصح، الرقابة) بين مجموعة من الفاعلين، وعليه فإن تحليل هذه الشبكات يقوم على منهجية لوصف عولمة البناء العلائقي لهذا المجتمع.

---

[1]-طه عبد الرحمان، (2006) ،**الحق العربي في الاختلاف الفلسفي**،(المغرب: المركز الثقافي العربي ط2)، ص. 68.

[2]- موقع مركز الدراسات والبحث في القيم،(http://www.alqiam.ma/Article.aspx?C=5636)، تاريخ الزيارة :2017/04/27،على الساعة 14:18.

فمواقع التواصل الاجتماعي قد جعلت علاقات الأفراد أكثر تداخلا واعتماد بعضها على بعض مما كان عليه الأمر في الماضي، حيث أصبح كل فرد يعيش في الساحة الخلفية للآخر، فشبكة الترابط ونقاط الوصل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تتقاطع خطوطها وتتجاوز الحدود تؤثر تأثيرا حاسما على الأفراد المشاركين فيها.

2.4- نظرية الحلقة الاجتماعية:

هي مقاربة تقوم على وصف وربط الشبكات من خلال صفات وسمات داخلية (داخل الشبكة)، وشبكات التواصل الاجتماعي وفق هذه النظرية هو تفاعل مجموع المستخدمين لهذه الشبكة مع بعضهم وفق رموز وشفرات معينة، قواعد توفرها لهم هذه المواقع ما ينجم عنه نظام معرفي داخلي خاص بهذه الأخيرة.

فالتفاعلات الاجتماعية في مواقع التواصل الاجتماعي هي إطار مترابط العناصر من الأغراض والأهداف والحاجات المشتركة بين الأعضاء، وأيضا اللوائح والقواعد والسياسات المتبعة والأنماط التي تفرز من خلال هذه التفاعلات بما يدعم الثقافة المشكلة، سواء أكانت في أصولها لدى المشاركين أو إفرازاتها من جراء التفاعلات الجديدة في هذه البيئة العلائقية التي تكونت في المجتمع الافتراضي.

3.4- نظرية الشبكة الاجتماعية:

هي نظرية تتناول بالفحص والكشف والدرس نماذج وخصائص الروابط الاجتماعية وعلاقاتها بحياة الأفراد والمنظمة الاجتماعية، وتستخدم هذه النظرية إطار الدراسة كيف يرتبط الناس بعضهم ببعض، من خلال أواسط شبكات الحواسيب وتتضمن هذه الخصائص تركيب الشبكات، وحجم الشبكات، ومدى الشبكة والتردد الاتصالي بين الناس وكثافة الروابط المتبادلة بين الأشخاص وخصائص الأعضاء وتاريخ الشبكة والمورد المتاح للشبكة.

4.4- نظرية رأس المال الاجتماعي الافتراضي:

لقد أعادت الشبكات الاجتماعية التشكلات التفاعلية التي ظهرت في إطار ما يمكن تسميته بإعادة المفاهيم على نحو افتراضي، ومن هذه المفاهيم رأس المال الاجتماعي في سياقه الافتراضي.

إذ ترى هذه النظرية أن رأس المال الاجتماعي على الصعيد الافتراضي يتأسس بناء على شبكة من الارتباطات بين أفراد التفاعلات الافتراضية المنتشرة في مواقع التواصل الاجتماعي، إذ أن المجال الافتراضي يتأسس عبر تفاعلات الانترنيت التي تشكل آلية التواصل لتحقيق رأس المال الاجتماعي الافتراضي، وذلك عبر خاصيتين طرحها "**بلانشرد وهوزه**" وهي: التبادل المعلوماتي والدعم الاجتماعي، فأما الأولى فتعني المجال الذي يساهم في حل المعضلات ذات الأبعاد التقنية والاجتماعية، في حين

الثانية تعني الدعم الذي يستفيد به الفرد من خلال امتلاكه شبكة من العلاقات عبر تفاعلات المجتمع الافتراضي.

فقوة رأس المال الافتراضي مستمدة من شبكة العلاقات التي تتم في رحاب شبكات التواصل الاجتماعي، والتي تقوم على المصالح المتجانسة والتي يمكن الاستفادة منها في تحقيق مصالح متبادلة بين الأعضاء من ذوي الاهتمامات الواحدة، وتجدر الإشارة إلى أن تفاعلات المجتمع الافتراضي –مواقع التواصل الاجتماعي – لا ترتبط بوقت معين وهذا يعطي رصيد أكبر لشبكة العلاقات.[1]

5-خصائص القيم الاجتماعية:

▪القيم ذاتية وشخصيه :ترتبط القيم بذات الفرد وشخصيته ارتباطا وثيقا وتظهر لديه على صور مختلفة من التفضيلات والاهتمامات والاختيارات والحاجات والاتجاهات والأحكام . مما يجعلها قضية ذاتية شخصية يختلف الناس حول مدى أهميتها وتمثلها باختلاف ذواتهم وشخصياتهم. وبناء على ذلك يختلف الناس في حكمهم على الأشياء

▪القيم الاجتماعية نسبية: أي تختلف باختلاف الزمان والمكان والإنسان فتقديرها وتبيان أهميتها وجدواها من إنسان لآخر ومن مجتمع لآخر، ومن مكان لآخر ومن زمان لآخر فهي إذا نسبية وهي مثال جدل واختلاف بين الأشخاص والثقافات.

▪القيم الاجتماعية تجريدية: فهي معاني تتسم بالموضوعية والاستقلالية تتضح معانيها الحقيقية في السلوك الذي تمثله والواقع الذي تعيشه.

▪القيم مندرجة :أي تنظيم في سلوك قيمي متغير ومتفاعل حيث تترتب القيم عند الفرد ترتيبا هرميا فيه بعض القيم على بعضها الآخر فللفرد قيم أساسية مسيطرة لها درجة كبرى من الأهمية وتأتي في قيمة الهرم القيمي وهناك قيما اقل أهمية مما يشكل عنده نسقا قيميا داخليا متدرجا.

▪القيم الاجتماعية تمتلك صفة الضدية :فكل قيمة اجتماعية ايجابية نجد أن في مقابلها قيمة سلبية فمثلا التعاون نجد أن ضدها قيمة الأنانية والفردية والنفعية الذاتية وهكذا.

---

[1]- بارة سمير، (ب س ن)، **تأثير المواطنة الافتراضية في ظل شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية العربية**: مقاربة لفهم العلاقة بين البناء والترهل،قسم العلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة. ص09.

المحور الثاني: الجانب الميداني للدراسة:

يعتبر الجانب الميداني للدراسة من أهم المراحل التي تسمح للباحث بجمع البيانات الكمية وعرضها بأسلوب كيفي يتماشى مع طبيعة الموضوع والأدوات المستخدمة لدراسة الموضوع والوصول إلى نتائج أكثر دقة ومصداقية تعبر عن الواقع الاجتماعي.

1.مجالات الدراسة:

1.1 المجال الزمني: يعتبر المجال الزمني من أبرز مجالات الدراسة التي تحدد لنا الإطار الزمني التي أجريت فيه الدراسة، حيث تم البدء في هذه الدراسة في الفترة (أفريل 2017 إلى غاية 9 جوان 2018).

2.1 المجال البشري وعينة الدراسة:

تتمثل عينة الدراسة في مستخدمي وسيلة التواصل الاجتماعي الفيسبوك، أما عينة الدراسة فهي عينة عشوائية شملت 33 مفردة من مستخدمي هذه الوسيلة في التواصل الاجتماعي بولاية ورقلة.

2.المنهج الدراسة:

تم استخدام المنهج الوصفي لوصف الظاهرة المدروسة في الواقع لكونه أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة معينة وتصويرها كميا عن طريق جمع البيانات. [1]

كما يعرف بأنه المنهج الذي يهدف إلى دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس،أو مجموعة من الإحداث أو الأوضاع بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها دون الدخول في أسبابها أو التحكم فيها.[2]

3- أداة جمع المعلومات:

بالنسبة لأداة جمع المعلومات فقد تم الاعتماد على أداة استمارة استبيان كوسيلة لجمع المعلومات الخاصة بمتغيرات الدراسة.

---

[1]-علي غربي:(2006)، **أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية**، قسنطينة، الجزائر، ب دن . ص120.

[2]-عمار الطيب كشرود: (2008)، **البحث العلمي ومناهجه في البحث العلوم الاجتماعية والسلوكية**، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع،ص 226.

أولا: البيانات الشخصية للمبحوثين

ثانيا:مجالات استخدام الفيسبوك.

ثالثا :القيم و المعاني الدالة على الأخلاق في الفيسبوك.

4- عرض وتفسير نتائج الدراسة.

جدول رقم (01): التفاعل في الفيسبوك.

البدائل / الأسئلة	نعم		لا	
	ت	ن	ت	ن
- يساعد الفيسبوك على التواصل الاجتماعي الفعال.	25	75.75	08	24.24
- أجد في الفيسبوك معلومات هامة.	23	69.69	10	30.30
- لا أتفاعل بمعلوماتي الحقيقية في الفيسبوك.	27	81.81	06	18.18
- لا أقبل طلبات صداقة من أشخاص لا أعرفهم.	20	60.60	10	30.30
- لدي الكثير من الأصدقاء لا أعرف معظمهم.	11	33.33	19	57.57
- أتفاعل فقط مع الأصدقاء الذين أعرفهم شخصيا.	22	66.66	11	4.44
- لا أفتح مجال لتكوين صداقات افتراضية.	19	57.57	14	33.33
- أجد الفيسبوك مجال غير توعوي.	29	87.87	4	21.21
المجموع	33			

- القراءة الإحصائية:

يوضح الجدول التالي بعض العبارات الخاصة بالاستمارة الموزعة للمبحوثين والمتعلقة بالمحور الثاني حيث نلاحظ حول العبارة الأولى تمركز إجابات المبحوثين حول البديل 'نعم' بنسبة 75.75 % مقابل 24.24 %حول البديل 'لا' للعبارة التي مفادها – يساعد الفاسيبوك على التواصل الاجتماعي الفعال- بالنسبة للعبارة الموالية حول – أجد في الفيسبوك معلومات مهمة ومفيدة- فتمركزت أغلب إجابات المبحوثين حول الموافقة بنسبة 69.69 %مقابل الرفض بنسبة 30.30 %.

أما العبارة التي مفادها – عدم التفاعل بالمعلومات الحقيقية لمستخدم الفيسبوك– أجاب المبحوثين بنسبة 81.81 %للبديل 'نعم' ونسبة 18.18 %حول البديل 'لا'.

كما أجاب المبحوثين بنسبة 33.33% حول معرفة أصدقاء الفيسبوك للبديل 'نعم' ونسبة 57.57 للبديل 'لا' كما يتفاعل المبحوثين فقط مع الأصدقاء الفعليين المعروفين في قائمة الأصدقاء وهذا بنسبة 66.66%.

مما لا يفتح المبحوثين مجالا لتكوين علاقات صداقة افتراضية وهذا بنسبة 57.57% ونسبة 87.87% حول عدم إيجاد الفيسبوك مجالا اجتماعيا توعويا.

– القراءة السوسيولوجية:

بعد القراءة الإحصائية التي تنطلق من جمع البيانات كميا وتفريغها للوصول للتحليل الكيفي للعبارات السابقة الذكر نلاحظ من خلال القراءة السوسيولوجية أن الفيسبوك مجال للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد إلا أنه يبقى مجال تفاعلي افتراضي محدود وهذا نتيجة أن أغلب مستخدمي الفيسبوك يتفاعلون بمعلومات شخصية افتراضية غير حقيقية تجعل من الفيسبوك مجالا صراعيا بين الأفراد ترسل من خلاله معاني لا أخلاقية أحيانا بين الأفراد من خلال الصور والكلمات والإشارات.

كما نلاحظ أن وجود للرموز المشتركة في عملية التفاعل تساعد على فهم الأهداف الحقيقية وفهم التفاعلات كونها تفاعلات ترقى لأن تكون تفاعلات حقيقية لا افتراضية من خلال محافظة المبحوث على قائمة أصدقاء غالبا ما تحتوي على أفراد من العالم الواقعي لمستخدم الفيسبوك.

صحيح أن الفيسبوك يحتوي على عدد كبير من المستخدمين إلا انه لا يمكن اعتبار أن كل مستخدم للفيسبوك ليس لديه وعي في استخدامه كما أن المجال الواقعي الذي ينتقل في البيئة الفايسبوكية لديه دور بالغ الأهمية في ضبط استخدامات الفيسبوك.

جدول رقم(02): القيم / الأخلاق في مجمل التفاعل عبر الفيسبوك.

البدائل / الأسئلة	نعم		لا	
	ت	ن	ت	ن
– تلقيت صور غير أخلاقية من بعض مستخدمي الفيسبوك عند فتح حسابي.	30	90.90	03	09.09
– عند عدم الرد على بعض مستخدمي الفيسبوك يقومون بشتمي.	24	72.72	09	27.27
– أحيانا يضع بعض مستخدمي الفيسبوك صور لا أخلاقية في صفحاتهم.	30	90.90	03	09.09
– أحيانا ألاحظ تعليقات لا أخلاقية.	29	87.87	04	12.12
– يرسل لي أصدقائي صور ذات قيمة مجتمعية.	31	93.93	02	6.06
– يتكلم أصدقائي معي باحترام.	32	96.96	01	3.03
– يضيفني بعض الأصدقاء الغير معروفين لمجموعات لا أخلاقية دون علمي.	05	15.15	28	84.84
– هناك من يرسل لي روابط أفلام أو صور إباحية من غير أصدقائي.	28	84.84	05	15.15
المجموع	33			

– القراءة الإحصائية:

يوضح الجدول التالي بعض العبارات التي تندرج ضمن المحور الأخير للاستمارة الموزعة على المبحوثين حيث نلاحظ في العبارة الأولى تمركز إجابات المبحوثين حول تلقي صور لا أخلاقية من بعض مستخدمي الفيسبوك وهذا ما تم تسجيله بنسبة 90.90% مقابل 9.09 %حول البديل 'لا'، كما جاءت العبارة الموالية حول – في حالة عدم الرد على بعض ممن يرسلون رسائل على الخاص أتلقى شتم – وهذا ما تم تسجيله بالموافقة بنسبة 72.72 % ونسبة 27.27% حول البديل 'لا'.

بالنسبة للعبارة التالية ' أحيانا ' ألاحظ تعليقات لا أخلاقية في صفحتي أو صفحات بعض مستخدمي الفايسبوك وتم تسجيل نسبة 90.90 % حول البديل 'نعم' ونسبة 9.90% حول البديل 'لا.

كما تم تسجيل أعلى نسبة للعبارة التالية التي مفادها يرسل لي أصدقائي صور ذات قيمة أخلاقية بنسبة 93.93% مقابل الرفض بنسبة 6.06%، ونسبة 96.96 %حول البديل'نعم' في كون الأصدقاء على صفحة الفيسبوك الخاصة بالمبحوثين يتكلمون بلباقة وأخلاق عالية عكس من أرفض طلبات الصداقة المرسلة من بعض مستخدمي الفيسبوك.

كما تم تسجيل نسبة 84.84 %حول إرسال بعض مستخدمي الفيسبوك لي روابط لا أخلاقية تعبر عن أفلام أو صور إباحية غالبا.

كما سجلت نسبة 15.15% حول إضافة بعض مستخدمي الفيسبوك لي روابط لمجموعات إباحية لا أخلاقية لي.

- القراءة السوسيولوجية:

بعد القراءة الإحصائية للبيانات التي تم جمعها يمكن الانتقال للجانب الكيفي لتحليل البيانات و هي كالتالي:

إن التفاعل في مجال الفيسبوك خاصة بصوره الغير حقيقية (معلومات بيانات شخصية) سمحت لبعض مستخدمي الفيسبوك بممارسة مجموعة من الأفعال الافتراضية داخل هذا المجال من خلال إرسال بعض الروابط والصور المنافية للقيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية وهذا ما يدل على وجود خلل في البناء الفكري والمعرفي والفعلي والتربوي للأفراد ما يجعلهم أفراد فاقدين لمعنى القيم الاجتماعية.

كما أن مجموع الرموز والمعاني التي يتفاعل بها مستخدمي الفيسبوك تشهد اختلافا كبير بين فئة وأخرى فهناك من يفضل استخدام بياناته الشخصية ويضيف أصدقاء لهم معرفة شخصية مع المبحوث وعليه يتفادى مستخدم الفيسبوك الوقوع في التفاعل الافتراضي السلبي وهو ما يدل على الرموز المشتركة بين هؤلاء الأفراد.

كما أن مجال التفاعل في الفيسبوك مجال محدود رغم اعتباره مجال واسع يضم مستخدمي فيسبوك من جميع الفئات وأغلبها لا تستخدم بياناتها الحقيقية التعريفية وهنا يتحكم كل مستخدم للفيسبوك في طبيعة تشكيل العلاقات الاجتماعية من خلال التحكم في خصوصيات الصفحات عبر الفيسبوك.

5-نتائج الدراسة:

من خلال تحليل بيانات الدراسة كميا و كيفيا يمكن التوصل إلى أنه من أسباب الانحراف الافتراضي في مجتمع الفيسبوك هو استخدام بيانات افتراضية غير حقيقية تمكن هؤلاء الأفراد من التفاعل دون التعرف عليهم و هذا أيضا ما تم التوصل إليه في دراسة للباحثين (أمال كزيز و ساحي علي) أن للفيسبوك تأثير كبير على الأبناء من خلال تفاعلاتهم داخل هذا المجتمع الافتراضي حيث يستخدم أغلب المراهقين الفيسبوك في غايات غير نفعية كإثبات الذات أو تكوين علاقات افتراضية أغلبها علاقات مؤقتة مبنية بنماذج اجتماعية و ثقافية متعددة تجعل التفاعلات الاجتماعية الأغلب منها تفاعلات افتراضية بعيدة عن النموذج الثقافي الأصلي للأبناء، خاصة في غياب الرقابة على مواقع التواصل الاجتماعي من طرف الوالدين أو الأسرة ككل الذي قد يكون قصورا لعدم ثقافة الأولياء بمخاطر و سلبيات الفيسبوك، حيث تم استنتاج أن أغلب الأبناء لهم هوية متشتتة تخلق لهم أزمة تشكيل الهوية ما يؤدي بالفرد إلى التشتت في تفاعلاته من خلال النماذج المتعددة التي يتفاعل بها.

إلا انه لا يمكن إنكار أن لمواقع التواصل الاجتماعي بصفة عامة والفايسبوك بصفة خاصة سلاح ذو حدين لذا لا بد من استيفاء ما يفيدنا منها والتخلي عن الجانب السلبي لها وهذا لا يتأتى إلا من خلال ترشيد استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي وتفعيل دور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية ذات الصلة.

- كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن أكثر من 50% لديهم أكثر من حساب فيسبوك و بأسماء مزيفة وبجنس مختلف (حيث قد تستخدم البنت اسم ولد و العكس) إضافة إلى وضع (سن زائف) كما أن تفاعلات الأبناء عبر الفيسبوك ما يدل على أن تفاعلاتهم مع الأفراد الآخرين لا يحمل النموذج الأصلي لهم وهذا ما تطرق إليه العالم " **اريك اركسون**" في علم النفس الاجتماعي إلى أن تشكل أزمة الهوية يبدأ الفرد في البحث عن مصادر جديدة للمعنى و الانجاز و القيمة " كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن بعض مستخدمي الفيسبوك يريدون التقليل من بعض النقائص التي تتمركز في شخصيتهم حيث يعبرون

عنها من خلال المنشورات أو الصور أو المقولات حيث يعتبر أغلب الأبناء أن الفيسبوك مجال للحرية عن التعبير عكس ما هو سائد داخل المجتمع الواقعي.[1]

يتضح أيضا من خلال هذه الدراسة أن الفيسبوك يحمل مجموعة من السلبيات التي باتت منتشرة اليوم في هذا المجتمع الافتراضي ما يدل على أن الانحراف له أشكاله الرمزية التي تهدد البناء القيمي والنسق الأخلاقي التي قد تنتقل للواقع الاجتماعي أيضا وقد تكون أيضا انتقالا من الواقع إلى الافتراض **من خلال العلاقات الافتراضية كما ذهب إليها نظرية الرأسمال الافتراضي** فقد" أعادت الشبكات الاجتماعية التشكلات التفاعلية التي ظهرت في إطار ما يمكن تسميته بإعادة المفاهيم على نحو افتراضي، ومن هذه المفاهيم رأس المال الاجتماعي في سياقه الافتراضي".إذ ترى هذه النظرية أن رأس المال الاجتماعي على الصعيد الافتراضي يتأسس بناء على شبكة من الارتباطات بين أفراد التفاعلات الافتراضية المنتشرة في مواقع التواصل الاجتماعي والتي تأثر على النسق القيمي.

إن أغلب المبحوثين قد تلقوا العديد من الروابط الخاصة بصور وأفلام وصفحات ومجموعات لا أخلاقية وإباحية دليل على أن هذا المجتمع الافتراضي يتكون من بيئة للتفاعل الغير رسمي التي تدل بدورها على الانحراف لدى مستعمليها ودليل آخر على ذلك صور المعاني والرموز واللغة المستخدمة في التعليقات والتي أغلبها كلمات للشتم.

خاتمة:

من خلال ما تم التطرق إليه في هذه الدراسة يتضح أن لوسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك سلبيات وايجابيات لمستخدميه، حيث ينبغي على مستخدمي الفيسبوك التواصل بصورة ايجابية ترقى لتكوين علاقات اجتماعية بعيدة عن اللاقيم الاجتماعية والأخلاقية وهذا ما يستطيع مستخدم الفيسبوك تحقيقه.

كما نجد أن أغلب الفئات التي تعمل على نشر معاني ورموز مسيئة للأخلاق ومنافية لقيم المجتمع ما هم سوى أشخاص لا يتفاعلون في صفحاتهم بمعلوماتهم الحقيقية خاصة الاسم والبلد فيتيح لهم هذا التوجه نحو الانحراف الافتراضي في هذه الصفحات وجعل صفحاتهم عبارة عن صفحات ومجموعات لأفلام إباحية أحيانا أو صور إباحية، إلا أن الغريب نجد تفاعلات حول مثل هذه الصفحات ما يدل على أن هذا المجال فتح مجالا آخرا للتفاعل في صوره السلبية وبكل أريحية.

[1]–أمال كزيز. ساحي علي: (2017)، **تأثير الفيسبوك في تشكيل هوية الأبناء بين الهوية الواقعية والافتراضية**، تندوف، الجزائر، مجلة العلوم الانسانية، العدد02.

اقتراحات الدراسة:

- التفاعل بالبيانات الشخصية يسهم في إبقاء صفحة الفيسبوك مجال للتفاعل بوعي.
- التوعية باستخدامات الفايسبوك.
- مراقبة صفحات الأصدقاء.
- جعل الفيسبوك وسيلة للتواصل الفعال.
- ترشيد استخدام الفيسبوك.

المراجع:

1) أمال كزيز. ساحي علي: (2017)، **تأثير الفيسبوك في تشكيل هوية الأبناء بين الهوية الواقعية والافتراضية**، تندوف، الجزائر، مجلة العلوم الانسانية، العدد02.

2) بارة سمير، (ب س ن)، **تأثير المواطنة الافتراضية في ظل شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية العربية**: مقاربة لفهم العلاقة بين البناء والترهل،قسم العلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة. ص09.

3) طه عبد الرحمان، (2006)،**الحق العربي في الاختلاف الفلسفي**،المغرب: المركز الثقافي العربي ط2.

4) عثامنة نزيهة(2017/2016)، **تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على القيم الاجتماعية للطالب الجامعي**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة.

5) علي غربي:(2006)، **أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية**، قسنطينة، الجزائر، ب دن.

6) عمار الطيب كشرود: (2008)، **البحث العلمي ومناهجه في البحث العلوم الاجتماعية والسلوكية**، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع.

7) محمد الفاتح حمدي، (2014/2013)، **الإعلان في القنوات الفضائية العربية وانعكاساته على قيم الشباب الجزائري – طلبة بعض جامعات الجزائر نموذجا** السنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الجزائر: كلية العلام والاتصال الجامعية).

8) موقع مركز الدراسات والبحث في القيم، (http://www.alqiam.ma/Article.aspx?C=5636)، تاريخ الزيارة: 2017/04/27.

9) يوسف بن عثمان الحزيم، (ب س)،**قوة التطوع** –تطبيقات سعودية–، (المملكة العربية السعودية: مركزالأميرة العنود لتنمية الشباب،بدون طبعة).

موقع :(www.mawdoo03.com) ،تاريخ الزيارة: 1-03-2017.

اقتصاديات الإعلام السياسي في الجزائر

د/ بن ديدة بغداد ـ جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة ـ الجزائر

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تأثيرات الاقتصاد الإعلامي على السياسة، وتحكم اللوبيات الاقتصادية الكبرى عبر المؤسسات الإعلامية على الحكومات الوطنية، وهيمنتها على قراراتها السيادية، واستيلاء الشركات متعددة الجنسيات على ثروات البلاد ونهبها، بتواطىء مافيا داخلية وخارجية تتحكم في دواليب الأنظمة السياسية، وتعمل على إحداث تغييرات في التخطيط الحكومي في اغلب الوزارات السيادية كالتعليم والإعلام قصد فرض هيمنتها، ولتنويم الشعوب وتوجهيها بما يخدم سياستها.

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد الإعلامي، الحكومات الوطنية، الشركات متعددة الجنسيات، اللوبيات الاقتصادية

Abstract:

This study aims to shed light on the effects of the media economy on politics, the control of the major economic lobbies through the media institutions on national governments, their dominance over their sovereign decisions, and the takeover by multinational corporations of the country's wealth and plunder, with the complicity of internal and external mafia, And is working to make changes in the planning of the government in most of the sovereign ministries such as education and media in order to impose his hegemony, and to hypnotic peoples and orientation to serve its policy.

Keywords: media economy, national governments, multinational companies, economic lobbies

تمهيد:

الانفتاح الإعلامي سمح لسيطرة رجال الأعمال على المؤسسات الإعلامية، وهذا من خلال توجيه المضامين الإعلامية من تربوية، تثقيفية إلى بزنسة إعلامية عبر الإثارة وكذا الربح السريع، وهذا تسطيحا لذهنية المشاهد.

1- الإعلام والسلطة والمال:

" أكد (I. Romonet) أن النشرة الإخبارية في مطلع القرن الحالي أصبحت عبارة عن مزيج من القيم وهي: **الجنس، الموت، الطرافة** (***L'amour- La mort- L'humour***)، وجاء ذلك ضمن دعاوي إلى ضرورة كبح جماح الانحراف في مجال الإعلام وعلى النقيض من ذلك، وبشيء من التبجح والتأييد اعتبر

ميردوك أن مجالات التغطية الإعلامية والإخبارية هي الجريمة، الجنس، الرياضة، ويأتي هذا من باب سيطرته على مجموعات إعلامية كبيرة مثل **برلسكوني وماكسويل**، أو كبريات الشركات أو غيرها"[1].

" إن العوامل البنيوية الجوهرية المستقاة من حقيقة أن الميديا المسيطرة مطوقة بإحكام بنظام السوق، إنها مشروعات أعمال تسعى للربح، مملوكة لأفراد في غاية الثراء (الشركات) تمول بشكل كبير عن طريق المعلنين الذين هم أيضا كيانات تسعى للربح، والتي تسعى إلى أن تظهر إعلاناتهم في بيئة داعمة للبيع، تعتمد الميديا أيضا على الحكومة ومنشآت الأعمال الضخمة كمصادر للمعلومات، وتتسبب كل من الكفاءة والاعتبارات السياسية والمصالح المتداخلة في درجة معينة من التضامن، تسود بين الحكومة ومؤسسات الميديا الضخمة، وغيرها من مؤسسات الأعمال"[2].

إن تدخل السلطة في الإعلام عبر تحالف رجال الأعمال مع الساسة والوسيط بينهم هو الإشهار الذي يدر أرباحا خيالية على القنوات الخاصة، والتي لا تستطيع الاستغناء عنه، فالسلطة تعطي الضوء الأخضر لرجال الأعمال لكي يشهروا بسلعهم لدى قنوات خاصة بعينها، وتمنعهم من قنوات خاصة أخرى تضعها السلطة في الخانة الحمراء نتيجة انتقاد سياستها.

"وأخيرا تؤثر ضغوط التلويح بالثواب والعقاب (الجزرة والعصا) التي يستخدمها المعلنون واتحاد مشروعات الأعمال، والأحزاب السياسية الرائدة، في توجيه الصحفيين ناحية موضوعات بعينها، والانصراف من موضوعات أخرى تعتمد الصحف في أكثر من (75%) من عائداتها على إعلان المؤسسات، ولذلك يقل احتمال تركيزهم على الأثر المحزب لهذه المؤسسات على الصحة العامة، وعلى رخاء شعوب العالم الثالث والبيئة"[1].

هامش الحرية يتقلص لدى المؤسسات الإعلامية التي تتغذى من الإعلانات، فلا تستطيع أن تنتقد بكل حرية المؤسسات الاقتصادية التي تعلن لديها. لذا الحرية الإعلامية تصبح ضربا من الخيال وتحول الحرية إلى قيد، وبالتالي دورها الحقيقي في نشر الحقيقة ينحصر على موضوعات لا تفيد التغيير المطلوب داخل المجتمع.

" نحن نعتقد أن تقارير **بي.بي.سي** محرفة للغاية بسبب افتقارها إلى الاستقلال عن نفوذ الحكومة وإيديولوجيتها خاصة عندما تكون السياسة الخارجية هي المعنية"[2].

---

[1]- محمد شطاح: قيم العنف في الإعلام الاستعراضي، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، نوفمبر 2010، العدد 6، جامعة سكيكدة، الجزائر، ص.ص:69-70.

[2]- دافيد إدواردز، دافيد كروميل: حراس السلطة أسطورة وسائل الإعلام الليبرالية، ترجمة: أمال كيلاني، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، مصر، 2007، ص27.

[1]- دافيد إدواردز، دافيد كروميل: حراس السلطة أسطورة وسائل الإعلام الليبرالية، مرجع سابق، ص35.

[2]- المرجع نفسه، ص145.

أ- احتكار الإشهار:

" لم تكف السلطة على استعمال الإشهار كسلاح للضغط على الصحافة المستقلة، عن طريق بعض الإجراءات جعلت من **سونطراك** مثلا، والذي يعد من أكبر المشهرين تحول كل إعلاناتها نحو منشور إشهاري رسمي يصدر عن وزارة الطاقة والمناجم، أو تلك الإشاعة التي مفادها أن الهولدنغ قطاع العام، وقد حصل على تعليمات من طرف رئيس الحكومة بعدم شراء فضاءات إشهارية في الصحف المستقلة، القصد منها خلق صعوبات مالية لهذه الجرائد حتى تصبح غير قادرة على تسديد نفقات الطبع ومنه إلى الاختفاء"[1].

إن العقاب السياسي للإعلام في الجزائر عبر التضييق في منابع الإشهار؛ والذي يغذي المؤسسات الإعلامية المستقلة، لهو دليل واضح على تخوف النظام السياسي من الانفتاح الإعلامي المفروض رغما عنها.

" لكن تقلصت هذه العراقيل بدرجة كبيرة، لأن السلطة لا تستطيع بالسهولة المعتادة توقيف الجرائد لأسباب سياسية، نظرا للتجذر المتزايد لحرية التعبير لدى الطبقة السياسية والجمهور، كما أصبح الجانب الإعلامي أكثر حماية من طرف المنظمات الحكومية وغير الحكومية التي تعمل على متابعة تطور الصحافة المكتوبة في الجزائر، مثل الاتحاد الأوربي والمنظمة الدولية للتجارة التي تشترط تحسين وضعية حقوق الإنسان وحرية التعبير، أو منظمة المحققين بلا حدود (***RSF***) أو منظمة العفو الدولية التي تشكل ضمانات كبيرة لحماية حرية الصحافة"[2].

إن المد والجزر تحديد العلاقة في الجزائر بين السلطة والإعلام عبر التصنيفات الاقتصادية كالإشهار مثلا، تقلص لصالح هذا الأخير الذي أصبح يمارس دوره في المجتمع بكل حرية.

" مسألة التمويل وهي إحدى المتغيرات الضاغطة على ديمقراطية الاتصال؛ إذ أن وسائل الاتصال المطبوعة والمؤسسات العاملة في هذا القطاع **التوزيع والنشر والنقل**، ما لم تجد تمويلا ذاتيا كافيا فإنها ترغم على افتقاد استقلاليتها وحريتها في مجال الفكر والرأي؛ تحت ضغط الحاجة إلى الأموال، وهذه ظاهرة شائعة في الوطن العربي، ولابد من معالجتها بما يحقق استقلالية وسائل الاتصال"[1].

---

[1]- تمار يوسف: الاتصال والإعلام السياسي: الثقافة السياسية بين الإعلام والجمهور، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2012، ص.ص:94-95.

[2]- تمار يوسف: الاتصال والإعلام السياسي: الثقافة السياسية بين الإعلام والجمهور، مرجع سابق، ص67.

[1]- محمد حمدان المصالحة: الاتصال السياسي، مقترب نظري تطبيقي، ط2، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002، ص65.

إن التفكير الجدي لوسائل الإعلام الخاصة في تنويع استثماراتها بما يحقق لها الاستقرار المالي، كفيل بأن يحمي استقلاليتها ويحقق لها دورها الوظيفي في المجتمع بالمرافقة الإعلامية لكشف الحقيقة وإيصالها للجمهور حتى يتفاعل معها، وليس فقط السلطة السياسية تترصد الوسائل الإعلامية الخاصة في الجزائر، بل حتى الأزمات الاقتصادية المتلاحقة وغياب الجمهور الوفي لها، مما يحتم عليها البقاء لتحقيق استقرار مالي عبر تنويع استثماراتها مما يحقق لها الاستمرارية بعيدا عن أي ضغوط.

ب- التسويق السياسي:

" هو عملية متداخلة إذ يمثل مفارقة وتناقضا؛ ويعتبر في العصر الحالي بمنزلة الدعامة السياسية في الإعلام، لكونه النوع الأكثر فعالية وتوجه إليه عادة تهمة إهماله ومساسه بالجانب الأخلاقي...، ومن المعلوم أن لجميع الأحزاب السياسية تواجد في المجتمع في المجتمع المدني، سواء كان في شكل تنظيمات طلابية أو نقابات أو جمعيات ذات طابع خدمي، ويوظف خطاب هذه الجمعيات لتدعيم عملية التسويق والإعلام السياسي للبرامج التي يهدف إليها الحزب وتسويقها"[(2)].

يعرف **التسويق السياسي** على أنه:" تحليل وتخطيط وتنفيذ والتحكم في البرامج السياسية الانتخابية، التي تضمن بناء العلاقات ذات المنفعة المتبادلة بين كيان سياسي ما أو مرشح ما وبين الناخبين، والحفاظ على هذه العلاقة من أجل تحقيق أهداف المسوق السياسي".

وهنالك تعريف آخر للتسويق السياسي:" بأنه تطبيق مبادئ التسويق وأساليبه في الحملات السياسية، التي تقوم بها الكيانات السياسية أو الأحزاب أو الأفراد، وتتضمن هذه الأساليب تحليل السوق السياسي وتخطيط وتنفيذ الحملات السياسية، أو هو مجموعة من الأنشطة التي تستهدف تنظيم عدد من المؤيدين لمرشح سياسي أو حزب أو فكرة أو برنامج معين، بما في ذلك الدعم المادي والجماهيري باستخدام كافة وسائل الاتصال الجماهيري أو الوسائل الأخرى الضرورية"[(1)].

" من بين الصحف في الجزائر التي تركز على التسويق لصورتها عبر صفحاتها هي جريدة الشروق اليومي التي تأسست في الفاتح من نوفمبر 2001، حيث تعمد في كل مرة إلى إذاعة أخبار تتناول نجاحاتها، ويظهر ذلك في الخبر المنشور يوم السبت 22 ماي 2011 في الصفحة 23، من توقيع الصحفي **تومي عياد الأحمدي**؛ جاء فيه: أفتكت الجزائر والمغرب العربي ممثلة في شخص صحفي الشروق قادة بن عمار جائزة الصحافة العربية للشباب، في الدورة العاشرة الذي تسلم جائزته في حفل

---

(2)- جبار علاوي: الاتصال السياسي، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014، ص134.

(1)- بغداد باي عبد القادر: تسويق الصحف والإقناع في الرسالة الإعلامية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 18، جامعة وتلة، مارس 2015، ص101 (محمل من الانترنت).

بهيج، بفندق جرائد حياة بدبي من يد نائب رئيس مجلس إدارة الجائزة محمد بركات، وأرجع الإعلاميون الجزائريون والعرب الذين نظموا احتفالية خاصة لها إلى مدى الاحترافية التي تتمتع بها، وإلى الاجتهاد وتقديم مادة مهنية ذات جودة للقارئ الجزائري والعربي عموما"[2].

ومن الأساليب السياسية التي تعتمدها الوسائل الإعلامية الجماهيرية في الجزائر، تسويق صورتها لكي تحضى بمقروئية مرتفعة حتى تستفيد من عائدات الإشهار، لأن القاعدة الذهبية عند أصحاب رؤوس الأموال كلما ارتفعت المقروئية حظيت بعائدات الإشهار، فهنالك علاقة طردية بين ارتفاع عدد المقروئية وبين جذب المشهرين، فالمشاهدة أيضا لها نفس الوقع في جذب الإشهار الخاص.

2- الاتصال السياسي في وسائل الإعلام:

" وإن من المعروف أن أوامر شارل العاشر التي فرضت نظام رقابة صارم، كانت السبب المباشر للثورة التي أدت لسقوطه في عام 1830"[1].

إن لوسائل الإعلام ثقل على الصعيد السياسي باعتبارها السلطة الرابعة، ومصدر الوعي في المجتمع، لذا من المستحيل فرض رقابة عليها ومحاولة السيطرة عليها بمثابة إذان بسقوطها.

" أثارت الأهمية التي نالتها الدعاية الإذاعية في فترة ما بين الحربين، ولاسيما في ألمانيا الهتليرية، انتباه الباحثين في العلوم الاجتماعية في وقت مبكر جدا، هل كانت وسائل الإعلام الجديدة في طريقها لأن تصبح السلاح المطلق في أيدي الديكتاتوريين المهتمين في التحكم في شعوبهم"[2].

وهو ما نراه في دول العالم الثالث حيث تستخدم وسائل الإعلام للسيطرة على الحكم، وهو ما تبرره الانقلابات السياسية التي كانت تبدأ من تحريك دبابة نحو مبنى التلفزيون وإلقاء بيان للشعب للدلالة على السيطرة، مما جعل هنالك تخوفا من السلطة للإنفتاح على القطاع السمعي البصري.

" لقد وضع **جون بوديللار** في المقدمة هذه الفكرة الهامة القائلة بأن موضوع الرهان في وسائل الإعلام السمعية البصرية بشكل خاص لن يكون الرسالة نفسها وإنما الواقع أن الفرد يتصل، وذلك يستمر في الاتصال، وهذا ما يسميه بالوظيفة الشعورية، إننا نلعب بالاتصال، ومن هنا تنبع نزعته التشاؤمية العميقة، إن هنالك صورة معمقة وأكثر فأكثر على غياب الاتصال الصحيح فالخطاب الإعلاني على

---

[2]- بغداد باي عبد القادر: تسويق الصحف والإقناع في الرسالة الإعلامية، مرجع سابق، ص104.

[1]- فيليب برو: علم الاجتماع السياسي، ترجمة: د/محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص235.

[2]- المرجع نفسه، ص239.

سبيل المثال وسواء كان سياسيا أم لا، ليس هنالك أولا أن يكون صحيحا أم خاطئا: فرهانه الحقيقي هو في أن يكون عملياتيا أي في قدرته على الإقناع"[1].

لذا لا يمكن الاستهانة بالدور السياسي الذي يقوم به القادة السياسيين أثناء الحملات الانتخابية في قدرتهم على الإقناع عبر التلفزيون، وهذا التأثير نابع من قدرتهم على تسويق برامجهم السياسية الفاعلة في تحقيق تنمية واعدة عبر اتصال مباشر مع القاعدة الناخبة أثناء المواعيد الانتخابية.

أ- **الدعاية في وسائل الإعلام:** يعرف **موسى الكيلاني** الدعاية السياسية بأنها:" تسعى إلى تحقيق نتائج غير الأهداف المعلن عنها، وهي تستهدف التأثير على سلوك الآخرين وأفكارهم بواسطة الاستخدام الذكي الانتقائي المدروس للرموز ونشرها، سواء أكانت الرموز لفظية أو سمعية أو بصرية أو إدراكية والتركيز على الكلمة – الرمز – مقروءة أو مسموعة أو مرئية أو كل ذلك"[2].

تسعى وسائل الإعلام المختلفة بتفعيل الدعاية السياسية عبر تنشيط الموجه للفعل السياسي في الساحة الذي ترفضه الإملاءات، التي يسعى الشعب لتحقيقها عبر الوصول إلى الرفاهية.

" وكما يقول **عبد اللطيف حمزة**؛ فإن عملية الدعاية في الواقع هو تضييق منطقة التردد في الأفراد والجماعات بقدر المستطاع، ولهذا تعتمد على الكلمات البراقة المألوفة والصيغ المحفوظة والمعلومات الشائعة بين الجمهور"[1].

لذا فالغرض من الدعاية السياسية هو توجيه الجمهور نحو اتخاذ فعل ما، وهذا باستخدام وسائل الإعلام للنشر على أوسع نطاق، و خلال حرب الفيتنام حيث استخدمت الو.م.أ كل الوسائل لتجنيد شعبها اتجاه تقبل الحرب، ثم بعدها تقبل الهزيمة، وهذا عبر الأفلام السياسية فهوليود عملت على تهدئة الشارع الأمريكي فمثلا فيلم (صائد الأيائل) قرابة الثلاثة ساعات والمحتوى كله؛ على أن الانسحاب الأمريكي كان من أجل السلام؟، والغريب أن الفيلم حاز على خمس (05) جوائز أوسكار، مما يؤكد أن هذه الجائزة سياسية في المقام الأول وليس سينمائية محضة.

ب- **التنشئة السياسية:** " هي تلك العملية التي يكتسب الفرد من خلالها معلوماته وحقائقه وقيمه ومثله السياسية، ويكون بواسطتها مواقفه واتجاهاته الفكرية أو الإيديولوجية التي تؤثر في سلوكه وممارساته اليومية، وتحدد درجة تضحيته وفاعليته السياسية في المجتمع، وتساعد على بقاء وديمومة واستقرار النظام السياسي، طالما تستهدف تمرير الأفكار والخبرات والأساليب السياسية التي يعتمدها المجتمع

---

[1]- فيليب برو: علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص244.
[2]- محمد بن سعود البشر: مقدمة في الاتصال السياسي، مكتبة العبيكان، ط2، الرياض، 1423هـ، ص152.
[1]- محمد بن سعود البشر: مقدمة في الاتصال السياسي، لمرجع سابق، ص156.

بين أبناء الشعب، ويحاول زرعها في نفوس الأفراد والجماعات على اختلاف خلفياتهم الاجتماعية والطبقية"[2].

لذا يعمد الإعلام إلى إحداث عملية تنشئوية سياسيا، وهذه التعبئة عبر المعلومات والحقائق حول كل الأحداث السياسية الجارية في المنطقة التي يقطنها الفرد، وفي إقليمه الذي ينتمي إليه محليا وعالميا، فالفرد اليوم لم يعد ينتمي إلى حيزه المتواجد فيه، بل يتفاعل مع أحداث إنسانية كالتهجير القصري الذي يحدث لبني جلدته، أو الحروب التي تتعرض لها الإنسانية أو التفجيرات الإرهابية التي لم تستثني أحدا، مما يخلف جوا من التضامن في العديد من القضايا.

" يؤكد من **ألموند وباول** أنه لا يمكن الفصل بين وظيفة التجنيد السياسي وعملية التنشئة السياسية، ويتأكد هذا المعنى من خلال ما ذهب إليه **مورفيك** (Murvick)؛ حيث يرى أن مظاهر الارتباط بين التربية والنظام السياسي، وهي عملية تحديد الأفراد لمواقع السياسية الهامة أو اختيار وانتقاء الصفوة السياسية، والتي يقصد بها على وجه التقريب تقلد الأفراد للمناصب السياسية سواء كان وصولهم إليها بدوافع ذاتية أو وجهوا إليها من الآخرين"[1].

لذا فالفرد كائن سياسي بطبعه كونه يطلع على أحواله من خلال مجريات السياسة الجارية حوله.

" ولوسائل الإعلام دور هام في البعد المعرفي لعملية التنمية السياسية، حيث وظيفتها نقل الأحداث والأخبار من كافة المواقع، وإعلام المواطن بها بالإضافة إلى وظيفة الشرح والتفسير والتعليق التي تساعد على الوعي السياسي"[2].

لذا فالفرد يحتاج إلى الأخبار التي تعد بمثابة الخزان السياسي الذي يغترف منه الفرد ما يحتاجه، وتعد البرامج السياسية التي تستضيف خبراء في المجال السياسي؛ والتي تناقش الأحداث السياسية الآنية، والتي تتناول العديد من أوجه التفسيرات والشروحات لها، مما يجعل الفرد يتخذ حيالها الموقف المحدد الذي يتلاءم مع اتجاهاته الأيديولوجية التي يتبناها، وبالتالي تعد وسائل الإعلام والاتصال المساعد الأول في مجال التنشئة السياسية لسبب بسيط أنها تحمل له الخبر مصور ومسموع وآني.

" يشير **لوسيان باي** (Lucian Pye) إلى أن هنالك ثلاث (03) مراحل أساسية لعملية التنشئة السياسية هي:

---

[2]- مولود زايد الطيب: التنشئة السياسية دورها في تنمية المجتمع، المؤسسة العربية الدولية للنشر، عمان، الأردن، 2001، ص11.

[1]- محمود حسين إسماعيل: التنشئة السياسية دراسة في دور أخبار التلفزيون، دار النشر للجامعات، ط1، القاهرة، مصر، 1997، ص.ص:24-25.

[2]- المرجع نفسه، ص26.

- مرحلة تحدد وفقا لها انتماء الطفل لثقافة وتاريخ ونظام معين.
- مرحلة يتفهم فيها الطفل هويته، ويزداد إدراكه للعالم السياسي والأحداث السياسية.
- مرحلة يشارك فيها الفرد مشاركة فعلية في الحياة السياسية من خلال عمليات التصويت وتولي المناصب السياسية"[1].

لذا فالطفل يتلقى تنشئته السياسية من خلال المقررات الدراسية التي تحتوي على انتماءه لوطنه ولتاريخه وتراثه وهويته، التي من خلالها يتشبث بالوطن ويصبح مؤهلا للدفاع عنه، وتتمثل من خلال زياراته للمتاحف الوطنية أيضا والتعرف على النظام السياسي الذي يتواجد فيه، من خلال تحيته الصباحية للعلم الوطني وممارساته السياسية تبدأ، من خلال انتخاب ممثل القسم الذي يعتقد أنه سيخدم المصلحة العامة للقسم.

ج- **العولمة السياسية:** " يعرفها الباحث **أحمد ثابت** بأنها: تقليص فاعلية الدولة وتحليل دورها، واعتبار الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية شريكا للدولة في صنع قراراتها السياسية، وهذا يعني أن مبدأ السياسة آخذ بالتآكل نتيجة علاقات الدول فيما بينها في مختلف مجالات الحياة، وتصبح حرية الدول بحسب مشيئتها ناقصة. لذا فالعولمة السياسية تعني نقلا لسلطة الدولة واختصاصاتها إلى مؤسسات عالمية تتولى تسيير العالم وتوجيهه، وهي بذلك تحل محل الدولة وتهيمن عليها"[1].

فالشركات متعددة الجنسيات سيطرت سياسيا على الدول وقلصت من سيادتها سياسيا وثقافيا، قصد التمكن من سلب ثرواتها عن طريق الاستثمارات المختلفة، وحتى يتحصل لها ذلك تصبح شريكا في القرار السياسي والذي يمكنها من ضمان حصتها في الاستثمارات الاقتصادية المختلفة، وحتى تسيطر ثقافيا، واتجهت نحو الإعلام عبر التمويل الإشهاري لمختلف القنوات الفضائية الخاصة، وتمويل لبعض الحصص الشبابية الهابطة بغرض السيطرة الثقافية، والقضاء على القيم الأسرية التي تجعل من الصعب التحكم في المثل العليا للمجتمع.

" ويعرف العولمة السياسية **قاسم دجاج** في بحثه على أنها: عملية تشكل نظام دولي يتجه نحو التوحد في قواعده، وقيمه وأهدافه مع زعمه العمل على إدماج مجموع البشرية ضمن إطاره، أو في تجسيد لسعي بعض القوى المعولمة لإضفاء العالمية والتعميم والانتشار والتبشير على بعض القيم السياسية والاقتصادية المرتبطة بقيم الخصوصية الحضارية الغربية، لما يثير ردود فعل الخصوصيات الأخرى

---

[1]- نفسه، ص31.

[1]- أشرف غالب أبو صالحة: تأثير العولمة السياسية على الوطن العربي، (1991-2011)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط، قسم العلوم السياسية، الدولة غير مذكورة، 2012، ص62.

الغربية، مطالبة بالمساهمة في إعادة تعريف محتوى القيم العالمية السياسية التي يمكن قبولها إراديا، مثل قيم الديمقراطية والكرامة الإنسانية والحريات الفردية والجماعية وحقوق الإنسان وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها"[2].

لذا فالقيم التبشيرية في النطاق المعولم جاء للقضاء على الحرية نفسها التي تنادي بها الأيديولوجية الليبرالية، فعن طريق الحرية الاقتصادية والثقافية والسياسية يتم تقليص حرية شعوب وحضارات بأكملها، والتي أصابها الضرر والانتكاس بفعل التقليد الأعمى، والمحاكاة للرفاهية التي تبشر بها الشركات متعددة الجنسيات والتي أدت إلى اختلالات اجتماعية كالإنتحار والهجرة والعنوسة وغيرها.

" إن الحرية هي الآن القيمة الصاعدة عالميا، والتي ستستمر في الصعود مستقبلا، بعد أن تراجعت معظم النماذج السياسية والفكرية الأخرى بما في ذلك النموذج الاشتراكي، الذي يجسد قيمة العدالة، لقد كانت العدالة في النصف الأول من القرن العشرين هي القيمة الصاعدة والتي استأثرت باهتمام البشرية نتيجة للنجاحات التي حققها النموذج الاشتراكي على الصعيد العالمي، بيد أن الأولوية الآن للحرية وليس للعدالة، التي فقدت بعضا من بريقها السابق على الصعيد السياسي العالمي، دون أن يعني ذلك اختفاءها من الفكر السياسي العالمي ومن الوقائع الحياتية اليومية"[1].

النظام الليبرالي الذي فرض الحرية بالحديد والنار كما حدث في العراق وأفغانستان جلب الكثير من المآسي على شعوب الشرق الأوسط وباتت الهيمنة الأمريكية بارزة في المشهد العالمي، فهل الحرية المزعومة تفرض أم أنها تكون مطلبا بحد ذاته؟ وكذا هل الحرية تقتضي تقسيم الأوطان كما يحدث في العراق واستفتاء كردستان حول تقرير المصير؟ وما مصير السنة والشيعة أيضا من التقسيم؟

3- سلطة الاتصال:

" إن ظاهرة الاتصال السياسي يشكل ظاهرة صعبة التحليل، ومرد هذا إلى تعدد المعاني التي تخص طرفي الكلمتين المكونتين لهذا المصطلح من جهة (الاتصال والسياسي) وعدم دقتهما من جهة أخرى، والاتصال السياسي يعرف على أنه أي عملية اتصالية موضوعها السياسة أو على مفاهيم دقيقة التي تحصر مفهوم الاتصال السياسي في التقنيات الحديثة للاتصال (وسائل الإعلام، عمليات تسيير الآراء، التسويق السياسي، الإشهار)"[1].

---

[2]- أشرف غالب أبو صالحة: تأثير العولمة السياسية على الوطن العربي، (1991-2011)، مرجع سابق، ص63.

[1]- المرجع نفسه، ص.ص:72-73.

[1]- نبيلة بوخيرة: الاتصال السياسي نماذج الاتصال السياسي للكاتب هيوك كازينون، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية العلوم الاجتماعية، العدد جوان 2014، ص75.

" فإن بعضا من أكثر النظريات السلطوية تأثيرا رغم اختلافاتها النظرية والأيديولوجية، تشترك في تحليل متشابه متعدد الوجوه لبنية السلطة في المجتمع، فالعنف والتهديد باللجوء إليه والخطاب التأديبي، واحتمال تطبيق التأديب وإضفاء الطابع المؤسسي على علاقة السلطة كهيئة يمكن إعادة إنتاجها، وعملية المشروعية التي يقبل الرعايا قيمها وتواعدها كل هذه العناصر متفاعلة في عملية إنتاج وإعادة إنتاج علاقة السلطة في الممارسة الاجتماعية وفي صيغ المنظمات"[(2)].

إن أسلوب الخطاب التهديدي من طرف السلطة إنما هو إضفاء لشرعيته ونموذج اتصالي مع الجماهير وهذا قصد بسط النفوذ عليه وتكرار عملية الاتصال في المجال السياسي يعد بمثابة إنتاج وإعادة إنتاج للنظام القائم وتكريسا لوجوده المتسلط المهيمن على وسائط الاتصال والذي لا يسمح بنوع من الحرية لعامة الشعب.

أ- الهيمنة على وسائل الإعلام:

" وفي الحقيقية فمؤسسات الدولة والمؤسسات الموازية لها مثل المؤسسات الدينية والجامعات والصفوة المتعلمة، ووسائل الإعلام إلى حد ما هي المصادر الرئيسة لهذا الخطاب، ولتحدي علاقة السلطة القائمة من الضرورة إنتاج خطاب بديل يتحلى بقدرة كامنة على اكتساح القدرة الانضباطية المنطقية للدولة؛ كخطوة ضرورية لإبطال استخدامها للعنف"[(3)].

إن لوسائل الإعلام خطاب موازي حقيقة؛ إذ تعتبر مناوئة للسلطة ومنتقدة لسياستها التي تحد وتقلص من الحرية، وكذا باعتبارها سلطة رابعة لها مواقف إزاء تنوير الرأي العام بما يجري حوله من أحداث، وتعترف السلطة أن لوسائل الإعلام من القدرة في تغيير التصلب الذي تعتمده السلطة في طريقها للهيمنة والتسلط. لذا تعتبر وسائل الإعلام المنفذ الذي من خلالها يطلع على الحقيقة التي يحاول النظام القائم إخفاءها لإثبات الهيمنة والقهر.

" ويقع الارتباط بين سلطة الدولة والسياسة في مجتمع تكسبه الدولة تعريفه، وهذا هو الافتراض المضمر في غالبية تحليلات السلطة التي تراقب علاقات السلطة داخل دولة قائمة على الأرض أو بين دول، وتعين الأمة والدولة والأرض حدود المجتمع"[(1)].

---

(2)- مانويل كاسنلز: سلطة الاتصال، ترجمة: محمد حرشوف، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2014، ص40.

(3)- المرجع نفسه، ص44.

(1)- مانويل كاسنلز: سلطة الاتصال، مرجع سابق، ص45.

يعتمد النظام السلطوي القائم على غلق المجال على شعبه، والهيمنة عليه وذلك بتحديد افتراضات قائمة تعمل على تسيير شؤونه دون أن يعمل على التمرد أو التضمر من الحياة اليومية، ما دام أن الدولة تحيطه بسياج داخل أرض معينة.

ب- السلطة والعولمة:

" منذ قرابة قرن ونصف أكد **نيتشه** أنه على أوربا أن تقرر وضع حد للمهزلة التي طالت والمتمثلة في تمزقها إلى دول صغيرة، وكذلك لضعف إرادتها القبلية والديمقراطية، لقد انتهى عصر السياسة الصغيرة، وسيحمل القرن القادم الصراع من أجل السيطرة على العالم والإلزام المطلق لممارسة سياسية كبرى"[(2)].

فالنظرة المستقبلية هي في الاتحادات والتكتلات نحو السياسة الكبرى الواحدة والتي أصبحت اليوم أكثر من ضرورة، وهذا حتى تستطيع الدولة الواحدة الانضمام والاتحاد مع مجموعة من الدول كما حصل مع الاتحاد الأوربي.

" لقد سبق لـ **كارل ماركس** أن قال أنه سيعود إلى شمولية الرأسمال لا لسياسة الدول أن تكسر المسلمة السياسية الوطنية، وهي التي ستنتج لعبة السياسة الكبرى، أن الكفاية الوطنية الذاتية والعزلة الشاملة التي سادت فيما مضى، سيتبادلان بتجارة عالمية، وترابط عالمي لأمم الواحدة منها بالأخرى، وما ينطبق على الإنتاج المادي سينطبق أيضا على الإنتاج الفكري، ستصبح الإنتاجيات الفكرية ملكية عامة، وسيصبح من غير الممكن أكثر فأكثر الاكتفاء برؤية وطنية أو قومية محدودة ووحيدة البعد، ثم إن كل الآداب القومية والمحلية ستؤدي إلى خلق أدب عالمي"[(1)].

فالاقتصاد مدخل أكبر لتحقيق المصالح السياسية الكبرى، لذا فالاتحادات الاقتصادية الإقليمية أكدت ضرورة توحيد الرؤى السياسية والثقافية، لذا فالرأسمالية تحولت إلى عولمة اكتسحت المجال الإقليمي إلى الكوكبة أو العولمة.

" أرادت شركة **فولكسفاغن** وهي مجموعة عالمية مربحة أن تجعل العمال الجدد يعملون لوقت أطول، مع أنها كانت تدفع بالمقابل لهم أقل، وقد كان الجميع مسرورون لذلك النقابات والمستشار الاشتراكي الديمقراطي **غرهارد شرودر** ورؤساء الشركات. لقد أشاد الجميع باستحقاقات هذا النموذج الجديد الذي يمكنه أيضا تطبيقه في قطاعات أخرى، ولم يتأخر المستخدمون بإعلان انفتاح هرم الأجور نحو

---

(2)- أولريش بيك: السلطة والسلطة المضادة في عصر العولمة، ترجمة: جورج كتورة، د/إلهام الشعراني، المكتبة الشرقية، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص.ص:21-22.

(1)- أولريش بيك: السلطة والسلطة المضادة في عصر العولمة، مرجع سابق، ص33.

الأسفل وهذا مفهوم، وهذا ما يطلق عليه اسم المرونة في سياق المضاربة الشاملة، تأخذ شروط الاستخدام والأجور منطق التراجع، هددت شركة فولكسفاغن بنقل بناء سياراتها الشاحنة الصغيرة إلى سلوفاكيا أو الهند وكان حبور **الحزب العمالي** والنقابات شديدا، إذ نجحوا في منع ذلك"[1].

العولمة اختصرت الزمان والمكان وهذه الحادثة تلخص لنا الكثير من الأشياء أن رأس المال أصبح له حرية التنقل، وكذلك قوة التفاوض مع السلطة في التملص من الضغوط النقابية وهذا بالمقدرة على نقل الشركة إلى مكان به عمالة رخيصة، وهنا يصبح الولاء للوطن من الماضي، إذ صاحب رأس المال يبحث عن مصلحته، وبالتالي يستطيع أن يفرض على الدولة الوطنية إملاءاته بالإتحاد مع الشركات المتعددة الجنسيات، والتي توفر له كل الضمانات والظروف المريحة من ضرائب منخفضة، وكذلك القدرة على الحركة وغيرها من الامتيازات. لذا فالدولة الوطنية لم تعد موجودة بمفهومها الكلاسيكي، ففي ظل العولمة صار من قوة الاتصال السياسي والقدرة على الحركة والتحرر من الضغوط، بسبب بحث الدولة على مساعدات في الاستثمار للقضاء على البطالة، وأن الشركات الكبرى أصبح لديها النفوذ حتى على السياسة وفي اختيار ما يمثلهم في البرلمان للحفاظ على قوتهم ومصالحهم المشتركة، ويبرز ذلك في اختيار رؤساء الدول الذين يمثلون ويحافظون على مصالحهم، لذا فالحدود لم تعد لها معنى كما كانت للدولة الوطنية من قبل. وحتى مفهوم السيادة اهتز واصبح مطاطا، اذ من الممكن أن تتحكم الشركات متعددة الجنسيات في مصائر شعوب بأكملها.

ج- عولمة الاقتصاد:

" يعتبرها الأستاذ **جلال أمين** في كتابه العولمة والتنمية العربية، ظاهرة متعددة الجوانب تشمل تسارع معدل التجارة الدولية وتدفق العمالة ورأس المال والتكنولوجيا، فضلا عن تسارع معدل انتقال الأفكار وأنماط الحياة، ويختلف أثر هذه الجوانب في التنمية البشرية"[1].

لذا التكنولوجيا أحدثت فارقا كبيرا في تقليص الزمن والمكان، وإحداث هزة اقتصادية كبيرة مكنت من تحولات اجتماعية وثقافية على جميع بلدان العالم، وأثرت في أمزجة وأفكار الشعوب واستطاعت توحيدها في قوالب شبيهة بالإشهار المتلفز الذي يمثل شاب يلبس الجينز، ويمرح مع زملائه من الجنسين وله تسريحة شعر غريبة، وهذا يمثل التنميط الذي تسعى له العولمة للقضاء على الثقافات المتعددة

---

[2]- المرجع نفسه، ص45.

[1]- غربي محمد: تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، العدد 6، ص24.

وإدخالها المتاحف، وجعل الحضارة الغربية هي السائدة والرائجة، من خلال مطالبة الشعوب إليها، عبر العولمة الاقتصادية التي مكنت من حدوث ذلك. وهذا بغرض تسهيل الترويج للسلع عبر **تسليع الثقافة**.

" إن توزيع الثروة والمكانة الاجتماعية سيحددها في المستقبل النموذج العالمي الجديد القائم على صيغة (20%) يعملون و(80%) عاطلون عن العمل، فمسيرو العالم في طريقهم لبناء حضارة مجتمع الخمس الثري وأربعة أخماس الفقراء، فما كان يزعمه الماركسيون قبل مائة عام من مزاعم؛ كانت خاطئة كلية آن ذلك أضحى الآن حقيقة، فالرأسماليين يزدادون ثراء والطبقة العاملة تزداد فقرا، وأن المنافسة المعولمة تطحن الناس طحنا وتدمر التماسك الاجتماعي"[(2)].

لذا فالعولمة الاقتصادية زادت من هذه الطبقة في المجتمع، وهذا الصراع عدل من الكثير من التغيرات الاجتماعية التي صارت سلبياتها، كالهجرة الأفقية والعمودية تفرض نفسها على الاستقرار الاجتماعي، هذا من أجل ضمان لقمة العيش.

د- العولمة الثقافية:

" وبعد الحرب العالمية الثانية ابتكر الاستعمار الجديد أساليب جديدة للغزو الثقافي والهيمنة الأيديولوجية، ليسهل له نهب ثروات البلدان الحديثة النشأة، حيث قام بتوظيف الإعلام والثقافة في مجتمعات العالم الثالث لترسيخ التبعية الاقتصادية للبلدان الضعيفة، ووضع إمكانياتها الثقافية والإعلامية في خدمة مصالح رأس مال عالمي وأجهزته، وتحويل العالم إلى قرية اتصالية شديدة الترابط كما يقول **هربرت شيللر**"[(1)].

استخدمت الرأسمالية العالمية في اكتساح العالم بالإيديولوجية الليبرالية الثقافية، وهذا عبر التسهيلات الثقافية التكنولوجية المساهمة في القضاء على الثقافات الأخرى عبر وسائل الاتصال، وإيهام الناس على أن الحضارة الغربية هي المسيطرة والمهيمنة، ومن أراد التحضر عليه بالتخلي عن ثقافتها لأن المعيقة له في الاتصال والتواصل.

" تمثل **الصناعة الثقافية** (***L'industrie Culturelle***) وهو المفهوم الذي استعمله أو مرة في سنة 1947 علَمين من أعلام مدرسة فرانكفورت، وهما **تيودور آدرنو** (Theodor Adorno) **وماكس هوركهيمر** (Max Horkheimer) تهديدا معتبرا على الثقافات التقليدية بفضل ما تتمتع به من قدرة على الانتشار

---

(2)- عبد الحليم عمار غربي: العولمة الاقتصادية، رؤى استشرافية في مطلع القرن الحادي والعشرين، مجموعة دار أبي العداء العالمية للنشر والتوزيع والترجمة، حماة، سوريا، 2013، ص75.

(1)- نور الدين زمام: عولمة الثقافة (المستحيل والممكن)، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد الأول، نوفمبر 2001، ص143.

والاختراق، ولذلك أصبحت حتى الدول الغربية تعبر عن تخوفها من هذه الصناعة الثقافية الأمريكية التي غزت أسواقها، بحكم امتلاكها لإمكانيات هائلة، تجعلها تستبعد أي منافسة في الأجل المنظور"[1].

ليس فقط دول العالم الثالث لها تخوف من فقدان هويتها الثقافية، بل حتى الدول الأوربية لها نفس التخوف، فالأمركة التي تقود ثقافة منمطة تعمل على إلغاء العقل، فالتكنولوجيا الهائلة أصبحت رسالة ثقافية تمرر عبرها، فإذا كانت الحضارة الرومانية القديمة اكتسحت بالجيوش العديد من الدول والحضارات والتي قاومتها على مدى قرون عديدة، كما جرى مع البربر مثلا، وأما الحضارة الغربية المتمثلة في أمريكا والتي تعتبر وريثة الإمبراطورية الرومانية تستخدم الثقافة والإعلام في القضاء على الخصوصيات الثقافية، فإن كانت الحضارة الإسلامية كانت تخاطب العقل في نشر سماحة الإسلام فالغرب يخاطب الغرائز في إلغاء العقل ومع انتشار الثقافة الغربية بالكوامن الغرائزية.

" قد يحمل الانتعاش الثقافي الذي يترجم اليوم إلى ظاهرة انبعاث الهويات مخاطر كثيرة، إذ حدث على شكل حركة تفككية من داخل الدولة والمجتمع، فقد يتحول إلى وبال على المجتمعات، وقد يؤدي إلى هز أركان الدولة وإضعاف سلطاتها وقدرتها على التوجيه وقيادة التربية، عندما يصبح من مفردات الاعتراف بالهوية الثقافية؛ الانقسامات العرقية- والطائفية. إذن فاستمرار صيرورة التفكك لن يكون في صالح أي بلد على وجه الأرض لأنه سيخلف بؤر للتوتر، تشكل تهديدا مستمرا لرأس المال والاستثمارات الخارجية، وقد سبق وأن شدد الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي بوضوح على حجم هذا الخطر الذي يتهدد البشرية قاطبة، فيما قال: إن كوكبنا يخضع لضغط تفرزه قوتان عظيمتان متضادتان إنما هما **العولمة والتفكك**"[2].

وإن كان هذا المقال في سنة 2001 فهو بمثابة نظرة تنبؤية لما هو حاصل اليوم من تفكك إذ استطاعت العولمة الثقافية تفكيك الدولة الوطنية إلى هويات متصارعة، منغلقة على بعضها البعض ومتناحرة بالسلاح وليس بالألفاظ، كما حدث في لبنان ويحدث في العراق وسوريا ومن قبلهم في أفغانستان، فالطائفية تكاد تفتك بالمنطقة، وهنالك بوادر للتقسيم على الأساس الطائفي مما سيضعف بلدان المنطقة، كالعراق الذي كان رابع جيش في العالم.

4- الامبريالية العالمية:

" تعني كلمة **الامبريالية** كما سأستخدمت الكلمة هنا الممارسة والنظرية ووجهات النظر التي يملكها مركز حواضري مسيطر يحكم بقعة من الأرض قصية، أما **الاستعمار** (***Colonialism***) الذي هو

---

[1]- نور الدين زمام: عولمة الثقافة (المستحيل والممكن)، مرجع سابق، ص.ص:144-145.
[2]- المرجع نفسه، ص145.

دائما تقريبا من قابيل الإمبريالية فهو زرع مستوطنات في بقاع من الأرض قصية. وكما يعبر **مايكل دويل**؛ فإن الإمبراطورية هي علاقة رسمية أو غير رسمية تتحكم فيها دولة ما بالسيادة السياسية الفعالة لمجتمع سياسي آخر، ويمكن تحقيق هذه العلاقة بالقوة أو بالتعاون السياسي أو بالتبعية الاقتصادية والاجتماعية أو الثقافية أما الامبريالية فهي ببساطة العملية أو السياسة اللتان بهما يتم تأسيس الإمبراطورية أو إدامتها والحفاظ عليها"[1].

إذ تستخدم الامبريالية القوة وهي تتداخل مع كلمة الإمبراطورية والتي تستخدم القوة في كل مكان، مثلا كالقواعد العسكرية التي تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية للهيمنة والسيطرة وفرض التبعية الثقافية والسياسية.

" يقول **فرانتس فانون**: ينبغي أن نرفض رفضا قاطعا الوضع الذي ترغب الدول الغربية أن تحصرنا وتحاصرنا فيه. إن الاستعمار والامبريالية لا يكونان قد سددا ما عليهما من ديات عندما يقومان بسحب رايتهما وقوات شرطتهما من بلداننا، فلقد سلك الرأسماليون الأجانب لقرون عديدة في العالم المتنامي سلوكا لا يختلف في شيء عن سلوك القتلة المجرمين"[1].

وهو تفسير واضح لمدى استخدام الامبريالية لقوة تحيل لفرض هيمنتها وسيطرتها على الدول المغلوب على أمرها، كما جرى مع الاستعمار الحديث الذي قامت الدولتان الامبرياليتان آنذاك بريطانيا وفرنسا، وممارستهما القتل والتعذيب في حق الشعوب، وكذا نهب ثرواتها وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الوريث الشرعي لهما في وقتنا الحاضر.

لقد رافق الحملة الفرنسية فريق كامل من العلماء الذين كانت مهمتهم أن يجروا مسحا لمصر كما لم تسمح في تاريخها من قبل...، و القوة الفرنسية بآثارها على وجوده كمصري مهزوم وهو وجوده تم ضغطه بالنسبة له إلى مادة خاضعة مستعبدة، لا يكاد يكون بوسعها سوى تسجيل خطرت الجيش الفرنسي في مجيئه وذهابه ومراسيمه المتغطرسة، وإجراءاته الكاسحة الفظاظة ومقدرته الرهيبة... إن التعارض بين السياسة التي أنتجت الوصف، وبين استجابة الجبروتي الفورية لتعارض صارخ، وأنه ليبرز الأرضية التي يتنازعانها إبرازا يتسم بلا مساواة بالغة"[2].

بالتأكيد المساواة غير موجودة بين حضارتين متناقضتين، ولقد عمل بعدها علي باشا بعملية التحديث التي كانت من إيجابياتها تطوير الجيش وتحديثه وجلب المصانع والمهندسين، ومن سلبياتها

---

[1]- إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط4، بيروت، لبنان، 2014، ص80.

[1]- المرجع نفسه، ص83.

[2]- إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، مرجع سابق، ص103.

الإتباع في مجال القضاء إذ صار القانون الفرنسي نموذجا يحتذى به، وكذلك البعثات العلمية لفرنسا التي كانت في مجملها دون حصانة حضارية أدت إلى نقد الحضارة الإسلامية من طرف أبناءها، مثلما حصل مع **طه حسين** و**قاسم أمين** وغيرهما فيما بعد.

أ- الامبريالية والقضاء على الحكومات الوطنية:

"هذه منطقة يعيش فيها (1,2) مليار مسلم، لنقل إنها تبدأ من البوسنة وتمتد شرقا عبر كل وسط آسيا، ثم تنحدر إلى الشرق الأوسط والباكستان وبنغلادش وأندونيسيا في الشرق، ثم الدول العربية في المنتصف، وعبر كل الشمال الإفريقي المسلم في غالبيته وفيما ينظر إلى الولايات المتحدة من منظورين مختلفين تمام الاختلاف أحدهما يتوجه إلى الولايات المتحدة الرسمية، الولايات المتحدة ذات الجيوش والتداخلات كما حدث عام 1953 عندما أطاحت بحكومة محمد مصدق الوطنية في إيران وأعادت الشاه إلى سدة الحكم، والولايات المتحدة التي تورطت أولا في حرب الخليج ثم بإلحاق الضرر المدمر جدا بالمدنيين عن طريق فرض العقوبات الاقتصادية ضد العراق، الولايات المتحدة التي تمثل المساند الأكبر لإسرائيل ضد الفلسطينيين، أولا عبر إنشاء الدولة عام 1948 ثم في احتلال عام 1967 وخلال الحرب اللبنانية حيث قامت إسرائيل بغزو لبنان عام 1982 وكذا خلال انتفاضتي 1987 وعام 2000، والولايات المتحدة تمد إسرائيل بكميات ضخمة من الأسلحة وهكذا، فإذا ما كنت تعيش في المنطقة، فإنك تنظر إلى كل هذه الأشياء باعتبارها جزء من سعي دءوب نحو الهيمنة مقرون بنوع من القمع العنيد والمستمر لآمال وأماني وطموحات الناس هنالك"[(1)].

إذن الامبريالية الأمريكية المتغطرسة في المنطقة، تكرس بمنطق القوة الذل والهوان على شعوب المنطقة، وهذا تحت غطاء الحرب على الإرهاب؛ فهي تتدخل تدخلا مباشرا لزعزعة المنطقة، فإسرائيل نفسها دولة إرهاب زرعت في المنطقة لتنفيذ أجندة إمبريالية تتحكم في المنطقة ككل، وهذا للسيطرة على منابع البترول، وأهم شيء ركزت عليه الو.م.أ هو القضاء على الحكومات الوطنية، والمجيء بحكومات عميلة لها.

ب- الامبريالية والهيمنة الإعلامية العالمية:

" هذا الأمر وصل ذروته عام 1985، وهو العام الذي شهد قمة الجرائم الوحشية التي ارتكبتها إسرائيل وأمريكا متواطئة معها في جنوب لبنان، وهي ما أطلق عليها عمليات القبضة الحديدية، وكانت

(1)- إدوارد سعيد: الثقافة والمقاومة، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، ط1، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2007، ص.ص:100-101.

عبارة عن مذابح واسعة النطاق وعمليات إبعاد عن القرى التي أطلق عليها القائد الأعلى **قرى الإرهابيين**، وهذه العمليات كانت تتم أثناء إدارة **شمعون بيريز**؛ وهو أحد المرشحين لجائزة أسوأ جريمة إرهابية في عام 1985 حينما كان الإرهاب هو القصة الخبرية رقم واحد لهذا العام"[1].

تمارس أمريكا هيمنتها على العالم وبالخصوص منطقة الشرق الأوسط عن طريق الإرهاب بالقوة، وتتهم الطرف الضعيف على أنه يمارس الإرهاب، وهذه الصناعة الإعلامية التي تتم عبر إقناع الشعب الأمريكي على أن العرب إرهاب، ومازالت إلى اليوم الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم هذه الطريقة وهذا بصناعة **القاعدة وداعش**، والقيام بأعمال إرهابية حتى في الأراضي الأمريكية وفي أوربا حتى تجمع تحالف دولي والقيام بنفس الترهيب ولكن بصورة مبررة، وهذا بالقضاء على دول بأكملها كما حدث مع العراق الذي دمرت بنيته القاعدية والتي تستلزم قرونا عديدة لإعادة ما دمرته الحرب، وكذلك تقسيم البلد على أساس طائفي، وهذا لإضعافه ومن ثمة استغلال أحداث الربيع العربي للدخول إلى سوريا وتحطيمها بنفس الطريقة. لذا ما انطبع في مخيلة الجمهور الغربي إعلاميا هو أن العرب، والذي يمارس عليهم القوة إنما هي ضربة استباقية.

" يروي **القديس أوغسطين** قصة قرصان وقع في أسر الإسكندر الكبير، الذي سأله: كيف تجرؤ على إزعاج البحر؟ كيف يجرؤ على إزعاج العالم بأسره؟ فأجاب القرصان: لأنني أفعل ذلك بسفينة صغيرة فحسب، أدعى لصا، وأنت الذي يفعل ذلك بأسطول ضخم تدعى إمبراطورا"[1].

تعبث كبريات الدول بمصير العالم، عبر سياسات وتدخلات عن طريق القوة والهيمنة، وكذلك بسط سيطرة إعلامية تفبرك بها الحقائق، وتزور الوقائع لصالحها حتى تثبت أقدامها الامبريالية بهذه الأساطيل الإعلامية المظللة.

" لقد استقبلت تونس الفلسطينيين بناء على وصية **ريغان** بعد أن طردوا من بيروت في حملة مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، خلفت حوالي (20000) قتيلا ودمرت جزء كبيرا من البلد. لقد استعملتم مطرقة ضد ذبابة، هذا ما قيل للمراسل الإسرائيلي العسكري **رئيف شيف**، من قبل شخصية قيادية في البانتغون، جنرال ذو معرفة بالجيش الإسرائيلي وعدة جيوش أخرى في المنطقة، لقد ربتم الكثير من المدنيين دون حاجة، لقد دهشنا من سلوككم اتجاه المدنيين اللبنانيين"[2].

---

[1]- نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، ترجمة: أميمة عبد الطيف، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2003، ص50.

[1]- نعوم تشومسكي: قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، ط1، دار حوران للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996، ص5.

[2]- المرجع نفسه، ص55.

يتم تشريد السلطة الفلسطينية باقتراح أمريكي، وهذا لإثبات قدرتها على فرض الحلول، وتشتيت الرأي العام العالمي حول القتل الهمجي للبنانيين بالمنطقة، وكذا قلب الحقائق وتزيينها من طرف الإعلام الأمريكي والصهيوني على أن الحملة كانت لتطهير المنطقة من الإرهاب، ولذلك وجدت مبررا لدخول واجتياح لبنان واستباحة بلد بكامله وتهديم بنيته التحتية بحجة الإرهاب وقتل الآلاف من المدنيين العزل، ولتهدئة الرأي العام الدولي تم طرد السلطة الفلسطينية إلى تونس، وهذا لتوجيه الرأي العام عن المشكلة الرئيسية واشتغاله بأخرى ثانوية.

" رحبت الو.م.أ رسميا بالقصف الإسرائيلي لتونس على أنه رد شرعي على الهجمات الإرهابية، وأكد وزير الخارجية **شولس** هذا الحكم في مكالمة هاتفية مع وزير الخارجية الإسرائيلي **يتسحاق شامير**؛ يعلمه بأن الرئيس وآخرين يكنون الكثير من التعاطف مع العمل الإسرائيلي كما ورد في الصحف"[(1)].

إذن تم طرد السلطة الفلسطينية إلى تونس ليتم قصفها بتونس، حتى تثبت أن لها اليد الطولى في معاقبة أي دولة في المنطقة تحاول المساس بأمن إسرائيل، وأن وصف الفلسطينيين المقاومين بالإرهاب لدليل على قدرة الإعلام الامبريالي على قلب الحقائق وتدليسها على الرأي العام العالمي.

خاتمة:

إن الهيمنة على القطاع الإعلامي ليست وليدة اليوم، فالقطاع بعد الاستقلال مباشرة عرف سيطرة للسلطة على وسائل الإعلام بجميع انواعها، وحتى الانقلابات في العالم الثالث أول شيء يعمله الانقلابيون هو الهيمنة والسيطرة على مبنى الاذاعة والتلفزيون، وما تزال هذه الذهنية مسيطرة على السلطة التي تتوجس من الممارسة الإعلامية، لذا تعمل على حياكة العقبات وافتعال الأزمات الاقتصادية بقصد ان تجعل المؤسسة الإعلامية تتخبط في مشكلات لا حصر لها داخليا، ويعود اخضاعها عن طريق تجفيف منابع الاشهار العمومي الذي ينعدم إلى غاية اللحظة في القنوات الإعلامية الخاصة، واما الإشهار الخاص فهو الآخر يعاني من الأزمات المالية العالمية على اقتصادنا الهش، فالسيطرة على الإعلام لم تكن محصورة على ذلك فحسب بل تعدتها إلى التعيينات السياسية لهيئة سلطة الضبط للقطاع السمعي البصري؛ الذي أكد ان مراقبته للعمل الإعلامي ينحصر أساسا في الحصص السياسية التي تنتقد توجهات النظام السياسي.

(1)- نعوم تشومسكي: قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، مرجع نفسه، ص58.

قائمة المراجع :

1- أشرف غالب أبو صالحة: تأثير العولمة السياسية على الوطن العربي، (1991-2011)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط، قسم العلوم السياسية، الدولة غير مذكورة،2012

2- إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط4، بيروت، لبنان، 2014

3- إدوارد سعيد: الثقافة والمقاومة، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، ط1، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2007

4- أولريش بيك: السلطة والسلطة المضادة في عصر العولمة، ترجمة: جورج كتورة، د/إلهام الشعراني، المكتبة الشرقية، ط1، بيروت، لبنان، 2010

5- بغداد باي عبد القادر: تسويق الصحف والإقناع في الرسالة الإعلامية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 18، جامعة وتلة، مارس 2015

6- جبار علاوي: الاتصال السياسي، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014

7- دافيد إدواردز، دافيد كروميل: حراس السلطة أسطورة وسائل الإعلام الليبرالية، ترجمة: أمال كيلاني، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، مصر، 2007

8- محمد حمدان المصالحة: الاتصال السياسي، مقترب نظري تطبيقي، ط2، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002

9- محمد بن سعود البشر: مقدمة في الاتصال السياسي، مكتبة العبيكان، ط2، الرياض، 1423هـ

10- محمود حسين إسماعيل: التنشئة السياسية دراسة في دور أخبار التلفزيون، دار النشر للجامعات، ط1، القاهرة، مصر، 1

11- نبيلة بوخيرة: الاتصال السياسي نماذج الاتصال السياسي للكاتب هيوك كازينون، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية العلوم الاجتماعية، العدد جوان 2014

12- مولود زايد الطيب: التنشئة السياسية دورها في تنمية المجتمع، المؤسسة العربية الدولية للنشر، عمان، الأردن، 2001

13- مانويل كاسنلز: سلطة الاتصال، ترجمة: محمد حرشوف، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2014

14- محمد شطاح: قيم العنف في الإعلام الاستعراضي، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، نوفمبر 2010، العدد 6، جامعة سكيكدة، الجزائر

15- نور الدين زمام: عولمة الثقافة (المستحيل والممكن)، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد الأول، نوفمبر 2001

16- تمار يوسف: الاتصال والإعلام السياسي: الثقافة السياسية بين الإعلام والجمهور، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2012

17- فيليب برو: علم الاجتماع السياسي، ترجمة: د/محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1998

18- عبد الحليم عمار غربي: العولمة الاقتصادية، رؤى استشرافية في مطلع القرن الحادي والعشرين، مجموعة دار أبي العداء العالمية للنشر والتوزيع والترجمة، حماة، سوريا، 2013

19- نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، ترجمة: أميمة عبد الطيف، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 2003

20- نعوم تشومسكي: قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، ط1، دار حوران للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996

دور الإعلام الجديد في عملية التنشئة السياسية لدى المواطنين.

الباحث/ وشان عبد الرؤوف ـ جامعة محمد الأمين دباغين سطيف -2- الجزائر.

الملـخـص:

شهدت وسائل الاتصال انتشارا واسعا مع نهايات القرن العشرين، مستفيدة من التطور التكنولوجي الهائل والذي أحدث طفرة نوعية ساهمت في بسط نفوذ هذه الوسائل خاصة ما تعلق بقدرتها الكبيرة والفريدة في التأثير على كل المستويات السياسية، الاجتماعية وغيرها، من هذا المنطلق كان على وسائل الإعلام أن تواكب مختلف التطورات والتعقيدات؛ حيث نشأ ما يسمى بالإعلام الجديد كنتاج للتزاوج ما بين تكنولوجيات الاتصال والبث الجديدة والتقليدية مع الكمبيوتر وشبكاته، ليعزز مكانة الإعلام بشكل عام، ويجعل منه أكثر فعالية مما مضى، حيث أضحت وسائل الإعلام هذه تقدم للمواطنين ما تتطلبه عملية الاتصال والتعبئة، كما تسهم في تشكيل آرائهم ومعتقداتهم السياسية وتتيح لهم التعبير عنها بما يسهم في تنشئتهم سياسيا.

الكلمات المفتاحية: الاعلام الجديد، التنشئة السياسية، المواطنة.

Résume :

Les outils de communication , vu une vaste propagation vers la fin du 20 ^{eme}siècle, bénéficiaire de la bonne amélioration technologique , le monde àchangé d'un petit village comme a décrit McLuhan dans les années sois antes, a aujourd'hui une autre impression que ce monde ressemblant à un computer ,ce qui a crée naissance à nouveaux médias avec plus de valeur, puisque ces outils de communication présentent à ces citoyens, ce que demande l'opération de communication, comme aussi ils participent à former leurs opinions et croyances politique et ils leurs permettent de bien s'exprimer ce qui participe à la socialisation politique des citoyens.

Mot clé : nouveaux médias- la socialisation politique-la citoyenneté-

مقدمة:

إنّ استخدام الإعلام الجديد، أدى إلى حدوث عدة تأثيرات على المجتمع، و ذلك سواء على المستوى الفردي للمستعملين أو على المستوى الجماعي في المجتمع ككل، ذلك أن الإعلام الجديد بفضل خصائصه التي ميزته عن الإعلام الكلاسيكي يسهم في تشكيل الرؤى والمعتقدات السياسية للأفراد، لا سيما ما تعلق منها بتعزيز قيم المواطنة.

لقد أصبح الإعلام الجديد كفاعل جديد مؤثر في تنشئة الشباب ، حيث أبانت ثورات الربيع العربي على دور الشبكات الاجتماعية في الحراك السياسي الذي عرفته المنطقة العربية، من خلال المساهمة في

التعبئة الافتراضية للرأي العام وتكوين الوعي السياسي من خلال نشر قيم المواطنة كالحرية والديمقراطية والعدالة، كما ساهمت في حشد الجماهير للانخراط في العمل الجمعوي وتنظيمهم في مختلف الفعاليات من مظاهرات واحتجاجات انطلاقا من الفضاء التواصلي الافتراضي للإعلام الجديد، ولا أدل على مدى قدرتها وتأثيرها من تحرك بعض الأنظمة المستبدة إلى قطع الأنترنت.

ومن هذا المنظور ترتكز **إشكالية الدراسة** حول دور الإعلام الجديد في التنشئة السياسية، وهي نابعة بالأساس من كون الإعلام من أهم مؤسسات التنشئة السياسية، على اعتبار أن هذه الأخيرة تستمر خلال مراحل طويلة من عمر الفرد وتتأثر بالأحداث السياسية الكبرى داخل المجتمع، حيث تتقاطع مع خصائص الإعلام الجديد في نقطة جوهرية تتمثل بالأساس في سعي الأفراد للحصول على المعلومات بما يسهم في بلورة معتقداتهم السياسية، وقدرة وسائط الإعلام الجديد على نشر كل أنواع المعلومات بتقنيات حديثة تضمن الكم والكيف، بالإضافة إلى قدرتها التأثيرية الهائلة، التي تسهم في تحقيق المشاركة الحقة للمجتمع في الشأن العام، فالإعلام بشكل عام سلطة تعمل على ضمان فرض الرقابة على الحكومة وكل الهيئات العمومية بما يخدم الديمقراطية ويفعل المواطنة.

يمثل الإعلام الجديد فضاء تواصلي افتراضي، هذا ما يقودنا إلى التساؤل عن أدواره في التنشئة السياسية ، ومن منطلق أن الأفراد في عصرنا الراهن يميلون إلى الاعتماد على وسائل الإعلام خاصة الالكترونية منها في الحصول على المعلومات واستثمارها لبناء قناعاتهم ومعتقداتهم السياسية،لما تحمله هذه الوسائط من خصائص تتفوق بها على وسائل الاتصال الجماهيري، حيث تتميز باتساع استخدامها المطرد، وتحررها النسبي مقارنة ببقية أنماط الإعلام التقليدية.

ففي ظل هامش الحرية الضئيل التي تتمتع به الوسائل التقليدية، وبروز جملة التقنيات المتطورة التي توفر حرية أكبر ولا تخضع للرقابة؛ ينبغي في الأساس التعرف على طبيعة وحدود دور الإعلام الجديد في التنشئة السياسية، خاصة في ظل تداعي الأدوار التقليدية لمؤسسات التنشئة الأخرى على غرار الأبنية الاجتماعية كالأسرة، جماعات الأفراد والمؤسسات الدينية، والأبنية السياسية الرسمية وغير الرسمية وكذا الأنشطة غير البنائية؛ التي تراجع دورها بشكل متسارع مؤخرا، كوننا اليوم نعيش في عصر التكنولوجيات الحديثة.

ضمن السياق السابق يمكن أن نطرح اشكالية المداخلة كالآتي:

كيف من شأن الإعلام الجديد أن يساهم في عملية التنشئة السياسية لدى المواطنين؟

ولمعالجة هذه الإشكالية سنحاول تفكيكها على مجموعة من المحاور كما يلي؛

أولا–في ماهية الإعلام الجديد(New Media)

ثانيا– الإعلام الجديد والتنشئة السياسية أية علاقة

ثالثا– شبكات التواصل الاجتماعي من فعل التواصل إلى تشكيل الوعي السياسي

رابعا– الإعلام الجديد كمؤشر فعال للمواطنة

أولا– في ماهية الإعلام الجديد(New Media):

تجدر الإشارة إلى ظاهرة تعدد مسميات الإعلام الجديد حيث لم تتبلور خصائصه النهائية بعد، ولقد أخذ هذا الاسم لأنّه لا يشبه وسائط الاتصال التقليدية، فقد نشأت داخله حالة تزامن في إرسال النصوص والصور المتحركة والثابتة والأصوات .

1–تعريف الإعلام الجديد(New Media):

لم تتضح معالم الإعلام الجديد بالرغم من أنّه ظهر في بداية القرن الواحد والعشرين، محدثًا نقلة نوعية في مفهوم الإعلام، تمثلت بالمواقع الإلكترونية والمواقع الاجتماعية(social network media) والمدونات الإلكترونية (les blogs) والبوابات ومواقع المحادثة (discussion forums)، ومواقع بث التسجيلات السمعية البصرية، وكذلك أثّر في تغيير مفهوم الإعلام القديم وتطور وسائله المعتادة كالصحافة والإذاعة والتليفزيون، فقد شهدت جميعها تحولات كبيرة في السنوات القليلة الماضية.[1]

كما يشيع استخدام مصطلح "الإعلام الجديد" في كثير من الدراسات، باعتباره مصطلحاً محدداً بذاته لا يكاد يحتاج إلى تعريف، حيث يعني تلقائياً الوسائط والأدوات التي أتاحتها ثورة الاتصالات التي ترتبط تحديداً بدخول الأنترنت مجال الاستخدام المدني العام. ومن ثَم يُفترض أن يشير المصطلح إلى مواقع التواصل الاجتماعي خاصة، في حين يقوم الجدل حول تعريفه وفيما إذا كان جديدًا بالفعل.[2]

ومع تدفق التقنيات الإعلامية الجديدة فإن المفاهيم الإعلامية ونُظُم الاتصال الجماهيري أخذت أشكالاً جديدة، وأجبرت وسائل الإعلام التقليدية على التكيف مع المتغيرات التي فرضتها الأنترنت، والتي أضفت بدورها معايير عالمية جديدة للاتصال الجماهيري.

---

[1]– ابراهيم بعزيز، " **تكنلوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية**"(القاهرة: دار الكتاب الحديث، د ط، 2012)، ص68.

[2]–منار الرشواني، "**الاعلام الجديد والتغيير السياسي**"، متاح على الرابط: http://www.mominoun.com/arabic/ar-sa/articles

وهنا يقول برودي Brody: "بينما يستمر التلفزيون بدوره كنافذة على العالم فإن الإعلام الإلكتروني استطاع أن يَصل المستخدم بالعالم طالما هو متصل بالأنترنت".[1]

وفي هذا الصدد يعرف مصطفى عباس صادق الإعلام الجديد في كونه: "عملية التزاوج (Convergence) ما بين تكنولوجيات الاتصال والبث الجديدة والتقليدية مع الكومبيوتر وشبكاته، تعددت أسماؤه ولم تتبلور خصائصه النهائية بعد، ويأخذ هذا الاسم لأنّه لا يشبه وسائط الاتصال التقليدية، فقد نشأت داخله حالة تزامن في إرسال النصوص والصور المتحركة والثابتة والأصوات".[2] وهذا ما سهل من عملية تلقي المادة الإعلامية في أي وقت ومكان، انطلاقا من الوسيلة الاتصالية المناسبة، سواء كانت حاسوبًا أم هاتفا ذكيًا.[3]

يوفر الإعلام الالكتروني للقارئ فرصة الاطلاع على عشرات المصادر الإعلامية بأقل جهد وتكلفة، في حين تغيب هذه الميزة عن الإعلام التقليدي. قد يظن البعض أنّ الإعلام المرئي المسموع قد طغى على الإعلام المكتوب لارتباط وسائله بالتطور التكنولوجي، مما يجعل الصحافة في موقع منافسة ليست في صالحها، إلاّ أنّ الباحثين قد أشاروا إلى أنّ الإعلام المكتوب الذي أفاد من التكنولوجيا الحديثة أيضاً إلى حد كبير؛ هو في وضع تكميلي لا موقف منافسة نظراً لما يتمتع به من ميزات وخصائص تجعله بعيدا عن المنافسة.[4]

كما يتيح الإعلام الجديد للقارئ حرية الانتقاء والمقارنة، من خلال الاطلاع السريع على مختلف المصادر المتعددة الرؤى، ما يتيح تكوين قناعة لدى المتلقي بناء على حريته في التعاطي مع الوسيلة الإعلامية.

يُمَكن الإعلام الجديد من القراءة المتخصصة، حيث وفرت الأنترنت من خلال محركات البحث إمكانية الاطلاع على الموضوع في أي وقت حسب رغبة المستخدم. ويتجاوز الإعلام الجديد القيود التقليدية، ويُضفي على الرسالة الإعلامية طابع العالمية.[5]

---

[1]-Brody Douglas, **A Saudi Arabia international media strategy: influence through multinational owner ship in HfezxMass media politics and society in the middle east** (Hampton pressIne, 2001), p138.

[2]– صلاح عبد الحميد، "**الاعلام والثورات العربية**"(القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 2013)، ص 58.

[3]– flew terry **, new media-an introduction**(oxford university press, uk, 2009), p13.

[4]– سمر كرامي، "**الصحافة النسائية في الوطن العربي**"(بيروت: دار النهضة العربية، د ط، 2008)، ص32.

[5]– فرانك كليش، "**ثورة الإنفوميديا: الوسائط الإلكترونية وكيف تغير عالمنا وحياتك**"، ترجمة حسام الدين زكريا(الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 2000)، ص 34.

بالإضافة إلى ما سبق، تتميز المضامين في الإعلام الجديد بمحليتها، في المقابل يبرز الطابع الرسمي لمضامين وسائل الإعلام التقليدية، والذي يوجب ضرورة حصول مراسليها على تصاريح رسمية للحصول على المعلومة.[1]

2- سمات وخصائص الإعلام الجديد

يعتبر الاعلام الجديد ذا تأثير واضح على التوجهات والقيم السياسية للأفراد، نظرا لجملة الخصائص التي يتميز بها، ولعل أهمها ما يلي:

أ-**التفاعلية (Intractivity)**: ويكون فيها للمشاركين في العملية الاتصالية تأثير في أدوار الأخرين وباستطاعتهم تبادلها، ويطلق على القائمين بالاتصال لفظ مشاركين بدلا من مصادر، وبذلك تبرز مصطلحات جديدة في عملية الاتصال مثل الممارسة الثنائية والتبادل والتحكم والمشاركين.[2] ولقد أضافت هذه الخاصية بعدًا جديدًا إلى أنماط وسائل الإعلام الجماهيري الحالية التي تتكون عادة من منتجات ذات اتجاه واحد يتم اصدارها من مصدر مركزي؛ مثل: الصحيفة يختارها المتصفح في الوقت والشكل الذي يريده.[3]

ب-**تفتيت الاتصال (Demassification)**: وتعني امكانية توجيه الرسالة الاتصالية إلى فرد واحد أو جماعة معينة، وليس إلى جماهير ضخمة كما كان في الماضي، إضافة إلى التحكم في نظام الاتصال بحيث تصل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة إلى مستهلكها.[4]وبهذاتتعدد الخيارات أمام مستهلكي وسائل الإعلام والذين أصبح وقتهم موزعًا بين العديد من الوسائل مثل: المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية وألعاب الفيديو الالكترونية، إلى جانب الوسائل التقليدية من صحف وإذاعة وتلفزيون.[5]

وما يجب ذكره في هذا الصدد أنّ الاتجاه الرئيس لوسائل الاتصال الجماهيري حتى بداية الثمانينيات ظل يحرص على توجيه الرسائل للجماهير العريضة (Massification)، إلّا أنّ الاتجاه الجديد للإعلام

---

[1]- كامل خورشيد مراد، "**الاتصال الجماهيري والاعلام: التطور - الخصائص - النظريات**"(عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2011)، ص 422.

[2]- صلاح عبد الحميد، مرجع سابق، ص ص 232،233 .

[3]- سميرة شيخاني، "الإعلام الجديد في عصر المعلومات"، **مجلة جامعة دمشق**، العدد1و2، مجلد 26،2010)، ص442.

[4]- صلاح عبد الحميد، مرجع سابق، ص233.

[5]- سعود صالح كاتب، "الإعلام الجديد وقضايا المجتمع التحديات والفرص"، **ورقة مقدمة للمؤتمر العالمي الثاني للإعلام الإسلامي**(أندونيسيا:2011) ص7.

الجديد أصبح يتجه نحو تفتيت الجمهور (Demassfication)، ومن مظاهر هذا التحول: انتشار خدمات التلفزيون الكابلي التفاعلي التي تُتيحُ للمُتلقين الأفراد اختيار نوع الرسائل المناسبة لميولهم الفردية وفي الأوقات التي تلائمهم، وكذلك خدمات التلفزيون ذات القوة المنخفضة (LPTV) الموجهة لقطاعات متجانسة وصغيرة العدد، وخدمات الراديو ضيقة النطاق (Narrow-casting) التي يزداد انتشارها جنباً إلى جنب مع الخدمات واسعة النطاق (Board- casting)[1].

ج- **اللاتزامنية (Asynchronization)**: وتعني إمكانية إرسال الرسائل واستقبالها في وقت مناسب للفرد المستخدم، ولا تتطلب من المشاركين كلهم أن يستخدموا النظام في الوقت نفسه، فمثلاً في نظم البريد الإلكتروني ترسل الرسالة مباشرة من منتج الرسالة إلى مستقبلها في أي وقت دون حاجة لوجود مستقبل للرسالة.[2]

وتفضي هذه الخاصية إلى عدم الحاجة لوجود المرسل والمتلقي في نفس الوقت، فالمتلقي بإمكانه الحصول على المحتوى في أي وقت يريده.[3]

د-**قابلية التحرك أو الحركية (Mobility)**: تتجه وسائل الاتصال الجديدة إلى صغر الحجم مع إمكانية الاستفادة منها في الاتصال من أي مكان إلى أخر في أثناء تحرك مستخدمها.[4]

هـ-**قابلية التحويل (Convertibility)**: وهي قدرة وسائل الاتصال على نقل المعلومات من وسيط إلى أخر، كالتقنيات التي يمكنها تحويل الرسالة المسموعة إلى رسالة مطبوعة والعكس.

و- **قابلية التوصيل (Connectivity)**: وتعني إمكانية توصيل الأجهزة الاتصالية بأنواع كثيرة من أجهزة أخرى، وبغض النظر عن الشركة الصانعة لها أو البلد الذي تم فيه الصنع. ومثال على ذلك: توصيل DVD جهاز التلفاز بجهاز الفيديو.

ز- **الشيوع والانتشار (Ubiquity)**: وتعني هذه الخاصية الانتشار العالمي لوسائل الإعلام وعلى مستوى كل طبقات المجتمع، بحيث أضحت هذه الوسائل ضرورية، وهذا ما يوضحه انتشار أجهزة التلفاز الرقمي والتلفزة ذو الشاشة البلازمية وكذا السينما المنزلية، و يرجع هذا الانتشار حسب (ألفن

---

[1]- حسن عماد مكاوي، "**تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات**"(القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، د ط، 2005)، ص18.

[2]- صلاح عبد الحميد، نفس المرجع، ص 233.

[3]- سعود صالح كاتب، نفس المرجع، ص7.

[4]- صلاح عبد الحميد، مرجع سابق، ص 233.

توفلر Tofler) إلى المصلحة التي يجنيها الأثرياء لتوسيع النظام الجديد وذلك بدعم من هم أقل ثراءً وبطريقة غير مباشرة تتيح تقديم الخدمة لغير القادرين على تكاليفها.

ح- **الكونية(Globalization)**: تنطلق هذه الخاصية من كون وسائل الإعلام تعمل ضمن بيئة عالمية دولية، تتدفق فيها المعلومات بكل الاتجاهات وبسرعة فائقة، حيث تتبع مسار الأحداث الدولية في أي مكان من العالم.

ثانيا- الإعلام الجديد والتنشئة السياسية أية علاقة

هناك مواصفات محددة للعلاقة بين الإعلام الجديد والتنشئة السياسية يمكن اعتبارها مقياسا أو مؤشرا لعلاقة جيدة و فاعلة، إذ يمكن القول أن العلاقة بين الطرفين علاقة ترابطية، أو علاقة تأثير.

ترتبط التنشئة السياسية بمفهوم أعم هو التنشئة الاجتماعية، التي يمكن تعريفها بأنها:"تلك العملية التي يتعلم بها الأطفال أو الأعضاء المستجدون في المجتمع أساليب الحياة في مجتمعهم".[1]

تعرف التنشئة السياسية بأنها: "عملية التلقين الرسمي[2] وغير الرسمي المخطط وغير المخطط للمعارف والقيم والسلوكات السياسية وخصائص الشخصية ذات الدلالة السياسية وذلك في كل مرحلة من مراحل الحياة وعن طريق المؤسسات المختلفة في المجتمع".

إن التنشئة السياسية في أبرز تعريفاتها هي: "تعليم القيم والتوجهات السياسية بواسطة أدوات التنشئة كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام، وهي العملية التي يتم من خلالها نقل الثقافة السياسية للمجتمع من جيل إلى جيل، وترتبط كمفهوم بمفاهيم أخرى مثل الشرعية والهوية والمواطنة، وتهدف لتحقيق الاستقرار في العلاقة بين الشعب والدولة".[3]

تشكل وسائل الإعلام أهم مصدر من مصادر الثقافة السياسية عند الأفراد، فهي تعد كمؤسسات ثقافية فاعلة تساهم في صياغة موقف الرأي العام المتوافق مع الطبيعة الثقافية للمجتمع وبلورة اتجاهاته وقيمه ومعارفه السياسية وتحديد وجهة تفكيره السياسي.[4] كما أن أهميتها تتأتى من قوة تأثيرها على الأفراد والمجتمع؛ ذلك أنها تقوم ببناء المواقف السياسية، وتعزيز المواقف السابقة.[5]

---

[1]- محمد الرضواني، "**مدخل إلى علم السياسة**"، (الرباط: دار المعارف الجديدة، ط3، 2016)، ص183.

[2]- ثامر كامل محمد الخزرجي، "**النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة**"، (عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2004)، ص 123.

[3]- قاسم حجاج، "التنشئة السياسية في الجزائر في ظل العولمة بعض أعراض الأزمة ومستلزمات الانفراج"، **مجلة الباحث**، العدد 02، (2003)، ص 88.

[4]-قندوز عبد القادر،"دور الاعلام في التنشئة السياسية"،**مجلة دفاتر السياسة والقانون**،العدد 03 (2003)، ص49.

[5]- محمد بن مسعود البشر، "**مقدمة في الاتصال السياسي**"، (الرياض: مكتبة العبيدات، ط1، 1997)، ص 133.

لقد أصبح الإعلام اليوم من المعطيات المدنية واتخذ في هذا العصر تبعا للإنجازات التكنولوجية أشكالًا خاصة غيّرت من نوعية العلاقات البشرية من غير أن تُبدِلَ في طبيعتها، وجعلت منه أحد أدق وسائل التأثير في الجمهور، بحيث بات الإعلام الجديد يُشَكِل مجموعة هائلة من الوقائع والأحداث والمعطيات التي تُمَثِلُ حقل التوظيف بمعناه الواسع.. "إنّه المهنة الضرورية في نجاح مختلف الوظائف والمهن الأخرى".[1]إذ تُعَدُّ وسائل الإعلام الجديدة عاملا أساسياً في نشر الأفكار العصرية وإشاعة المعلومات الحديثة.[2] كما يقوم الإعلام الجديد على إضفاء تأثير يدوم طويلاً على المجتمع، حيث تسمح شبكة الأنترنت للشباب بأن يتعلم، ومع مرور الوقت، يتعلم عدد أكبر من المواطنين كيفية استعمال الأنترنت، فيطورون مهارات البحث لديهم عبر الإنترنت، ويصبحون أكثر تطوراً في كيفية الحصول على المعلومات وتقييمها واستعمالها.[3]

لقد أثبتت دراسة أجرتها جامعة كاليفورنيا (الولايات المتحدة الأمريكية) أن الإعلام الجديد والتنشئة السياسية يرتبطان بعلاقة طردية، ذلك أن قضاء وقت معين في المجتمعات الالكترونية تلحقه زيادة في معدلات المشاركة في الأعمال التطوعية والخيرية، وفي معدلات الحوار البناء لمعالجة القضايا الهامة للمجتمع، إذ إن تحكم الشباب في تقنيات الإعلام الجديد يساهم في ارتفاع معدل اطلاعهم على وجهات النظر المختلفة ما يزيد من احتمالية مشاركتهم في الأنشطة الاجتماعية والسياسية.[4]

من هذا المنطلق يتضح الدور المهم الذي يلعبه الإعلام الجديد في عملية التنشئة السياسية لا سيما في مرحلتها الثانوية؛ أيفي سن الرشد، من خلال توفيرها للمعلومات عن الأحداث السياسية وغيرها، ونشرها على نطاق واسع، وكذا من خلال تأثيرها على المدى البعيد في تشكيل الأفكار السياسية للفرد، يصل درجة تغييرها للمعايير والمعتقدات السياسية التي تلقاها الأفراد في مراحل التنشئة الأولية.[5] وفي بعض المجتمعات المتقدمة تتولى هذه الوسائل نقل المعلومات عن قرارات و سياسات النخبة الحاكمة إلى

---

[1]– نسيم الخوري، "**الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية**"(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005)، ص79.

[2]– فؤادة عبد المنعم، "**الاتصال الشخصي في عصر تكنولوجيا الاتصال**"(القاهرة: دار عالم الكتاب، ط1، 2003)، ص12.

[3]– فيليب ان هوارد، "**التأثير المستدام لوسائل الاعلام الرقمية على المجتمع المدني**"، متاح على الموقع التالي: http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/publication/2010/02/20100203171800mlenuhret0.4904901.html#axzz3Xx8HJW5g

[4]– علي مصباح محمد الوحيشي، دور الإعلام الجديد في التنشئة السياسية دعم ثقافة المواطنة ترسيخ الثقافة الدستورية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 16، سبتمبر 2015، ص 285.

[5]– محمد الرضواني، مرجع سابق، ص196.

الجماهير، ونقل المعلومات عن مطالب و ردود فعل الجماهير إلى النخبة،[1] وكما يقول جابرييل ألموند(G.Almond): "إن كل شيء في السياسة اتصال، فنظام الاتصال هو إحدى القنوات الرئيسية لتدفق المعلومات من النخبة السياسية إلى الجماهير، وأيضا لنقل مشاكل الجماهير وطموحاتهم وتصوراتهم إلى النخبة"[2]، وهذا التدفق المستمر للمعلومات صعودا ونزولا من شأنه العمل على توكيد قيم الثقافة السياسية السائدة، وتوعية المواطن بالقضايا القومية، ونقل القيم الجديدة إلى الجماهير.[3]

لقد أدت الثورة التكنولوجية إلى تنشيط المُجتمعات المحلية وزيادة الروابط بين الأفراد والمجتمع، انطلاقًا مما تتيحه من تفاعلية بين الأفراد، سواء أكان في شكل فردي أو في شكل تنظيمات سياسية وحركات اجتماعية، والتي تدعو إلى الحُكم الديمقراطي والعمل على بناء هويات محلية فاعلة تسعى لأن يكون لها دور في اللعبة السياسية، مع زيادة الوعي بالهويات المحلية وأهمية دورها في العملية السياسية، وجعلت بوابات الأنترنت كسبيل في يد المواطنين للتواصل دون وسطاء حكوميين بما أدى إلى الوصول لدرجة عالية من الرضاء عن أداء الحكومة والقدرة على تقييمها.

كما استغل صُناع القرار ما أتاحته الثورة التكنولوجية من فعاليات للحوار مع أعضاء الحكومة السياسيين أو مع القاعدة الحزبية أو الجماهيرية، بما يُساعد على الارتباط القوى مع المجتمعات المحلية وتشجيع دورها في صنع القرار، بالإضافة إلى دور المجتمع المدني والحكومة اللامركزية. وامتد تأثير الفضاء الإلكتروني للمُساهمة في بناء رأس المال الاجتماعي للديمقراطية المحلية، والعمل على بناء هويات محلية فاعلة تسعى لأن يكون لها دور في اللعبة السياسية مع زيادة الوعي بأهمية دورها في العملية السياسية، وإعادة تشكيل القوة والثروة بين أطراف المجتمع وبين غيرها من المجتمعات.[4] حيث يعزي يورغن هابرماسY. Habermas ظهور الفضاء العمومي عندما أخذت النشاطات الاتصالية للمجموعات خاصة ما تعلق منها بالنقاشات والحوارات منحاً سياسيا واجتماعيا، ذلك أن" عموم الأشخاص الذين يستعملون العقل يتحولون إلى عموم من المواطنين عند تناولهم لمسائل تهم البلاد".[5]

---

[1]– ثامر كامل محمد الخزرجي ، مرجع سابق، ص129.

[2]–اليامين بودهان،"وسائل الاتصال وعلاقتها بعملية الاتصال السياسي، **مجلة الإذاعات العربية** ، العدد3، تونس، (2011)، ص72.

[3]- ثامر كامل محمد الخزرجي ، نفس المرجع، ص129.

[4]- عادل عبد الصادق، "**الفضاء الالكتروني والرأي العام تغير المجتمع والأدوات والتأثير**"(القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية ، ط1، 2011، ص ص 27،28.

[5]- Habermas, L'espace public **: archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise**, traduit de l'allemand par Marc B, de Launay, Edition Paillot, Paris, 1990., p46.

ومنه صار الإعلام الجديد في زمننا المعاصر أحد أهم وسائل صناعة الوعي وتنشئة الفرد سياسيا، بمعناه الإيجابيِّ أو السَّلبيِّ، وخصوصاً لدى الشَّباب الذي يُشكِّل النِّسبة الأكبر من جمهور مستخدمي وسائط الإعلام الجديد، من خلال مقاومة سلبيات المجتمع مثل الجهل والضعف ونشر ثقافة التغيير بين الناس، وتقبل الاختلاف وتبني الاتجاهات الفكرية البناءة التي تخدم الوحدة الاجتماعية، ونبذ كل أشكال القطيعة والتنافر بين الشرائح الاجتماعية ورفض كل أشكال الشذوذ والإساءة، ومن ثم كل ما من شأنه أن يؤدي إلى تهديد الأمن الفكري والسلم الاجتماعي، وتشكيل الأفكار السياسية للأفراد،[1] فلقد عرف الإعلام ثورة على مستوى الأدوات والتقنيات بظهور وتطور وسائل التكنولوجيا الحديثة وشبكات التواصل الاجتماعي، [2] ما رفع من حدة تأثير هذه الوسائل في التنشئة السياسية للأفراد الذين يستعملون بكثافة هاته الوسائط الجديدة.

لذا ينبغي النظر إلى الإعلام الجديد باعتباره فضاءً وليس وسيلةً، تتيح مقاربة التمثيل الافتراضي للحياة الاجتماعية والسياسية وأشكالها ومظاهرها وأحداثها وفاعليها التي تشكل الفضاء العمومي الافتراضي، حيث يمثل هذا الأخير أحد فضاءات المجال العمومي الوطني المنفتح أفقيا على المجال العمومي (العربي مثلا)، وعموديا نحو الآراء السياسية والأفكار والأحداث والظواهر التي يعمل النظام الإعلامي التقليدي والذي تسيطر عليه الدولة على حجبها، حيث يعرف هذا الفضاء العمومي الافتراضي تحولات متتالية وحاسمة في بعض المجتمعات العربية (تونس، مصر..) حيث تحول من فضاء عمومي مواز ومضاد للفضاء العمومي التقليدي وبديل عنه إلى أحد الفضاءات المتعددة لمجال عمومي وطني جديد يتشكل في سياق تغير علاقة الدولة بالمجتمع.[3]

من هذه الزاوية يمكن القول أنّ الإعلام الجديد و التنشئة السياسية مرتبطان عضويًا في المجتمعات التي تسعى لترسيخ قيم الديمقراطية، لأنّ الإعلام الجديد مورد يبحث في سبل توفير ضمانات للحريات المدنية الأساسية مثل حرية التعبير والتفكير والتجمع، ويوفر في حالة (حسن استغلاله) بيئة مناسبة لخلق تنمية سياسية تكبح جموح الإعلام الخاضع لسلطة الدولة، ويسهل النفاذ الحر للمعلومات بما يمكن المواطن عموما من تنمية الوعي السياسي لديها بمختلف القضايا السياسية

---

[1]– كزوط هشام،" **الاعلام الجديد والرهانات التنموية**"، متاح عل الرابط: http://drasat.info.

[2]– محمد الرضواني، مرجع سابق، 196.

[3]– الصادق الحمامي، "الميديا الجديدة والمجال العمومي: الإحياء و الانبعاث"، **مجلة الإذاعات العربية** ، العدد3،تونس، اتحاد إذاعات الدول العربية،(2011)، ص ص20،21.

المطروحة ويتيح فرصة المساءلة والمشاركة في مختلف القضايا التي تهم هذه الأخيرة ، باعتبار تطبيقاته أدوات اتصال فعالة.

ثالثا- شبكات التواصل الاجتماعي من فعل التواصل إلى تشكيل الوعي السياسي

لقد أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في تفعيل المشاركة لتحقيق رغبة كل فئة مشتركة في نفس الاهتمامات والأنشطة، لما لها من دور تفاعلي وتأثيري، حيث استطاعت في نفس السياق تحويل الأفكار والأقوال والتوجهات الى مشروعات عمل جاهزة للتنفيذ.[1]

يقتضي فهم آلية تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على تشكيل الوعي السياسي، التطرق لوظائف شبكات التواصل الاجتماعي، فبالإضافة إلى الوظيفة التواصلية التقليدية؛ إذ استخدمت في بداية الأمر مواقع التواصل الاجتماعي للدردشة ولتفريغ الشحن العاطفية، فإنّ لشبكات التواصل الاجتماعي العديد من الوظائف الأخرى، ومن أهمها:

1-**الوظيفة الإخبارية:** حيث أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي، مصدرا مهما لتداول الأخبار في مختلف مجالات الحياة، سواء من خلال انتشار صفحات وسائل الإعلام التقليدية من صحف وقنوات تلفزيونية على هذه المواقع، أو من خلال تداول المستخدمين للأخبار التي يحصلون عليها سواء من مواقع عملهم أو نقلا عن أصدقائهم.

2- **الوظيفة التعبوية:** وهي الوظيفة التي استطاعت من خلالها وسائل التواصل الاجتماعي لعب دور سياسي مهم خلال موجة الحراك العربي، وذلك عبر حشد الرأي العام وتحريك الجماهير للنزول إلى الشارع، وقد وظفت القدرة التعبوية لمواقع التواصل الاجتماعي بأكثر من نمط توظيفي، أولها: ذلك النمط الذي انتشر خلال الحراك العربي، وتم من خلاله الدعوة مباشرة للتظاهر والاحتجاج علي ممارسات النظم السياسية، أو بطريقة غير مباشرة من خلال التركيز على مساوئ هذه النظم والتمهيد بشكل تدريجي للاحتجاج عليها، وهو ما ظهر في بادئ الأمر من خلال المدونات الخاصة ببعض المدونين، فعلى سبيل المثال تسبب نشر فيديوهات تعذيب الشرطة للمعتقلين، في ايجاد حالة من الاحتقان الشعبي ضد الشرطة، تبلور بشكل أكثر وضوحا بعد حادثة الشاب "خالد سعيد" في مصر، والتي كانت لصفحته على الفيسبوك "كلنا خالد سعيد" دورا مهما في حشد الجماهير ضد ممارسات الشرطة".[2]

---

[1]- زهير عابد، "دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعبئة الرأي العام الفلسطيني نحو التغيير الاجتماعي والسياسي"، **مجلة جامعة النجاح للأبحاث**، مجلد 26، (2012)، ص ص 1394،1395.

[2]- رانيامكرم، "**التوظيف السياسي لمواقع التواصل الاجتماعي**"، متاح على الرابط: http://www.rcssmideast.org.

ومن جهة أخرى فقد لعبت شبكات التواصل الاجتماعي دورا سياسيا قبل أحداث الحراك العربي، من خلال الترويج للانتخابات، أو تبادل المعلومات الأخبار السياسية، إلاّ أنّ دورها في العالم العربي برز بقوة مع ما سمي بالربيع العربي، الذي بيّن أنّ التغيير قادم من عقول عصرية تتحدث لغة مختلفة، ولديها أفكار مختلفة ووعي مختلف تماما[1]. طرأ تغيير لمعاييرها ومعتقداتها السياسية بفعل تعرضها المكثف لوسائط الإعلام الجديد.

لا يوجد وصف جاهز أكثر انطباقا على الفيسبوك في جانبه الإعلامي من كونه سلاحًا ذا حدين فمثلما أنه يستطيع كوسيلة إعلامية جديدة أن يكون أداة مثلى للقفز على حواجز الإعلام الحكومي، ومن بينه الإعلام العربي، فإنّه يستطيع أن يكون مرتعًا خِصبًا للإشاعة والمعلومة المضللة، ومن ثم بث الوعي الموهوم، وما هو أبعد من ذلك هو أنَ لا شيء يمنع الحكومات، التي يطرد إعلامها من الباب، أنْ تعود من شباك الفيسبوك كي تروج لسياستها بطرق شتى وغير مباشرة، إذْ أنَ الفيسبوك فرض نفسه إعلاماً بديلاً يروج كما كبيراً من الأطروحات المتناقضة؛ فالبعض يعتبره خير ما يستطيع القيام بدور هذا الإعلام المنشود، بينما ينفي البعض الأخر عنه كل إمكانية للقيام بذلك الدور.[2]

على العموم تعمل شبكات التواصل الاجتماعي على بداية تحرر الإنسان من أجهزة التوجيه الإعلامي التي تسيطر على عقله، وهو تحرر مزدوج، يشمل حرية الإرسال والاستقبال، وكذا تشجيع المواطنين على الإبداع وتنمية خصال المواطنة عبر تبني تطبيقات الإعلام الجديد لمواهبهم.

كذلك يستعمل الشباب مواقع التواصل الاجتماعي كمحطة انطلاق لتطبيق مختلف المبادرات الاجتماعية والسياسية والثقافية والخيرية، كما تسهم بفضل تناميها في السياقات العالمية ومردودها المحلي في زيادة تفعيل دور المجتمع المدني، حيث أنّ هناك العديد من منظمات المجتمع المدني قد بنت لها قواعد في المجتمع الافتراضي عبر الشبكات الاجتماعية، تروج من خلال هذه الشبكات للبرامج والسياسات التي تتبناها، وهناك بعض النقابات والجمعيات الأهلية استغلت الشبكة في زيادة التواصل بين أفرادها، ودعوة المستفيدين إلي برامجها ومشروعاتها.[3]

---

[1]– المنصور محمد، "**تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين : دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية "العربية نموذجا**"، رسالة ماجستير غير منشورة، (الأكاديمية العربية في الدنمارك، 2012)، ص96.

[2]–عبد الإله بلقزيز وآخرون،" **الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم**"،(بيروت: مركز دراسة الوحدة العربية ، ط1، 2013)، ص371.

[3]– وليد رشاد زكي،" **نظرية الشبكات الاجتماعية من الايدولوجيا الى الميثودولوجيا**"، المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، 2012 ، متاح على الرابط:

بشكل عام، يلعب الإعلام دورا مهمًا في نشر ثقافات المجتمع وتطوير صلاته بشرائح المجتمع المختلفة، من خلال الاهتمام والتركيز على المسائل المتعلقة بفعاليات ونشاطات الأفراد، وذلك بهدف تدعيم التفاعل بين الأطراف وإيجاد حلول ومعالجات ابتكارية لمشكلاتهم المختلفة، عن طريق تطوير الجدل والنقاش في البرامج التلفزيونية والصحف المحلية ووسائل التواصل الاجتماعي وإقامة الندوات والمحاضرات والتي تعكس جميعها تنوع واختلاف وجهات النظر حول المسائل الاجتماعية والسياسية المتعلقة بشؤون المجتمع عبر السعي إلى كسب مواقع التأثير في الميدان السياسي أو العمل المجتمعي وبهذا يحققون حرصا على البقاء قريبين من الدولة والمؤسسات التنفيذية أو الدستورية في البلاد[1].

إنّ الاتصال يمثل بوجه عام ميكانيزمًا مهمًا وحيويًا بالنسبة للمجتمع عامة والبناء السياسي والنظام السياسي بوجه خاص، لما ينطوي عليه من إمكانات وقدرات يمكن الاستناد إليها في تدعيم النظام الاجتماعي والسياسي القائم والحفاظ عليه، أو في تطوير أو استحداث نظام أكثر عصرية وتطورا ، مما يساعد في تفعيل جهود التنمية الشاملة عموما والتنمية السياسية بوجه خاص.[2]

رابعا- الإعلام الجديد كمؤشر فعال للمواطنة

إن خضوع وسائل الإعلام للرقابة الحكومية لا يدعم العملية الديمقراطية وحقوق المواطنة، كما يَحول دون اتاحة مختلف الآراء والأفكار التي تعبر عن فئات المجتمع وتعكس صورة صادقة لما يدور فيها، حيث يجعل من وسائل الإعلام مجرد أبواق دعائية لسياسات الحكومة غير قادرة على كشف الفساد والأخطاء التي تقع في المجتمع.[3] ولهذا نجد الحكومات المعاصرة تعمل على اخضاع وسائل الإعلام لسيطرتها، لتتمكن من تسخيرها لنشر معتقداتها السياسية، ودعم شرعيتها، وتبرير مواقف النظام السياسي،

http://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&ved=0CB4QFjAA&url=http%3A%2F%2F accronline.com

[1]- سيف الدين كاطع،" **بين صور الإعلام الحر ومتطلبات المجتمع المدني** "، متاح على الرابط: www.amanjordan.org/a-news/wmview.php?ArtID..

[2]- عبد الحليم الزيات، "**التنمية السياسية دراسة في الاجتماع السياسي: الأدوات والآليات**" (مصر: دار المعرفة الجامعية، د ط 2002)،ص 102 .

[3]- شريهان توفيق و شيرين كدواني، "المدونات السياسية وحرية التعبير كحق من حقوق المواطنة"، **ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر: الإعلام والبناء الثقافي لحقوق المواطنة**، (مصر: جامعة أسيوط، فيفري 2008)، ص14.

لأنها تملك القدرة على اختراق الحواجز، وتوصيل رسائلها إلى المواطنين في منازلهم ودون أي جهد منهم، وتحاول التأثير فيهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة".[1]

لقد فتح الإعلام الجديد المجال واسعا أمام ممارسة قضايا المواطنة عبر الأنترنت، والتي أطلق عليها "المواطنة الافتراضية Virtual citizenship"، فعند الحديث عن المواطنة لا يغيب البعد السياسي إذْ ارتبطت بحقوق وواجبات سياسية النشأة، خاصة في ظل التوترات التي تعاني منها الدولة القومية وتقلص الحقوق السياسية وعدم مصداقيتها إلى حد ما، حيث تبرز في هذا السياق ممارسة حقوق المواطنة في المجتمع الافتراضي والذي أضحى أداة لتحقيق المواطنة، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ قضايا المواطنة تعد عالمية النشأة ومحلية المردود وهي نوعين:

1- **المواطنة المقنّنة:** وتتجلى في استعمال أفراد المجتمع للمواقع المقننة مثل: بوابات الحكومة الإلكترونية، مواقع الوزارات والجامعات والجمعيات وغيرها، والتي في الغالب تحكمها ضوابط وتعليمات (اسم المستخدم وكلمة السر)، وذلك للتحكم في سلوكيات المستخدم والحماية ضد القرصنة.

2- **المواطنة الحرة:** تمكن المستخدم من الملاحة في مواقع الأنترنت بحرية وبدون شروط وقيود، وقد عمل الإعلام الجديد بمختلف تقنياته على مساندة هذا النوع من المواطنة، من خلال تيسير ربط أفراد المجتمع العالمي في مجتمعات صغيرة تسعى نحو تبادل المعلومات والمعارف والتشارك بها بغض النظر عن الجنس واللغة والدين.[2]

لقد أسهم الإعلام الجديد انطلاقًا من إمكانياته وخصائصه في تعزيز قيم المواطنة *والممارسة الديمقراطية، وذلك وفقا للمؤشرات التالية:

- يضمن الإعلام الجديد المشاركة الفاعلة للمواطنين دون قيود، إذ يعتبر كل مشترك عضوا كامل الحقوق، ومشاركا افتراضيا نشطا.

---

[1]- محمود حسن اسماعيل، "**التنشئة السياسية: دراسة في أخبار التلفزيون**"،(مصر: دار النشر للجامعات، ط1، 1997)، ص48.

[2]- مبارك زودة، "**دور الإعلام الاجتماعي في صناعة الرأي العام : الثورة التونسية أنموذجا**"، مذكرة ماجستير غير منشورة (جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم العلوم الإنسانية، 2011-2012)، ص ص 157،158.

***يعتبر مفهوم المواطنة** واحد من أهم المفاهيم المكونة للفكر السياسي والاجتماعي المعاصر؛ حيث يعبر عن تلك العلاقة بين الفرد والدولة من جهة، وبين الفرد والمجتمع من ناحية أخرى، للمزيد أنظر: العيدي صونيا، المجتمع المدني المواطنة والديمقراطية، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية**، العدد 02-03 (جوان 2008).

- أضعف الإعلام الجديد بيروقراطية الدولة وذلك بتوفيره وسائل اتصال ونضال وكذا منابر جديدة لعرض الأفكار والآراء لا يمكن التحكم فيها.
- عملت شبكات التواصل الاجتماعي على بداية تحرر الإنسان من أجهزة التوجيه الإعلامي التي تسيطر على عقله، وهو تحرر مزدوج، يشمل حرية الإرسال والاستقبال.
- تشجيع المواطنين على الإبداع وتنمية خصال المواطنة عبر تبني تطبيقات الإعلام الجديد لمواهبهم، وطرح أعمالهم على العديد من المواقع المجانية بسهولة.

في المقابل هناك من ينظر إلى الإعلام الجديد باعتباره خطرا يداهم قيم المواطنة، وخصوصا ما تعلق بتدفق المعلومات وتداخل الثقافات عبر العالم، ما يمكن أن يؤدي إلى قيام المواطنة العالمية والتي تقوم على اختزال دور الحكومة، إضافة لتغريب الشباب، واهتزاز ثقتهم بدوّلهم، وبالتالي التأثير على إيجابية مواطنتهم.[1]

لعله من نافلة القول الإقرار أنه بفضل خصائص الإعلام الجديد شهد مفهوم المواطنة تغييرًا للصورة الكلاسيكية للمواطن، بالنظر لكون حرية التعبير الأساس لقيام الدولة الديمقراطية، حيث يعد الإعلام الجديد بمختلف أشكاله من أهم وسائل التعبير عن حرية الرأي في العالم المعاصر، بالرغم من فقدان مفهوم المواطنة لبساطته في خضم الأحداث والتطورات الراهنة التي أفرزتها العولمة، على اعتبار تأثره بالتكنولوجيات الحديثة، مما يدعو إلى الاهتمام أكثر بهذه الأخيرة بغية تقديم معالجة نوعية لقضاياه، لتجعل منها همزة وصل بين كل مؤسسات الدولة والمواطن ، حيث يعد دور الإعلام الجديد بالغ الأهمية والخطورة (في نفس الوقت) في تكوين الرأي العام وفي تعبئة الأفراد وحشدهم خدمة لقضايا معينة، حيث يسهم التدفق الحر للمعلومات في خلق معرفة واسعة ودقيقة للأحداث السياسية، وبالتالي التأثير على تصور المواطن ومن ثم التأثير على عملية التلقي لديه.

لقدبات الطريق لتحقيق ديمقراطية تشاركية قائم على المشاركة في الإعلام لتسهيل المشاركة في الحياة المدنية. وفي عصر الوسائط الإعلامية الفائقة، يتوجب على المواطن الفاعل أن يفهم العلاقة بين الهوية الشخصية والاجتماعية، والإعلام كمساحة للمجتمع والديمقراطية.[2]

---

[1]– ماجد سالم تربان، "**الإعلام البديل وتعزيز قيم المواطنة**"، متاح على الرابط:
/https://majed1975.wordpress.com/about

[2]– عبد الله المبيضين، **التربية الإعلامية بين المفهوم والمشاركة**، متاح على الرابط:
https://mdlab2013.files.wordpress.com/…/abdallah-al.

إن للإعلام إفراز وتأسيس ينطلق من داخل المشروع الديمقراطي، والمشروع السياسي ديمقراطيا كان أو كان غير ديمقراطيا، ويلعب دورًا مهماً في إشاعة الثقافة الديمقراطية، ويشكل ركيزة مهمة من ركائز البناء الديمقراطي، ومن دونها يبقى البناء الديمقراطي هشاً.[1]

كما أن التفاعل والتواصل في المجتمعات الافتراضية بين أفراد من مختلف مجتمعات وثقافات العالم، تزيد احتمالات تعرض أعضاء هذه المجتمعات لعمليات التغيير والتعديل في أفكاره والآراء والقيم والاتجاهات التي يؤمن بها، وهو ما ينعكس على أنماط السلوك الصادرة عنهم في تعاملهم وتفاعلهم مع مجتمعاتهم الحقيقية، فلقد أصبحت المجتمعات الافتراضية بأنواعها من حيث المحتوى والآلية تلعب دورا مؤثرا في تشكيل وإعادة تشكيل البنيات المعرفية والقيمية والثقافية للأفراد والمجتمعات.[2]

خاتمة:

إذًا ما يمكن استخلاصه أنّ للإعلام الجديد خصائص ومميزات متعددة تشمل جميع النواحي المتصلة بالحياة المجتمعية، والتي تبرز أكثرها أهمية في هذا المجال هو الدور السياسي وارتباطه الوثيق بالدعم الذي يقدمه الإعلام عامة، وكذا الإعلام الجديد بما يقدمه من آليات تسهم في التنشئة السياسية، وهو مجال اهتمامنا في هذه الدراسة، فهذه الخصائص الأساسية للإعلام الجديد تسهم في الحد من سلطة الدولة وتعزيز المشاركة السياسية وإتاحة الفرصة للأفراد في التعبير عن أنفسهم والدفاع عن حقوقهم وقضاياهم، إضافة إلى تعزيز القيم الديمقراطية، وإشاعة الثقافة المدنية والمساهمة في تعزيز قيم المواطنة، كما تؤدي إلى الارتقاء بالوعي السياسي وبالثقافة السياسية، وإلى مشاركة جادة في صناعة القرار السياسي، وبالتالي يفضي هذا التفاعل المجتمعي إلى النهوض بدور فاعل ومهم في تفعيل الديمقراطية، سواء من خلال الإعداد لها وتوفير البيئة المناسبة أو المساهمة في إحداثها. كما يمكن فهم الإعلام الجديد عبر مداخله وأشكاله، وما شكله من ثورة في مجال التكنولوجيا.

قائمة المراجع:

أولا- باللغة العربية

- **<u>الكتب</u>**

1- ابراهيم بعزيز، " **تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية**"(القاهرة: دار الكتاب الحديث، د ط، 2012).

1- شذى الجنابي، **للإعلام دور كبير في إشاعة القيم الديمقراطية**، متاح على الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=216277

2- أسماء الهادي، "**التأثيرات التربوية للمجتمعات الافتراضية** "، متاح على الرابط:www.researchgate.net

2- ثامر كامل محمد الخزرجي، **النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة**، (عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2004).

3- حسن عماد مكاوي، "**تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات**"(القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، د ط، 2005).

4- سمر كرامي، "**الصحافة النسائية في الوطن العربي**"(بيروت: دار النهضة العربية، د ط، 2008).

5- صلاح عبد الحميد، "**الاعلام والثورات العربية**"(القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 2013).

6-عادل عبد الصادق، "الفضاء الالكتروني والرأي العام تغير المجتمع والأدوات والتأثير"(القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية ، ط1، 2011).

7- عبد الإله بلقزيز وآخرون،" **الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم**"(بيروت: مركز دراسة الوحدة العربية ، ط1، 2013).

8-عبد الحليم الزيات، "**التنمية السياسية دراسة في الاجتماع السياسي: الأدوات والآليات**" (مصر: دار المعرفة الجامعية، د ط 2002).

9- فرانك كليش، "**ثورة الإنفوميديا: الوسائط الإلكترونية وكيف تغير عالمنا وحياتك**"، ترجمة حسام الدين زكريا(الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 2000).

10- فؤادة عبد المنعم،" الاتصال الشخصي في عصر تكنولوجيا الاتصال)"القاهرة :دار عالم الكتاب، ط1، 2003).

11- كامل خورشيد مراد، "**الاتصال الجماهيري والاعلام: التطور – الخصائص – النظريات**"(عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2011).

12- محمود حسن اسماعيل، **التنشئة السياسية: دراسة في أخبار التلفزيون**،(مصر: دار النشر للجامعات، ط1، 1997).

13- محمد الرضواني، **مدخل إلى علم السياسة**، (الرباط: دار المعارف الجديدة، ط3، 2016).

14- محمد بن مسعود البشر، **مقدمة في الاتصال السياسي**، (الرياض: مكتبة العبيدات، ط1، 1997).

15- نسيم الخوري، "الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية"(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005).

- **المجلات:**

16- زهير عابد، "دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعبئة الرأي العام الفلسطيني نحو التغيير الاجتماعي والسياسي"، **مجلة جامعة النجاح للأبحاث**، مجلد 26، (2012).

17- سميرة شيخاني، "الإعلام الجديد في عصر المعلومات"، **مجلة جامعة دمشق**، العدد1و2، مجلد 26،2010).

18- قاسم حجاج، التنشئة السياسية في الجزائر في ظل العولمة بعض أعراض الأزمة ومستلزمات الانفراج، **مجلة الباحث**، العدد 02، (2003).

19- الصادق الحمامي، "الميديا الجديدة والمجال العمومي: الإحياء و الانبعاث"، **مجلة الإذاعات العربية** ، العدد3،تونس، اتحاد إذاعات الدول العربية،(2011).

20- العيدي صونيا، المجتمع المدني المواطنة والديمقراطية، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية**، العدد 02-03 (جوان 2008).

21- العيدي صونيا، المجتمع المدني المواطنة والديمقراطية، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية**، العدد 02-03 (جوان 2008).

22- قندوز عبد القادر، دور الإعلام في التنشئة السياسية، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد 03 (2003).

23- اليامين بودهان، وسائل الاتصال وعلاقتها بعملية الاتصال السياسي، **مجلة الإذاعات العربية** ، العدد3،تونس، اتحاد إذاعات الدول العربية،(2011).

- **الأوراق البحثية:**

24- سعود صالح كاتب، "الإعلام الجديد وقضايا المجتمع التحديات والفرص"، **ورقة مقدمة للمؤتمر العالمي الثاني للإعلام الإسلامي**(أندونيسيا:2011).

25- شريهان توفيق و شيرين كدواني، "المدونات السياسية وحرية التعبير كحق من حقوق المواطنة"، **ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر: الإعلام والبناء الثقافي لحقوق المواطنة**، (مصر: جامعة أسيوط، فيفري 2008).

- **الرسائل والأطروحات:**

26- مبارك زودة، "**دور الإعلام الاجتماعي في صناعة الرأي العام : الثورة التونسية أنموذجا**"، مذكرة ماجستير غير منشورة (جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم العلوم الإنسانية، 2011-2012).

27- المنصور محمد، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين : دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية "العربية نموذجا"، رسالة ماجستير غير منشورة،)الأكاديمية العربية في الدنمارك، 2012).

- **المواقع الالكترونية:**

28- أسماء الهادي، "**التأثيرات التربوية للمجتمعات الافتراضية** "، متاح على الرابط:www.researchgate.net

29- رانيامكرم، "**التوظيف السياسي لمواقع التواصل الاجتماعي**"، متاح على الرابط: http://www.rcssmideast.org.

30- سيف الدين كاطع،" **بين صور الاعلام الحر ومتطلبات المجتمع المدني** "، متاح على الرابط: www.amanjordan.org/a-news/wmview.php?ArtID..

31- شذى الجنابي، للإعلام دور كبير في إشاعة القيم الديمقراطية، متاح على الرابط : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=21627

32- عبد الله المبيضين، **التربية الإعلامية بين المفهوم والمشاركة**، متاح على الرابط: *https://mdlab2013.files.wordpress*.com/.../abdallah-al.

33- فيليب ان هوارد، "التأثير المستدام لوسائل الاعلام الرقمية على المجتمع المدني"، متاح على الرابط: http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/publication/2010/02/20100203171800mlenuhret0.4904901.html#axzz3Xx8HJW5g

34- كزوط هشام،" الاعلام الجديد والرهانات التنموية"، متاح عل الرابط: http://drasat.info

35- ماجد سالم تربان، "**الإعلام البديل وتعزيز قيم المواطنة**"، متاح على الرابط:https://majed1975.wordpress.com/about/

36- منار الرشواني، "**الاعلام الجديد والتغيير السياسي**"، متاح على الرابط: http://www.mominoun.com/arabic/ar-sa/articles

37- وليد رشاد زكي،" **نظرية الشبكات الاجتماعية من الايدولوجيا الى الميثودولوجيا**"، المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، 2012 ، متاح على الرابط: http://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&ved=0CB4QFjAA&url=http%3A%2F%2Faccronline.com

ثانيا–باللغة الاجنبية:

38- Brody Douglas, **A Saudi Arabia international media strategy: influence through multinational owner ship in HfezxMass media politics and society in the middle east** (Hampton pressIne, 2001)
39- flew terry **, new media-an introduction**(oxford university press, uk, 2009).
40- . Habermas, L'espace public **: archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise**, traduit de l'allemand par Marc B, de Launay, (Edition Paillot, Paris, 1990.)

الجريمة والمجتمع: المرأة المجرمة انموذجا

-دراسة تحليلية للعوامل الكامنة وراء تزايد نسب جريمة المرأة داخل المجتمع الجزائري-

د/أمال عوكي ـ جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري ـ الجزائر.

الملخص:

تعد الجريمة ظاهرة تاريخية عرفتها وتعرفها حتى الآن كافة المجتمعات ، وتظل الجريمة عنصرا لصيقا بحياة المجتمع أي أنها تعتبر ظاهرة ملازمة لكل مجتمع منذ أن وجد الإنسان، بحيث تعد نوعا من أنواع السلوكات المضادة للمجتمع والتي تحدث اضطرابا في العلاقات الاجتماعية، بما يعني أن الخروج على قيم المجتمع ومعاييره يضر بالجماعة ويهدد استمرارها وبقائها .ويعتبر موضوع الجريمة عموما وجريمة المرأة خصوصا موضوعا جوهريا في حياة الإنسان، نظرا للخطورة التي يكتسيها تورط العنصر النسوي في مختلف أشكال الجريمة، وبذلك أصبح إجرام النساء أحد أبعاد الإجرام المعاصر في العالم.

الكلمات المفتاحية: الجريمة-المجتمع-المرأة المجرمة.

Résume :

Le crime est un phénomène historique connu et connu de toutes les sociétés, et reste un élément de la vie sociale, phénomène inhérent à toutes les sociétés depuis l'existence humaine , Pour être une sorte de comportement antisocial qui perturbe les relations sociales, Ce qui signifie que sortir contre les valeurs et les normes de la société nuit au groupe et menace sa continuation et sa survie. La question de la criminalité en général et de la criminalité des femmes en particulier est une question fondamentale dans la vie humaine, Compte tenu de la gravité de l'implication de l'élément féminin dans diverses formes de criminalité, la criminalité des femmes est ainsi devenue l'une des dimensions de la criminalité contemporaine dans le monde.

Mots clés : le crime-la société-femme criminelle.

تمهيد:

شهد المجتمع الجزائري ولا يزال يشهد أشكالا متعددة من السلوك الإجرامي الذي لم يتوقف عند الممارسات التقليدية للجريمة بل اتخذ أساليبا وصيغا جديدة أكثر تنوعا وتعقيدا من ذي قبل، تماشيا مع تطور الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية السائدة في المجتمع .ويعتبر السلوك الإجرامي من أخطر السلوكيات التي تهدد أمن المجتمع وسلامة الفرد وتعوق عملية تطور وازدهار واستقرار المجتمع في أي مكان وزمان بما تحدثه هذه الظاهرة من آثار وخيمة ، الأمر الذي جعلها محل اهتمام من قبل الأكاديميين من أخصائيين نفسانيين وعلماء الاجتماع وممارسين في مختلف الهيئات الرسمية وغير الرسمية ولاسيما جريمة المرأة التي باتت تشكل ظاهرة تهدد استقرار المجتمع وبقائه، ولكن ما يزيد من خطورتها في الوقت الراهن هو تورط العنصر النسوي في الجرائم بمختلف أشكالها ، فتغير دور المرأة في كثير من الحالات من الضحية إلى المجرمة ، وهو أمر لم يعد حبيس الحالات الإستثنائية هنا وهناك من دول العالم ولكن صار ظاهرة تلفت الأنظار ولم تعد محصورة في مجتمع بعينه بل تعدت الحدود الجغرافية وأصبحت ظاهرة دولية ، ولم تكن الجزائر بمنأى عن هذه الظاهرة ، فقد انتشرت بشكل سريع وخطير وأصبحت الجريمة النسائية مثلها مثل أي سلوك إجرامي هو خروج عن النظم والقوانين .

أولا–مدخل نظري لجريمة المرأة:

تعد الجريمة ظاهرة تاريخية عرفتها وتعرفها حتى الآن كافة المجتمعات ، وتظل الجريمة عنصرا لصيقا بحياة المجتمع أي أنها تعتبر ظاهرة ملازمة لكل مجتمع منذ أن وجد الإنسان، بحيث تعد نوعا من أنواع السلوكات المضادة للمجتمع والتي تحدث اضطرابا في العلاقات الاجتماعية، بما يعني أن الخروج على قيم المجتمع ومعاييره يضر بالجماعة ويهدد استمرارها وبقائها .ويعتبر موضوع الجريمة عموما وجريمة المرأة خصوصا موضوعا جوهريا في حياة الإنسان، نظرا للخطورة التي يكتسيها تورط العنصر النسوي في مختلف أشكال الجريمة، وبذلك أصبح إجرام النساء أحد أبعاد الإجرام المعاصر في العالم.

ويعد إجرام المرأة نتيجة للظروف التي فرضتها العولمة والتطور الذي يشهده العالم، فأصبحت المرأة تنافس الرجل في كافة الميادين خاصة العلمية منها والسياسية والثقافية ، وذلك

بهدف إظهار قدراتها وطاقتها العملية والمهنية وذلك في ظل الانفتاح على العولمة والتطور التكنولوجي الذي يشهده العالم عموما والجزائر خصوصا. ولكن الأمر المؤسف في هذا المجال هو أن هذه المنافسة لم تبقى على هذا النحو بل اتخذت اتجاها سلبيا تمثل في اقتحام المرأة لعالم الجريمة ، وفي هذا الصدد تشير بعض المعطيات الرسمية حول تورط أزيد من 10 آلاف امرأة في الجزائر في مختلف الجرائم، على أن هذا الرقم حسب هذه المعطيات قد عرف قفزة نوعية مقارنة بالسنوات الأخيرة.

مما يحتم علينا ضرورة البحث في العوامل التي قد تدفع بالمرأة لارتكاب الجريمة . بما يؤكد على أن ظاهرة جريمة المرأة من الظواهر التي عرفت انتشارا كبيرا في الآونة الأخيرة نظرا لعدة ظروف منها تحرر المرأة ورغبتها في المساواة مع الرجل دون أن ننسى العنف والضغط الذي يمارس عليها بما يؤدي بها إلى الوقوع في عالم الانحراف والجريمة ، وهي ظاهرة ليست حديثة ولكن تناولها في الآونة الأخيرة بشكل مبالغ فيه بعد أن كانت في السابق من التابوهات في المجتمع ويرفض الاعتراف بوجودها من اجل الحفاظ على استقرار المجتمع وبقائه .

ثانيا-<u>تحديد المفاهيم</u>: وهي على النحو التالي:

1-<u>تعريف الجريمة:</u>

وتعرف الجريمة من الناحية اللغوية بأنها مشتقة من الجرم والتي تعني الذنب أي ارتكاب أو اقتراف الذنب أو الخطأ.[1]

وأما من حيث الاصطلاح فإن مفهوم الجريمة يعد من المفاهيم التي اهتم بها الكثير من الباحثين في حقول معرفية مختلفة من مثل علم الاجتماع ، علم الجريمة ، علم النفس مما نتج عنه نوع من الغموض في استخدام المفهوم بحيث نجده يستخدم بمعاني مختلفة داخل نفس الحقل، كما لا ننسى بأنه ما يعتبر جريمة في مجتمع ما قد لا يعد كذلك في مجتمع أخر.

وتعرف الجريمة بأنها "كل فعل ضار ومتعمد ومقصود يجرمه القانون الذي سنته الدولة ونصت صراحة على اعتبار هذا السلوك جريمة، وتعاقب من يرتكبه".[2]

---

[1] المنجد الأبجدي،دار المشرق،ط:5،بيروت،1967،ص324.

[2] حسين عبد الحميد احمد رشوان:الجريمة (دراسة في علم الاجتماع الجنائي)،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،1995 ،ص6 .

وبذلك فالجريمة عمل مؤثم يجرمه القانون، ويفرض عليه العقوبات الرادعة بمعنى أن القانون هو المصدر الوحيد للتجريم والعقاب.

ومن ناحية أخرى تعرف الجريمة بأنها "إشباع لغريزة إنسانية بطريق شاذ لا ينتهجه الرجل العادي في إرضاء الغريزة نفسها، وذلك الخلل كمي أو شذوذ كيفي في هذه الغريزة مصحوبا بعلة أو أكثر في الصحة النفسية وقد صادفت وقت ارتكاب الجريمة انهيار في الغرائز السامية وعدم الخشية من العقاب ".[1]

وبذلك فكل عمل إجرامي ما هو إلا تعبير عن صراعات نفسية تدفع صاحبها للوقوع في الجريمة.

وكذلك تعرف على أنها ظاهرة اجتماعية تظهر في كافة المجتمعات على اعتبار أنها نوع من السلوك المضاد للمجتمع والمنافي للنظم الاجتماعية تحدث اضطرابا في العلاقات الاجتماعية أي خللا في قواعد الضبط الاجتماعي ، فالخروج على قيم المجتمع ومعاييره يضر بالجماعة ، ويهدد سلامتها واستقرارها واستمرارها.[2]

و بذلك فالجريمة سلوك يخترق قواعد الضبط الاجتماعي ويتعارض مع قيم ومعتقدات المجتمع ويقوم بها فرد ينتمي إلى ذلك المجتمع.

ويمكن أن نخلص في الأخير أن الجريمة مهما تعددت تعريفاتها ، فهي ظاهرة اجتماعية تظهر في كافة المجتمعات مهما اختلفت درجة تقدمها أو تخلفها ، وهي لصيقة بحياة البشر بحيث يعد الخروج عن قيم المجتمع ومعاييره جريمة في نظر العرف والتقاليد قبل القانون ويعاقب عليها المجتمع بالاستهجان وقد تصل أحيانا إلى النبذ ، وأما القانون فيكون بالعقوبات الرادعة للحيلولة دون خرق قواعد المجتمع وقوانينه.

---

[1] جلال الدين عبد الخالق والسيد رمضان:الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ،2001،ص182 .

[2] حسين عبد الحميد احمد رشوان ،مرجع سابق،ص11 .

2-تعريف المجتمع:

ويعرف المجتمع من الناحية اللغوية بأنه مشتق من الملتقى والتي تعني مكان الاجتماع، وهو يطلق مجازا على جماعة من الناس والذين يكونون خاضعين لقوانين ونظم عامة، مثال ذلك المجتمع القومي والمجتمع الإنساني.[1]

وأما من حيث الاصطلاح فإن المجتمع يعرف بأنه مجموعة من الناس لهم ثقافة مشتركة متميزة ، تحتل حيزا إقليميا محددا وتتمتع بشعور الوحدة وتنظر إلى ذاتها ككيان متميز، ويشتمل هذا الكيان على بناء من أدوار وسلوك محدد تفرضه المعايير الاجتماعية، ومع ذلك فالمجتمع يعتبر نموذجا خاصا لجماعة تتميز بنسق اجتماعي شامل ينطوي على جميع المؤسسات الاجتماعية الأساسية اللازمة لمواجهة الحاجات الإنسانية الضرورية ، ويتميز كذلك باستقلاله ليس بمعنى أنه مكتف بذاته من الناحية الاقتصادية اكتفاء ضروريا وإنما بمعنى انطوائه على جميع أشكال التنظيم اللازمة لبقائه واستمراره فترة طويلة من الزمان.[2]

ومنه نخلص في الأخير إلى أن المجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون معا ويشتركون في ثقافة واحدة وتجمعهم خصائص موحدة كاللغة والعادات ، كما أنهم يكونون المؤسسات التي تؤدي لهم الخدمات وتنظم لهم العلاقات فيما بينهم .

3-تعريف المرأة المجرمة:

يعرف المجرم من الناحية اللغوية بأنه الأثيم الشرير الذي يرتكب جرما، وأما المجرم العائد فهو الذي يعود إلى ارتكاب الجريمة التي حكم عليه بها أي صاحب سوابق.[1]

وأما من حيث الاصطلاح فيعرف المجرم بأنه "ذلك الشخص الذي أتى سلوكا يجرمه المجتمع ، ويؤدي ذلك إلى انتفاء صفة المجرم عن بعض الأشخاص الذين يرتكبون أفعالا

---

[1] المنجد الأبجدي،مرجع سابق،ص905 .

[2] محمد عاطف غيث :قاموس علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 2006،ص416 .

[1] المنجد الأبجدي ،مرجع سابق ،ص907 .

يجرمها القانون ولا يعتبرها المجتمع كذلك، كما أن صفة المجرم تثبت في حق من يرتكب فعلا يعتبره المجتمع جريمة ولو كان القانون لا ينص على تجريمه ".[2]

نلاحظ على هذا التعريف أن الحكم على إنسان بأنه مجرم يصدر من المجتمع على خلاف ما سبق ذكره بأن الجريمة هي ذلك الفعل الذي يعاقب عليه بموجب القانون من حيث أنه خرق أو هدر للقانون ينال عليه مقترفه العقاب.

من هذا نخلص من أن المجرم هو كل من ارتكب سلوك يخالف القانون، وتدعيما لهذا الرأي يعرف المجرم بأنه الشخص الذي انتهك أحد قواعد القانون الجنائي مع سبق الإصرار لكون القانون هو المصدر الوحيد للتجريم والعقاب، وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبار كل من يرتكب فعل غير اجتماعي سواء كان يقصد ارتكاب الجريمة أم لا مجرما لوجود بعض السلوكيات غير الاجتماعية يبيحها القانون ولا يعتبرها جريمة.[3]

ثالثا–<u>العوامل الكامنة وراء إجرام المرأة</u>:

لقد انتشرت ظاهرة انحراف النساء وإجرامهن بشكل سريع وخطير ، فلم تعد الجريمة حكرا على فئة الرجال بل اقتحمت المرأة كذلك هذا العالم ، فلم يعد تورطها في الجريمة يقتصر على الأنماط التقليدية بل اقتحمت عالم الجريمة المنظمة ، لكن ما هي الأسباب والدوافع المسؤولة عن إنتاج هذه الظاهرة الإجرامية ؟ و في هذا الصدد يمكن حصر مجموعة من الدوافع الذاتية والمجتمعية التي تلعب دورها في استمالة المرأة نحو الانزلاق في عالم الإجرام دون أي رادع، ولهذا الغرض سوف نقسمها إلى:

1– عوامل خاصة بالمرأة .

2–عوامل خاصة بالأسرة (أسرتها).

3– عوامل خاصة بالمجتمع .

---

[2] جلال الدين عبد الخالق والسيد رمضان ،مرجع سابق ،ص187 .

[3] محمد عاطف غيث ،مرجع سابق ،ص84 .

1- العوامل الخاصة بالمرأة :

وتعد حالة المرأة الاجتماعية ومستواها التعليمي من العوامل المهمة التي قد تدفعها للوقوع في عالم الجريمة والانحراف أو قد تحول دون ذلك ، ولبيان ذلك سوف سنشرع أولا في الحديث عن **الحالة الاجتماعية للمرأة** وعلاقتها بالميل نحو ارتكاب الجريمة ، ويقصد بالحالة الاجتماعية الحالة التي يكون عليها الفرد فقد يكون أعزب أو متزوج أو مطلق أو أرمل ، وقد أثبت الإحصائيات التي أجريت في أمريكا وأوروبا أن المطلقين يشكلون أعلى نسبة من مجموع المجرمين ، وتنخفض هذه النسبة بالنسبة للعزاب والأرامل ، وتصل إلى أدناها بالنسبة للمتزوجين ، على اعتبار أن استقرار الحالة الاجتماعية للفرد قد تساعد على انخفاض نسبة الإجرام .[1]

وعلى أية حال فإن هذه الحقائق تظل نسبية لا يمكن تعميمها على كل الناس فليس دائما العزاب والمطلقين هم الذين يعانون من المشاكل فكذلك المتزوجون.

وأما عن **المستوى التعليمي** وعلاقته بارتكاب الجريمة فيعتقد البعض أن من شأن التعليم إبعاد الفرد عن الجريمة بينما نجد البعض الأخر يقول بأنه ليس شرطا أن تنتشر الجريمة بين الأميين أكثر من المتعلمين ، بمعنى أخر ليس شرط أن يكون التعليم سببا من أسباب المقاومة أو الابتعاد عن الجريمة ، حيث أن الفرد الذي يملك مستوى تعليمي عالي قد يساعده ذلك في ارتكاب بعض الجرائم التي تتطلب معرفة ودراية لا تتوفر عند الأمي من ذلك جرائم الاختلاس والتزوير فالفرد من خلال منصبه يمكن أن يرتكب الجرائم فيختلس الأموال التي تكون بعهدته أو يزور الوثائق والمستندات لإخفاء الاختلاسات التي قام بها ، كذلك هناك جرائم أخرى لسنا في صدد تعدادها وذكرها ، ولكن بالمقابل نجد كذلك الشخص الأمي الذي لا يملك أي مستوى تعليمي يرتكب الجرائم التي لا تتطلب لا تخطيط ولا ذكاء أو قد يكون لديه من يخطط له لارتكاب الجرائم (العقل المدبر الذي يسير له الأمور) ، من هذا نستخلص بأن التعليم يمكن أن يساعد في تفشي الجرائم بل وتطورها حيث انه من خلال الاطلاع على أخبار الجرائم وتقنياتها المعتمدة يمكن أن تساعد المجرم في ابتكار الطرائق والأساليب الحديثة لارتكاب

[1] اسحق إبراهيم منصور :موجز في علم الإجرام والعقاب ،ديوان المطبوعات الجامعية، ط:2،الجزائر،1991 ،ص ص 61-62 .

الجرائم ، فبدلا أن يكون التعليم وما فرضته التكنولوجيات الحديثة في الاتصال من أن يكون أساسا للحد من الجرائم والانحراف أصبح يساعد في تفشي الجرائم .[2]

ومع تطور المجتمعات تطورت الجرائم وأساليبها فبعد أن كانت تقتصر على الجرائم التقليدية ظهر في الفترة الأخيرة اتجاه جديد يتمثل في الجريمة المنظمة الذي أصبح ينشط فيها الرجل والمرأة على السواء.

2-العوامل الخاصة بالأسرة:

تعد الأسرة من أخطر المؤسسات التربوية وأعمقها آثرا في سلوك الأبناء ، بحيث يلعب الأبوان الدور المهم في العملية التربوية وذلك بهدف مساعدة الطفل على التفاعل مع أفراد أسرته أولا ثم التفاعل مع باقي أفراد المجتمع الكبير بما يعني أن البيئة الأسرية لها تأثير كبير في حياة الفرد وتكوين شخصيته ونمط سلوكه ، إذن فالعلاقة بين الفرد وأسرته وثيقة جدا والتي يمكن من خلالها التأثير على نمط حياة الفرد خاصة في تلك الفترة التي يعيشها مع أسرته .[1]

من هذا نستشف الدور الذي تلعبه الأسرة في حياة أبنائها فقد يتخذ المنحى الايجابي من خلال إعداد أفراد صالحين سيكونون الدعم لتقدم هذا المجتمع واستمراره أو يتجه إلى السلب من خلال تقديم جيل مهزوز فاقد الثقة بذاته وبالمجتمع ككل نظرا لما تعرض له من قبل أسرته والذي سيؤثر على حياته ومستقبله وكذلك على مجتمعه بحيث يعد هذا الجيل بمثابة العائق لتقدمه وازدهاره ، مما يعني أن الأسرة تلعب الدور الأهم في تقدم المجتمع أو تخلفه من خلال التنشئة التي تقدمها لهذا الجيل ، فكيف يمكن أن يكون هذا الجيل و الذي نأمل فيه خيرا مع وجود أم مجرمة ستكون القدوة له في المستقبل؟

ومن المتعارف عليه إن التنشئة الاجتماعية تعد وسيلة لبقاء المجتمع والمحافظة على حضارته من خلال نقل القيم الحضارية والثقافية من جيل إلى جيل آخر، كذلك فإنها تحقق التواصل بين الأجيال من خلال إيجاد ميكانيزمات للتفاعل فيما بينهم ، فهي تؤدي إلى بناء الاتجاهات

---

2 عبد الرحمن توفيق احمد :دروس في علم الإجرام (نشأة علم الإجرام وعوامل الإجرام الداخلية والخارجية مقرونا بإحصائيات جنائية)،دار وائل للنشر،ط:1،عمان،2006،ص ص 157-158 .

[1] المرجع السابق،ص140 .

السلوكية السليمة في الأفراد وتكسب الخبرات والمهارات الاجتماعية واللغة التي تعد أداة اتصال بين أفراد المجتمع ، بالإضافة إلى ذلك فهي تعتبر العملية التي يتم من خلالها اكتشاف قدرات الفرد وإمكانياته ثم تعمل على تأهيله وإرشاده إلى كيفية السلوك الصحيح في مختلف المواقف الاجتماعية ، وبذلك فهي تعتبر العملية المهمة التي تحدد تقدم المجتمع أو تخلفه من خلال هذا الجيل الذي تنشئه لتولي النهوض بالمجتمع وبذلك فهي ليست المحدد الأساسي لمستقبل المجتمع فقط بل أنها هي التي تساهم في تكيف الإنسان مع التغيرات التي تحدث في المجتمع والاستجابة لها وخاصة ونحن نعيش في عصر تدفق المعلومات بسرعة.[1]

ونستخلص أن العائلة هي المسؤولة عن تكوين نمط شخصية الفرد ومع ذلك فهناك أطفال يعانون من العيش في بيوت غير ملائمة ومع هذا فهم أطفال أسوياء لا يسلكون سلوكات خاطئة ، بمعنى أن وجود التفكك الأسري سواء بالطلاق أو بالهجر أو بالوفاة قد لا يكون كافيا لتكوين جنوح الطفل الذي يعيش في ذلك البيت ، بل إن مدى استجابة الطفل نفسه لهذه الظروف غير المواتية هي التي تقرر إذا كان الطفل سيسلك سلوك صحيح أو خاطئ، وبذلك تظل هذه الحقائق نسبية و ليست مطلقة لان لكل فرد استجابة تختلف عن غيره فقد يعيش في أسرة متماسكة ومع ذلك قد ينحرف، وبالمقابل فقد يعيش في أسرة مفككة وبيت متصدع ومع ذلك لا يقوم بمثل هذه السلوكات الخاطئة .

3-العوامل الخاصة بالمجتمع:

وتتعلق هذه العوامل بالعوامل الاقتصادية والعوامل البيئية ، فالأولى تعد من أهم العوامل المسؤولة عن السلوك الإجرامي في المجتمع ، ذلك أن ظاهرة الجريمة لا يمكن فصلها عن الظروف الاقتصادية التي يمر بها المجتمع ، فقد تعتبر رد فعل تجاه تلك الأوضاع الصعبة التي يعيشها الأفراد والجماعات ، ويمكننا القول بان **الفقر والحاجة المادية** هي في مقدمة الأسباب التي قد تدفع الأفراد إلى ارتكاب الجرائم ضد المجتمع ، فالفقير إن لم يجد سبيلا للعيش سيضطر إلى السرقة أو القتل أو التزوير أو النصب لكي يسد حاجاته الأساسية وحاجات عائلته ومن يتحمل مسؤوليتهم ، ويقصد بالفقر عجز الإنسان عن إشباع حاجاته

[1] مصباح عامر :التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية،دار الأمة ، ط:1،الجزائر،2008 ،ص44 .

الرئيسية حتى وصل الأمر ببعض العلماء إلى القول بان الفقر هو السبب الوحيد لارتكاب الجريمة .[1]

وبالإضافة إلى الفقر والحاجة المادية توجد كذلك **البطالة** التي تعتبر من بين العوامل الاقتصادية المهمة والتي تعني عدم قدرة الأفراد القادرين على العمل على إيجاد الأعمال المطلوبة أو هي زيادة نسبة الراغبين في العمل على الأعمال المتوفرة في المجتمع، و هي تؤدي إلى تعطيل الطاقات البشرية واستنزاف موارد المجتمع وقتل معنويات الأفراد العاطلين وتحطيم عوائلهم عن طريق وقوعهم في الفقر والعوز المادي وعدم قدرتهم على سد حاجتهم الأساسية والعيش تحت ظروف صعبة وقاهرة ، ومثل هذه الظروف قد تقود الأفراد إلى ارتكاب مختلف أنواع الجريمة ، حيث أن مثل هذه الجرائم قد تسد رمقهم وتنفس عن حدة الضغوط التي يتعرضون لها نتيجة فقرهم وبؤسهم، غير أنها قد تجلب للمجتمع شتى أنواع المتاعب والقلاقل وتسبب له الاضطراب والتخلف .[1]

و هكذا يمكن القول أن الدوافع الاقتصادية قد تكون من بين أهم الدوافع التي قد تدفع المرأة لارتكاب الجريمة ، حيث انه نتيجة للحاجة المادية والفقر قد تلجأ إلى ارتكاب الجريمة لتلبية مطالبها ومطالب عائلتها حيث أنها في كثير من الأحيان تقوم بالسرقة أو تفضل الدعارة كأسهل طريق للحصول على المال ، ولكن على الرغم من ذلك لا يمكن تعميم هذه الحقائق على كل الناس فهي تظل نسبية وتختلف من شخص لأخر .

وأما الثانية وقد تعد من بين أهم العوامل المسؤولة عن السلوك الإجرامي ، فالبيئة لها اثر كبير في الفرد ، فالإنسان كما يقال بن بيئته ويتأثر بكل ما يحدث في البيئة الخاصة به ، لذلك سوف نعمل على إبراز الفرق بين الحضر والريف وتأثير ذلك على ارتكاب الجرائم ، فقد أكدت العديد من الإحصائيات و دراسات الباحثين من أن نسبة الجرائم المرتكبة في المناطق الحضرية تزيد عن نسبة الجرائم المرتكبة في الريف ، ولكن هذه الحقيقة تظل نسبية وليست مطلقة فكثيرا ما تكون الإحصائيات غير دقيقة ومضللة ولا يتوجب الاعتماد عليها اعتمادا كليا ، كما أن هذا

[1] اسحق إبراهيم منصور ،مرجع سابق،ص88 .

[1] إحسان محمد الحسن: علم اجتماع الجريمة ،دار وائل للنشر،ط:1،عمان ،2008،ص ص89-91 .

الاختلاف لا يقتصر على الكم فقط بل يشمل النوع أيضا فنوعية الجرائم التي يرتكبها أهل الحضر تختلف عن جرائم أهل الريف.[2]

ويبدو لنا انه مهما تعددت الدوافع فهي لا تبرر للمرأة ارتكابها للجريمة باعتبارها ذلك المخلوق الرقيق الذي يجب أن يوفر الحنان والعطف لكل أفراد الأسرة، فما هو مستقبل تلك العائلة التي تتوافر على امرأة مجرمة ؟ و ما مستقبل المجتمع في حال توافر نساء مجرمات قابعات في السجون ؟

رابعا-نماذج عن جريمة المرأة:

لقد انتشرت ظاهرة انحراف النساء وإجرامهن بشكل خطير، فلم تعد الجريمة حكرا على فئة الرجال بل اقتحمت المرأة كذلك هذا العالم، و حققت نوعا من المساواة فلم يعد تورطها في الجريمة يقتصر على الأنماط التقليدية كالضرب والشتم والتخلص من المواليد غير الشرعيين والسرقة عن طريق النشل بل اقتحمت عالم الجريمة المنظمة والذي يتطلب مخاطرة ويقظة حيث أصبحت تنشط في شبكات مختصة في اخطر أنواع الجرائم مثل سرقة السيارات واستهلاك وترويج المخدرات والتزوير في محررات رسمية وإنشاء محلات للدعارة وغيرها .

ولهذا الغرض سوف نعمد إلى الحديث عن أهم تلك الجرائم وهي كالتالي:

1-الدعارة.

2-الإجهاض.

3-القتل.

4-الضرب والجرح.

5-السرقة وتكوين جمعية أشرار.

6-النصب.

[2] أكرم نشأت إبراهيم :علم الاجتماع الجنائي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط:1، عمان، 2009 ،ص ص 174-176 .

7-التزوير.

1-الدعارة: تعتبر الدعارة جريمة خاصة بالمرأة حيث أنها تقوم ببيع نفسها وجسدها مقابل مبلغ من المال ، فهي تعد جريمة أخلاقية بالدرجة الأولى وكذلك ظاهرة اجتماعية تخالف معظم أحكام الشرائع والقوانين الوضعية والمعايير والضوابط الاجتماعية كونها تهدر الكرامة الإنسانية وتؤدي إلى التحقير والمهانة ولأن أثارها السلبية تمتد إلى الأسرة والمجتمع ، وتعرف بأنها حدوث عملية جنسية بين رجل وامرأة لتلبية حاجة الرجل الجنسية وحاجة المرأة الاقتصادية .[1] وما يمكن قوله في هذا الصدد بان جريمة الدعارة تدخل في نطاق الجرائم الماسة بالآداب العامة ، وأنها انتشرت بشكل ملفت في الفترة الأخيرة ، لذا يتوجب علينا أن نعمل على الحد منها من خلال معالجة الأسباب التي أدت إلى ظهورها وانتشارها في المجتمع ، وما يمكن استخلاصه بان المسؤولية في هذه الجريمة تقع على المرأة والرجل بنفس الدرجة وبتعاونهما يمكن الحد منها أو القضاء عليها نهائيا إذا أمكن .

2-الإجهاض: ويعرف بأنه فقدان الجنين قبل إتمامه 3 أشهر من الحمل أو بلوغه النمو الكامل بحيث يستطيع الحياة خارج رحم الأم.[2]

وتعد جريمة الإجهاض من أكثر الجرائم التي ترتكبها المرأة من حيث عدم الظهور في الإحصائيات ومن حيث الوقوع ، حيث أنها من أبشع الجرائم التي ترتكبها المرأة في حق نفسها وفي حق مخلوق صغير لا حول له ولا قوة إلا انه أراد المجيء لهذه الحياة، حيث غالبا ما تقوم بهذا النوع من الجرائم لإخفاء فضيحة ولتجنب العار ، فأين إنسانيتها وأدميتها عند قيامها بمثل هذه الأفعال ؟

3-القتل: تعد جريمة القتل من اخطر الجرائم التي تحدث في المجتمع ، حيث أن خطورتها تتأتى من حقيقة إزهاق القاتل لروح إنسان أخر لسبب أو لأخر ، فهي جريمة بشعة لا مبرر لحدوثها ، فقد حدثت منذ بدء الخليقة عندما قام قابيل بقتل أخيه هابيل الذي كان يتسم بالهدوء

[1] سامية حسن الساعاتي :الجريمة والمجتمع ،دار النهضة العربية،ط:2،بيروت،1983 ،ص168 .

[2] احمد شفيق السكري:قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،2002 ،ص9 .

والبراءة بينما كان قابيل يتسم بالعدوانية والفضاضة والشراسة ، وتكون جريمة القتل أكثر خطورة عندما تكون ممزوجة بالسرقة والنهب والسلب .[1]

ومن المتعارف عليه أن القتل كان سابقا صفة ذكورية ولكن نظرا للتغيرات الحاصلة في المجتمع أصبحت المرأة أيضا ممارسة له حيث ترتكب جرائم القتل ، وإن أول جريمة تقوم بها المرأة في الغالب هي قتل زوجها للمعاناة التي تعيشها معه.

4-الضرب والجرح: يعرف بأنه كل فعل يمس سلامة جسم المجني عليه أو صحته تعمدا ، **فالجرح** هو كل ما يترك أثرا بجسم المجني عليه ظاهريا كان أو باطنيا ، وأما **الضرب** هو كل ضغط أو صفع أو دفع أو احتكاك بجسم المجني عليه سواء ترك به أثرا أو لم يترك .[2]

5-السرقة وتكوين جمعية أشرار: يعرف السارق بأنه كل من اختلس منقولا مملوكا لغيره حيث تشترط بالسرقة أن تقع على مال منقول مملوك للغير لكون العقار لا يمكن نقله من مكانه أو انتزاعه بالعنف من يد المجني عليه أو التعرض له في حيازته ، كما ينبغي أن يكون الشيء المسروق ماديا لا معنويا ، كون الأفكار والابتكارات والحقوق العينية لا تكون محلا للسرقة ، ولكن المحررات المثبتة لها هي التي يجوز أن تكون محلا للسرقة .[3]

وتجدر الإشارة إلى أن المرأة في الوقت الراهن لم تعد تكتفي بالمشاركة كعضو في جماعة الأشرار أو في تنفيذ الجريمة وإنما أصبحت العقل المدبر واليد المنفذة لجرائم كثيرة والرأس المسير لعدد من العصابات المختصة في الاعتداء والسطو وسرقة السيارات والتهريب والتزوير.

6-النصب والاحتيال: تعتبر المرأة أكثر من الرجل استخداما للمكر والخداع في ارتكاب الجرائم حيث أنها عن طريقه تعوض النقص الذي بينها وبين الرجل ، فغالبا ما تعتمد جرائم الرجل على القوة الجسدية والعنف في حين أن المرأة تعتمد على المكر والخداع لتنفيذ جرائمها، وما يمكن قوله انه على الرغم من أن النساء يلعبن دورا ثانويا في جرائم النصب والاحتيال مقارنة بالدور الرئيسي الذي يلعبه الرجال إلا أنهن يستخدمن الدهاء والحيلة ، ويؤدين دورا في هذه الجرائم في صورتين : أولهما إغراء الرجل واجتذابه حتى يجد نفسه منغمسا في وضع مخل

[1] إحسان محمد الحسن،مرجع سابق،ص115 .

[2] رؤوف عبيد:جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال،دار الفكر العربي، ط:8، القاهرة،1989 ،ص112 .

[3] المرجع السابق،ص ص 329-330.

بالشرف ، وتبلغ الخطة ذروتها حين يباغت المرأة شريكها و يراه متلبسا معها ، وهو قد ينتحل صفة زوجها أو أخيها ويهدده بالانتقام منه أو التشهير به فيجد الضحية نفسه مضطرا للرضوخ لكل طلباته وهي لا تخرج عادة عن تعويض مالي كبير يتناسب مع ثرائه وغناه ، وثانيهما عندما تقوم المرأة بتمثيل دور الزوجة المهذبة أو الأخت الرقيقة اللطيفة التي تقتصر مهمتها على إضفاء جو من الثقة على الموقف الذي يتم فيه الاحتيال على المجني عليه ، بحيث يبدو له كما لو انه كان صحيحا و إضفاء مسحة من الاحترام على الواقعة الملفقة التي اختلقها شريكها .[1]

7-التزوير: يعد التزوير فعل اجتماعي متنامي يتغير مع تطور التنظيمات الاجتماعية الرسمية ووسائل استخداماتها في تنظيم مناشط أعضائها داخلها وخارجها ، وغالبا ما تكون هذه الوسائل على شكل وثائق وبطاقات وشهادات وإصدارات تؤكد مشروعية أنشطتها ، حيث انه سلوك احتيالي مبني على فن التقليد والتزوير إضافة لكونه فعل ذكي في اصطياد المحتاجين لوثيقة معينة أو عملية خاصة .[1]

وهكذا يتبين أن دور المرأة تحول من الإجرام التقليدي إلى الإجرام المنظم إذ تم توقيف نساء متورطات في الجرائم الاقتصادية مثل التزوير والاختلاس وتجارة المخدرات لدرجة أن أصبحت المرأة عضوا بارزا في شبكات تهريب المخدرات واختطاف الأطفال ، وكل هذا يؤكد أن الجريمة النسوية بدأت تأخذ أبعاد خطيرة حيث أن إجرام المرأة كسلوك غير سوي يغذيه الكثير من العنف الذي يدفع النساء إلى تجاوز حدود الخط الأحمر مع الذات أولا من خلال جرائم المخدرات و مع الأخر من خلال المساس بشخصه وحقوقه وحتى ممتلكاته وإذا كان هذا الأخر هو زوج المرأة حيث تلجا الكثير من النساء في الوقت الحالي إلى الاعتداء على أزواجهن وقد يصل الأمر إلى حد إصابة الرجل بعاهات جسدية مستديمة و قد تصل أحيانا إلى حد القتل.

[1] سامية الساعاتي:علم اجتماع المرأة،مكتبة القاهرة،2003،ص204.

[1] معن خليل العمر :التفكك الاجتماعي ،دار الشروق،ط:1،عمان،2005 ،ص326 .

خامسا-انعكاسات جريمة المرأة على المجتمع:

إن الجريمة هي أساسا ظاهرة سلبية تؤثر في المجتمع و استقراره سواء ارتكبها رجل أو امرأة ، كونها تؤدي إلى انعدام الأمن وضعف العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وقبل أن نتحدث عن انعكاسات الجريمة على المجتمع سوف نعمل على إبراز نظرة المجتمع للجريمة والتي يقصد بها التقييم الاجتماعي للفعل ولمرتكبه بغض النظر عن الوصف القانوني لذلك الفعل من انه جريمة ومن أن من يرتكبه مجرم ، فقد تكون هذه النظرة عبارة عن استنكارا لها أو عدم مبالاة بها أو استحسان لها ، فالأولى تتضح من خلال استنكار المجتمع للجريمة واستهجانه لها وبالتالي يترتب على ذلك ازدراء للمجرم واحتقاره من قبل المجتمع بمعنى أن الجريمة حسب هذا الرأي هو إتيان فعل يخالف قواعد المجتمع ومعاييره وقد ينتج عن هذا الاستنكار أن تبعد الفرد عن ارتكاب الجريمة خوفا من النبذ والاحتقار، وبالمقابل فان هذه النظرة ستقف في طريق تأهيل المجرم بحيث عندما يخرج إلى المجتمع سيجد نفورا ورفضا من المجتمع وبالتالي قد يدفعه إلى الوقوع مرة أخرى في الجريمة ، و أما بخصوص الثانية ويقصد بها عدم الاهتمام بالجريمة وعدم احتقار فاعلها مثال ذلك نظرة المجتمع إلى الجرائم الضريبية وغيرها من الجرائم المصطنعة ، مما يساعد ذلك في انتشار الجريمة لأنه لا يوجد اهتمام بتجريمها فلا توجد الروادع اللازمة لمواجهة هذه الظواهر السلبية في المجتمع ، وأما عن الثالثة فتكون حينما تكون القاعدة القانونية التي تنهي عن الجريمة إما أتت على خلاف العادات والتقاليد وإما أن التجريم يبدو للجماعة متعارضا مع مصالحها ، وبذلك يبدو واضحا بأن نظرة المجتمع إلى الإجرام إذا كانت في صورة عدم مبالاة أو كانت في صورة استحسان فإنها ستساهم في زيادة نسبة الإجرام في ذلك النوع من الجريمة الذي تنكره الجماعة ،لأن ارتكاب هذه الجرائم لا يلقى مقاومة نفسية لدى الجاني لتقف عقبة تحول دون إقدامه على الإجرام بل ولا يتردد قبل ارتكاب الجرم ، حيث يكون مطمئنا إلى وجود فرصة للإفلات من العقوبة بل انه سيحاول إخفائها من خلال ارتكاب جرائم أخرى لإخفاء تلك الجريمة ، و بالتالي لا يصعب عليه التكيف مع المجتمع والاندماج فيه بعد انقضاء العقوبة لكون المجتمع لا يستنكر مثل هذه الأفعال .[1]

[1] اسحق إبراهيم منصور ،مرجع سابق،ص ص102-104 .

و سواء كانت النظرة ايجابية أم سلبية فهذا لا ينفي كون الجريمة ليس لها أي ايجابيات كونها تعبر في الأساس عن فشل الفرد في التكيف مع المجتمع ، و لكن ما زاد من تعقيد هذه الأوضاع هو إقبال العنصر النسوي على ارتكاب مثل هذه الأفعال مما ستنعكس سلبيا على المجتمع وأفراده من ذلك تفكك الأسرة بدخول المرأة إلى السجن أو حتى تورطها مما سيؤثر على العائلة وسمعتها في المجتمع ، ولا ننسى مصير الأطفال في حالة تواجد أم مجرمة ستكون القدوة لأبنائها بمعنى أن الأطفال سيتأثرون بأمهم وما يحدث لها ، كذلك تخلف المجتمع وعدم استقراره نتيجة لإجرام المرأة التي كانت الأساس بالنسبة لتقدم المجتمع وازدهاره لكونها ستعمل على جره إلى الخلف ، وأما بالنسبة للمرأة فهي ستشعر بالغربة داخل المجتمع وداخل أسرتها عند خروجها من السجن لأنهم سيرفضونها نتيجة لما فعلته ولنظرة المجتمع لهم بعد ارتكابها لتلك الأفعال بمعنى أنها أثرت على سمعتهم ، وبالتالي تفقد المرأة ثقتها في نفسها وفي المجتمع ، ويمكن أن تعود إلى ارتكاب تلك الأفعال عندما تنخرط في جماعة لا ترفضها وتتقبلها بل وتشجعها على الانحراف ، فبعد أن كانت متورطة في الجريمة سابقا ستصبح مسؤولة عنها فيما بعد .

-خاتمة:

و ما يمكن استخلاصه في الأخير أن الجريمة تعد من الظواهر السلبية التي عرفت انتشارا بالغ الخطورة في الآونة الأخيرة مما هدد بقاء المجتمع واستمراره ولاسيما إذا تحدثنا عن جريمة المرأة ومدى انتشارها وتعقدها وذلك نظرا للتغيرات التي عرفتها المجتمعات الحديثة ، ونظرا لانعكاساتها الخطيرة يتوجب علينا العمل على الحد من هذه الظاهرة التي بدأت تستفحل في المجتمع وتتعقد لدرجة أنها أصبحت تساهم في حدوث ظواهر أخرى سلبية كجنوح الأحداث وانحرافهم وغيرها من الأفعال المخالفة التي يستهجنها المجتمع وينبذها بما يعني أن الضرر الذي تحدثه المرأة من خلال ارتكابها للجرائم لا يمسها وحدها بل يمتد إلى أسرتها و مجتمعها.

ما يدفعنا في الأخير إلى الخروج بجملة من التوصيات والاقتراحات، ولعل أهمها نذكر ما يلي:

1-القيام بحملات تحسيس وتوعية حول واقع الجريمة النسوية في الجزائر ومدى تفاقمها في المجتمع.

2-النهوض بالمرأة وترقية حقوقها من خلال ضمان حياة كريمة وتعليم لجميع الإناث بغض النظر عن انتماءا تهم بما يحسن من مستقبلها ويقيها من الوقوع في عالم الجريمة والانحراف مستقبلا .

3-التكفل بالنساء بعد خروجهن من السجن وإعادة إدماجهم حتى لا ينبذهم المجتمع وأسرهم ويعيدهن مستقبلا إلى عالم الجريمة والانحراف.

وغيرها من الاقتراحات بما يساعد في الحد من تفاقم هذه الظاهرة مستقبلا.

-قائمة المراجع:

1-المنجد الأبجدي، دار المشرق،ط:5،بيروت،1967.

2- احمد شفيق السكري:قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،2002 .

3-إحسان محمد الحسن:علم اجتماع الجريمة ،دار وائل للنشر،ط:1،عمان ،2008.

4- أكرم نشأت إبراهيم :علم الاجتماع الجنائي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط:1، عمان، 2009 .

5- اسحق إبراهيم منصور :موجز في علم الإجرام والعقاب ،ديوان المطبوعات الجامعية، ط:2،الجزائر،1991 .

6- جلال الدين عبد الخالق والسيد رمضان:الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ،2001.

7- حسين عبد الحميد احمد رشوان:الجريمة (دراسة في علم الاجتماع الجنائي)،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،1995 .

8- محمد عاطف غيث :قاموس علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 2006.

9- معن خليل العمر:التفكك الاجتماعي ،دار الشروق،ط:1،عمان،2005 .

10- مصباح عامر :التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية،دار الأمة ، ط:1،الجزائر،2008 .

11- سامية حسن الساعاتي :الجريمة والمجتمع ،دار النهضة العربية،ط:2،بيروت،1983 .

12- سامية الساعاتي:علم اجتماع المرأة،مكتبة القاهرة،2003.

13- عبد الرحمن توفيق احمد :دروس في علم الإجرام (نشأة علم الإجرام وعوامل الإجرام الداخلية والخارجية مقرونا بإحصائيات جنائية)،دار وائل للنشر،ط:1،عمان،2006 .

14- رؤوف عبيد:جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال،دار الفكر العربي، ط:8، القاهرة،1989 .

دور الجامعة في تنمية المجتمع الجزائري – مقاربة سوسيولوجية –

د/ زيوش سعيد
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر.

د/ بومدفع الطاهر
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر.

الملخص:

تعتبر الجامعة الركيزة الأساسية للنهوض بالتنمية في أي مجتمع من المجتمعات إذ أنها تعمل على تحضير الأرضية العلمية المنهجية لتنفيذ المخططات التنموية بالنظر لما يمتلكه المجتمع من مقومات وموارد، خاصة ونحن على أعتاب عولمة غربية جدية تؤثر في كل المجتمعات لذا فإن قضية التنمية ليست مشكلة أو اهتمام جهة واحدة وإنما هي مشكلة على جميع فئات المجتمع ومؤسساته أن يتحدوا في البحث لها على منصة صلبة لوضع أسس سليمة مبنية على مبدأ المصلحة المشتركة، والتي تحقق التنمية في كل المجالات، والورقة البحثية التي بين أيدينا قد وضحت أهم الأدوار التي تلعبها الجامعة من أجل المساهمة بشكل فعال في التنمية المجتمعية، كما بينت علاقة التنمية بالعولمة الحديثة وإبراز دور الجامعة في قيادة التنمية المجتمعية

الكلمات المفتاحية: دور، الجامعة، التنمية، الأبحاث، العولمة، المجتمع، الفرد

Abstract:

The university is the cornerstone of the promotion of development in any community, as it prepares The university is the cornerstone of the promotion of development in any society, as it works to prepare the scientific and methodological ground for the implementation of development plans in view of the community's assets and resources, especially as we are on the threshold of a serious western globalization affecting all societies, so the issue of development It is not a problem or concern of one side but a problem for all groups of society and its institutions to unite in the search for them on a solid platform to establish sound foundations based on the principle of common interest, which achieve development in all fields, and the research paper in our hands has clarified the most important roles played by the University for To contribute effectively to community development, the relationship of development to modern globalization and the visibility of the university's role in leading community development have been highlighted.

Keywords: role, university, development, research, globalization, society, individual

مقدمة:

إن قضية التنمية في الجزائر ليست وليدة الظروف الراهنة وإنما هي القضية الأولى للدولة منذ أن نالت السيادة الوطنية، حيث قامت الجزائر بعدة مخططات هدفت إلى ترقية المجتمع وتحديث مؤسساته، لكن ومع التغيرات التي تشهدها الجزائر سواء في الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أدى إلى اختلاف المفاهيم حول التنمية، وكيفية وضع الاستراتيجيات الكفيلة بإحداث قفزة نوعية للمجتمع الجزائري، وعليه فإن أول مؤسسة لها الاسبقية في وضع المخططات التنموية هي المؤسسة الجامعية، التي تعتبر محضن الأفكار والخطط والأبحاث المتخصصة الواجب اتباعها من أجل الخروج من مختلف الأزمات التي يعيشها الآن المجتمع الجزائري مثل تدني المستوى المعيشي أو انخفاض القدرة الشرائية لدى الفرد، أو غيرها من المشكلات الأخرى والتي لها علاقة وطيدة بالتنمية.

إن المؤسسة الجامعية ومختلف الأجهزة البحثية التابعة لها تهدف بالدرجة الأولى إلى دفع عجلة التنمية بما يتماشى وتطلعات المجتمع، حيث تقوم المصالح المختصة في المؤسسة الجامعية بمباشرة الدراسات والأبحاث التي من شأنها أن تدرس مفردات المجتمع وتبحث في الموارد التي قد يتوفر عليها ومن ثم وضع الخطط التي تُبنى عليها التنمية، وفي ورقتنا البحثية سنحاول إبراز أهمية المؤسسة الجامعية في إحداث قفزة نوعية للتنمية إذا ما توفرت الإمكانات المادية والمعنوية من جهة وإذا اهتم المجتمع بالمؤسسة الجامعية من جهة أخرى، حيث نشير أيضاً إلى العوائق التي قد تعترض سبيل الباحثين والمختصين في مجال البحث حول التنمية كما سنشير إلى الآليات الواجب اتباعها بالتنسيق مع مختلف مؤسسات المجتمع لوضع قاعدة صلبة للتنمية الشاملة، وفي سبيل إثراء ذلك فقد حددنا النقاط الآتية :

1- مفهوم التنمية

2- علاقة التنمية بالعولمة الحديثة

3- علاقة الجامعة بالتنمية

4- دور الجامعة في إحداث طفرة تنموية معاصرة

1- التنمية:

1- 1- مفهوم التنمية:

ظهر مفهوم التنمية وما يتصل به كمصطلح استخدمه الباحثون والمحللون نتيجة التغيرات التي ظهرت في العالم عموماً، فمنذ بداية عصر الاستعمار نظرت البلاد الغربية المتطورة إلى البلاد الأخرى نظرة استعلائية، وكان من الأساليب التي استخدمتها هذه البلاد المستعمِرة إدعاء رغبتها بتطوير وتنمية البلاد التي طمعت بخيراتها وأرادت السيطرة عليها، وقد برز هذا بصورة واضحة وجلية منذ الحرب العالمية الثانية، وكان من الطبيعي أن تحدد البلاد الغربية المستعمِرة المعايير التي تفرّق بين التقدم والتحضّر وبين ما هو متخلف وما هو حضاري، بسبب سيطرتها وتغلّبها، وكان من أهم المعايير التي وضعت للتمييز بين البلاد المتخلفة والبلاد المتحضرة مدى الازدهار الاقتصادي والسياسي والعلمي, والذي ينعكس على الوضع المجتمعي والمعاش للأفراد، والذي يحدد مدى قوة الدولة وتأثيرها في الأحداث العالمية[1].

وبالتالي ظهرت هناك عدة مفاهيم للتنمية وهذا باختلاف المتغير المرتبط بالتنمية فإننا نجد التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية والتنمية الثقافية وغيرها من مجالات الحياة الأخرى، لكن سنستعرض في ورقة بحثنا أهم المفاهيم المتعلقة بالتنمية الشاملة.

لقد عرفت الأمم المتحدة تنمية المجتمع عدة تعريفات نذكر منها:

هي تلك العملية المرسومة أي المخطط لها لتقدم المجتمع كله اجتماعيا واقتصاديا والمعتمدة بأكبر قدر ممكن على مبادرة المجتمع المحلي واشتراكه، وهي العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية ولمساعدتها على الاندماج في حياة الأمة والمساهمة في تقدمها بأقصى قدر مستطاع، كما عرفتها على أنها عملية تدعيم المجهودات ذات الأهمية للمجتمع المحلي بالمجهودات الحكومية، وذلك لتحسين الحالة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية لهذا المجتمع، على أن تكون خطط الإصلاح بهذه المجتمعات المحلية متماشية ومنسجمة مع خطط الإصلاح العامة للدولة[2]، في حين وضع المختصون في علم الاجتماع مفهوماً آخر للتنمية مفاده أن التنمية محصلة الجهود العلمية المستخدمة لتنظيم الأنشطة المشتركة، الحكومية والشعبية،

---

1 محمد، سيد محمد. الإعلام والتنمية. القاهرة: دار الفكر العربي، 1988، ص ص 24-26.

2 نفس المرجع السابق، ص ص 100-102.

في مختلف المستويات لتعبئة الموارد الموجودة أو التي يمكن إيجادها لمواجهة الحاجات الضرورية وفقاً لخطة مرسومة وفي ضوء السياسة العامة للمجتمع[1].

كما أن آخرون قد قدموا لنا مفهوما مغايراً لما سبق حيث أنها زيادة محسوسة في الإنتاج والخدمات شاملة ومتكاملة مرتبطة بحركة المجتمع تأثيراً وتأثراً مستخدمة الأساليب العلمية الحديثة في التكنولوجيا والتنظيم والإدارة[2]، التنمية تعنى عملية تحويل من حالة إلى حالة أفضل فيها وأيضاً تعنى الفعل التطويري بأشكاله المختلفة الذي يؤدى إلى رفع مستوى المجتمع من مستوى أدنى نسبياً إلى أعلى نسبياً، إذن التنمية عملية متعددة الأبعاد تتضمن إجراء تغيرات عملية شاملة ومتكاملة تشمل كل جوانب الحياة في المجتمع وفى الدولة والهياكل : (الاجتماعية – الاقتصادية – الثقافية – السلوكية – النظم السياسية – النظم الإدارية – المؤسسات الحكومية والخاصة والمحلية .....الخ).

وتهتم التنمية بجميع الأفراد والجماعات والتخصصات والمهارات المختلفة من ناحية تفاعلها مع بعضها البعض بحث تكون غير متنافرة ولا متناقضة ولا يمنع نمواً أحدهما نمو الآخر أو يعرقله.

ودائماً التنمية المستديمة تسعى للأفضل وتكون قابلة للاستمرار ويعتبر الإنسان فاعل ونشطة ومشارك أساسي في التنمية وليس مجرد مستفيد من منتجات التنمية، وتستهدف التنمية التحسين المستمر لرفاهية السكان بأسرها والأفراد جميعهم على أساس مشاركتهم النشطة والحرة والهادفة في التنمية وفى التوزيع العادل للفوائد الناجمة عنها مع زيادة معدلات النمو الاقتصادي وتحقيق العدالة في توزيع الدخل القومي واقتلاع مواطن الفقر المطلق في المجتمع المعينة.

ووفقاً لهذا المفهوم فإن الإنسان هو الموضوع الأساسي في التنمية البشرية – يعنى دراسة الأبعاد (مكونات – أنواع – غايات) كإشباع الحاجات المختلفة مثل (رفع مستوى المعيشة – رفع مستوى التعليم – تحسين نوعية حياة الإنسان منها : (السياسية – الاقتصادية – الاجتماعية – الثقافية – الفكرية – العلمية)، حيث أن التنمية مفهوم له مدلولات أو متغيرات : (اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو سياسية أو إدارية أو قانونية ...الخ) وتتحقق التنمية كناتج لتفاعل كل هذه المتغيرات مما يودى إلى إحداث التغير الجذري الشامل للنظام القائم في المجتمع ككل واستبداله بنظام آخر أكثر كفاءة وقدرة وفقاً لرؤية جماهير الشعب وثقافتها ومصالحها الوطنية.

---

1 سلمان، رشيد سلمان. العلم والتكنولوجيا والتنمية البديلة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1986، ص 66.

2 أحمد، عبد العزيز النشامي. مفاهيم في التنمية. الأردن: دار الحرية للطباعة والنشر، 2009، ص 96.

فالتنمية عبارة عن عملية اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية وبيئية شاملة، ولا يمكن أن ينحصر التنمية في النمو المادي في (الطرق – الكهرباء – المباني.... الخ) فقط، ولكن مفهوم " التنمية الشاملة " يجب أن تكون مترافقة بتغيرات هيكلية في النواحي لاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والإدارية خلال فترة طويلة من الزمن، ولا يمكن أن يكون مستوى دخل الفرد او معدل نمو دخل الفرد المؤشر الرئيسي والوحيد على مدى تقدم المجتمعات باتجاه التنمية.

1-2- خصائص التنمية:

- التنمية ترعى تلبية الاحتياجات القادمة، وأيضاً احتياجات الأجيال القادمة في الموارد الطبيعية للمجال الحيوي لكوكب الأرض، فهي تراعي الحفاظ على المحيط الحيوي في البيئة الطبيعية سواء عناصره ومركباته الأساسية كالهواء، والماء مثلا، أو العمليات الحيوية في المحيط الحيوي كالغازات مثلاً، لذلك فهي تنمية تشترط عدم استنزاف قاعدة الموارد الطبيعية في المحيط الحيوي، كما تشترط أيضا الحفاظ على العمليات الدورية الصغرى، والكبرى في المحيط الحيوي، والتي يتم عن طريقها انتقال الموارد والعناصر وتنقيتها بما يضمن استمرار الحياة أو ما يسمى التنمية للموارد البيئية.

- التنمية تضع تلبية احتياجات الأفراد في المقام الأول، فأولوياتها هي تلبية الحاجات الأساسية والضرورية من الغذاء والملبس والتعليم والخدمات الصحية، وكل ما يتصل بتحسين نوعية حياة البشر المادية والاجتماعية أو ما يسمى بالتنمية للنمو الاجتماعي .

- التنمية متكاملة تقوم على التنسيق بين سلبيات استخدام الموارد، واتجاهات الاستثمارات والاختيار التكنولوجي، ويجعلها تعمل جميعها بانسجام داخل المنظومة البيئية بما يحافظ عليها ويحقق التنمية المتواصلة المنشودة[1].

وتجدر الإشارة إلى أن أبرز المؤشرات الأساسية للتنمية تتمثل فيما يلي:

1 -التنمية عملية وليست حالة، وبالتالي فإنها مستمرة ومتصاعدة، تعبيراً عن تجدد احتياجات المجتمع وتزايدها.

2 - التنمية عملية مجتمعية، يجب أن تساهم فيها كل الفئات والقطاعات والجماعات، ولا يجوز اعتمادها على فئة قليلة أو مورد واحد.

1 سلمان، رشيد سلمان. مرجع سابق، ص 72.

3 – التنمية عملية واعية، وهذا يعني أنها ليست عملية عشوائية، وإنما عملية محددة الغايات، ذات إستراتيجية طويلة المدى، وأهداف مرحلية وخطط وبرامج.

4 – التنمية عملية موجهة بموجب إرادة تنموية، تعي الغايات المجتمعية وتلتزم بتحقيقها، وتمتلك القدرة على تحقيق الاستخدام الكفء لموارد المجتمع، إنتاجاً وتوزيعاً، بموجب أسلوب حضاري يحافظ على طاقات المجتمع.

5–أهمية إحداث تحولات هيكلية، وهذا يمثل إحدى السمات التي تميّز عملية التنمية الشاملة عن عملية النمو الاقتصادي. وهذه التحولات في الإطار السياسي والاجتماعي، مثلما هي في القدرة والتقنية والبناء المادي للقاعدة الإنتاجية.

6 – إيجاد طاقة إنتاجية ذاتية، وهذا يتطلب من عملية التنمية أن تبني قاعدة إنتاجية صلبة وطاقة مجتمعية متجددة. وأن تكون مرتكزات هذا البناء محلية ذاتية، متنوعة، ومتشابكة، ومتكاملة، ونامية، وقادرة على مواجهة التغيّرات في ترتيب أهمية العناصر المكونة لها، على أن يتوفر لهذه القاعدة التنظيم الاجتماعي السليم، والقدرة المؤسسية الراسخة، والموارد البشرية المدربة والحافزة، والقدرة التقنية الذاتية، والتراكم الرأسمالي الكمي والنوعي الكافي.

7 – تحقيق تزايد منتظم، عبر فترات زمنية طويلة قادراً على الاستمرار.

8 – زيادة متوسط إنتاجية الفرد، وهذا يمكن التعبير عنه بالمؤشر الاقتصادي المعروف " بمتوسط الدخل السنوي للفرد " إذا ما أخذ بمعناه الصحيح، وإذا ما توفرت له أدوات القياس الصحيحة.

9 – تزايد قدرات المجتمع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتقنية بما يتوازن مع متوسط النمو النسبي المقارن في المجتمعات الأممية الأخرى.

10 – أن ترتبط التنمية بإطارها الاجتماعي والسياسي من خلال الحفز والتشجيع، ويتمثل ذلك في نظام الحوافز القائم على أساس الربط بين الجهد والمكافأة، إضافة إلى تأكيد انتماء الفرد لمجتمعه من خلال تطبيق مبدأ المشاركة بمعناها الواسع، وكذلك جانب العدالة في توزيع ثمرات التنمية وتأكيد ضمانات الوجود الحيوي للأفراد والجماعات، وللمجتمع نفسه، فهذه الجوانب بالإضافة إلى كونها تمثل أهداف التنمية، هي في الوقت نفسه مصدر قوة وسائلها وفاعلية وكفاءة أدائها.

وفي الواقع فإن معظم تقارير الدول التي تم تقديمها لسكرتارية الأمم المتحدة حول تنفيذ الحكومات لخطط التنمية تركز على تعداد المشاريع التي تم تنفيذها والاتفاقيات التي تم توقيعها

والمصادقة عليها، وكان معظم هذا التقييم نظريا وإنشائيا ويخضع لمزاج المؤسسة التي تعد التقرير، وهي دائما مؤسسة حكومية يهمها التركيز على الايجابيات وعدم وجود تقييم نقدي حقيقي. ولهذا حاولت لجنة التنمية في الأمم المتحدة الوصول إلى مؤشرات معتمدة للتنمية لكنها لم تنتشر على مستوى العالم حتى الآن.[1]

2- علاقة التنمية المستدامة بالعولمة الحديثة:

يمكن القول بأن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظرا لتعدد تعريفاتها والتي تتأثر أساسا بانحياز الباحثين الإيديولوجيين.

وإذا أردنا أن نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة فلا بد أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها وهي:

* انتشار المعلومات بحيث تصبح معروفة لدى جميع الناس.
* زيادة معدلات التشابك بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات.
* تمكين الاتفاقيات والبرتوكولات بين الدول فيما يخص الحدود.

وبالتالي فمفهوم العولمة مثله مثل مفهوم المجتمع المدني العالمي كلاهما مفهوم حديث في أدبيات العلوم الاجتماعية ويحظى هو الأخر بالكثير من الجدل، وهذه العمليات الثلاثة نجدها متضمنة بشكل أو بآخر المجتمع المدني العالمي لان الاتصال والانتشار ألمعلوماتي والمعرفي هو الذي أسهم في خلق المجتمع المدني العالمي[2]، أما مشروع العولمة هو مشروع تاريخي مثل التنمية بالضبط بمعنى أن مشروع العولمة يؤسس مشروعا ليس وطنيا وإنما مشروعا عالميا في الإدارة الاقتصادية للموارد منفردا وليس متكررا، بحيث تتبعه كل الدول على الطريقة الغربية، و بتعبير آخر فإن الرأسمالية تؤسس نفسها بنفسها بحرية دون محاربة لها من الطبقات العاملة كما في مشروع التنمية، ومن ثم ارتبطت بنخب الطبقات الحاكمة في هذه الدول، إضافة إلى نخب صندوق النقد والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية بمعنى تشكلت نخبة عالمية ضد النخب الوطنية إذن مشروع العولمة جعل من التنمية مفهوما جديدا يشير إلى المشاركة في السوق العالمية[3].

---

1 محمد الأمين، قرين. المؤشرات البيئية للتنمية المستدامة، بحث مقدم إلى مؤتمر التنمية المستدامة. 15-16 فيفري 2008، جامعة سبها، ليبيا، ص 22.

2 جهينة، سلطان العيسوي. مرجع سابق، ص ص 88-90.

3 عبد القادر، حاتم. العولمة مالها وما عليها. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص 19.

وفى ضوء الاعتراف بالدور الواضح للمنظمات غير الحكومية بدأ البنك الدولي منذ ثمانينيات القرن العشرين الاعتماد المتزايد عليها باعتبارها شريكا في تخطيط وتصميم وتنفيذ ومتابعة المشروعات التي يتولاها البنك وهذا التعاون أو الاعتماد ليس قاصرا على منظمات غير حكومية دولية فقط بل يمتد لمنظمات غير حكومية محلية، وأصبحت هذه المنظمات المحلية تستحوذ عام 1998 على حوالي 80% من المشروعات الممولة من البنك الدولي[1].

العولمة هي عملية دمج اقتصادي من خلال مؤشرات محلية لتعطى وجها محليا لعمليات العولمة مثل توسيع الشركات العابرة للقوميات وتهدف الى:

*التخفيف من أعباء الحياة.

* زيادة الوقت الذي يتصرف فيه المرء طبقا لما يراه.

* زيادة إنفاق الطاقة.

والملاحظ أن المحلية غالبا عكس العولمة لان حدودها اجتماعية وليست جغرافية ولعل الاعتماد على المحلية يرجع الى عدة أمور منها:

* تآكل قدرات الحكومة على إدارة شئون الثورة الوطنية.

* ظهور طبقات جديدة من رجال الأعمال.

* تفكك نظم الرعاية العامة وانسحاب الدولة من دورها في الرعاية.

*الاضطرابات الغذائية وتصدير فكرة التصدي السياسي أو الفوضى الخلاقة [2]

ونحن نرى أنه لا بد من محاولة إيجاد نموذج محلى يقوم على المسلمات التالية:

- إن التنمية ليست هي النمو الاقتصادي ولذا لا ينبغي الاعتماد على المؤشرات الاقتصادية ولا ينبغي تقويم التجارب التنموية بها.
- إن التنمية ليست مشروعا بل عملية مستمرة
- إن التنمية هي عملية من خلالها يقوم الأفراد بتكوين أنفسهم إعادة تكوينها وكذلك ظروف حياتهم ليبنوا حضارتهم طبقا لقيمهم واختياراتهم.
- إن التنمية يجب أن يقوم الأفراد بها وان كانت غاية التنمية هم الأفراد فهم وسائلها وأدواتها.

---

1 طلعت إبراهيم، لطفي. مرجع سابق، ص105.

2 مصطفى، خلف عبد الجواد. مرجع سابق، ص 115.

- اخذ البيئة المحلية في الاعتبار كما هي وليس كما ينبغي أن تكون والباحث يتبنى مفهوم مجرد للعولمة بأنها " متعددة الأبعاد فهي سياسية وأيديولوجية واقتصادية وثقافية.. والواقع يشير إلى عولمة كثيرة من الأشياء كالسلع والخدمات والأموال والبشر والمعلومات والتأثيرات البيئية وكذلك يمكن عولمة الأشياء المجردة كالأفكار والأعراف والممارسات السلوكية والأنماط الثقافية[1]

ونرى أن العولمة في حد ذاتها ليست حلا وإنما مشكلة مجتمعية، لم تسمح لكل الدول للدخول من أبوابها كما أن هناك غموض بشأن مستقبلها بين المجتمعات سواء كانت المتخلفة أو المتقدمة على حد سواء، لكن بالنظر للمجتمعات المتخلفة ومن بينها الجزائر وجود صعوبات في فهم واقعنا الذي نعيشه مما يؤدي بالضرورة إلى البحث عن بديل للعولمة في التحول نحو ديمقراطية محددة ونشطة.

3- علاقة الجامعة بالتنمية:

إن الجامعة هي مؤسسة علمية أكاديمية من المجتمع ومن إفرازاته، ولهذا عليها "أن تلقن تلك الأجيال الشابة قيما أصيلة، مجردة من الزيادات الخاطئة، في حركة تصحيح وتكوين، تؤدي غايتها المرجوة في ملامح جيل، يجسد جيل الغد في طموحاته وعطائه، يرفض الانحراف ويقاوم الترهل، ويصحح مسيرة التاريخ، لكي يكون الجيل المؤتمن على قضايا أمته".[2] ومن الأدوار الطلائعية للجامعة بناء الهوية وتعزيز روح الانتماء إلى القيم الحضارية لمجتمعنا، وبذل الجهد لمد يد العون، وتشجيع المبادرات العلمية والبحثية الشابة واحتضانها، وتوفير الشرط المادي لنجاحها، وتنمية أخلاق الجدية والاجتهاد والأمانة العلمية والاستقلالية.

إن التحول العلمي لن يتم أبدا بمجرد استغلال الموارد الطبيعية أو استيراد "المنتجات الفكرية والعلمية" للآخر، بل بدعم الرأسمال غير المادي المتمثل في الموارد البشرية، ودعم المبادرات العلمية الحرة التي تروم حل المشكلات التنموية، فالعناية بالكفاءات العلمية الوطنية شرط التقدم الاجتماعي.

الجامعة تتيح للطلبة والباحثين فرصة الاطلاع والتعرف على ما وصلت إليه الأمم الأخرى، وامتلاك وجهة نظر مستوعبة ومقارنة للأنماط الثقافية وحياة الشعوب الأخرى، وما تنطوي عليه من قيم إنسانية نبيلة وإيجابية بكل تجرد وموضوعية، مستحضرين روح الاختلاف وطبيعته بين المجتمعات. كما أنها تعلمهم كيفية ومنهجية حل المشاكل والاشكالات التي تعترضهم بطريقة علمية لا انطباعية عاطفية.

---

1 محمد، عاطف غيث، مرجع سابق، ص 33.

2 عماد بن تروش، "مكانة الجامعة الجزائرية في التنمية المجتمعية"، مجلة متون، ع.7-8، ماي 2013، ص.352.

واجب على الجامعة أن تتجاوز كونها فضاء لامتلاك المعرفة النظرية وحسب، إلى محضن لتنمية وتطوير الملكات الذهنية والعلمية والمهارية في اتجاه تكريس الكفايات الممتدة عبر الزمان والمكان، فهي تربي الطالب على تغليب التفكير الذاتي الحر الايجابي على العاطفة والأحكام الانطباعية السلبية، وهي تقوم باكتشاف المواهب والطاقات الابداعية وأصحاب براءات الاختراع، وهي التي من المفترض فيها أن ترعى النوابغ وتدعمهم وتحرضهم على الابتكار والتطوير، وتسلحهم بأدوات الاشتغال والتعامل مع الواقع، والارتقاء بالبيئة المحلية وتطويرها، مما سيدفع بالتأكيد في اتجاه الرفع من وتيرة التنمية.

"ولا شك أن تحقيق التنمية الاجتماعية لا يتوقف على توفير الثروة والامكانات المادية لإنجاز وتجسيد المشاريع التنموية التي تعود بالرخاء على المجتمع، وترفع من مستوى معيشته فحسب، وإنما–وهو الأهم– توفير إمكانات بشرية مدربة ذات قدرات علمية وفنية عالية تحسن استغلال الإمكانات المادية والثروات، وتوجهها على نحو يسهم في ترقية وتطوير كافة القطاعات الاستراتيجية الكفيلة بتحقيق نهضة تنموية غير مسبوقة تخرجه من وضع التخلف والتقهقر الاجتماعي إلى وضع التطور والارتقاء الحضاري.

ولاشك أن توفير الامكانات البشرية الكفؤة هو مسؤولية تضطلع بها مؤسسة الجامعة على اعتبار أنها الفضاء الذي يتم فيه إنتاج وتلقين المعرفة لمرتديها، فضلا عن تنمية وتطوير الفكرية والعلمية والتقنية في مختلف المجالات، ومن ثم فهي تعد المنتج الرئيس للإطارات والكفاءات القادرة على إنجاح المسيرة التنموية التي يشهدها المجتمع .."[1].

4– دور الجامعة في إحداث طفرة تنموية معاصرة:

والملاحظ من خلال ما سبق أن التنمية تتضمن أبعادا متعددة تتداخل فيما بينها حيث تلعب الجامعة ومختلف المراكز البحثية التابعة لها دورا هاما من شأنه التركيز على معالجة المشاكل التي قد تعيق التنمية وتساهم في إحراز تقدم ملموس في تحقيق التنمية المستهدفة، ويمكن الإشارة هنا إلى أربعة جوانب نراها حاسمة ومتفاعلة هي كل من الجانب الاقتصادية والجانب الاجتماعي والجانب البيئي والجانب التكنولوجي:

4–1– الجوانب الاقتصادية[2]:

1 محمد فاروق النبهان، "دور الجامعات العربية في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية"، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات"، باريس، 1–3 ذو القعدة، 1409، مطابع سلا، ص.68.

2 أحمد، عبد العزيز النشامى. مرجع سابق، ص 103.

4-1 -1 **بحوث متعلقة بحصة الاستهلاك الفردي من الموارد الطبيعية:** فبالنسبة للأبعاد الاقتصادية للتنمية المستدامة نلاحظ أن سكان البلدان الصناعية يستغلون قياسا على مستوى نصيب الفرد من الموارد الطبيعية في العالم، أضعاف ما يستخدمه سكان البلدان النامية. حيث تقوم البحوث بقياس القدرة الشرائية للمواطن حسب ما يتوفر عليه المجتمع من موارد ومن ثم عملية ترشيد الاستهلاك من هذه الموارد.

4-1-2 **بحوث متعلقة بصد تبديد الموارد الطبيعية:** فالتنمية الشاملة بالنسبة للبلدان الغنية تتلخص في إجراء تخفيضات متواصلة من مستويات الاستهلاك المبددة للطاقة والموارد الطبيعية وذلك عبر تحسين مستوى الكفاءة وإحداث تغيير جذري في أسلوب الحياة. ولا بد في هذه البحوث من التأكد من عدم تصدير الضغوط البيئية إلى البلدان النامية. وتعني التنمية الشاملة أيضا تغيير أنماط الاستهلاك التي تهدد التنوع البيولوجي في البلدان الأخرى دون ضرورة، كاستهلاك الدول المتقدمة للمنتجات الحيوانية المهددة بالانقراض.

4-1-3 **بحوث متعلقة بتحديد مسؤولية التلوث البيئي و معالجته:** وتقع على البلدان الصناعية مسؤولية خاصة في قيادة التنمية المستدامة، لأن استهلاكها المتراكم في الماضي من الموارد الطبيعية مثل المحروقات – وبالتالي إسهامها في مشكلات التلوث العالمي- كان كبيرا بدرجة غير متناسبة، يضاف إلى هذا أن البلدان الغنية لديها الموارد المالية والتقنية والبشرية الكفيلة بأن تضطلع بالصدارة في استخدام تكنولوجيات أنظف وتستخدم الموارد بكثافة أقل، وفي القيام بتحويل اقتصاداتها نحو حماية النظم الطبيعية والعمل معها، وفي تهيئة أسباب ترمي إلى تحقيق نوع من المساواة والاشتراكية للوصول إلى الفرص الاقتصادية والخدمات الاجتماعية داخل مجتمعاتها. والصدارة تعني أيضا توفير الموارد التقنية والمالية لتعزيز للتنمية المستدامة في البلدان الأخرى – باعتبار أن ذلك استثمار في مستقبل الكرة الأرضية.

4-1-4 **بحوث هدفها تقليص تبعية البلدان المتخلفة:** وثمة جانب من جوانب الروابط الدولية فيما بين البلدان الغنية والفقيرة يحتاج إلى دراسة دقيقة. ذلك أنه بالقدر الذي ينخفض به استهلاك الموارد الطبيعية في البلدان الصناعية، يتباطأ نمو صادرات هذه المنتجات من البلدان النامية وتنخفض أسعار السلع الأساسية بدرجة أكبر، مما يحرم البلدان النامية من إيرادات تحتاج إليها احتياجا ماسا. ومما يساعد على تعويض هذه الخسائر، الانطلاق من نمط تنموي يقوم على الاعتماد على الذات لتنمية القدرات الذاتية وتأمين الاكتفاء الذاتي وبالتالي التوسع في التعاون الإقليمي، وفي التجارة فيما بين البلدان النامية، وتحقيق استثمارات ضخمة في رأس المال البشري، والتوسع في الأخذ بالتكنولوجيات المحسنة.

4-1-5 **توسيع بحوث التنمية الشاملة لدى البلدان الفقيرة:** وتعني التنمية الشاملة في البلدان الفقيرة تكريس الموارد الطبيعية لأغراض التحسين المستمر في مستويات المعيشة، ويعتبر التحسين السريع، كقضية أخلاقية، أمر حاسم بالنسبة لأكثر من 20% من سكان العالم المعدمين في الوقت الحالي، وقد تحقق البحوث في هذا المجال التخفيف من عبء الفقر المطلق نتائج عملية هامة بالنسبة للتنمية المستدامة، لأن هناك روابط وثيقة بين الفقر وتدهور البيئة والنمو السريع للسكان والتخلف الناجم عن التاريخ الاستعماري والتبعية المطلقة للقوى الرأسمالية. أما الذين لا تلبى لهم احتياجاتهم الأساسية، والذين ربما كان بقائهم على قيد الحياة أمرا مشكوكا فيه، فيصعب أن نتصور بأنهم سيهتمون بمستقبل كرتنا الأرضية، وليس هناك ما يدعوهم إلى تقدير مدى صلاحية تصرفاتهم للاستدامة، كما أنهم يجنحون إلى الاستزادة من الأطفال في محاولة لزيادة القوة العاملة للأسرة ولتوفير الأمن لشيخوختهم.

4-1-6 **بحوث تهدف إلى المساواة في توزيع الموارد:** إن الوسيلة الناجعة للتخفيف من عبء الفقر وتحسين مستويات المعيشة أصبحت مسؤولية كل من البلدان الغنية والفقيرة، وتعتبر هذه الوسيلة، غاية في حد ذاتها، حيث تهدف البحوث التنموية في جعل فرص الحصول على الموارد والمنتجات والخدمات فيما بين جميع الأفراد داخل المجتمع أقرب إلى المساواة. فالفرص غير المتساوية في الحصول على التعليم والخدمات الاجتماعية وعلى الأراضي والموارد الطبيعية الأخرى وعلى حرية الاختيار وغير ذلك من الحقوق السياسية، تشكل حاجزا هاما أمام التنمية. فهذه المساواة تساعد على تنشيط التنمية والنمو الاقتصادي الضروريين لتحسين مستويات المعيشة.

4-1-7 **بحوث متعلقة بمعالجة من التفاوت في المداخيل:** فالتنمية الشاملة تعني إذن الحد من التفاوت المتنامي في الدخل وفي فرص الحصول على الرعاية الصحية في البلدان الصناعية مثل الولايات المتحدة وإتاحة حيازات الأراضي الواسعة وغير المنتجة للفقراء الذين لا يملكون أرضا في مناطق مثل أمريكا الجنوبية أو للمهندسين الزراعيين العاطلين كما هو الشأن بالنسبة لبلادنا؛ وكذا تقديم القروض إلى القطاعات الاقتصادية غير الرسمية وإكسابها الشرعية؛ وتحسين فرص التعليم والرعاية الصحية بالنسبة للمرأة في كل مكان، وتجب الإشارة إلى أن سياسة تحسين فرص الحصول على الأراضي والتعليم وغير ذلك من الخدمات الاجتماعية لعبت دورا حاسما في تحفيز التنمية السريعة والنمو في اقتصاديات النمور الآسيوية مثل ماليزيا وكوريا الجنوبية وتايوان.

4-2-الجوانب الاجتماعية[1]:

4-2-1 **بحوث متعلقة بدراسة بالنمو الديموغرافي:** وتعني التنمية الشاملة فيما بالأبعاد البشرية العمل على تحقيق تقدم كبير في سبيل تثبيت نمو السكان، وهو أمر بدأ يكتسي أهمية بالغة، ليس لأن النمو المستمر للسكان لفترة طويلة وبمعدلات شبيهة بالمعدلات الحالية أصبح أمرا مستحيلا استحالة واضحة فقط، بل كذلك لأن النمو السريع يحدث ضغوطا حادة على الموارد الطبيعية وعلى قدرة الحكومات على توفير الخدمات، كما أن النمو السريع للسكان في بلد أو منطقة ما يحد من التنمية، ويقلص من قاعدة الموارد الطبيعية المتاحة لإعالة كل ساكن، وللحجم النهائي الذي يصل إليه السكان في الكرة الأرضية أهميته أيضا، لأن حدود قدرة الأرض على إعالة الحياة البشرية غير معروفة بدقة. وتوحي الإسقاطات الحالية، في ضوء الاتجاهات الحاضرة للخصوبة، بأن عدد سكان العالم سيستقر عند حوالي 11,6 مليار نسمة، وهو أكثر من ضعف عدد السكان الحاليين. وضغط السكان، حتى بالمستويات الحالية، هو عامل متنام من عوامل تدمير المساحات الخضراء وتدهور التربة والإفراط في استغلال الحياة البرية والموارد الطبيعية الأخرى؛ لأن نمو السكان يؤدي بهم إلى الأراضي الحدية، أو يتعين عليهم الإفراط في استخدام الموارد الطبيعية.

4-2-2 **بحوث تهدف إلى توزيع السكان:** فالاتجاهات الحالية نحو توسيع المناطق الحضرية، ولاسيما تطور المدن الكبيرة لها عواقب بيئية ضخمة. فالمدن تقوم بتركيز النفايات والمواد الملوثة فتتسبب في كثير من الأحيان في أوضاع لها خطورتها على الناس وتدمر النظم الطبيعية المحيطة بها. ومن هنا، فإن البحوث في المجال البشري تعني النهوض بالتنمية القروية النشيطة للمساعدة على إبطاء حركة الهجرة إلى المدن، وتعني اتخاذ تدابير سياسية خاصة من قبيل اعتماد الإصلاح الزراعي واعتماد تكنولوجيات تؤدي إلى التقليص إلى الحد الأدنى من الآثار البيئية للتحضر.

4-2-3 **بحوث متعلقة بالاستغلال الكامل للموارد البشرية:** كما تنطوي البحوث الجامعية في هذا المجال إلى استخدام الموارد البشرية استخداما كاملا، وذلك بتحسين التعليم والخدمات الصحية ومحاربة الجوع. ومن المهم بصورة خاصة أن تصل الخدمات الأساسية إلى الذين يعيشون في فقر مطلق أو في المناطق النائية؛ ومن هنا فإن التنمية الشاملة تعني إعادة توجيه الموارد أو إعادة تخصيصها لضمان الوفاء أولا بالاحتياجات البشرية الأساسية مثل تعلم القراءة والكتابة، وتوفير الرعاية الصحية الأولية، والمياه النظيفة.

1 جهينة، سلطان العيسوي. مرجع سابق، ص 65.

والتنمية الشاملة تعني –فيما وراء الاحتياجات الأساسية– تحسين الرفاهية الاجتماعية، وحماية التنوع الثقافي، والاستثمار في رأس المال البشري– بتدريب المربين والعاملين في الرعاية الصحية والفنيين والعلماء وغيرهم من المتخصصين الذين تدعو إليهم الحاجة لاستمرار التنمية.

4-2-4 **بحوث حول الصحة والتعليم:** ثم إن التنمية البشرية تتفاعل تفاعلا قويا مع الأبعاد الأخرى للتنمية الشاملة. من ذلك مثلا أن السكان الأصحاء الذين نالوا من التغذية الجيدة ما يكفيهم للعمل، ووجود قوة العمل الحسنة التعليم، أمر يساعد على التنمية الاقتصادية. ومن شأن التعليم أن يساعد المزارعين وغيرهم من سكان البادية على حماية الغابات وموارد التربة والتنوع البيولوجي حماية أفضل.

5-2-4 **بحوث لتعزيز دور المرأة في التنمية:** ولدور المرأة أهمية خاصة ففي كثير من البلدان النامية يقوم النساء والأطفال بالزراعات المعيشية، والرعي وجمع الحطب ونقل الماء، وهم يستخدمون معظم طاقتهم في الطبخ، ويعتنون بالبيئة المنزلية مباشرة. والمرأة بعبارة أخرى هي المدبر الأول للموارد والبيئة في المنزل –كما أنها هي أول من يقدم الرعاية للأطفال– ومع ذلك فكثيرا ما تلقى صحتها وتعليمها الإهمال الصارخ مقارنة بصحة الرجال وتعليمهم. والمرأة الأكثر تعليما، لديها فرص أكبر في الحصول على وسائل منع الحمل، كما أن معدلات خصوبتها أقل في المتوسط، وأطفالها أكثر صحة، ومن شأن الاستثمار في صحة المرأة وتعليمها أن يعود على القابلية للاستدامة بمزايا متعددة.

6-2-4 **بحوث لتعزيز مشاركة المواطنين:** ثم إن التنمية الشاملة على المستوى السياسي تحتاج إلى مشاركة من تمسهم القرارات، في التخطيط لهذه القرارات وتنفيذها، وذلك لسبب عملي هو أن جهود التنمية التي لا تشرك الجماعات المحلية كثيرا ما يصيبها الإخفاق. لذلك فإن اعتماد النمط الديمقراطي الاشتراكي في الحكم يشكل القاعدة الأساسية للتنمية البشرية الشاملة في المستقبل.

5-2 الجوانب البيئية[1]: من بين أهم الأسس التي يجب على البحوث أن تتناولها والتي قد تؤدي إلى تقويض التنمية الشاملة حيث نجد ما يلي:

1 –**تدمير الغطاء النباتي:** بالنسبة للأبعاد البيئية نلاحظ أن تعرية التربة وفقدان إنتاجيتها يؤديان إلى التقليص من غلتها، ويخرجان سنويا من دائرة الإنتاج مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية. كما أن الإفراط في استخدام الأسمدة ومبيدات الحشرات يؤدي إلى تلويث المياه السطحية والمياه الجوفية. أما الضغوط البشرية والحيوانية، فإنها تضر بالغطاء النباتي والغابات أو تدمرهما. وهناك مصايد كثيرة

1 أحمد، عبد العزيز النشامي. مرجع سابق، ص 117.

للأسماك في المياه العذبة أو المياه البحرية يجري استغلالها فعلا بمستويات غير مستدامة، أو أنها توشك أن تصبح كذلك.

2 – **حماية الموارد الطبيعية:** والتنمية الشاملة تحتاج إلى حماية الموارد الطبيعية اللازمة لإنتاج المواد الغذائية والوقود –ابتداء من حماية التربة إلى حماية الأراضي المخصصة للأشجار وإلى حماية مصايد الأسماك– مع التوسع في الإنتاج لتلبية احتياجات السكان الآخذين في التزايد، وهذه الأهداف يحتمل تضاربها، ومع ذلك فإن الفشل في صيانة الموارد الطبيعية التي تعتمد عليها الزراعة كفيل بحدوث نقص في الأغذية في المستقبل. وتعني التنمية الشاملة هنا استخدام الأراضي القابلة للزراعة وإمدادات المياه استخداما أكثر كفاءة، وكذلك استحداث وتبني ممارسات وتكنولوجيات زراعية محسنة تزيد الغلة. وهذا يحتاج إلى اجتناب الإسراف في استخدام الأسمدة الكيميائية والمبيدات حتى لا تؤدي إلى تدهور الأنهر والبحيرات، وتهدد الحياة البرية، وتلوث الأغذية البشرية والإمدادات المائية. وهذا يعني استخدام الري استخداما حذرا، واجتناب تمليح أراضي المحاصيل وتشبعها بالماء.

3 – **صيانة المياه:** وفي بعض المناطق تقل إمدادات المياه، ويهدد السحب من الأنهار باستنفاد الإمدادات المتاحة، كما أن المياه الجوفية يتم ضخها بمعدلات غير مستدامة، كما أن النفايات الصناعية والزراعية والبشرية تلوث المياه السطحية والمياه الجوفية، وتهدد البحيرات والمصبات في كل بلد تقريبا. والتنمية الشاملة تعني صيانة المياه بوضع حد للاستخدامات المبددة وتحسين كفاءة شبكات المياه. وهي تعني أيضا تحسين نوعية المياه وقصر المسحوبات من المياه السطحية على معدل لا يحدث اضطرابا في النظم الإيكولوجية التي تعتمد على هذه المياه، وقصر المسحوبات من المياه الجوفية على معدل تجددها.

4 – **تقليص ملاجئ الأنواع البيولوجية:** وتواصل مساحة الأراضي القابلة للزراعة – وهي الأراضي التي لم تدخل بعد في الاستخدام البشري – انخفاضها، مما يقلص من الملاجئ المتاحة للأنواع الحيوانية والنباتية، باستثناء القلة التي يديرها البشر إدارة مكثفة، أو التي تستطيع العيش في البيئة المستأنسة. وتتعرض الغابات المدارية والنظم الإيكولوجية للشعب المرجانية والغابات الساحلية وغيرها من الأراضي الرطبة وسواها من الملاجئ الفريدة الأخرى لتدمير سريع، كما أن انقراض الأنواع الحيوانية والنباتية آخذا في التسارع. والتنمية الشاملة في هذا المجال تعني أن يتم صيانة ثراء الأرض في التنوع البيولوجي للأجيال المقبلة، وذلك بإبطاء عمليات الانقراض وتدمير الملاجئ والنظم الإيكولوجية بدرجة كبيرة – وإن أمكن وقفها.

5 – **حماية المناخ من الاحتباس الحراري:** والتنمية الشاملة تعني كذلك عدم المخاطرة بإجراء تغييرات كبيرة في البيئة العالمية – بزيادة مستوى سطح البحر، أو تغيير أنماط سقوط الأمطار والغطاء النباتي، أو زيادة الأشعة فوق البنفسجية – يكون من شأنها إحداث تغيير في الفرص المتاحة للأجيال المقبلة. ويعني ذلك الحيلولة دون زعزعة استقرار المناخ، أو النظم الجغرافية الفيزيائية والبيولوجية أو تدمير طبقة الأوزون الحامية للأرض من جراء أفعال الإنسان.

6-2 الجوانب التكنولوجية[1]:

6-2-1 **استعمال تقنيات خاضعة للمقاييس الدولية في المرافق الصناعية:** كثيرا ما تؤدي المرافق الصناعية إلى تلويث ما يحيط بها من هواء ومياه وأرض، وفي البلدان المتقدمة النمو، يتم الحد من تدفق النفايات وتنظيف التلوث بنفقات كبيرة؛ أما في البلدان النامية، فإن النفايات المتدفقة في كثير منها لا يخضع للرقابة إلى حد كبير، ومع هذا فليس التلوث نتيجة لا مفر منها من نتائج النشاط الصناعي، وأمثال هذه النفايات المتدفقة تكون نتيجة لتكنولوجيات تفتقر إلى الكفاءة أو لعمليات التبديد، وتكون نتيجة أيضا للإهمال والافتقار إلى فرض العقوبات الاقتصادية، وتعني التنمية الشاملة هنا التحول إلى تكنولوجيات أنظف وأكفأ وتقلص من استهلاك الطاقة وغيرها من الموارد الطبيعية إلى أدنى حد، وينبغي أن يتمثل الهدف في عمليات أو نظم تكنولوجية تتسبب في نفايات أو ملوثات أقل في المقام الأول، وتعيد تدوير النفايات داخليا، وتعمل مع النظم الطبيعية أو تساندها. وفي بعض الحالات التي تفي التكنولوجيات التقليدية بهذه المعايير فينبغي المحافظة عليها.

6-2-2 **الأخذ بالتكنولوجيات المحسنة وبالنصوص القانونية الرادعة :** والتكنولوجيات المستخدمة الآن في البلدان النامية كثيرا ما تكون أقل كفاءة وأكثر تسببا في التلوث من التكنولوجيات المتاحة في البلدان الصناعية، والتنمية الشاملة تعني الإسراع بالأخذ بالتكنولوجيات المحسنة، وكذلك بالنصوص القانونية الخاصة بفرض العقوبات في هذا المجال وتطبيقها، ومن شأن التعاون التكنولوجي – سواء بالاستحداث أو التطويع لتكنولوجيات أنظف وأكفأ تناسب الاحتياجات المحلية –الذي يهدف إلى سد الفجوة بين البلدان الصناعية والنامية أن يزيد من الإنتاجية الاقتصادية، وأن يحول أيضا دون مزيد من التدهور في نوعية البيئة. وحتى تنجح هذه الجهود، فهي تحتاج أيضا إلى استثمارات كبيرة في التعليم والتنمية البشرية،

1 نفس المرجع السابق، ص 119.

ولاسيما في البلدان الأشد فقرا، والتعاون التكنولوجي يوضح التفاعل بين الأبعاد الاقتصادية والبشرية والبيئية والتكنولوجية في سبيل تحقيق التنمية الشاملة.

6-2-3 **المحروقات والاحتباس الحراري** : كما أن استخدام المحروقات يستدعي اهتماما خاصا لأنه مثال واضح على العمليات الصناعية غير المغلقة، فالمحروقات يجري استخراجها وإحراقها وطرح نفاياتها داخل البيئة، فتصبح بسبب ذلك مصدرا رئيسيا لتلوث الهواء في المناطق العمرانية، وللأمطار الحمضية التي تصيب مناطق كبيرة، والاحتباس الحراري الذي يهدد بتغير المناخ، والمستويات الحالية لانبعاث الغازات الحرارية من أنشطة البشر تتجاوز قدرة الأرض على امتصاصها؛ وإذا كانت الآثار قد أصبحت خلال العقد الأخير من القرن العشرين واضحة المعالم، فإن معظم العلماء متفقون على أن أمثال هذه الانبعاث لا يمكن لها أن تستمر إلى ما لا نهاية سواء بالمستويات الحالية أو بمستويات متزايدة، دون أن تتسبب في تغير عالمي للمناخ، وسيكون للتغييرات التي تترتب عن ذلك في درجات الحرارة وأنماط سقوط الأمطار ومستويات سطح البحر فيما بعد – ولاسيما إذا جرت التغييرات سريعا– آثار مدمرة على النظم الإيكولوجية وعلى رفاه الناس ومعاشهم، ولاسيما بالنسبة لمن يعتمدون اعتمادا مباشرا على النظم الطبيعية.

6-2-4 **الحد من انبعاث الغازات** : وترمي التنمية الشاملة في هذا المجال إلى الحد من المعدل العالمي لزيادة انبعاث الغازات الحرارية، وذلك عبر الحد بصورة كبيرة من استخدام المحروقات، وإيجاد مصادر أخرى للطاقة لإمداد المجتمعات الصناعية، وسيكون من المتعين على البلدان الصناعية أن تتخذ الخطوات الأولى للحد من انبعاث ثاني أكسيد الكربون واستحداث تكنولوجيات جديدة لاستخدام الطاقة الحرارية بكفاءة أكبر، وتوفير إمدادات من الطاقة غير الحرارية تكون مأمونة وتكون نفقتها محتملة، على أنه حتى تتوافر أمثال هذه التكنولوجيات، فالتنمية الشاملة تعني استخدام المحروقات بأكفأ ما يستطاع في جميع البلدان[1].

خاتمة

مع تنامي اهتمام مختلف وسائل الإعلام بالقضايا التنموية أصبح الرأي العام أكثر اهتماما بإيجاد حلول لمشاكل الفقر والتدني في نوع ومستوى الخدمات، وكيفية التخطيط للتنمية مع الأخذ بعين الاعتبار ملائمة النظريات التي تبنى عليها إيديولوجية التنمية، وقد بدا واضحا لهذه الدراسة أن عملية التحول إلى

1 جهينة، سلطان العيسوي. مرجع سابق، ص 95.

التنمية لحماية المجتمع بالدرجة الأولى تتطلب جهود كل المجتمع الجزائري وبالدرجة الأولى المراكز البحثية الجامعية فهي مطلب مبرمج ويجب أن ينجز من قبل الجميع وبلا استثناء، وفي الحقيقة فإنه كلما درسنا وحللنا الموقف كلما زاد إدراكنا في نهاية الأمر بأن المشاكل التنموية المتعددة ليست إلا وجوه مختلفة لأزمة واحدة ووحيدة، هي بالتأكيد، أزمة إدراك تنبع من حقيقة أن معظم الناس وخاصة المؤسسات الاجتماعية الكبيرة في الدول المتقدمة تتبنى مفاهيم (لم تعد ملائمة لمعالجة مشاكل عالم اليوم) نموذج الحداثة الذي هيمن على الثقافة الصناعية الغربية لقرون من الزمن، تمكن خلالها من صياغة المجتمع الحديث وأثر بشكل كبير في كل أنحاء العالم من خلال فرضه لعدد من الأفكار والقيم كالنظرة للعالم كنسق أو نظام ميكانيكي مؤلف من عناصر بناء أولية، والنظرة لجسم لإنسان كآلة، والنظرة للحياة في المجتمع كصراع تنافسي من أجل البقاء، والإيمان بالقدرة على تحقيق تقدم مادي غير محدود من خلال النمو الاقتصادي والتقني.

فضلا عن ذلك لا يزال كثير من المفكرين ينظرون للتنمية بطريقة براغماتية مادية ونحن نرى أنها وسيلة لتحقيق توازن استراتيجي بين احتياجات المجتمع وما يملكه من مقومات خاصة إذا أخضعت الخطط إلى الأبحاث الجامعية، وبالرغم من محاولات عديدة قامت بها الجامعة الجزائرية على مر عقود من الزمن نجد ذلك غير كافياً ، خاصة ففي ظل الظروف التي تمر بها البلاد، فيجب علينا الانتقال من مرحلة النقاش النظري حول المشاكل التنموية في الجزائر إلى مرحلة وضع خطط عملية تهدف إلى إزالة ذلك التوتر الذي يمثل جانبا ايجابيا، إلا أنه يجب في نفس الوقت الاعتراف بأن غياب فهم أو رؤية واضحة حول التوجه العام للحراك الذي يعيشه المجتمع الجزائري الحضارة يمثل جانبا سلبيا من مشروع التنمية.

من هذا المنطلق، ترى هذه الدراسة أن المجتمع بكل فئاته بحاجة إلى تنمية متوازنة تركز مبدأ الوقاية بدلا من العلاج، وهذا يعني أن التنمية ليست فقط مسألة فردية، بل أنها تتعامل مع كافة المؤسسات الفاعلة في المجتمع تعتمد بالأساس على متغير رئيسي هو ما تستطيع المراكز والبحوث الجامعية تحقيقه بواسطة الإمكانات التي تتوفر عليها.

قائمة المراجع:

1- تسرتين، بول. «عناصر استراتيجية التنمية في المستقبل – اهمية التنمية البشرية". مجلة التمويل، صندوق النقد الدولي، 8، (ديسمبر 1999).

2- حاتم، عبد القادر. العولمة مالها وما عليها. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005.

3- خلف عبد الجواد، مصطفى، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع. القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002.

4- رشيد سلمان، سلمان. العلم والتكنولوجيا والتنمية البديلة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1986.

5- سلطان العيسوي، جهينة. علم الاجتماع. دمشق: الأهالي للطباعة والنشر , 2002.

6- سيد محمد، محمد. الإعلام والتنمية. القاهرة: دار الفكر العربي، 1988.

7- عاطف غيث، محمد. علم الاجتماع. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990.

8- عبد العزيز النشامي، أحمد. مفاهيم في التنمية. الأردن: دار الحرية للطباعة والنشر، 2009.

9- قرين، محمد الأمين. المؤشرات البيئية للتنمية المستدامة، بحث مقدم إلى مؤتمر التنمية المستدامة. 15-16 فيفري 2008، جامعة سبها، ليبيا.

10- قنديل، أماني. المجتمع المدني العالمي. القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 2002.

11- لطفي، طلعت إبراهيم. النظريات المعاصرة في علم الاجتماع. القاهرة: دار غريب، 2006.

12- مارشال، جوردن. موسوعة علم الاجتماع. ط2. المجلد الأول، ترجمة محمد الجوهري وآخرون. القاهرة: دار الهدى،2007.

13- موقع الأمم المتحدة http://www.un.org/ar/development/

14- يتماشيف، نيقولا. نظرية علم الاجتماع – طبيعتها وتطورها. ترجمة محمد عودة وآخرون. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990.

إدارة الوقت في ظل التعليم الإلكتروني بالجامعة الجزائرية مدخل لتحقيق التنمية الاجتماعية.

د/عياط أمين. د/ عائشة العيدي.

جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ الجزائر جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ الجزائر

ملخص:

يعتبر التعليم الجامعي قمة الهرم التعليمي في أي مجتمع كان، فمن خلال هذا التعليم تظهر السمات المميزة للطالب وتتحدد مسؤوليته الشخصية والاجتماعية من خلال رفع مستواه المعرفي والتعليمي والحصول على شهادة تؤهله لخدمة ذاته وأسرته ومجتمعه، وهنا يتطلب منه ضرورة التنسيق بين أعماله كفرد في أسرة ومجتمع ينتمي إليهما، ومواصلة مساره التعليمي في الجامعة.

والطالب في المجتمع الجزائري على وجه الخصوص تحيطه ظروف أسرية واجتماعية صعبة تحتاج منه إدارة للوقت بطريقة تحقق نجاحه، ولعل ظهور التعليم الإلكتروني والذي أصبح له آثار كبيرة على المنظومة التعليمية، وايجابيات تساعد الطالب على التعلم في أي وقت وأي مكان يعد استجابة حقيقية لحل مشكلات الطلاب في تنظيم أوقاتهم وإدارتها بما تتوافق مع ظروفهم الحياتية.

ومن ثم تحقيق الفائدة له ولمجتمعه، والمساهمة في التنمية الاجتماعية من خلال تخطيط فعال لوقت دراسته ومسؤولياته.

ومن هذا المنطلق جاءت ورقتنا هذه للتعرف عن إدارة الوقت في ظل التعليم الإلكتروني وما لها من خلفيات في تحقيق التنمية الاجتماعية بالمجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: إدارة الوقت– التعليم الإلكتروني– الجامعة الجزائرية– التنمية الاجتماعية.

Summary:

The university education is considered the top of the educational pyramid in any society. Through this education, the characteristics of the student are defined and his personal and social responsibility is determined by raising his cognitive and educational level and obtaining a certificate that qualifies him to serve himself, his family and his community. To them, and to continue the course of education at the university. The student in Algerian society in particular is surrounded by difficult family and social circumstances that require time management in a way that achieves success. The advent of e-learning, which has great implications for the educational system, and the positive aspects that help the student to learn at anytime and anywhere is a real response to solving students' problems. To organize their time and management in accordance with their living conditions, and thus to benefit him and his community, and contribute to social development through effective planning for the time of study and social responsibilities.It is in this context that our paper came to know about the

management of time in the context of e-learning and its money from the background in the social development of Algerian society.
Keywords: Time Management, E-Learning, Algerian University, Social Development.

مقدمة:

إن غياب ثقافة الوعي بقيمة الوقت وما له من أثر فعال في تنظيم مختلف ممارسات الحياة، وتحقيق تنمية اجتماعية داخل مجتمع تتنوع فيه المواقف التي تحتاج من الطالب اليقظة والتدبر من أجل مواكبتها بطرق تعود عليه بالايجابية.

ولما كان أثمن وقت للطالب هو السعي وراء النجاح في الدراسة وفي مختلف ما يصادفه من مواقف في الوسط المحيط به، كان لابد على المؤسسةالجامعية بالجزائر أن تلتحق بركب الأوضاع المعاصرة في الجامعات العالمية، وذلك من خلال استخدام استراتيجيات تعليم حديثة كالتعليم الإلكتروني، مما يخدم الطالب في كيفية إدارته للوقت.

ومن هذا كله نقول: أين هي مكانة التعليم الإلكتروني في إدارة وقت الطالب الجامعي ومساعدة الجامعة والطالب على تحقيق التنمية الاجتماعية وذلك من خلال استثمار الوقت في منافع تعود عليه وعلى أسرته ومدرسته والمجتمع ككل بالفائدة.

ولذا جاءت هذه الورقة البحثية، من أجل التعرف على مدى مساعدة التعليم الإلكتروني للطلاب والجامعة ككل من أجل الوصول إلى طرق صحيحة ومرتبة في كيفية إدارة الوقت، ومن ثم تحقيق تنمية اجتماعية فعالة في المجتمع الجزائري.

الإشكالية:

يعد الوقت من أثمن النعم التي أنعمها الله على الناس، فهو الشيء الوحيد في الحياة الذي لا يمكن خزنه، ولكن يمكن استثماره في ما يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع. وهذا ما يجعله أغلى من أي شيء في هذه الدنيا لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة و الفراغ"(رواه البخاري)، ولأن ما يفوت من وقت لا يعود ولأن أول شيء يسأل عليه الإنسان هو الوقت وفيما أمضاه ولقوله صلى الله عليه وسلم: "لن تزول قدما عبد حتى يسال عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به" (رواه البخاري). وإلا لما سمي الوقت بالسيف فأين هي مُثل المؤسسة الجامعية الجزائرية في تبني تعليم إلكتروني للمحاربة ضد هذا السيف الذي يواجههم، وكيفية رفعه في وجه المواقف التي تصادف طلابها لكي لا يفوتهم ما يمكنهم من تحقيق النجاح في دراستهم والمساهمة في تنمية مجتمعه.

وهكذا فبينما كان الوقت في القرن الماضي المتغير الأساسي في المختبر لدراسة سلوكيات الإنسان و الحيوان، أصبح الآن المتغير الأساس الذي تركز عليه العملية التعليمية في الجامعات. **(عمار عبد الله محمود الفريحات، وآخرون، 2010، ص 454).**

والمشكلة التي نطرحها من خلال هذه الورقة هل للتعليم الإلكتروني دورفي ضبط رزنامة الوقت لدى الطلاب سواء في البيت أو في الشارع أو في الجامعة؟

وهل يساهم هذا التعليم في تنمية مبادئ إدارة الوقت عند الطالب؟ الذي يعيش في وسط جامعي يحتاج إلى مساندة من طرف الجامعة، ليس فقط في دخوله وخروجه من منها، ولكن في مدى اللحاق وفي الوقت المناسب بالتغيرات التي طالت كل مجالات الحياة وخاصة ثقافة البرنامج الدراسية وما أصبح يخصص له من وقت في المراجعة وبحث.

ومن هذا المنطلق سنعالج من خلال التساؤلات الآتية إشكالية إدارة الوقت في ظل التعليم الإلكتروني ومدى مساهمته في تحقيق التنمية الاجتماعية :

- ما هو التعليم الإلكتروني؟
- فيما تتمثل إدارة الوقت؟
- ما مدىتحقيق التنمية الاجتماعية من خلال إدارة وقت مناسبة بالاستناد على التعليم الإلكتروني؟

الإطار النظري:

I- ما هو التعليم الإلكتروني (e-learning)؟:

1- تعريف التعليم الإلكتروني:

لا يزال هذا المصطلح يطرح العديد من الجدل لاختلاف المختصين والمهتمين به، فهو "باختصار استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد و أكبر فائدة، باستخدام برامج إدارة نظم التعلم والمحتوى (LMS & LCMS) وتسخير تقنيات الانترنت في ذلك، وفق معايير محددة". **(سارة تيتيلة وآخرون، 2018، ص 65).**

والتعليم الإلكتروني (e-learning) عبارة عن تقديم المادة المتعلمة عبر جميع الوسائل الإلكترونية المعينة في عملية التعليم والتعلم سواء كان ذلك عبر الشبكة الإلكترونية، أم وسيلة إلكترونية كالحاسب الآلي وشبكاته، أم الهاتف الجوال (النقال أو المحمول) وغيرها حسب رأي "مازن، 2004"، و"وينتلينج، 2000 (Wentling)"، و"باليس، 2002 (Bahlis)".**(أحمد محمود عبد اللطيف، 2011، ص03).**

وتم تعريفه من طرف "بوسمان، 2002 (Bosman)" بأنه التعليم الذي يقدم إلكترونيا من خلال الإنترنت أو الشبكة الداخلية (الإنترانيت) أو عن طريق الوسائط المتعددة مثل الأقراص المدمجة أو أقراص الفيديو الرقمية (DVD). **(قسيم محمد الشناق، وحسن علي بني دومي، 2009، ص57)**

ويمكننا باختصار ومن خلال التعاريف السابقة أن نعرف التعليم الإلكتروني على أنه: التعليم الذي يقدم إلكترونيا من خلال الإنترنت أو الشبكة الداخلية (الإنترانيت)، أو عن طريق استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة. وهو التعليم الذي يشمل جميع أركان العملية التعليمية المدعوم بالتكنولوجيا.

2- أنواع التعليم الإلكتروني:

ويقدمالتعليم الالكتروني ثلاث أنواع من التعليم هي:

2-1- التعليم الالكتروني المباشر المتزامن (Synchrnous E- Learning):

هو تعليم الكتروني يجتمع فيه المعلم مع الدارسين معا ليتم بينهم اتصال متزامن بالنص (chat) أو الصوت أو الفيديو أو ما يعرف (Online).

ومن إيجابيات هذا النوع من التعليم أن الطالب يستطيع الحصول من المعلم على التغذية الراجعة المباشرة في الوقت نفسه. **(قسيم محمد الشناق، حسن علي بني دومي، 2009، ص 64).**

*** أدوات التعليم الإلكتروني المتزامن:**

ويقصد بها تلك الأدوات التي تسمح للمستخدم الاتصال المباشر (In Real time) بالمستخدمين الآخرين على الشبكة، ومن أهم هذه الأدوات ما يلي:**(الحربي محمد، 2006، ص 35)**

- المحادثة (Chat).
- المؤتمرات الصوتية (Audio Conferences).
- مؤتمرات الفيديو (Video Conferences).
- اللوح الأبيض (White Board).
- برامج القمر الصناعي (Satellite Programs).

2-2- التعليم الالكتروني (غير المباشر) غير المتزامن: (Asynchrnous E-Learning)

هو اتصال بين المعلم والدارس لكن لا يحتاج إلى تواجدهم في نفس المكان أو الزمان وإنما يتعلم الطالب وقت ما يشاء. **(الغراب إيمان محمد، 2003،ص 45)**

ولقد جمعت الشبكة العنكبوتية العالمية(World Wide Web) والتي تعرف اختصارا بـ (WWW) (تأسست في 1993 وأتاحت للمستخدم استخدام الصورة والصوت والأفلام والكتابة في الوقت نفسه) بين التعليم التزامني والتعليم غير التزامني، فالتعليم يتم في كل وقت، ويمكن تخزينه للرجوع إليه في أي وقت. **(دلال ملحس استيتية، وعمر موسى سرحان، 2007، ص 280)**

ومن ايجابيات هذا النوع من التعلم أن المتعلم يتعلم حسب الوقت المناسب له وفي المكان المناسب. وكذلك يستطيع المتعلم إعادة دراسة المادة والرجوع إليها إلكترونيا.**(قسيم محمد الشناق، حسن علي بني دومي، مرجع سابق، ص 65)**

*** أدوات التعليم الإلكتروني غير المتزامن:**

ويقصد بها تلك الأدوات التي تسمح للمستخدم بالتواصل مع المستخدمين الآخرين بشكل غير مباشر أي أنها لا تتطلب تواجد المستخدم والمستخدمين الآخرين على الشبكة معا أثناء التواصل، ومن أهم هذه الأدوات ما يلي:**(الحربي محمد، مرجع سابق، ص 36)**

- البريد الإلكتروني (E-mail)
- الشبكة النسيجية (Worldwid web)
- القوائم البريدية (Mailing list)
- مجموعات النقاش (Discussion Groups)
- نقل الملفات (File Exchange)
- الفيديو التفاعلي (Interactive video)
- الأقراص المدمجة (CD)

2-3- التعليم المدمج (Blended Learning):

يعد التعلُّم المدمج (Blended Learning) مكملا لأساليب التعليم التربوية العادية. ويعتبر هذا التعليم رافدا كبيرا للتعليم العام والتعليم الجامعي التقليدي الذي يعتمد على المحاضرة والإلقاء، إذ أن تقنية المعلومات ليست هدفاً أو غاية بحد ذاتها، بل هي وسيلة لتوصيل المعرفة و تحقيق الأغراض المعروفة من التعليم والتربية. **(قسطندي شوملي، 2007، ص 26).**

كما يعرف التعلم المدمج أو كما يسمى التعليم الخليط (Blended Learning) بأنه مزج أو دمج أو خلط التعليم الإلكتروني (التعليم على الخط، والويب) مع التعليم التقليدي في الفصول الدراسية العادية (وجها لوجه) أو الخلط بين مداخل التدريس التقليدية (أنشطة التعلم الصفية وجها لوجه) وتكنولوجيا التعليم (تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الانترنتية). **(أسامة عبد الرحمن عبد المولا، 2014، ص 108).**

وكذا يتم اليوم مزج جميع أجهزة تكوين التعليم الالكتروني ودمج جزء منه وجها لوجه، و جزء آخر من التعليم عن بعد. وتتميز حلول التعليم المدمج بمزيج من التعليم المباشر و التعليم عن بعد بطرق مختلفة ،مع مجموعة من استراتيجيات وطرق التعليم المختلفة. (**Marie prat،2011 ،p.22**).

*** أدوات التعليم المدمج:**

إن التعليم المدمج يجمع بين نوعي التعليم الإلكتروني (المتزامن وغير والمتزامن)، ولذا فهو يعتمد على مجموعة أدوات هاذين النوعين المذكورة سابقا.

3- مزيا ومعيقات التعليم الالكتروني:

أ- مزاياه: يتسم التعليم الالكتروني بمزايا عديدة تجعل منه وسيلة فاعلة لتطوير التعليم وزيادة كفاءته نذكر منها:

* يشير "خالد بن فهد الحذيفي" 2006 م أن التعليم الإلكتروني يساعد المتعلم في امكانية التعلم في أي وقت، وفي أي مكان، ويساعد في حل مشكلة ازدحام قاعات المحاضرة إذا ما استخدم بطريقة التعليم المفتوح عن بعد، وتوسيع فرص القبول، والتمكن من تدريب وتعليم العاملين وتأهيلهم دون الحاجة إلى ترك أعمالهم وإيجاد بديل، وتعليم ربات البيوت مما يسهم في رفع نسبة المتعلمين، والقضاء على الأمية. (**رجاء زهير العسيلي، 2012، ص 355**)

* توسيع فرص القبول في التعليم العالي وتجاوز عقبات محدودية الأماكن، وتمكين مؤسسات التعليم العالي من تحقيق التوزيع الأمثل لمواردها المحدودة.

* مراعات الفروق الفردية بين المتعلمين وتمكينهم من إمام عمليات التعلم بيئات مناسبة لهم والتقدم حسب قدراتهم الذاتية.

* سهولة الوصول إلى المعلم حتى خارج أوقات العمل الرسمية.

* تخفيض الأعباء الإدارية للمقررات الدراسية من خلال استغلال الوسائل والأدوات الالكترونية في إيصال المعلومات والواجبات والفروض للمتعلمين وتقييم أدئهم. (**محمد عبد الكريم الملاح، 2010، ص189**)

* يسهم التعليم الالكتروني في تنمية التفكير وإثراء عميلة التعلم.

* يساعد العليم الالكتروني أو الجامعات الالكترونية في خفض تكلفة التعليم كلما زاد عدد الطلاب.

* يزيد من امكانية التواصل لتبادل الآراء والخبرات ووجهات النظر بين الطلاب ومعلميهم، وبين الطلاب أنفسهم من خلال وسائل كثيرة مثل البريد الالكتروني وغرف المناقشات والفيديو التفاعلي.

* يتغلب التعليم الالكتروني على مشكلة الأعداد المتزايدة مع ضيق القاعات وقلة الإمكانات المتاحة، خاصة في الكليات والتخصصات النظرية. (**دلال ملحس استيتية، عمر موسى سرحان، 2007، ص 288**)

ب- معيقاته:

يرى (الظفيري، الفريح، 2003) أن التعليم الالكتروني يواجه نوعين من المعيقات، وهي كما يلي: **(هديل شوكت العبيدي، 2007، ص 103):**

*** المعيقات المادية:**

- ✓ عدم انتشار أجهزة الحاسب.
- ✓ تغطية الانترنت وسرعتها.
- ✓ ارتفاع تكلفة الاتصال الالكتروني.

*** المعيقات البشرية:**

- ✓ ندرة عضو هيئة التدريس الذي يجيد "فن العليم الالكتروني".
- ✓ التفكير الخاطئ بأن جميع أضاء هيئة التدريس في الجامعات يستطيعون المساهمة في التعليم الالكتروني.

II-إدارة الوقت:

تم تقديم عدة تعاريف للإدارة الوقت، نعرض منها ما يلي:

عرف اوليفر(Oliver, 1990) إدارة الوقت بأنها: القدرة على تحكم الفرد في حياته، والإحساس المستمر بالانجاز الشخصي،والرضا وقد حدد"اوليفر"مجموعة من استراتيجيات إدارة الوقت. **(عمار عبد الله محمود الفريحات، وآخرون، 2010، ص 451).**

وتعرف إدارة الوقت أنها: العملية التي يستطيع بها التلميذ إنجاز مهامه و أهدافه التي تمكنه ليكون فعالاً في دراسته. **(أحمد علي السيوف، 2014، 964).**

وإدارة الوقت هي بمثابة علم وفن استخدام الوقت بشكل فعال وهي عنصر أساسي من عناصر الإدارة الفعالة.**(ديما احمد أبو خليل، 2016/01/25، ص 9).**

يشير مفهوم إدارة الوقت إلى " قدرة التلميذ على تنظيم وقت دراسته، والتخطيط المسبق لوقته المتاح في يومه المعتاد بما يتناسب مع ظروفه الخاصة، واحترامه لهذا الوقت و استغلاله بأقصى ما يمكن له من جهد، مما يجعله مسيطرًا عليه لتحقيق الأهداف التربوية والحياتية بشكل فعّال".(**زيا د بركات، ص 08).**

2- فوائد إدارة الوقت:

إن إدارة الوقت بشكل جيد تجعلنا نحدد مهام واختصاصات العاملين ونحدد ما هو ضروري ونستطيع أن نوجههم باعتبار التوجيه ملازم للتخطيط وفي عملية اتخاذ القرار.وحتى تشعر بفائدة إدارة الوقت تعرف على مدى استفادتك من وقتك واعرف ماهي العوامل المبددة لوقتك فمثلاً قم بعمل سجل يومي دون فيه

تفاصيل الأعمال التي قضيت معظم وقتك فيها وحدد كم اخذ كل عمل قمت به من وقت. ثم بعد ذلك قم بتحليل الجدول وعندئذ سوف تلاحظ ما هي العوامل التي تضيع وقتك وسوف تلاحظ من خلال حسن إدارتك لوقتك بالطريقة المثلى والصحيحة أنه يوجد أمامك وبين يديك الوقت الكافي للنشاطات التي كنت تعتقد بأنك لا تستطيع ممارستها لعدم إدارتك لوقتك بطريقة فعالة وهي مثل وقت للعائلة والأصدقاء ووقت لنفسك أيضًا فسوف تجد أن لديك وقت للعمل ووقت للتفكير ووقت لتقرأ ووقت لتلعب وتسهر وبالتالي سوف يقل التوتر والضغط وبالتالي فسوف تشعر بالراحة لأنك وجهت وقتك التوجيه الصحيح.**(نفس المرجع السابق، ص 17)**.

3- تقسيم الوقت الدراسي:

هناك رأى يقسم الوقت الدراسي إلى ما يلي:

أ- الوقت المخصص: Allocated Time : وهو الوقت المحدد على مدار السنة من حيث عدد الأيام الدراسية وعدد الساعات الدراسية المطلوبة في العام الدراسي.

ب- الوقت المشغول Engaged Time : هو الوقت الذي يتعامل مع الطلاب سواء أكان من الناحية الأكاديمية أو النواحي التربوية.

ج-الوقت الأكاديميAcademic Time : وهو جزء من الوقت المشغول والذي يكون بصورة تعليمية مباشرة. **(عنتر محمد احمد عبد العال، ص 08)**

4- مبادئ إدارة الوقت:

أ-مبادئ ترتبط بالتخطيط إذا لم تتمكن من استغلال وقتك الاستغلال الأمثل هذا يعني إنك لم تخطط ، فاحرص على عمل جدول يومي لنشاطاتك. ويجب عليك أن تعد خطة ليومك قبل بداية عملك من خلال التخطيط اليومي وحدد أولوياتك ورتب أهدافك.

ب-مبادئ ترتبط بالتنظيم:

- أولاً إبدأ بتنفيذ الأعمال الصعبة ثم البسيطة.

-لا تفرط في الوقت المحدد لكل مهمة.

-حدد الأعمال التي يمكنك تفويضها.

-إذا كانت هناك أنشطة متشابهه يمكنك تقسيمها إلى مجموعات متشابهه.

-رتب النشاطات وحلول القضاء على معوقات الوقت.

- مبادئ ترتبط بالرقابة قيم ما تحقق من خلال تنفيذ الخطة ومتابعتها ومتابعة تنفيذها.

5- المقاربة النظرية لإدارة الوقت في علاقتها بالتحصيل الدراسي:

ومن الجدير بالذكر أن هناك العديد من النظريات التي اهتمت بموضوع الوقت وعلاقتها بالتحصيل وإتقان المادة التعليمية ومن هذه النظريات: النظرية المعرفية حيث يذكر سايمون (simon) بأن العمليات العقلية بالنسبة للأفراد المبتدئين تختلف بالدرجة وليس بالنوعية بالمقارنة مع العمليات العقلية للخبراء أو للعلماء فالفرق ليس فرقا بالمعلومات المتوفرة .أو بالعمليات العقلية للدماغ وإنما هو فرق كمية الوقت المبذول في العملية و بدرجة التركيز على المهمة . وقد أشار أعمال سايمون (simon) انه بعيدا عن الواقعية والفرص المتاحة فإن عملية اكتساب المعلومات تختلف من فرد لأخر في كميه العناصر المعرفية التي يمكن اكتسابها كما تختلف في الوقت اللازم لخزن كل عنصر في الذاكرة طويلة المدى حيث يتراوح مابين5-10ثوانٍ وذلك تبعا للاختلاف بين الأفراد. وهذا ليس هو الفرق الوحيد بين المبتدئين في علم معين وبين الخبراء أو العلماء، وإنما هو فرق آخر وهو استخدام هذه المعلومات المكتسبة بفعالية في العمليات العقلية فعند العلماء يمكن استدعاء هذه العناصر بسرعة أكبر للذاكرة قصيرة المدى حيث ترتبط هذه العناصر بسهولة و بفعالية اكبر مع حلقة أخرى من العناصر في الذاكرة بعيدة المدى مما يسهل استدعاءها ويجعلها أكبر فعالية، ومن هنا تلاحظ الأهمية الكبرى التي أولتها النظرية المعرفية للتركيز على الوقت المقضي من المهمة في عملية التعلم واكتساب المعلومات. **(عمار عبد الله محمود الفريحات، وآخرون، 2010، ص 453).**

6- المبادرة الفردية من الطلاب في إدارتهم للوقت:

لقد ذكر"شاندلر، 1985 Chandler" انه يمكن لأي طالب أن يقوم بعمل متقن ورائع من خلال التنظيم الفعال لوقته، كما أن بإمكانه المشاركة في النشاطات الاجتماعية والترويحية التي هي ضرورية للصحة النفسية، أما"كليفورد، 1965 Clifford" فقد أشارت إلى أن وقت الدراسة يجب أن يكون محددا ولكنه يجب أن لا يكون متواصلا، حيث ذكرت بأن للفرد قدرة معينة على التركيز تبدأ بالتناقص عند زيادة فترة الدراسة عن حد معين، لذلك فقد بينت أهمية تخصيص فترات للراحة تتناسب مع الوقت الذي يقضيه الطالب في الدراسة، وبالتالي فان تنظيم الوقت هو مسؤولية الطالب وبذاته ولا يمكن لأحد أن يقوم بها نيابة عنه. **(عمار عبد الله محمود الفريحات، وآخرون، 2010، ص 454).**

7- المساندة في التكفل بإدارة الوقت لدى الطالب:

يتوجب على الأسرة والمؤسسة التعليمية إتباع الخطوات التالية للمساندة في إدارة الطلاب للوقت:

. استغلال وقت انتظاره لحافلة الجامعة بقراءة كتيب أو قصة قصيرة مختارة.

. طرح موضوعات علمية للمناقشة وتبادل المعلومات حولها.

. تجنب عادة التسويف، التي تعود على الكسل ومن ثم الإخفاق الدراسي.

. الابتعاد عن أحلام اليقظة التي تسرق الأوقات وتؤدي إلى تدني نسبة الفهم والتركيز في الدراسة.

. استغلال فترة الصباح الأولى وفترة المساء للدراسة الفاعلة، ففيها يكون الذهن في أقصى حالات استيعابه للمعلومات.

. الإصرار والجدية في كافة شؤون حياته فالإصرار الذاتي هو الذي يحقق المعجزات الدراسية للطالب.(www.visionectc.com)

8- مساعدة الأسرة على التخلص من عادة التسويف عند الطالب:

- التشجيع على ترديد عبارة 'هذه اللحظة' والتي تعني عدم تأجيل الواجبات المدرسية وانجازها في وقتها لأن ذلك يساعد على التفوق الدراسي وبسهولة.

-تخيل المكافأة التي سيحصل عليها في حال التفوق الدراسي، لأن المكافأة تحفز الطالب على النشاط والعمل.

- الاحتفاظ بدفتر صغير في الحقيبة يكتب فيه الطالب الواجبات المدرسية التي تطلب منه.

- معرفة قانون الأولويات في المذاكرة الناجحة.

- البدء بدراسة المواد الصعبة.

- اكتشاف أفضل وقت للدراسة.

-أن تكون الدراسة في الأوقات التي يكون فيها الطالب نشيط الذهن والجسم.

- تجنب الدراسة بعد الأكل مباشرة.

- أخذ فترة عشر دقائق تقريبًا كل ساعة من الدراسة.

-أخذ فترة راحة لمدة نصف ساعة بعد كل ساعتين أو ثلاث ساعات من الدراسة.

-أن يدرس الطالب يوميًا سواء كانت هناك واجبات مدرسية أو امتحان أو لم يكن.

- أن يدرس في مواعيد يومية ثابتة، لتتكون لدى الطالب عادة الجلوس إلى المكتب في مواعيد معينة كل يوم.

- عدم الدراسة حتى ساعة متأخرة من الليل.

-يجب على الطالب أن يعطي لنفسه سبع ساعات من النوم العميق يوميًا على الأقل.

-التوقف عن الدراسة حين يأتي وقت النوم، لأن الدراسة مع الإرهاق فائدتها محدودة.

-عدم الإفراط في تناول الشاي أو القهوة أو بعض المنبهات كوسيلة للتنبيه ويمكن تناول بعض أنواع العصير أو الفاكهة حتى تزود الجسم بالنشاط.

-وفي النهاية لابد من أن يكون لدى الطالب قدوة حسنة حتى يلتزم بسلوك معين، فإذا أراد الأهل أن يكون الطالب منظماً لابد وأن يبدأوا كذلك في تنظيم وقتهم، مع التأكيد على أهمية أن يكونوا صابرين في التعامل مع الطالب وعلى ضرورة قيامهم بتشجيعه دائماً على فعل السلوكيات الإيجابية. (www.visionectc.com)

III-إسهامات التعليم الإلكتروني في التعليم العالي وحالات التنمية الإجتماعية:

يأتي التعليم العالي ليجسد نقلة نوعية في معرفة الطالب في جوانبه الشخصية وتلبية حاجاته العصرية، ولأن التعليم العالي يجسد قمة الهرم التعليمي لكل المجتمعات، فهو يسعى لتزويده بكافة الخبرات والمكتسبات الضرورية لحياة أفضل حاضرا وتكوين مهني مستقبلا، ومن أجل الوصول لهذه الرسالة لا يتأتى ذلك بالإلقاء والتلقين وتقديم بعض الخبرات للطلاب فقط، باب استدخال التكنولوجيا كتقنية والعمل على توظيفها لتطوير العملية التعلمية وتقديم التعليم الأنسب لكل طالب خصوصا وأن معيار التقدم للأمم يقاس بمستوى مواردها البشرية.(**توفيق برغوتي، لويزة مسعودي، 2016، ص 6**).

ولعل أساليب التعليم الإلكتروني ومالها من دور في عملية التعلم تعمل على تغيير التعليم وخاصة ضمن مجالات التعليم العالي.

فالتعليم الإلكتروني يبَنى على مشاركة الفرد في نشاطات التعليم، مما يخلق جوا من الإقبال على التعلم، والرغبة في متابعته، بخلاف الطرق التسلطية في التعليم والتي تخلق جوا من النفور والابتعاد عنه. ويكتسب المتعلم مهارة كيفية التعلم من جهة وهذا يعني تعلمه مدى الحياة، مما يخلق الدافعية والاتجاهات المناسبة لعملية التعلم من جهة ثانية، وعلى مساعدة الفرد على تطوير ذاته كذا تعلمه من جهة ثالثة.

(طارق صالحي، ص 293)

وعلى الرغم من مرور عقدين من الزمن على انتشار مفاهيم التعليم الإلكتروني في العالم نقول على لسان "**كرستنسين،1979**" سواء أحببنا الاعتراف أم لا، فالتعليم الإلكتروني هو عبارة عن تقنية معطلة في مؤسسات التعليم العالي لأنها تهدد التقنيات السائدة – أي أسلوب المحاضرة – إذ تشكل التقنية المعطلة تهديدا للمؤسسات القائمة، وقد تكون مصدرا لزوالها على المدى البعيد.ويضيف معلقا على ذلك نحن لا نغالي في تصوير المزايا العديدة للتعليم الإلكتروني وقدرته على تسهيل مفهوم تعليمي أكثر تطورا وملائمة وفي حالات عديدة أقل تكلفة. (**د.ر.غاريسون، وتيري أندرسون، 2006، ص 185**)

وفي نفس السياق فالتعليم الإلكتروني يقدم نجاحات باهرة تخدم التعليم العالي في شتى مجالات الحياة

المتعددة من خلال مايلي:

- ربط مخرجات التعليم العالي مع سوق العمل من خلال إعادة هيكلة الأقسام والتخصصات القائمة.
- يسهم التعليم الالكتروني في دعم مشروعات وبرامج الجامعات والكليات الجامعية في استخدام تقنيات التعليم وفي تقديم درجات جامعية مستقبلا.
- يعمل التعليم الالكتروني من خلال إدخال عنصر الجودة التقنية، والذي يتطلب فيه امتلاك أحدث وأقوى التقنيات العالمية في المجال التقني والفني.
- إن هذا الأسلوب الحديث يتفادى بعض العقبات التي كانت تواجه الطريقة التقليدية في التعليم الجامعي.
- إن تجربة التعليم الالكتروني وفرت لطلاب الجامعة طريقة مرنة للتعامل مع المناهج والمقررات الدراسية، وسهلت عملية الاتصال مع مدرس المادة ومناقشته في عدد من النقاط التي صعب فهمها.
- إن التعليم الالكتروني يساعد على تنمية قدرة الطالب على التعبير عن الذات بوسائل مختلفة حيث لم يعد الأمر يقتصر على التعبير الشفوي داخل الفصل، والذي لا يتوافر سوى في قاعات الدرس التقليدية.
- إن هذه الميزة تكون أكثر فائدة لدى الطلاب الذين يشعرون بالخوف أو القلق فيعطيهم جرأة أكبر، في التعبير عن أفكارهم والبحث عن الحقائق.
- يعمل التعليم الإلكتروني على التواصل مع الطلبة والأساتذة في الجامعات الأخرى لتبادل الخبرات والمعلومات وتوطيد العلاقة فيما بيننا.
- التعليم الإلكتروني يتيح للطلاب التركيز على الأفكار المهمة أثناء كتابته وتجميعه للدرس، وكذلك يتيح للطلبة الذين يعانون صعوبة التركيز وتنظيم المهمات الاستفادة من المادة، مضيفا أنها تكون مرتبة.

(خليل حسن الزركاني، 2007، ص ص181-183).

وعليه يجدر الإشارة إلى أننا "اليوم في عصر التعاون، أين يمكننا القول دون الرغبة في النظر حول موضوع التعليم الإلكتروني، أنه يجب تقاسم الخدمات والتطبيقات من طرف الطالب والأستاذ. فكل عضو من مجتمع الطلبة يثري المحتوى التعليمي، بتقاسم هذه التطبيقات والصعوبات. وكذلك الطالب من الممكن أن يبحث ويستعمل ويتقاسم المعلومة، وسيجني ربحا بيداغوجيا كبيرا". **(Marie prat, 2011, p. 22).**

خاتمة:

ومما سبق نقول أن طموح أي جامعة جزائرية هو تحقيق التوازن لطلابها في الحياة عامة والوسط الجامعي خاصة، وهذا يتحقق من خلال استخدام التعليم الإلكتروني وما له من ايجابيات في مساعدة الطلاب عل إدارة وقتهم والمساهمة في تنمية المجتمع الجزائري.

- الاقتراحات:

- عقد ندوات وملتقيات عمل حول أهمية الوقت في حياة الطالب في الوسط الجامعي.

-تحفيز الطلاب علىاعتماد التعليم الإلكتروني.

- نشر ثقافة الوعي بمدى ضرورة المساندة الجامعية للتكفل بمشكلات إدارة الوقت لدى طلاب الجامعة الجزائرية.

قائمة المراجع:

1- أحمد علي السيوف، 2014: استراتيجيات إدارة الوقت لدى طلبة كلية العلوم التربوية في الجامعة الأردنية، دراسات العلوم التربوية، المجلد 41، العدد 02، 2014.

2- زياد بركات، اتجاهات الطلاب الجامعيين الذين يدرسون عن بعد نحو إدارة الوقت وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات، العنوان البريدي : فلسطين - طولكرم – جامعة القدس المفتوحة - ص . ب65 ، البريدالالكتروني : E – mail zeiadb@yahoo.com:

3- ديما احمد أبو خليل، 2016/01/25،

[hide]http://www.4shared.com/******/LTKm94if/_2_online.html[/hide]**

4- عمار عبدالله محمود الفريحات، وعمر عبد الرحيم الربابعة، وحامد محمد دعوم، 2010: درجه فاعليه إدارة الوقت لدى طالبات كليه عجلون الجامعية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي، كلية عجلون الجامعية – قسم العلوم التربوية والاجتماعية، مجلة الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الإنسانية)المجلد الثامن عشر،العدد الثاني.

5- عنتر محمد احمد عبد العال: فعالية إدارة الوقت لدي طلاب كلية المعلمين بحائل بالمملكة العربية السعودية وعلاقته بالتحصيل الدراسي، مجلة العلوم الانسانية، السنة السادسة، العدد 40.

6- نجاح رمضان المحرز، 2005: أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بتوافق الطفل الاجتماعي والشخصي في رياض الأطفال، مجلة جامعة دمشق، المجلد 12- العدد الأول.

7-(www.visionectc.com)

8- أحمد محمود عبد اللطيف، 2011: التعليم الالكتروني وسيلة فاعلة لتجويد التعليم العالي، متوفر على موقع: http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/fileshare/articles تاريخ الدخول إلى الموقع: 2018/01/02 على الساعة 20:00.

9- أسامة عبد الرحمان عبد المولا، 2014: الدراسات الاجتماعية والتعلم الالكتروني، الأردن عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.

10- دلال ملحسن استيتية، عمر موسى سرحان، 2007: تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني، ط 1، عمان، دار وائل للنشر.

11-رجاء زهير العسيلي، 2012: واقع التعليم الالكتروني وتحدياته في تجربة القدس المفتوحة في منطقة الخليل التعليمية، مجلة العلوم التربوية و النفسية، المجلد 13 العدد 1 مارس 2012،البحرين.

12- الحربي محمد، 2006: مطالب استخدام التعليم الإلكتروني لتدريس الرياضيات بالمرحلة الثانوية من وجهة نظر الممارسين والمختصين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى.

13- سارة تيتيلة، شهرة زادب وعالية،لمياء تيتيلة، 2018: تصميم أساليب تقويم التعليم الإلكتروني بالجامعة الجزائرية: واقع التطبيق ومميزات الاستخدام- منصة التعليم الالكتروني موودل بجامعة سطيف 7 نموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية – جامعة الأغواط، المجلد 7،عدد 28جانفي2018.

14- الغراب إيمان محمد، 2003: التعليم الالكتروني مدخل إلى التدريس غير التقليدي، القاهرة، المنطقة العربية للتنمية الإدارية.

15- قسطندي، شوملي، 2007:الأنماط الحديثة في التعليم العالي التعليم الالكتروني المتعدد الوسائط أو التعليم المتمازج،المؤتمر السادس لعمداء كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية، ندوة ضمان جودة التعليم والاعتماد الأكاديمي، جامعة الجنان.

16- قسيم محمد الشناق، حسن علي بني دومي، 2009: أساسيات التعلم الإلكتروني في العلوم، ط 1، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.

17- محمد عبد الكريم الملاح، 2010: المدرسة الإلكترونية ودور الإنترنت في التعليم رؤية تربوية، ط 1، عمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

18- هديل شوكت العبيدي، 2007: دور الوعي المعلوماتي في تحسين جودة التعليم الجامعي الالكتروني، ورقة عمل مقدمة في ندوة "استراتيجية التعليم الجامعي العربي وتحديات القرن الـ 21" والمنعقدة في المنامة- مملكة البحرين، خلال الفترة 21-25 أكتوبر 2007.

19- Marie prat, 2011 : e-Learning utiliser les outils wed 2.0 pour développer un projet, Editions ENI, France

التنمر و أثره على التفاعل الإجتماعي

"دراسة ميدانية بمتوسطة الخنساء " ببلدية الجلفة"

أ / أحمد لبقع
جامعة البليدة 2 ـ الجزائر.

د / سحوان عطاءالله
جامعة زيان عاشور ـ الجلفة ـ الجزائر.

الملخص:

نتناول من خلال هذه الدراسة ظاهرة التنمر، والتأثير الذي تحدثه على عملية التفاعل الاجتماعي دخل الوسط المدرسي، من اجل الكشف عما يحدث داخل المتوسطات، حيث تطرقنا إلى التنمر من خلال تعريفه، و طرح أشكاله؛ أما التفاعل الاجتماعي فتناولنا فيه تعريفه و شروطه والعمليات الاجتماعية؛ أما بالنسبة للجانب الميداني فقد تمت الدراسة في إحدى متوسطات الجلفة، وقدرت العينة بثلاثين تلميذ، وقد تم الاعتماد على أداة الاستبيان في جمع البيانات و توصلنا من خلال الدراسة إلى مجموعة من النتائج من بينها أن أكثر أنواع التنمر انتشارا هو التنمر اللفظي وغير اللفظي، وبنسب ضئيلة جدا نجد التنمر الجسدي، وان أغلبية المتنمرين من فئة التلاميذ ، بالنسبة للفرضيات الفرضية الأولى لم تتحقق حيث توجد علاقة طردية ضعيفة بين التنمر والتعاون، بالنسبة للفرضية الثانية لم تتحقق حيث وجد أنها توجد علاقة طردية ضعيفة بين التنمر والتكيف أما بالنسبة للفرضية الثالثة فتحققت بحيث توجد علاقة طردية متوسطة القوة بين التنمر والصراع.

الكلمات المفتاحية: التفاعل الاجتماعي ، التنمر.

Résumé:

Dans cette étude, nous examinons le phénomène de l'intimidation et son impact sur le processus d'interaction sociale entré dans l'environnement scolaire afin de découvrir ce qui se passe dans les moyennes, où nous avons abordé l'intimidation à travers la définition et l'introduction de formes, l'interaction sociale prise en compte par la définition, les conditions et les processus sociaux; En ce qui concerne le terrain, l'étude a été menée sur l'une des Collèges de Djelfa, l'échantillon a été estimé à 30. Le questionnaire a été utilisé pour recueillir les données. L'étude a révélé que les types d'intimidation les plus courants sont l'intimidation verbale et non verbale, Nous trouvons l'intimidation physique, et la majorité des élèves, pour les hypothèses, la première hypothèse ne s'est pas matérialisée lorsqu'il existe une faible corrélation entre l'intimidation et la coopération; Force modérée modérée entre l'intimidation et le conflit.

Mots-clés: interaction sociale, intimidation.

مقدمة:

تعتبر المدرسة إحدى المؤسسات الاجتماعية، التي أوجدت من اجل القيام بمهمة التنشئة الاجتماعية، حيث تتكون من مجموعة متكامل من التلاميذ والتلميذات، لأجل التعلم على أتم وجه، وأثناء التعلم هذا فان الاحتكاك الحاصل بين الأطراف المكونة لهذه المؤسسة الاجتماعية، يحدث تفاعلا اجتماعيا، وبما أن المدرسة هي جزء من المحيط الخارجي، فإنها ليست بمعزل عن الظواهر المنتشرة به، ومن بين هذه الظواهر نجد ظاهرة التنمر، التي تظهر في الأوساط ، وتعتبر المدرسة المتوسطة فضاء خصب لظهور هذه الظاهرة، وعليه فإن **الإشكال المطروح** كالتالي:

هل يؤثر التنمر سلبا على التفاعل الاجتماعي داخل الوسط المدرسي؟

ويندرج تحت التساؤل الرئيسي مجموعة أسئلة وهي:

1- هل يؤدي التنمر إلى ضعف التعاون داخل الوسط المدرسي؟

2- هل يؤدي التنمر إلى صعوبة تكيف المتنمر عليهم من التلاميذ داخل الوسط المدرسي؟

3- هل يودي التنمر إلى الصراع داخل الوسط المدرسي؟

1- الفرضيات:

1-1- الفرضية العامة:

يؤثر التنمر سلبا على التفاعل الاجتماعي داخل الوسط المدرسي.

1-2- الفرضيات الجزئية:

1- يؤدي التنمر إلى ضعف التعاون داخل الوسط المدرسي.

2- يؤدي التنمر إلى صعوبة تكيف المتنمر عليهم داخل الوسط المدرسي.

3- يؤدي التنمر إلى ظهور الصراع داخل الوسط المدرسي.

2- أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة إلى طبيعة الموضوع الذي يتمثل في التفاعل الاجتماعي التنمر حيث من خلال هذه الدراسة يتم الكشف عن الواقع الذي تعيشه مؤسساتنا التربوية، بالإضافة إلى المكانة الهامة التي تشغلها المؤسسات التربوية عامة و المتوسطات خاصة لاحتوائها تلاميذ في طور الدخول سن المراهقة في طور التعلم بالإضافة إلى سهولة التأثر بالمحيط.

3- أهداف الدراسة:

1- الوقوف على واقع التنمر داخل الوسط المدرسي.

2- الوقوف على تأثير التنمر على التفاعل الاجتماعي في الوسط المدرسي.

3- الوقوف على تأثير التنمر على التعاون داخل الوسط المدرسي.

4- الوقوف على تأثير التنمر على تكيف البنات مع جو الوسط المدرسي.

5- الوقوف على تأثير التنمر على ظهور الصراع داخل الوسط المدرسي.

4- الدراسات السابقة:

بالرجوع إلى الأدبيات التي تناولت موضوع التنمر، والتفاعل الاجتماعي، تم حصر مجموعة من الدراسات، التي استفدنا منها في دراستنا هذه من خلال اختيار وبناء الاستمارة، واختيار المنهج المناسب، والاطلاع على ادبيات الدراسة.

5- الإطار النظري للدراسة:

5-1- التنمر:

5-1-1- تعريفه:

أ- تعريف ويكيبيديا

يعرف موقع ويكيبيديا التنمر على أنه سلوك عدواني متكرر يهدف للإضرار بشخص آخر عمداً ، جسديا أو نفسيا ، و يهدف إلى اكتساب السلطة على حساب شخص آخر . يمكن أن تتضمن التصرفات التي تعد تنمرا التنابز بالألقاب ، أو الإساءات اللفظية أو المكتوبة ، أو الإقصاء المتعمد من الأنشطة ، أو من المناسبات الاجتماعية ، أو الإساءة الجسدية ، أو الإكراه . و يمكن أن يتصرف المتنمرون بهذه الطريقة كي يُنظر إليهم على أنهم محبوبون أو أقوياء أو قد يتم هذا من أجل لفت الانتباه . و يمكن أن يقوموا بالتنمر بدافع الغيرة أو لأنهم تعرضوا لمثل هذه الأفعال من قبل. يقترح مركز الولايات المتحدة الوطني لإحصاءات التعليم تقسيما ثنائيا للتنمر: تنمر مباشر، وتنمر غير مباشر والذي يُعرف أيضاً باسم العدوان الاجتماعي ، ويتميز هذا الأخير بتهديد الضحية بالعزل الاجتماعي ، وتتحقق هذه العزلة من خلال مجموعة واسعة من الأساليب ، بما في ذلك نشر الشائعات ، ورفض الاختلاط مع الضحية ، والتنمر على الأشخاص الآخرين الذين يختلطون مع الضحية ، ونقد أسلوب الضحية في الملبس وغيرها من العلامات الاجتماعية الملحوظة (مثل التمييز على أساس عرق الضحية ، أو دينه ، أو الإعاقة...

ب- تعريف دان ألويس

يعتبر دان ألويس النرويجي – (Dan Olweus) الأب المؤسس للأبحاث حول التنمر في المدارس . و يعرف ألويس التنمر المدرسي بأنه أفعال سلبية متعمدة من جانب تلميذ أو أكثر لإلحاق الأذى بتلميذ آخر، تتم بصورة متكررة وطوال الوقت، ويمكن أن تكون هذه الأفعال السلبية بالكلمات مثل: التهديد، التوبيخ، الإغاظة والشتائم، كما يمكن أن تكون بالاحتكاك الجسدي كالضرب والدفع والركل ، أو حتى بدون استخدام الكلمات أو التعرض الجسدي مثل التكشير بالوجه أو الإشارات غير اللائقة، بقصد وتعمد عزله من المجموعة أو رفض الاستجابة لرغبته. وحسب ألويس فلا يمكن الحديث عن التنمر إلا في حالة عدم التوازن في الطاقة أو القوة (علاقة قوة غير متماثلة)؛ أي في حالة وجود صعوبة الدفاع عن النفس ، أما حينما ينشأ خلاف بين طالبين متساويين تقريبا من ناحية القوة الجسدية والطاقة النفسية ، فإن ذلك لا يسمى تنمرًا ، وكذلك الحال بالنسبة لحالات الإثارة والمزاح بين الأصدقاء ، غير أن المزاح الثقيل المتكرر، مع سوء النية واستمراره بالرغم من ظهور علامات الضيق والاعتراض لدى الطالب الذي يتعرض له، يدخل ضمن دائرة التنمر.

5-1-2- الأسباب السيكوسوسيولوجية

في كثير من الأحيان ، ينحدر المتنمرون من الأوساط الفقيرة و من العائلات التي تعيش في المناطق المحرومة ، أو ما يسمى أحزمة الفقر ، و تعاني من مشاكل اقتصادية ، في ظل وضع سوسيولوجي يتسم باتساع الهوة و الفوارق بين الطبقات الاجتماعية . و من الناحية السيكولوجية عادةً ما يكون المتنمرون ، و خصوصا القادة منهم ، ذوي شخصيات قوية و من الشخصيات السيكوباثية psychopath المضادة للمجتمع ، و تكمن خطورة هذا النوع في إمكانية تحوله خارج المدرسة إلى مشروع مجرم يهدد استقرار المجتمع ، حيث غالبا ما يؤسس المتنمرون عصابات إجرامية أو ينضمون إلى عصابات إجرامية قائمة . إلى جانب ما ذكر ، يمكن أن يلجأ الطفل إلى العنف نتيجة مرضه واضطراباته السلوكية التي تحتاج إلى علاج وتدخّل من أشخاص مهنيين، مثل الأطباء النفسيين المختصين في الطب النفسي للأطفال أو الاختصاصيين النفسيين أو المرشدين في المدارس . فأحياناً تعود أسباب التنمر إلى اضطرابات نفسية قد تحتاج إلى علاج دوائي وهذا بالطبع يكون بعد أن يتم الكشف من قِبل طبيب نفسي ومن الأهمية أن يكون هذا الطبيب مختصاً في الطب النفسي للأطفال.

5-2- التفاعل الاجتماعي:

5-2-1- تعريف التفاعل الاجتماعي :

يعرفه **محمد النوبي محمد علي:** "ما يحدث عندما يتصل فرد أو أكثر – وليس بالضرورة اتصالا ماديا– ويحدث نتيجة لذلك تعديل السلوك" **(محمد النوبي محمد علي ،2010، ص.19)** .

"التفاعل الاجتماعي عملية اجتماعية مستمرة أقطابها الأفراد وأدواتها الرئيسية هي المعاني والمفاهيم، وهي باختصار كل ما يحدث عندما يتصل فردان أو أكثر ويحدث نتيجة لذلك تعديل أو تغيير في السلوك" **(نبيل عبد الهادي ، 2009، ص. 196.)** .

تعريف **سوانسون:** "التفاعل الاجتماعي هو العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم مع بعض عقليا ودافعيا وفي الحاجات والرغبات والوسائل والغايات والمعارف ومشابه ذلك

تعريف **ميريل:** سلسلة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين كائنين إنسانيين أو أكثر منشئين تنشئة اجتماعية" **(عبد الله الرشدان2008، ص. 169.)**.

"كما عرف بأنه عبارة عن العلاقات الاجتماعية بجميع أنواعها التي تكون قائمة بوظيفتها سواء أكانت هذه العلاقات بين شخص وشخص آخر، أو جماعة وأخرى، أو بين جماعة وشخص.

كما عرف بأنه التقاء شخص مع شخص آخر أو مجموعة أشخاص في عملية متبادلة تجعل كلاً منهما معتمداً على سلوك الأخر، أي يكون سلوك كل منهما استجابة لسلوك الأخر، ومنبها لهذا السلوك، في الوقت نفسه" **(احمد علي الحاج محمد، 2012، ص.173.)** .

من خلال التعاريف السابقة الذكر نورد بعض النقاط التي تشترك بها:

- لا يحدث التفاعل إلا إذا وجد أطراف التفاعل التي تتمثل في الأفراد أو الجماعات.
- التفاعل عملية تبادلية بين أطراف التفاعل.
- التفاعل عملية مستمرة.
- يؤثر التفاعل على السلوك الأفراد من خلال تعديله.

6-2-2- شروط التفاعل:

وحسب عبد الله **الرشدان** أورد شروط التفاعل الاجتماعي كما يلي:

أولا: الاتصال الاجتماعي: ويقصد به اقتراب فرد أو جماعة من فرد أو جماعة أخرى، من خلال تقليص المسافات بواسطة مجموعة من الوسائل التي تنقل مختلف الانطباعات والمشاعر.

ثانيا: التواصل: ويعني الاستمرارية في الاتصال لفترة زمنية طويلة. **(عبد الله الرشدان، عمان ، الأردن ، ص. 170)**.

6-2-3- العمليات الاجتماعية:

حسب (**الرشدان ، 2004**): يعتبر التفاعل الاجتماعي بين الأفراد سبيل لظهور الحياة الاجتماعية، ومن خلال هذا التفاعل تظهر لنا العمليات الاجتماعية، وقد حاول العديد من العلماء تصنيف العمليات الاجتماعية، ومن بين هذه التصنيفات نجد:

تصنيف **روس ROSS** الذي يتضمن العديد من العمليات الاجتماعية: التعاون، الصراع، التنشئة الاجتماعية، التدرج الاجتماعي، الاندماج، التباعد والتفرد ثم تجمد أو توقف الحراك الاجتماعي.

تصنيف **بارك PARK** و **بيرجس BURGESS**: ويحوي أربعة عمليات: التكيف، التمثل، المنافسة، والصراع.

تصنيف **كامبل يونج Kimball young** : صنف العمليات الاجتماعية الى فئتين رئيسيتين تندرج تحت كل منهما مجموعة من العمليات الجزئية وهما التعارض، والتعاون. (**عبد الله الرشدان، 2008 ، ص. 170**).

7- الدراسة الميدانية وإجراءاتها:

7-1- إجراءات الدراسة الميدانية:

7-1-1- المنهج المستخدم:

تم استخدام المنهج الوصفي في الدراسة نظرا لطبيعتها التي تستوجب وصف ظاهرة التحرش الجنسي و التأثير الذي يحدثه التحرش الجنسي على التفاعل الاجتماعي داخل الوسط المدرسي.

بالإضافة إلى المنهج الوصفي تم استخدام المنهج الكمي الذي نهدف من خلاله إلى قياس الظاهرة المدروسة من خلال استخدام الإحصاء بعد جمعنا للبيانات.

7-1-2- الأدوات:

تم استخدام أداة الاستمارة من اجل الحصول على البيانات، وتم تقسيمها إلى ثلاث محاور الأول يتعلق بالبيانات الشخصية، والثاني يتعلق بالتنمر والمحور الثالث يتعلق بالتفاعل الاجتماعي، وتم الاستعانة ببرنامج SPSS من اجل استخراج الجداول و وحساب التكرارات والنسب بالإضافة إلى معاملات الارتباط.

7-1-3- مجالات الدراسة:

- المجال الزماني: 07 فيفري 23 مارس 2019.
- المجال المكاني: متوسطة الخنساء بلدية الجلفة- ولاية الجلفة-
- المجال البشري: تلاميذ متوسطة الخنساء بلدية الجلفة.

7-1-4- العينة ومجتمع الدراسة:

تمثل مجتمع الدراسة في متوسطة الخنساء بلدية الجلفة – ولاية الجلفة–

المجتمع الأصلي للدراسة تلاميذ المدارسة المتوسطات لتزامن الدراسة مع فترة الامتحانات، فإننا اعتمدنا استخدم عينة كرة الثلج من اجل الحصول على مفردات الدراسة وفي الأخير تحصلنا على 30 استمارة، والجدول التالي يصف عينة الدراسة.

الجدول1: وصف العينة من خلال الأعمار عدد سنوات الدراسة التوزع على التخصصات وطبيعة اللباس.

أعمار التلاميذ	التكرار	النسبة المئوية
من 10 سنة فاقل	01	3.3
من 11 إلى 14 سنة	20	66.7
من 15 سنة فأكثر	09	30
عدد سنوات الدراسة		
من 4 سنوات فاقل	21	70
من خمسة سنوات فأكثر	09	30
توزع التلاميذ على التخصصات		
أدبي	10	33.3
علمي	18	60
تقني	02	6.7

11الى 14 سنة 66.7 بالمائة، نظرا لأنها الفئة المعنية بالدراسة المتوسط أما أكثر من 15 سنة هم من سبق لهم إعادة السنة وهم بنسبة اقل30 بالمائة، أما اقل من 10 سنة فهم من كان دخولهم للمدرسة الابتدائية في سن 5 سنوات وهم الأقل جدا 3.3بالمئة.

أما في ما يخص عدد سنوات الدراسة فنجد أن الأغلبية بنسبة 70 بالمائة هم من فئة من 4 سنوات فاقل لأنها مدة الدراسة الفعلية لمتوسطة أما فئة من 5 سنوات فأكثر فتحوي المعيدين ولذا فنجدها بنسبة اقل ما يعادل 30 بالمائة.

7-2- عرض وتحليل نتائج الدراسة:

بعد عملية تفريغ البيانات وعرضها جدولياً خرجنا بمجموعة من النتائج يمكن عرضها على النحو التالي :

الجدول 2: عرض التنمر و المتنمرين في الوسط المدرسي

الرقم	نوع التنمر		نوع النتمرين	النسبة الجزئية	النسبة الكلية
1	البلطجة	نعم	زميل	43.33	53.3
			زميل+ من قسم اعلى	6.66	
			زميل+قسم اعلى +اكبر سنا	3.33	
		لا			46.7
2	التسلط	نعم	زميل	36.66	53.3
			قسم أعلى	6.66	
			اكبر سنا	3.33	
			زميل+قسم أعلى +اكبر سنا	6.66	
		لا			46.7
3	الترهيب	نعم	زميل	40	50
			قسم أعلى	3.33	
			زميل قسم أعلى	3.33	
			قسم أعلى +اكبر سنا	3.33	

		لا			50
4	الاستئساد	نعم	زميل	40	43.3
			قسم أعلى	3.33	
		لا			56.7
5	الاستقواء	نعم	زميل	20	23.3
			اكبر سنا	3.33	
		لا			76.7

من خلال النسب السابقة الذكر فان المتنمرين في الوسط المدرسي يعتمدون على التنمر اللفظي وغير اللفظي (الإيحاءات الجسدية) بشكل كبير لسهولة عملية التنمر بهذه الطريقة أما التنمر الجسدي فانه قليل جدا نظرا لتواجد الحزم من طرف الإدارة داخل الوسط المدرسي.

أما بالنسبة للأكثر الفئات التي تقوم بعملية التنمر فنجد أن الزملاء هم الأكثر تنمر بأقرانهم، ويرجع ذلك إلى طبيعة العلاقة التي تجمعهم وهي الزمالة، والوقت الطويل الذي يقضيه التلاميذ مع بعضهم البعض، تليها فئة أعلى قسم ولكن بنسبة ضئيلة جدا وأخيراً فئة اكبر سنا.

أما بالنسبة للتفاعل الاجتماعي داخل المتوسطة فيمكن التعبير عنه من خلال تلخيصنا الإجابات في الجدول التالي:

الجدول3: التفاعل الاجتماعي في الوسط المدرسي

التعاون	الإجابة	النسبة
مساعدة المدير والعمال في حل المشكلات المتعلقة بالتلاميذ.	نعم	20
	لا	80
مساعدة الأساتذة في التحصيل الدراسي.	نعم	30
	لا	70
مساعدة الزملاء في حل التمارين	نعم	83.3
	لا	16.7
مناقشة الزملاء في ما يخص الدرس	نعم	93.3
	لا	6.7
المراجعة مع الزملاء	نعم	73.3

	لا	26.7
المساعدة في أداء الواجبات من طرف الزملاء	نعم	70
	لا	30
إعارة واستعارة المراجع من الزملاء	نعم	66.6
	لا	33.3
التواصل مع الأساتذة عند الحاجة إليهم	نعم	56.7
	لا	43.3
انجاز الواجبات المدرسية بشكل فردي	نعم	73.3
	لا	26.7
تقديم النصح من طرف الأساتذة عند الحاجة	نعم	83.3
	لا	16.7
مساعدة الزملاء في حل المشكلات غير الدراسية.	نعم	53.3
	لا	46.7
التكيف	الإجابات	النسبة
الرغبة في الانتقال إلى مدرسة أخرى	نعم	16.7
	لا	83.3
الالتزام بالحضور في الوقت المحدد للدراسة	نعم	76.7
	لا	23.3
التغيب عن الدراسة	نعم	33.3
	لا	66.7
حب التواجد مع الزملاء	نعم	90
	لا	10
الالتقاء مع الزملاء خارج أوقات الدراسة	نعم	43.3
	لا	56.7
وجود أصدقاء من داخل المدرسة	نعم	83.3
	لا	16.7

حب المشاركة في النشاطات الدراسية	نعم	63.3
	لا	36.7
حب التواجد داخل القسم	نعم	80
	لا	20
الصراع	الإجابات	النسبة
الشجار مع الزملاء	نعم	43.3
	لا	56.7
التعرض للشتم من طرف الزملاء	نعم	26.7
	لا	73.3
التعرض للتهديد داخل المدرسة	نعم	6.7
	لا	93.3
التعرض للاستهزاء	نعم	26.7
	لا	73.3
سيادة روح المنافسة داخل القسم	نعم	70
	لا	30
الشجار مع عمال المدرسة	نعم	26.7
	لا	73.3
استدعاء ولي الأمر	نعم	10
	لا	90

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن أعلى النسب تميز التعاون بين الزملاء حيث نجد أن أعلى النسب كانت تتعلق بالمناقشة مع الزملاء بنسبة 93.3 بالمائة تليها مساعدة الزملاء على حل التمارين و تقديم النصح من طرف الأساتذة بنسبة 83.3 بالمائة تليها المراجعة مع الزملاء بنسبة 73.3 بالمائة، تليها إعارة واستعارة الكتب من الزملاء بنسبة 66.6 بالمائة، تليها التواصل مع الأساتذة بنسبة 56.7 بالمائة، تليها نسبة 53.3 بالمائة المتعلقة بمساعدة الزملاء لبعض في حل المشكلات خارج الدراسة، تليها نسبة 30 بالمائة والتي تتعلق بمساعدة الأساتذة التلاميذ في التحصيل الدراسي، وأخيرا نجد نسبة 20 بالمائة

تتعلق بمساعدة المدير والعمال للتلاميذ في حل المشكلات، من خلال القراءة الإحصائية فان التعاون يطبع العلاقة بين الزملاء نظرا لان لطبيعة العلاقة بين الزملاء التي تتمثل في التواصل المستمر بينهم و المصالح المشتركة المتمثلة في محاولة التحصيل الدراسي أما بالنسبة للأساتذة فإنهم يركزون على النصح فقط من دون المساعدة على التحصيل الدراسي لارتباطهم بتوقيت محدد للتدريس، أما بالنسبة لمساعدة المدير والعمال للتلميذ فهي بنسبة قليلة جد ترجع لعدم وجود علاقة مباشرة بين التلميذ والإدارة.

أما فيما يخص تكيف التلميذات في الوسط المدرسي فان ما نسبته 90 بالمائة من المبحوثات يؤكد حبهن للتواجد مع الزملاء داخل المدرسة، كما نجد أن ما نسبته 83.3 بالمائة يرفضن الانتقال إلى مدرسة أخرى، ويوجد لديهن أصدقاء من داخل المدرسة، وان 76.7 بالمائة يلتزمن بالحضور في الوقت المحدد، كما نجد ما نسبته 66.7 بالمائة من المبحوثات يلتزمن بعدم التغيب عن الدراسة، و 63.3 يحببن المشاركة في النشاطات المدرسية 63.3، في المقابل نجد أن ما نسبته 56.7 بالمائة من المبحوثات لا يلتقين زملائهم خارج أوقات الدراسة، ويرجع هذا لارتباط التلميذات بالجو المدرسي لمؤسساتهم.

أما في ما يخص الصراع داخل الثانوية فنجد أن روح المنافسة تسود بنسبة 70 بالمائة بحسب إجابات المبحوثات، في حين نجد أن ما نسبته 43.3 بالمائة من المبحوثات دخلنا في شجار مع الزملاء، و أن ما نسبته 26.7 بالمائة من المبحوثات دخلنا في شجار مع عمال المدرسة و تعرضن للاستهزاء و تعرض ن للشتم في حين نجد أن 10 بالمائة تم استدعاء أولياء أمورهن ، وان 6.7 بالمائة تعرضن للتهديد.

7-2-1- نتائج الفرضية الأولى القائلة: يؤدي التنمر إلى ضعف التعاون داخل الوسط المدرسي.

من اجل التأكد من صحة الفرضية تم حساب معامل الارتباط بيرسون بين التنمر و التعاون في المتوسطة حيث بلغ معامل الارتباط 0.129، من خلال قيمة معامل الارتباط نلاحظ أن العلاقة طردية ضعيفة حيث انه كلما زاد التنمر يزداد في المقابل التعاون داخل الثانوية ولكن بشكل ضعيف جدا، ومنه لم تتحقق فرضيتنا القائلة يؤدي التنمر إلى ضعف التعاون داخل الوسط المدرسي.

7-2-2- نتائج الفرضية الثانية القائلة: يؤدي التنمر إلى صعوبة تكيف المتنمر عليهم داخل الوسط المدرسي.

ومن اجل التأكد من صحة الفرضية قمنا بحساب معامل الارتباط بيرسون بين التنمر و التكيف في المتوسطة، حيث بلغ معامل الارتباط بين هذين المتغيرين 0.054 ويستدل من هذه القيمة وجود علاقة طردية ضعيفة جدا بين التنمر والتكيف، حيث كلما زاد التنمر زاد التكيف لدى المتنمر عليهم بشكل

ضعيف جدا، ومنه لم تتحقق الفرضية الثانية القائلة يؤدي التنمر إلى صعوبة تكيف المتنمر عليهم داخل الوسط المدرسي.

7-2-3- نتائج الفرضية الثالثة القائلة: يؤدي التنمر إلى ظهور الصراع داخل الوسط المدرسي.

ولأجل التأكد من صحة الفرضية قمنا أيضا بحساب معامل الارتباط بيرسون بين التنمر والصراع في المتوسطة، وبلغ معامل الارتباط بين المتغيرين 0.516 ويستدل من هذه القيمة وجود علاقة طردية متوسطة القوة بين التنمر و الصراع حيث كلما زاد التنمر داخل المتوسطة زاد الصراع ، ومنه تحقق الفرضية الثالثة القائلة يؤدي التنمر إلى ظهور الصراع داخل الوسط المدرسي، ويأتي هذا كنتيجة لرد الفعل المتنمر عليهم بسبب التنمر الذي يسلط عليهم من طرف الزملاء.

من خلال ما سبق فقد تحققت الفرضية العامة جزئيا، القائلة يؤثر التنمر سلبا على التفاعل الاجتماعي داخل الوسط المدرسي.

8- نتائج الدراسة:

- اغلب المتنمرين داخل الوسط المدرسي هم الزملاء.
- أما عن أنواع التنمر المنتشرة داخل الوسط المدرسي فنجد التنمر الجنسي اللفظي وغير اللفظي(إيحاءات بالترهيب) بنسب كبيرة وأخير التنمر الجسدي بنسب قليلة جدا.
- التعاون يطبع العلاقة بين التلاميذ بشكل كبير داخل الوسط المدرسي.
- ارتباط التلاميذ بالوسط المدرسي المتمثل في المتوسطة بشكل كبير والذي تم التعبير عنه بنسب كبيرة.
- توجد علاقة طردية ضعيفة بين التنمر والتعاون، كلما زاد التنمر زاد التعاون داخل الوسط المدرسي.
- توجد علاقة طردية ضعيفة بين التنمر والتكيف، كلما زاد التنمر زاد التكيف داخل الوسط المدرسي.
- توجد علاقة طردية متوسطة القوة بين التنمر والصراع، كلما زاد التنمر زاد الصراع داخل الوسط المدرسي.

9- التوصيات:

- وضع نظام رقابي صارم يضبط العلاقة بين الزملاء داخل الوسط المدرسي.

- توعية وتشجيع المتنمرين عليهم على تقديم شكاوى ضد المتنمرين بدل الدخول في صراعات مباشرة، للحد من ظاهرة التنمر بشكل سوي.
- تقديم حصص توعوية للتلاميذ للتحلي بالأخلاق الحميدة، والحفاظ على علاقة زمالة ايجابية بينهم.
- الصرامة في التعامل مع التلاميذ المتنمرين.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يعتبر التنمر من الظواهر السلبية المنتشرة في الوسط المدرسي، والتي تؤثر على الأوساط الاجتماعية ومنه فمن الضروري التصدي لهذه الظاهرة لما لها من تبعات على الفرد وعلى المجتمع من خلال القيام بدراسات وأبحاث تقوم على تشريح الظاهرة من كل النواحي اجتماعية نفسية وقانونية، كما أن التفاعل الاجتماعي يعتبر احد الظواهر الاجتماعية التي تنشأ من خلال الاتصال والتواصل بين أفراد المجتمع والتي تتأثر بفعل التنمر.

قائمة المراجع:

1- محمد النوبي محمد علي (2010)، مقياس التفاعل الاجتماعي لدى طلاب الجامعة،ط1،دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

2 - نبيل عبد الهادي،(2009) مقدمة في علم الاجتماع التربوي، ط غ م، دار اليازوري، عمان، الأردن.

3 - عبد الله الرشدان،(2008) علم اجتماع التربية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن.

4- احمد علي الحاج محمد،(2012) علم اجتماع التربية، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

5 - عبد الله الرشدان،(2008) علم اجتماع التربية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن.

فاعلية العلاج بالقبول والانخراط في تحسين مستوى مفهوم الذات لدى القاصرات المتعرضات للتحرش الجنسي في محافظة دمشق.

د/ رأفات أحمد أحمد ـ جامعة دمشق ـ سوريا.

ملخص الدراسة :

تطرقت الدراسة إلى العلاج بالقبول والانخراط كأحد أنواع العلاجات المعرفية المستندة أصلاً إلى العلاج المعرفي القائم على الوعي بالمشاعر والأفكار التي تعتري الفرد في لحظة ما.

تناولت الدراسة المبادئ التي يستند إليها, ومن ثم تمّ تقديم تصوّر لكيفية تطبيق الجلسات العلاجية. حيث أنه وللمرة الأولى في العالم العربي, يتم تحديد مراحل تطبيق هذا النوع من العلاج ويُسلط عليه الضوء بطريقة المراحل المتتابعة للجلسات العلاجية.

طُبق في الدراسة, برنامج علاجي يستند إلى المبادئ الأساسية للعلاج بالانخراط لدراسة مدى تأثيره في تحسين مستوى مفهوم الذات لدى عينة من المتعرضات للتحرش الجنسي في معهد التربية الاجتماعية في دمشق ولدى المراجعات للعيادة النفسية المجانية في كلية التربية بدمشق. استخدم لقياس مفهوم الذات, مقياس "تنسي" في تطبيقين قبلي وبعدي.

أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات أداء أفراد العينة في التطبيقين القبلي والبعدي لصالح التطبيق البعدي, وكان العلاج بالقبول والانخراط فعالاً في تحسين مفهوم الذات لدى أفراد العينة.

الكلمات المفتاحية: العلاج بالوعي الكامل, العلاج بالقبول, العلاج المعرفي, الموجة الثالثة.

Abstract :

L'étude a décrit le traitement d'acceptation et d'engagement parmi les types de thérapies cognitives basées sur la pleine conscience des sentiments et des pensées que la personne a à un moment donné.

L'étude a examiné les principes sur lesquels elle repose, puis une présentation a été présentée sur la manière de mettre en œuvre les séances thérapeutiques. Pour la première fois dans le monde arabe, les étapes d'application de ce type de traitement sont déterminées et mises en évidence par les étapes successives des séances de traitement.

Un programme thérapeutique, basé sur les principes de base du traitement d'acceptation et d'engagement, a été appliqué pour déterminer dans quelle mesure il améliore la confiance en soi, chez un échantillon des filles, victimes de harcèlement sexuel, à l'Institut d'éducation sociale à Damas et chez des filles visitées la clinique psychologique gratuite de la Faculté d'éducation de Damas. Utilisé pour mesurer le concept de soi, le teste de "Tennessee", dans l'application tribale et post.

Mots-clés: thérapie de pleine conscience, thérapie d'acceptation, thérapie cognitive, troisième vague.

مقدمة :

تمثل المعالجة بالقبول و الانخراط جزءاً مهماً لا يتجزأ من الموجة الثالثة للعلاج المعرفي السلوكي. وهي بالنسبة لهايز Hays (1996) تستند إلى الفكرة القائلة بأن هناك عدد من الاضطرابات المرضية النفسية تتعلق "بتجربة التجنب", ويقصد بها محاولة من الفرد الهروب وعدم المواجهة مع حدث خاص غير مرغوب فيه, ومحاولة تغيير شكل وتكرار الحدث والسياق الذي يسببه على الرغم من السلبية الوظيفية (Hayas,1996).

[1]سُجل العلاج بالتقبّل والانخراط ضمن إطار الموجة الثالثة من العلاج المعرفي السلوكي TCC الذي يرتكز إلى تغيير علاقاتنا مع الأحداث النفسية (مشاعر, أحاسيس, أفكار) أكثر من تغييرنا لمحتواها.

يُعتبر هذا النموذج من نماذج العلاج في الموجة الثالثة ل TCC حيث نقوم بملاحظة وتقبل أفكارنا وأحاسيسنا دون محاولة تغييرها أو إيقافها. تتضمن الموجة الثالثة: العلاج المعرفي القائم على الوعي الكامل(MBCT), والمعالجة لخفض الضغط النفسي القائم على الوعي الكامل (MBSR). انطلاقاً من ذلك تقدم المعالجة بالتقبل والانخراط أنموذجاً توفيقياً تكاملياً متقاطع مع هذه النماذج, يستند إلى تقبل الأحداث النفسية ومن ثم الانخراط بسلوك موجه نحو القيم (Ducasse, 2013). هذا النموذج يقدم بعض الأدوات الفعالة والبسيطة التي يمكن لأي معالج أن يقدمها ليخدم غرض إخراج المريض من حالة ألم يعيشها مهما كان مصدرها.

مشكلة الدراسة:

من خلال الخبرة الميدانية للباحثة واستقبالها للطلبة المراجعين للعيادة النفسية وُجدت حالات_لا نبالغ إطلاقاً إن قلنا أغلب الحالات_ قد تعرضت للتحرش الجنسي في مرحلة ما من مراحل حياتها. مما وضع أساساً قوياً لكره الذات وتبني مفهوم مشوه لها مما جعل ذلك ينعكس على أداء الحالة في حيياتها العملية والاجتماعية اليومية و أسس لاحقاً لكثير من الاضطرابات العُصابية. ومن خلال الاطلاع على أدبيات العلاج النفسي باللغة العربية, وجدت الباحثة افتقار المكتبة العربية لمراجع باللغة العربية _حتى أنها تكاد تنعدم_ التي تتطرق للعلاج بالقبول والانخراط والتي تعرّف الباحثين والعاملين في ميدان العلاجات النفسية بالخطوات التجريبية التي يمكن أن يعتمدوها فيما لو أرادوا استخدامها في علاج الاضطرابات النفسية. وعلى الرغم من أن العلاج بالقبول والانخراط كان قد ظهر في أدبيات علم النفس والعلاج النفسي في

السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن الماضي هايز Hays (1989), إلا أن التطرق لأهميته التطبيقية في العلاجات النفسية لم يتم إلا في بدايات القرن الحالي في أعمال رومير Roemer (2008) وأعمال كراتز Cratz (2006) و غيرهم في الولايات المتحدة وفرنسا. حيث أثبتت العديد من الدراسات فعاليته وأضحى بحد ذاته مدرسة ذات اتجاه خاص متميز عن باقي العلاجات.

إلا أنه وإلى الآن, لم يتم التطرق له أو اعتماده في المدارس العلاجية في عالمنا العربي نظراً لندرة الترجمات العربية لهذا النوع من العلاجات, مما انعكس ندرةً في الأبحاث التطبيقية التي تتصدى لإثبات فعاليته.

لذلك تحاول الدراسة الحالية أولاً: وضع إطار نظريٍّ داعم, وأسس تطبيقية للعلاج بالقبول والانخراط لتكون سنداً للباحثين الراغبين في اجراء بحوث تجريبية تطبيقية. كما تجيب ثانياً عن فعالية العلاج بالقبول والانخراط في تحسين مستوى مفهوم الذات لدى الفتيات المتعرضات للتحرش الجنسي.

انطلاقاً مما سبق, نستطيع تلخيص مشكلة الدراسة بالسؤال التالي: ما مدى فعالية العلاج بالقبول والانخراط في تحسين مفهوم الذات لدى الفتيات المتعرضات للتحرش الجنسي

1. أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن سؤال البحث الرئيس حول مدى فعالية العلاج بالقبول والانخراط في تحسين مستوى مفهوم الذات لدى الفتيات المتعرضات لتحرش الجنسي.

كما تهدف هذه الدراسة إلى:

1. تسليط الضوء على معنى العلاج بالقبول والانخراط.
2. شرح الأسس والمبادئ التي يستند إليها هذا النوع من العلاج.
3. توضيح الخطوات التطبيقية التي يمكن أن يعتمدها الباحث في جلساته العلاجية.
4. تسليط الضوء على فعالية هذا النوع من العلاج وتشجيع الباحثين على إجراء البحوث التجريبية التي توضح فعاليته

2. أهمية الدراسة :

1. تكتسب هذه الدراسة النظرية أهميتها من افتقار المكتبة العربية أو حتى عدم وجود / على حد علم الباحثة/ , الإطار النظري الناظم والمُحدد لهذا المصطلح " العلاج بالقبول والانخراط". مما يحتم بالضرورة غياب المُحددات الأساسية للتطبيق العملي لهذا العلاج.

2. ستكون هذه الدراسة محفزاً رئيساً ودافعاً مهماً لطلبة البحث العلمي لاسيما المتقدمين للحصول على رسائل الماجستير والدكتوراه, لتناول هذا النوع من العلاج بالبحث والتطبيق مما يفتح أمامهم المجال واسعاً لتناوله في علاج مختلف أنواع العُصابات.

3. ستشجع هذه الدراسة الباحثين والدارسين على خوض تجربة الترجمة للكشف عن كل جديد في مجال العلاج النفسي على مستوى العالم, إذ إن هناك العديد من أنواع العلاجات النفسية والتطبيقات العملية التي ما زلنا بعيدين عنها في بلداننا لأسباب عدة لسنا هنا في سبيل الخوض بها.

3. أسئلة الدراسة

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية :

1. ما المقصود بالعلاج بالقبول والانخراط
2. ما الخطوات التطبيقية للعلاج بالقبول والانخراط
3. ما مدى فعالية العلاج بالقبول والانخراط في تحسين مفهوم الذات لدى المتعرضات للتحرش الجنسي.

4. فرضيات الدراسة

يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسطات أداء أفراد العينة في التطبيقين القبلي والبعدي على مقياس تنسي لمفهوم الذات وذلك عند مستوى دلالة 0.05

5. المصطلحات الاجرائية:

العلاج بالقبول والانخراط: يُقصد به البرنامج العلاجي الذي وضعته الباحثة بالاستناد إلى مبادئ العلاج بالقبول والانخراط.

مفهوم الذات: يُقصد به في هذا البحث الدرجة التي تحصل عليها المفحوصة على مقياس تنسي لمفهوم الذات .

6. الجانب النظري

نحاول فيما يأتي الإجابة عن السؤالين الأولين المطروحين في بداية الدراسة :

6- 1. المقصود بالمعالجة بالقبول والانخراط :

الحقيقة العلمية التي نعيشها, والتي هي جزء من عمل الدماغ, هي أن دماغنا يسمم شعورنا من خلال محاولة تجنب اللحظة المؤلمة ومحاولة الهروب منها ولكن في النتيجة, يكون هناك تركيز أكثر على ما نحاول الهروب منه. ما نهرب منه, نجده دائماً أكثر حضوراً في تفكيرنا .

في تجربة قام بها وينر Wegner (1989), طلب من المشاركين رؤية صورة دب أبيض. ومن ثم طلب منهم عدم التفكير بهذه الصورة وأن يحاولوا منع الدماغ من التفكير في أي شيء له علاقة بالصورة. كانت النتيجة هي أنه لم يفشل المشاركون بعدم بالتفكير بالصورة فقط, وإنما وجدوا تفكيرهم مركّزاً أكثر حول الصورة وما يمكن أن يتعلق بها. من هنا, فإن التجنّب يؤدي بالعقل الى إعطاء رد فعل معاكس لدى الإنسان ويجعله أكثر تركيزاً على الصور أو الأحاسيس أو المشاعر أو المواقف التي يحاول المريض الهرب منها وتجنبها.

محاولات التجنب هذه, يحتفظ المرضى بها كسلوك معزَّز, انطلاقاً من حالة الراحة المؤقتة التي يحصلون عليها على المدى القصير. فيستمر لديهم هذا السلوك _أي التجنب_ ويقوى ويتعزز بالاستناد إلى مبادئ الإشراط الإجرائي وانطلاقاً من عدم المعرفة وعدم الوعي بكيفية قيادة لغتنا الداخلية لسلوكنا الخارجي. هذه النقطة أوضحها هايز Hays (1989) عندما وجد في تجربة له أن المجموعة المشاركة التي لا تخضع لقواعد ونماذج لغوية مسبقة, هي أكثر تكيفاً مع المواقف وأسرع تغييراً للسلوك.

بهذا المعنى, فإن العلاج بالقبول والانخراط يقدم خطوات علاجية تهدف الى تبديل السياق اللغوي الذي يكمن في أساس خبرة التجنب وتطوير المرونة النفسية لدى المريض, أي القدرة على الفعل "السلوك" ضمن السياق الذي يُعتبر مطلوباً ويُقيم عالياً في حياة المريض مع قبول ظهور مُحتَمل لأحداث نفسية صعبة " أحاسيس ومشاعر سلبية ".

في العلاج بالقبول والانخراط, يُظهر المعالج للمريض أنه ومن الطبيعي بل وغالباً يكون فعالاً أن نتجنب حالات منفرة موجودة في العالم الخارجي. وهذه, في أغلب الحالات, غير ممكنة التجنب في العالم الداخلي. فالهدف إذاً يكون هو زيادة التباعد بين أنا الشخص (ذاته), وبين المنظومة الداخلية المبنية على أساس تاريخي (تراكمي) (Fontaine,2007).

إذاً, التقبل هو البديل للتجنب وذلك بمساعدة المريض على تحديد قيمه وأولوياته الأساسية والقيام بها حتى مع وجود الصعوبات والمشاكل النفسية.

6-2. مبادئ العلاج بالتقبل والانخراط :

يقوم العلاج بالتقبل والانخراط على مبدأين أساسيين نعبر عنهما بمصطلحي : القيم والأهداف.

فالقيم (الأولويات), هي اتجاهات الحياة المرغوبة من قبل الشخص نفسه. هذه القيم (الأولويات) توجه بشكل عام حياة الشخص باتجاه الواقع الذي يريده. بينما الهدف فهو الذي يوفر مساقاً حسياً يسلك من خلاله الشخص طريقاً واضحاً باتجاه تحقيقه. فبعد أن يتم تحديد القيم (الأولويات) لدى المريض, يتم البحث معه لتحديد أهداف محدودة محددة في الحياة اليومية يتطلع لإنجازها.

تجميع الأولويات, والانخراط في تأدية الأهداف على أرض الواقع في الحياة اليومية ضمن إطار هذه الأولويات يجعل التقبل (تقبل الحدث السلبي) يختلف عن مجرد الغوص بالانفعالات السلبية.

إذاً في هذا النوع من المعالجة نجد مرحلتين متتابعتين الأولى هي التقبل والثانية هي الانخراط. ووفقا لهاتين المرحلتين, فإن سبب معاناتنا في الحياة اليومية, أننا تعلمنا أن نصارع اللحظة الراهنة المسببة للتجنب, أي تجنب الموقف المؤلم.

في العلاج بالتقبل يتعلم المرضى بأنهم هم أكثر من مجرد أفكارهم ومشاعرهم, يتعلمون أن أفكارهم ومشاعرهم هي أحداث تطرأ وعليهم استقبالها وعدم الهروب منها لأنها ستمر. وبالتالي يجب عدم الانشغال بها, إنما الانشغال بكيفية التوجه نحو الهدف(Fontaine,2007).

لتحقيق التقبل و تحديد الأولويات وتحقيق الأهداف, لا بد أن نتخلص من الانصهار المعرفي Fusion cognitive والذي يشير إلى التركيز المبالغ فيه على اللغة العقلية في تفكيرنا الداخلي المستند إلى ما قاله أو يمكن أن يقوله الآخرون عن سلوكنا (Blackledge, 2007) بغض النظر عن نتائج هذا التفكير على سلوكنا. بمعنى آخر, يُقصد بالانصهار المعرفي, التركيز على ما تقوله لنا أفكارنا دون الانتباه إلى مدى فعاليتها من عدمه بالنسبة لنا, مما يجعلنا غير قادرين على التصرف بشكل مستقل عنها للتوجه إلى ما هو مهم في الحياة بالنسبة لنا. فالعلاج بالتقبل والانخراط, يخدم هدف الخروج من التركيز حول حقيقة أفكارنا والانتباه إلى مدى فعاليتها في حياتنا اليومية (Ducasse, 2013).

كل ما سبق, يمكن للمريض تجاوزه اذا ما استطاع التخلص من التركيز على ذاته كموضوع وهنا ننتقل إلى مبدأ مهم جداً في العلاج بالقبول والانخراط وهو الذات كسياق.

ينزع المرضى عادةً إلى التركيز على أفكارهم ومشاعرهم ويمضون كثيراً من الوقت في تحليل هذا التفكير وإعطائه معانٍ وأبعاد مختلفة ليسلكوا في النهاية وفق ما يقرره لهم هذا التفكير بغض النظر عن فائدته.

في العلاج بالقبول والانخراط ننتقل بالمريض من الوعي بذاته كمحتوى, إلى وعي الذات كسياق. ولربما المثال الآتي عن سائق الحافلة قد يوضح المعنى. لينظر المريض إلى نفسه كسائق حافلة وأن

هناك مجموعة من الركاب الذين يصعدون وينزلون. قد يزعجه بعضهم وقد يبتسم له البعض الآخر, لكن في النهاية هم عابرون, وليسوا حقيقة مطلقة بالنسبة له. هؤلاء المسافرون هم : أفكاره , مشاعره , أحاسيسه ..الخ في لحظة ما (Hayes,1999).

6-3. مراحل العلاج بالقبول والانخراط :

نستطيع تمثيل العلاج بالقبول من خلال مسدس لديه ستة أوجه, تمثّل ستة مجالات تشرح مراحل العلاج بالقبول. وهنا نعرض وجهي المسدس:

- الوجه الأول يمثل المريض بأفكاره التي يتمركز بها ويحاول تجنبها.
- الوجه الثاني يمثل حالة التقبل والشفاء.

الوجه الأول يمثل عدم المرونة النفسية؛

يُعبَّر عن هذا الوجه بالشكل السداسي الآتي:

الشكل(1)مسدس الوجه الأول يمثل المريض بأفكاره التي يتمركز بها ويحاول تجنبها

يبين الشكل السابق(عدم المرونة النفسية), والتي تعني أن الشخص المريض يكون غارق في التفكير في الماضي أو المستقبل: اجترار للماضي , تخطيط للمستقبل ..قلق..انتظار ..خوف ..ينقل كل هذه الأحاسيس إلى اللحظة الراهنة (هنا والآن), مما يجعله عاجزاً عن رؤية أولوياته و أهدافه الحالية. الأمر الذي يدخله في حالة من العجز واللافعل والغرق أكثر بالأفكار والقلق المشاعر ويصبح أكثر تركيزاً على ذاته باعتبارها هي بحد ذاتها الأفكار والأحاسيس المزعجة التي تراوده. عندها يقوم بتقييّم هذه

الأفكار على أنها حقيقة مطلقة عن ذاته وعن الواقع المعاش فينصهر أكثر بهذه الأفكار والأحساسيس و يغرق بها. والنتيجة : هي محاولة التجنب للمواقف المزعجة المرتبطة بهذه الأفكار لكنه يعود ليواجهها بشكل أقوى ويتثبت عليها ويبقى تحت وطأتها أكثرمن السابق.

الوجه الثاني: الوصول لحالة التقبل

يُعَّبر عن هذا الوجه بالشكل السداسي الآتي:

الشكل(2)مسدس الوجه الثاني يمثل المرونة النفسية للمريض بعد العلاج

يمثل هذا الوجه (المرونة النفسية بعد العلاج). ففي لحظة راهنة ما (هنا والآن), على المريض أن يعي ما هي القيم الأهم في عالمه المحيط, ما هي أهدافه المرحلية والمستقبلية التي يجب أن ينطلق باتجاهها لتأتي بعدها مرحلة الفعل. والفعل هنا يشمل تطبيق الأولويات التي تقود إلى الهدف. على المريض هنا أن ينظر إلى الذات باعتبارها سياق وليست محتوى هي سياق عام يمر به جملة من المشاعر والأحاسيس والأفكار المرغوبة وغير المرغوبة. فعمل المريض عمل المراقب للأفكار المزعجة التي تتعلق بأحكام مسبقة لديه.

مع هذا الوعي, وبدلاً من أن يقول المريض "أنا فاشل" أو "أشعر بالفشل" : يستبدلها بالقول: " في هذه اللحظة لدي فكرة عن نفسي أني فاشل, أشعر في هذه الحظة أن لدي إحساس يداهمني يتعلق بكذا وكذا...." .

كل ذلك يحمي المريض من أن يعيش حالة من الانصهار مع أفكاره المسبقة وأحكامه القاسية ويسمح لكل تلك الأفكار بالمرور والعبور لتنتهي حالة الإحساس بها بحالة من التقبل. طبعا كل مرحلة من المراحل السابقة, تحتاج إلى جملة من التقنيات المعرفية التي تساعد المريض على الانتقال من مرحلة إلى أخرى ومن التجمد النفسي إلى حالة المرونة النفسية التي تنشدها هذه المعالجة ACT (Russell,2006).

انطلاقاً مما سبق يمكن تطبيق المعالجة بالقبول والانخراط وفق الخطوات التالية:

- **المرحلة الأولى : تحديد القيم**

ويقصد بالقيم هنا, الأولويات التي يحددها الشخص كأساس لاستمرار حياته ولا يُقصد بها بأي حال من الأحوال " المعايير الأخلاقية". فقد تكون الأولوية في حياة شابة في مقتبل العمر تعرضت لصدمة الفقد أن تجتاز امتحان فصلي ما في دراستها الجامعية. هذه الأولويات هي التي تمنح الشخص القدرة على التحرك والتوجه وتمده بالطاقة النفسية اللازمة للاستمرار.

- **المرحلة الثانية: تشخيص الحياة**

ويقصد بها أن يقوم المتعالج نفسه بتقييم شامل لحياته : ما الأنشطة التي يحبها ؟ مع أي الأشخاص يحب ممارستها؟ كيف يمكن له أن يتواصل معهم وفي أية ظروف ؟ ما الأنشطة المحبِطة له ؟ مَن الأشخاص الذين يمكن أن يسببوا له الإحباط ؟ في أية ظروف يتواجد هؤلاء الأشخاص وكيف يمكن له أن يبتعد عنهم ؟ ..الخ. إذاَ تقييم شامل لحياته في إطار ما يمكن أن يقربه أو يبعده عن الأولويات التي قام بتحديدها.

- **المرحلة الثالثة : التطبيق**

أي القيام بتطبيق ما قام بتقييمه من نشاطات في المرحلة السابقة ليقوم بتنفيذها في الحياة اليومية في إطار يقربه من أولوياته. وهنا لابد أن يقوم المعالج بشرح للمتعالج أن الفعل أو التطبيق يكون حتى في أبسط السلوكيات اليومية وليس بالضرورة أن يكون هناك قفزات نوعية أو واسعة جداً لنختبر حالة التطبيق بل قد يكون فعل بسيط جداً يقرب المتعالج من أولوياته. مثال ذلك حين ينجح شخص مريض بالاكتئاب أو مريض باضطراب الشدة ما بعد الصدمة اعتاد عدم التحرك من سريره بعد الاستيقاظ إلا بعد انتصاف النهار, أن يغادر سريره باكراً ليرافق ولده إلى أسفل البناء ليصعد الباص المخصص لنقل تلاميذ المدرسة. هذا الفعل البسيط (الاستيقاظ باكراً ومغادرة السرير والنزول إلى أسفل الدرج) ينطوي في حقيقته على كثير من القوة والطاقة النفسية

التي دفعت الشخص إلى القيام به مما سيساعده لاحقاً للذهاب إلى أبعد من ذلك في القيام بالكثير من النشاطات التي تقربه من ممارسة أولوياته.

- **المرحلة الرابعة: التوقف عن محاولة مواجهة المشاعر السلبية التي تعتري النفس في المواقف المزعجة:**

فعادة ما يسمع المريض في الحياة اليومية نصائح الأصدقاء والمقربين " لا تحزن" "لا تتوتر", "حاول أن تنسى", لا تتوتر..الخ كل تلك الأوامر النفسية, تعطي انطباع للشخص المتلقي بأن عليه أن يخبئ هذه المشاعر وأن يقنع ذاته بالتخلي والابتعاد والهرب من ذاته ومما يعتمل داخلها من مشاعر وأحاسيس. هذه المرحلة تشجع الشخص على مواجهة مشاعره السلبية وعدم الخوف منها أو تجنبها.

- **المرحلة الخامسة: تلقي وتقبل المشاعر السلبية:**

بما أننا في المرحلة السابقة لم نواجه المشاعر السلبية ولم نرفضها, إذاً علينا أن نتقبلها. فمثلاً علينا أن ننتبه جيداً ونركز, باستخدام الوعي الكامل, على أحاسيسنا التي تمر في لحظة ما من التوتر أو الانزعاج عبر جسدنا في منطقة ما منه.

- **المرحلة السادسة : تعرّف تفكيرنا باعتباره ليس الحقيقة الماثلة في الواقع ولكن مجرد افكار تجتاحنا في لحظة ما:**

فدماغنا يعمل باستمرار دون توقف, ينتج ويتلقى الأفكار. ففي لحظة ما, هي لحظة الألم, يجب أن نسترجع الأفكار التي تجتاحنا وأن نقوم بعملية إعادة تعرف وتركيز أن هذه الأفكار ليست حقيقة واقعة لا مفر منها إنما, هي مجرد أفكار نحملها في دماغنا ستمر إن سمحنا لها بالمرور. وهنا ننتقل للمرحلة السابعة.

- **المرحلة السابعة: استقبال أفكارنا السلبية التي نحملها عن لحظة الألم:**

هنا نتحول لمراقبين خارجيين لأنفسنا ولأفكارنا. و من خلال عملية التركيز والوعي الكامل, نعتبر الفكرة كموجة عابرة نتركها تمر ونقوم بملاحظتها في هذه اللحظة.

- **المرحلة الثامنة: هي الفعل أي تغيير ما كنا قد اعتدنا على فعله والقيام بخطوات بسيطة معاكسة لما اعتدنا على فعله.**

قد لا نستطيع محاربة أفكارنا السلبية, لكن نستطيع تقبلها ومن ثم تغيير ما اعتدنا على فعله. فمثلاً في لحظة الخوف في أثناء حضور اجتماع ما, نستطيع بدلاً من السلوك الذي اعتدنا

على فعله _وهو الصمت والانغماس في مقعدنا_ أن نشارك بمداخلة بسيطة أو طرح سؤال صغير ليتلاشى خوفنا أو على الأقل لنتكيف معه.

6-4. مفهوم الذات:

عرف بريسمان Pressman (2001) مفهوم الذات بأنه هو الصورة التي يحملها الانسان عن نفسه وسلوكه وعرفه روجرز(1990) بأنه المجموع الكلي للخصائص التي يعزوها الفرد لنفسه (Rogers 1990).

وترى شيرتل Shertill (1998), أن هناك معنيان لمفهوم الذات: تقليدي ومُستحدَث. المفهوم التقليدي عبارة عن المعتقدات والنوايا التي يحملها الشخص في نفسه عن نفسه. أما المعنى الجديد لمفهوم الذات فهو, المعرفة والملاحظة القابلة للقياس التي يحملها الشخص عن نفسه والتي يمكن صقلها وتنميتها. وهكذا فإننا يمكن أن نعرف مفهوم الذات بأنه هو المجموع الكلي

لإدراكات الفرد عن نفسه وامكاناته وقدراته ، إنه صورته الواضحة كما يقرأها هو عن صفاته النفسية والجسدية ومكانته وعلاقته بالمحيط: من يكون وكيف ونحو أي هدف.

إن لمفهوم الذات مكونات ثلاث حسب روجرز (1959) وهي على الترتيب: وجهة نظر الفرد حول ذاته, القيمة التي يضعها لنفسه أو ما يعرف بتقدير الذات أو قيمة الذات وأخيراً ما يتمنى أن يكون مثله(الذات المثالية).إن وجهة نظر الفرد عن نفسه هو التصور الذي يحمله عن قدراته وامكاناته وهي ليست بالضرورة الصورة الواقعية الفعلية الحقيقية ولكنها في النهاية مطبوعة في ذهن الشخص وفي بنيته المعرفية عن نفسه. أما تقدير الذات فهو يعكس التقييم الايجابي أو السلبي لوجهة نظرنا عن أنفسنا والذي يتأثر بردود فعل الآخرين من حيث الإعجاب والقبول أو الرفض, ويتأثر بأدوارنا الاجتماعية التي قد تحمل معنى إيجابي رفيع أو سلبي متدني في الوسط الذي نعيش به كما يتأثر بتحديد هويتنا وانتمائنا للجماعة التي ننتسب إليها. أما الذات المثالية التي يتمنى الفرد أن يكون عليها, فهي قائمة من المعايير المثالية التي يقيمها وعي ولا وعي المجتمع عالياً ويسعى الفرد لتحقيقها في ذاته. فكلما كان هناك تفاوت بين الذات المثالية والذات الحقيقية المُدركة أدى هذا إلى حالة من الاضطراب أطلق عليها روجرز التناقض أو عدم التطابق.(صالح, 2019)

6-5. التحرش الجنسي:

أقوال أو أفعال أو إيماءات تحمل دلالات جنسية تصدر من أشخاص راشدين على وجه الإغواء أو التهديد بقصد استمالة الآخرين لممارسة الجنس معهم . هو كل من يحاول أن يقوم فعلياً بالاعتداء على

طرف أخر على غير رضاه وبغير موافقته ، سواء كان يعني هذا الاعتداء محاولة ملامسة جسده أو محاولة الممارسة الجنسية معه بأي صورة من الصور(السيد, 2014). تتعدد أشكال التحرش, إذ أنها تتدرج من التحرش اللفظي باستخدام كلمات ذات طابع جنسي خادشة للحياء, إلى أشكال من ملامسة أو مداعبة جسد الضحية. لينتهي بأقذر صوره وهو الاغتصاب.

للتحرش الجنسي آثار نفسية سلبية جداً على الضحية ومحيطها الأسري والاجتماعي ككل, بما يتضمنه بهبوط بالإنسان إلى مستوى الغرائز البهيمية التي تحركه بعيداً عن العقل والإنسانية.

فالضحية تشعر بسحق الكرامة وانعدام القيمة ، والقهر وعدم الأمان. غرق الضحية في هذه الأحاسيس يجعلها وبشكل تراكمي تنسحب من الحياة اليومية وتعيش شعور الإحباط والذل والهوان ومن ثم تصاب بالاكتئاب والخضوع وفقدان الثقة والشعور بالدونية. تشعر الضحية بضياع إنسانيتها.

7. الدراسات السابقة:

تنتفي_على حد معرفة الباحثة_ الدراسات العربية وحتى الترجمات المتعلقة بالعلاج بالقبول والانخراط وفعاليته في ميدان علاج الاضطرابات النفسية واضطرابات الشخصية. ولكن هناك دراسات أمبريقية غربية عديدة أثبتت فعاليته في كصير من الحالات.

قام رومير Roemer (2008) بتطبيق العلاج بالقبول والانخراط ولمدة ستة عشر أسبوعاً على خمسة عشر شخصاً مصاباً باضطراب القلق المعمم مقابل ستة عشر آخرين في المجموعة الضابطة أيضاً مصابين بذات المرض. كانت النتيجة تحسن بنسبة 45% لصالح مجموعة العلاج مقابل 5% للمجموعة الضابطة.

دراسة أخرى قام بها بولمبير Bohlmeier (2011) على تسعة وأربعين شخصاً مصابين بالاكتئاب من شدات مختلفة. حيث طبق العلاج بالقبول والانخراط مدة ثمانية أسابيع مقابل أربعةٍ وأربعين شخصاً في المجموعة الضابطة. كانت نسبة التحسن 33% مقابل 15% لدى المجموعة الضابطة التي لم يطبق عليها أي نوع علاج.

دراسة قام بها كراتز Cratz (2006) لدراسة فعالية العلاج بالقبول لدى مرضى مصابين باضطراب الشخصية الحدية. حيث طبق العلاج لمدة أربعة عشر أسبوعاً على اثني عشر مريضاً مقابل 10 مرضى في المجموعة الضابطة. أظهرت النتائج تحسن ملحوظ لصالح مجموعة العلاج بنسبة 40% مقارنة بالمجموعة الضابطة التي لم يطبق عليها أي علاج.

بالمقابل أُجريت العديد من الدراسات التي لم توفر لنا مقدار من البراهين لإثبات فعالية هذا النوع من المعالجة ونذكر على سبيل المثال دراسة ويترل Wetherell (2011) ؛ حيث طبق العلاج على سبع من مرضى القلق المعمم الذين تزيد أعمارهم عن ستين سنة, بينما طبق على المجموعة الضابطة العلاج المعرفي السلوكي. لم تبين النتائج فرقاً دالاً إحصائياً على فعالية العلاج بالقبول والانخراط. كما قام زيتل Zettle (2011) بتطبيق العلاج بالقبول والانخراط على مجموعة مؤلفة من اثني عشر مريضاً مصابين بالاكتئاب بدرجات مختلفة, مقابل المجموعة الضابطة التي تألفت من ثلاثة عشر مشارك, وطبق عليهم العلاج المعرفي السلوكي. بالمحصلة وبعد اثني عشر أسبوعاً, لم يكن هناك فرق في درجة التحسن الحاصل بين المجموعتين.

8. الجانب التطبيقي:

8-1. منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يتصدى لدراسة الظاهرة ويصفها ويستخدم مجموعة اختبارات ذات صلة للحصول على بيانات إحصائية قابلة للتحليل والشرح.

8-2. عينة الدراسة:

تم تطبيق البحث على عينة مقصودة من نزيلات معهد التربية الاجتماعية, ومن المراجعات للعيادة النفسية المجانية في كلية التربية بدمشق, ممن تعرضن للتحرش الجنسي. بلغت العينة 26 فتاة ممن تراوحت أعمارهن بين ال 12 إلى 17 سنة .

8-3.أدوات الدراسة:

استخدمت الباحثة برنامجاً علاجياً مستنداً إلى المراحل الستة التي يمثلها وجه المرونة النفسية والذي يبدأ ب:

1. تثقيف الخاضعات للدراسة حول معنى العلاج المعرفي ودور الأفكار في قيادة السلوك
2. تدريب الفحوصات على الحديث عن اللحظة الراهنة, أي الواقع الذي تعيشه النزيلة سواء كان داخل المعهد أم خارجه
3. وضع قائمة بالقيم التي تمن بها النزيلة والتي هي مهمة بالنسبة لها والتي يمكن ان تكون متعلقة بالحياة الدينية ام الدنيوية

4. وضع قائمة بالأفعال اليومية البسيطة التي يمكن أن تقوم بها النزيلة تحقيقا وتجسيدا لهذه القيم مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الأفعال قد لا تكرر بشكل يومي . الأكثر أهمية هو القيام بها بغض النظر عن مرات التكرار

5. التوقف عن لوم الذات وصهرها في دوامة المشاعر السلبية والانتقادات الحادة ووصف الواقع المحيط بكل ما يحويه من سلبيات وايجابيات

6. الطلب إلى النزيلات بين الجلسات كتابة وصف لبعض المواقف التي تنعكس بشكل سلبي على ذواتهن ووضع التقييم السلبي والايجابي في جدولين متقابلين بعيداً عن اطلاق الأحكام على الذات ومناقشة الباحثة أثناء الجلسة وكأن المفحوصة تلعب دور مراقب خارجي للحدث بعيدا عن اقحام الذات

7. امكانية تغيير قائمة القيم التي في ضوئها تم تحديد الافعال اليومية وهذا التغيير يستند إلى اولويات النزيلات في الحياة اليومية وكيفية تبدلها يوما بعد يوم

كما تم استخدام مقياس تنسي لمفهوم الذات الذي وضعه في الأصل, قسم الصحة النفسية تنسي 1955, وقد تم تطويره في الشكل الحالي على يد وليام فتس 1965 وأعد صورته العربية علاوي وشمعون 1983 (ابو اسعد,2009).

يتألف المقياس من 100 بند تمثل الأبعاد التالية : الذات الجسمية , الذات الشخصية, الذات الاجتماعية , الذات الأسرية , الذات الأخلاقية .

تتراوح العلامة الكلية بين 0 وال 200 من تزيد علامته عن 100 يدل على وجود مفهوم ذات صحي ومناسب .

قامت الباحثة بدراسة الخصائص السكومترية للمقياس, حيث تم حساب مصفوفة معاملات الارتباط بين المحاور المكونة للمقياس من جهة وبين هذه المحاور ودرجة المقياس الكلية من جهة أخرى. حيث تراوحت معاملات الارتباط بين 0,5 وَ 0,6 مما يؤكد صدق البناء للمقياس. عن المجموعة الأخرى.

وحساب ثبات المقياس, تم استخدام طريقة الإعادة, حيث طُبق المقياس على عينة مقصودة من طلبة كلية التربية السنة الأولى تضم 50 طالب وطالبة, بفارق زمني مقداره شهرين, وتم حساب معامل الثبات للدرجة الكلية حيث بلغ 0,7 كما تراوحت معاملات الثبات على محاور المقياس بين 0.6 و 0,7

8-4.إجراءات الدراسة:

تم تطبيق الدراسة في الفترة الزمنية الواقعة من شهر تشرين الأول إلى شهر شباط 2019 بواقع ثلاث جلسات اسبوعياً, مدة كل جلسة ساعة على الأقل. تمت الجلسات في العيادة النفسية المجانية في كلية

التربية بدمشق. تم بادئ ذي بدء تطبيق مقياس تنسي لمفهوم الذات على جميع أفراد العينة ثم الانتقال إلى جلسات تثقيف فردية حول العلاجات المعرفية, وارتباط الفكرة بالسلوك ومعنى الاسترخاء وطرق التنفس الصحيحة. تراوحت جلسات التثقيف بين جلستين إلى ثلاث جلسات لدى جميع أفراد العينة. بعدها تم الانتقال إلى تطبيق البرنامج العلاجي الذي أعدته الباحثة. أثناء الجلسات كان يتم شرح الوجهين السداسيين الذَين يمثلان العلاج بالقبول والانخراط على لوح ورقي موجود أمام المفحوصة ويتم تحديد – بالاشتراك مع الباحثة– في أي مرحلة من مراحل العلاج قد وصلت بعد أداء المهمات المطلوبة منها.

في نهاية الفترة الزمنية المحددة للبرنامج, تم إعادة تطبيق مقياس تنسي لمفهوم الذات بشكل فردي في آخر جلسة لكل مشاركة في الدراسة.

تميز تطبيق البرنامج بالصعوبة الشديدة نظراً لأنه علاج جديد لم يسبق لأي من المشاركات في الدراسة الاطلاع عليه أو حتى السماع باسمه. وبالتالي كان على الباحثة الإسهاب في الشرح والتفصيل لكل المصطلحات والمفاهيم الواردة في البرنامج قبل الانتقال الى تطبيقه من حيث تحديد القيم والأولويات والأهداف وتحويلها لسلوكيات.

9. عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

لاختبار الفرضية القائلة: يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين متوسطات الأداء لأفراد العينة بين التطبيقين القبلي والبعدي على مقياس تنسي لمفهوم الذات وذلك عند مستوى دلالة 0.05 تم استخدام البرنامج الإحصائي SPSS بدلالة اختبار ت استودينت.

يلخص الجدول الآتي نتائج الدراسة الاحصائية:

درجته / زمن الاختبار	العينة	متوسط الدرجات	الانحراف المعياري	قيمة الاختبار T	الدلالة Sig
التطبيق القبلي pre	26	90.27	11.33	40.639	0.00
التطبيق البعدي post	26	110.58	17.56	32.106	0.00

يشير الجدول إلى أنه يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين أداء أفراد العينة قبل تطبيق العلاج وبعده لصالح التطبيق البعدي. وهذا يدل على فعالية العلاج بالقبول والانخراط في تحسين مفهوم الذات لدى أفراد

العينة. من جانبٍ آخر, فإن عشرين فتاة من أصل ستٍ وعشرين عادت لممارسة حياتها الاعتيادية اليومية, بعد أن كنّ قد دخلن في حالة من التجنب والانعزال والانطواء. فمنهن من عدن لمدارسهن ومنهن من عدن للسكن مع عائلاتهن اللواتي كنّ قد اخترن سابقاً وطواعية تركها بعد تعرضهن للتحرش.

إن سبب الانطواء والعزلة والتقوقع حول الذات لدى هؤلاء الفتيات وحسبما يظهره الوجه السداسي الأول لمراحل ما قبل العلاج بالقبول, هو تمركز المفحوصة حول الماضي, وتفكيرها المتكرر بحادثة التحرش وتوابعها, ومحاولتها الهروب من مواجهة هذه الذات ومن اللوم الذي تلقيه عليها واللوم الذي تتلقاه من الآخرين بخصوص ما حدث. إذاً هي تعامل الذات كمحتوى, تغرق فيه لا بل تنصهر داخله, كما تعيشها وتستشعر به في الوقت الحالي. هي غير قادرة على الخروج منه والنظر إليه كمراقب خارجي, بل هي منصهرة تماماً في دوامة النقد واللوم والتشوه الفكري عما مرت وتمر به, الأمر الذي يقودها لعدم تقبل ذاتها وواقعها وبالتالي التجنب. حسب مدرسة القبول بالعلاج والالتزام: مزيداً من التجنب, يعني مزيداً من المرض.

في اللحظة التي تبدأ فيها المفحوصة وعي الذات كسياق عام, واعتبارها عالماً مستقلاً بحد ذاته تعتمل في دواخله الأحداث وهي تراقب مرور اللحظة وتراقب ما يعبر من خلالها من صور وذكريات وأحداث, وفي اللحظة التي تستطيع معها تحديد أولوياتها في الحياة ووضع خطط وأهداف لما سيأتي من الأيام فإنها ستنتقل وبشكل طبيعي –حسبما يوضح لنا الوجه السداسي الذاتي الذي يمثل المرونة النفسية –إلى تقبل الذات وتقبل دورها في الحياة, وتقبل ما مرت وتمر به من ذكريات وأحاسيس. مزيداً من التقبل يعني مزيداً من الخروج من الحالة الإشكالية التي يعيش فيها المتعالج.

10. توصيات في ضوء ما سبق:

1. التوسع في البحث النظري الذي يتناول التعريف بهذه المعالجة وخطواتها ومراحلها.
2. من المهم جداً إدراج هذا النوع من المعالجة ضمن قائمة المواضيع الواجب البحث فيها من قبل طلبة الاختصاص ليتسنى لنا الكشف عن فعالية هذا النوع من العلاج لاسيما وأننا في عالمنا العربي ننزع إلى التفكير بطريقة التثبت على الحدث السلبي ونعاني من القلق فيما يخص أحداث الحياة اليومية
3. من المهم جداً تنظيم المؤتمرات العلمية والمنتديات الطبية بالتشارك مع كليات الطب والتربية للتعريف بهذا النوع من المعالجة ونقاط تلاقيها وتميزها عن أنواع المعالجات النفسية الأخرى.

4. العمل على تنشيط حركة الترجمة من كل اللغات الحية الى اللغة العربية لإغناء المكتبة العربية الفقيرة أصلاً بأنواع المعالجات النفسية التي تطرق لها كبار المعالجين النفسيين في الولايات المتحدة وغيرها من البلدان .

قائمة المراجع باللغة العربية:

- أبو أسعد, أحمد عبد اللطيف.(2009),*دليل المقاييس والاختبارات النفسية والتربوية* . الجزء الاول .
- السيد, براهيم جابر(2014), *المشكلات الاجتماعية داخل المجتمع العربي* ، دار التعليم الجامعي.
- صالح, علي عبد الرحيم(2019), *سيكولوجيا مفهوم الذات*, مقال مترجم منشور في شبكة العلوم النفسية التربوية.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

- Blackledge JT.(2007). Disrupting verbal processes: cognitive defusionin acceptance and commitment therapy and other mindfulnesd psychotherapies. *Psychol Rec*; 57:555—76.
- Bohlmeijer ET, Fledderus M, Rokx TA, et al.(2011). Efficacy of an early intervention based on acceptance and commitment therapy for adults with depressive symptomatology: evaluation in a rando-mized controlled trial. *Behav Res Ther*;49(1):62—7.
- D. Ducasse, G. (2013). Fond, "La thérapie d'acceptation et d'engagement", *Science direct*, 8 novembre, 1_9.
- Fontaine. O., Fontaine P.(2007)."*Guide clinique de thérapie comportemental et cognitive*", RETZ.

Gratz KL, Gunderson JG.(2006). Preliminary data on an acceptancebased emotion regulation group intervention for deliberateself-harm among women with borderline personality disorder. *Behav Ther*;37(1):25—35.

- Harris. R.(2006)." *Embracing Your Demons: An Overview of acceptance and Commitment Therapy*". Vol.12, N. 4, 2_7
- Hayes SC. Et al (1996). "Experiential avoidance and Behavioral disorders: A functional dimensional approach to diagnosis and treatement*", Journal of consulting and clinicial psychology,64*,(6),1152- 1168.
- Hayes SC.(1989). *Rule-governed behavior: cognition, contingencies and instructional control*. New-York: Plenum.
- Hayes SC, Strosahl KD, Wilson KG.(1999). *Acceptance and commitmenttherapy: an experiential approach to behavior change*. New-York: The Guilford Press.

-Pressman, L.J. (2001). *Early self-development in children with hearing loss*.

- Regers, James. R. and Alexander,Ralph, A. (1990). *The effects of running on Self concept and self efficacy.* Research Report.ohio.U.S.Eric
- Roemer L, Orsillo SM, Salters-Pedneault K.(2008). *Efficacy of anacceptance-based behavior therapy for generalized anxietydisorder*: evaluation in a randomized controlled trial. *J ConsultClin Psychol;* 76(6):1083—9.

-Shertll. C.(1998). *Adaptedphsical activity recreation Sport*

- Wetherell JL, Afari N, Ayers CR, et al.(2011). Acceptance and commit-ment therapy for generalized anxiety disorder in older adults:a preliminary report. *Behav Ther*;42(1):127—34.
- Wegner DM.(1989). *White bears and other unwanted thoughts: suppression, obsession and the psychology of mental control*. New-York: The Guilford Press.

- **Zettle RD, Rains JC, Hayes SC. (2011). Processes of change in accep-tance and commitment therapy and cognitive therapy fordepression: a mediation reanalysis of Zettle and Rains. *Behav Modif*; 35(3):265—83.**

الكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس الجامعي كمؤشر للجودة التعليمية من وجهة نظر الطلبة

د/ بوعموشة نعيم ـ جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل ـ الجزائر.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على ممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل للكفايات التدريسية من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية، من خلال دراسة عينة من طلبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، وأداة الاستبيان لجمع البيانات من المبحوثين الذين قدر عددهم بـ 200 طالب (ة). وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التخطيط للتدريس من وجهة نظر الطلبة.
- يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية تنفيذ التدريس من وجهة نظر الطلبة.
- يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التقويم من وجهة نظر الطلبة.

الكلمات المفتاحية: الكفاية، الكفايات التدريسية، عضو هيئة التدريس الجامعي، الجودة، الجودة التعليمية.

Abstract:

The aim of this study was to identify the degree of practice of university faculty members in the faculty of humanities and social sciences at university of Jijel for teaching competencies from the point of view of students as an indicator of educational quality through studying a sample of students of the faculty of humanities and social sciences at university of Jijel. The researcher used the descriptive approach and the questionnaire tool to collect data from the estimated 200 students. The study reached a number of results, the most important of which are:

- The members of the faculty of humanities and social sciences at university of Jijel are proficient in the planning of teaching from the point of view of the students.
- The members of the faculty of humanities and social sciences at university of Jijel the adequacy of the implementation of teaching from the point of view of the students.
- The members of the faculty of humanities and social sciences at university of Jijel the adequacy of the calendar from the point of view of the students.

Keywords: Competence; teaching competencies; faculty member; quality; educational quality.

1. مقدمة:

يعد عضو هيئة التدريس الجامعي ذو أهمية بالغة في إعداد الكفاءات البشرية في التخصصات المختلفة، والمساهمة في تطوير المجتمع المحلي والعالمي وحل بعض مشكلاته. كما أنه العنصر الأساسي والجوهري في العملية التعليمية، لأنه يقود العمل التربوي والتعليمي. ونظرا للدور الذي يلعبه عضو هيئة التدريس الجامعي في العملية التعليمية، ولكي يتمكن من القيام بدوره بشكل فعال لابد من امتلاكه لمجموعة من الكفايات، تضمن الحصول على مخرجات تربوية ذات كفاءة عالية.

وعلى هذا الأساس فإن جودة أداء عضو هيئة التدريس الجامعي للمهام الملقاة على عاتقه من أحد العناصر الحاسمة وبالغة الأثر في تحسين مخرجات الجامعة وجودتها. كونه يمثل حلقة الوصل بين المدخلات التعليمية وبين المخرجات التعليمية المتمثلة في الطالب. ولن يتأتى ذلك إلا من خلال تطبيق استراتيجيات الجودة في التعليم، التي ترتكز أساسا على التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس، من خلال الارتقاء بالجانب المهاراتي والمهني لهم، خاصة وأن جودة مخرجات التعليم تمثل المحك الذي يحكم به على جودة أداء التعليم الذي تقدمه المؤسسات التعليمية.

2. الإطار المفاهيمي للدراسة

1.2. مشكلة الدراسة:

يحظى التعليم بأهمية بالغة في إعداد كوادر علمية وفنية وتنظيمية وإدارية في المجتمعات الحديثة، يساهمون في دعم ودفع عجلة التنمية. والدليل على ذلك استنزافه ا لجزء كبير من الموارد المالية والإمكانيات البشرية للدولة، سعيا منها لأن يكون التعليم عالي الجودة يمد الدارسين بخبرات ومهارات عالية الكفاءة، من خلال تطوير ورفع كفاءة التدريس الجامعي.

الأمر الذي ساهم في تغير النظرة للتعليم على أنه عملية استهلاكية وخدمة تقدمها الدولة لأفرادها، وأصبح ينظر لها على أنها استثمار مربح في الرأسمال البشري. لدا يحرص القائمين على قطاع التعليم العالي في الجزائر لتحقيق أعلى درجة من الجودة في المخرجات التعليمية، خاصة وأن الكثير من الباحثين يؤكدون على أن السبيل الوحيد لمواجهة التحديات المعاصرة يتمثل في رفع جودة نوعية التعليم، وتحسين مخرجاته.

وتعد كفاءة عضو التدريس الجامعي مؤشرا أساسيا يعتمد عليه عند قياس مؤشرات الجودة التعليمية، من خلال ما يتمتع به من كفايات ومهارات تدريسية تؤهله لأداء واجباته بشكل فعال. خاصة وأن جودة أداء عضو هيئة التدريس الجامعي للمهام الملقاة على عاتقه من العناصر الحاسمة وبالغة الأثر في

تحسين مخرجات الجامعة وجودتها، كونه يمثل الركن الأساسي في العملية التعليمية والفاعل في قاعة التدريس، والمحرك لدوافع الطلبة والمشكل لاتجاهاتهم، وحلقة الوصل بين المدخلات التعليمية وبين المخرجات التعليمية المتمثلة في الطالب.

وعليه فإن جودة مؤسسات التعليم الجامعي أضحت تحددها اليوم نوعية الهيئة التدريسية بها وكفاءتهم وكفاياتهم الشخصية والمعرفية والأساليب التي يعتمدونها في تحضير الدرس وتنفيذه والوسائل المستعملة في التدريس، ومدى قدرتهم على التواصل مع الطلبة واهتمامهم بالعلاقات الإنسانية الصفية، وكذلك الأساليب التي يعتمدونها في تقويم الطلبة. ولن يتأتى ذلك إلا بتغيير الممارسات التدريسية المعتمدة لتتوافق مع متطلبات التدريس الفعال، من خلال تطبيق استراتيجيات الجودة في التعليم.

فالملاحظ في الجامعة الجزائرية بأنها تسعى إلى بدل الجهود اللازمة لتحقيق التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس بها بشكل يساعدهم على القيام بعملهم على أكمل وجه، وعلى تطوير وتنمية مستوى أدائهم، إضافة إلى متابعة وتقويم ممارساتهم التدريسية، والوقوف على مواطن القوة والقصور في أدائهم، والذي سيؤدي إلى تحسين المخرجات التعليمية. فإتقان المدرس لمادته العلمية لم يعد كافيا لتحقيق الأهداف المرجوة من العملية التعليمية، بل لابد أن يكون متمتعا بكفايات تدريسية تمكنه من أداء مهامه الجديدة بأعلى درجة من الإتقان. خاصة وأن الكثير من أعضاء هيئة التدريس الجامعي يتم توظيفهم بالجامعة بناء على درجتهم العلمية دون مراعاة كفاءتهم التدريسية أو المهنية، وحتى دون مراعاة لسماتهم الشخصية.

وهو ما دفع الباحث في هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على هذه المسألة ومحاولة تقصي ورصد الواقع الفعلي لها، للوقوف على أهم الكفايات التدريسية التي لابد أن يتحلى بها عضو هيئة التدريس الجامعي كمؤشر للجودة التعليمية. وذلك من خلال طرح التساؤل الرئيسي التالي: **هل يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل للكفايات التدريسية من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية ؟.**

ويتفرع عن السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

- هل يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التخطيط للتدريس من وجهة نظر الطلبة؟.
- هل يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية تنفيذ التدريس من وجهة نظر الطلبة؟.

– هل يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التقويم من وجهة نظر الطلبة؟.

2.2. فرضيات الدراسة:

1.2.2. الفرضية الرئيسية:

– يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل الكفايات التدريسية من وجهة نظر الطلبة.

2.2.2. الفرضيات الفرعية:

– يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التخطيط للتدريس من وجهة نظر الطلبة.

– يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية تنفيذ التدريس من وجهة نظر الطلبة.

– يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التقويم من وجهة نظر الطلبة.

3.2. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة للكشف عن ممارسة الأستاذ الجامعي للكفايات التدريسية من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية، كهدف رئيس. وتندرج ضمنه الأهداف الفرعية التالية:

– الكشف عن درجة ممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل لكفاية التخطيط للتدريس من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية.

– الكشف عن درجة ممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل لكفاية تنفيذ التدريس من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية.

– الكشف عن درجة ممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل لكفاية التقويم من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية.

4.2. أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية عضو هيئة التدريس الجامعي، كونه الفاعل الأساسي الذي لا غنى عنه في العملية التعليمية، وتتوقف عليه كفاءة وجودة مخرجات العملية التعليمية. خاصة وأن جودة الممارسة التدريسية لأعضاء هيئة التدريس الجامعي أضحت اليوم ضرورة ملحة لنجاح العملية التعليمية،

وضمان مخرجات تعليمية فعالة ترضي احتياجات المجتمع ومتطلبات سوق الشغل. ومن ثم فإن الدراسة الحالية يمكن أن تساهم في تقديم نتائج واقعية تساعد في تحسين وتطوير الكفايات التدريسية لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة الجزائرية، بحيث ينعكس ذلك إيجابا على أعضاء هيئة التدريس وعلى الطلاب على حد سواء، وهذا استجابة للاتجاهات الحديثة التي تدعو إلى الاهتمام أكثر بموضوع جودة التعليم.

5.2. تحديد مفاهيم الدراسة:

1.5.2. الكفاية:

تعرفها "باتريسيا" بأنها "أهداف سلوكية محددة بدقة، وتصف هذه الأهداف كل المعارف والمهارات والاتجاهات اللازمة لممارسة مهنة التعليم". **(جرادات وآخرون، 2008، ص44.)**

كما تعرف الكفاية بأنها "القدرة على عمل شيء بفعالية وإتقان، وبمستوى من الأداء وبأقل جهد ووقت وكلفة. وقد تكون الكفاية معرفية، وقد تكون أدائية. والكفاية المعرفية تكون منطلقا وأساسا للكفاية الأدائية، والأخيرة تشير إلى عمليات وإجراءات يمكن ملاحظتها، وتختلف باختلاف المهام التي ترتبط بها". **(مرعي، الحيلة، 2002، ص343.)**

التعريف الإجرائي: يقصد بالكفاية مجموعة المهارات والمعارف والاتجاهات التي ينبغي أن يمتلكها الأستاذ الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل ليقوم بتدريس طلابه بكفاءة وإتقان وفعالية، والتي تظهر خلال ممارساته التدريسية.

2.5.2. التدريس:

يعرف التدريس بأنه "نشاط إنساني هادف مخطط ومنظم لغرض إحاطة المتعلم بالمعارف وتمكينه من اكتشافها، فهو لا يكتفي بإلقاء المعارف واكتسابها إنما يتجاوزها إلى تنمية القدرات على اكتشاف المعارف، والتأثير في شخصية المتعلم من خلال عملية التفاعل التي تجري بين كل من المدرس والمتعلم والبيئة والوصول بالمتعلم إلى المستوى الذي يكون فيه قادرا على التخيل والتفكير المنظم، والتصور الواضح، وتنمية شخصية المتعلم في المجال المعرفي والانفعالي والمهاري وإخضاعه إلى عملية تقويم مستمر". **(عطية، 2008، ص25.)**

ويعرف التدريس الجامعي بأنه "كل ما يقوم به عضو هيئة التدريس من أنشطة وعمليات وإجراءات وسلوكيات تعليمية تتعلق بعملية التدريس داخل الفصل الدراسي أو خارجه، وتنعكس على سلوك طلابه، ويتضمن اختيار وانتقاء المادة العلمية وتنظيمها، وتحديد إجراءات وفنيات تطبيقها، ويتحقق ذلك من خلال عدة طرق منها: المحاضرة، المناقشة، التدريس المعملي، والمواقف العلاجية." **(الألفي، 2014، ص27.)**

التعريف الإجرائي: يقصد بالتدريس هو مجموعة النشاطات التي يؤديها عضو هيئة التدريس في موقف تعليمي معين لمساعدة المتعلمين في الوصول إلى أهداف تربوية محددة.

3.5.2. الكفايات التدريسية:

تعرف كفايات التدريس بأنها "الحد المقبول من المعلومات والمهارات والاتجاهات والقيم والمبادئ الأخلاقية الذي يمكن المعلم من انجاز مهامه التعليمية بإتقان وفعالية، وتصنف كفايات التدريس في ثلاث كفايات رئيسية هي: التخطيط والتنفيذ والتقويم، ويتدرج تحت كل منها مجموعة من الكفايات الفرعية". **(علي، 2011، ص.ص 104.103)**

كما أن الكفايات التدريسية هي "القدرة على أداء نشاط معين ذي علاقة بتخطيط التدريس، تنفيذ، تقويم، وهذا النشاط قابل للتحليل إلى مجموعة من السلوكيات (الأداءات): المعرفية، المهارية، الوجدانية، ومن ثم يمكن تقييمه بحسب معايير الدقة في القيام به وسرعة انجازه". **(عمران، 2012، ص208.)**

التعريف الإجرائي: يقصد بالكفايات التدريسية مجموعة الممارسات التدريسية التي يقوم بها أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل في الموقف التعليمي لتمكينهم من مهامهم التعليمية داخل حجرة الدرس، والمتمثلة في كفايات التخطيط للتدريس، تنفيذ التدريس، والتقويم.

4.5.2. عضو هيئة التدريس الجامعي:

يعرف عضو هيئة التدريس الجامعي والمتمثل في الأستاذ الجامعي بأنه "العنصر الفعال الذي يقوم بالتدريب للمقررات الأكاديمية ومقررات الإعداد التربوي، والحاصل على شهادة ماجستير أو دكتوراه، ويعتبر المحرك الأساسي للعملية التعليمية، فخصائصه المعرفية والانفعالية لها دور هام في فعالية العملية التعليمية". **(معمرية، 2001، ص188.)**

حيث يعتبر عضو هيئة التدريس الجامعي "من أهم المدخلات الجامعية التي تؤثر في العمليات التربوية داخل الجامعة والتي تشكل نوعية الكوادر التي تظهر على شكل مخرجات جامعية ولهذا أخذت بعض الجامعات تهتم بقضية تنميته أثناء الخدمة الجامعية". **(حداد، 2004، ص23.)**

التعريف الإجرائي: يقصد بعضو هيئة التدريس الجامعي في هذه الدراسة كل شخص يزاول مهنة التدريس في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل، ويشغل إحدى الرتب التالية: أستاذ مؤقت، أستاذ مساعد قسم ب، أستاذ مساعد قسم أ، أستاذ محاضر قسم ب، أستاذ محاضر قسم أ، أستاذ التعليم العالي.

5.5.2. الجودة التعليمية:

يعرف مفهوم الجودة لغويا على أنها "من أصل الفعل الثلاثي (جاد)، والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جودة، وجودة أي صار جيدا، وإحداث الشيء فجاد والتجويد مثله، وقد جاد جودة وأجاد أي أتى بالجيد من القول والفعل". **(القيسي، 2011، ص25.)**

ويعرف "فتحي درويش" الجودة بأنها "جملة المعايير والخصائص التي ينبغي أن تتوافر في جميع عناصر العملية التعليمية بالجامعة، سواء منها ما يتعلق بالمدخلات أو العمليات أو المخرجات، والتي تلبي احتياجات المجتمع ومتطلباته، ورغبات المتعلمين وحاجاتهم، وتتحقق من خلال الاستخدام الفعال لجميع العناصر البشرية والمادية بالجامعة". **(محمد، 2007، ص128.)**

وتعرف الجودة في التعليم بأنها "عبارة عن عملية توثيق البرامج والإجراءات وتطبيق للأنظمة واللوائح والتوجيهات، تهدف إلى تحقيق نقلة نوعية في عملية التعليم والارتقاء بمستوى الطلبة في جميع الجوانب العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية والثقافية، ولا يتحقق ذلك إلا بإتقان الأعمال وحسن إدارتها". **(العبادي وآخرون، 2009، ص430.)**

وأوضحت اليونسكو أن المقصود بجودة عضو هيئة التدريس "امتلاكه لكفايات تتصل بالمواد التدريسية، وكفايات تتصل بالطلبة، وأخرى تتصل بالتخطيط للعملية التعليمية وإدارة الصف وتقويم الطلبة وممارسة علاقات انسانية طيبة وكفايات مهنية عامة". **(السامرائي، 2007، ص424.)**

التعريف الإجرائي: يقصد بالجودة التعليمية بأنها مجموعة المعايير والمواصفات والخصائص التي ينبغي أن تتوفر لدى كافة عناصر النظام التعليمي، وبشكل خاص لدى أعضاء هيئة التدريس لتحقيق رغبات وتوقعات ورضا الطلاب، بما يحقق مخرجات متميزة تلبي احتياجات المجتمع ككل.

3. إجراءات الدراسة الميدانية

1.3. مجالات الدراسة:

1.1.3. المجال المكاني: هو المكان الذي تمت فيه الدراسة الميدانية للبحث، ويتمثل في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل.

2.1.3. المجال البشري: ويقصد به عدد أفراد المؤسسة التي أجريت بها الدراسة الميدانية، حيث تضم كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل 3993 طالب (ة) مسجل (ة) خلال السنة الجامعية 2018/2017.

2.3. المنهج:

يعتبر المنهج الوصفي هو المنهج الأنسب والأكثر ملائمة لهذه الدراسة التي تتناول الكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس الجامعي من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية.

3.3. عينة الدراسة:

بما أن مجتمع الدراسة يتكون من 3993 طالب قام الباحث باختيار عينة حجمها 5% من مجتمع الدراسة بطريقة عشوائية طبقية، حيث قدرت عينة الدراسة بـ 200 طالب.

4.3. أداة الدراسة:

قام الباحث في هذه الدراسة باستخدام استمارة الاستبيان كأداة لجمع البيانات الميدانية له. ولإخراج أداة الدراسة (الاستبيان) في صورة تجيب عن أسئلة الدراسة، قسمها الباحث كما يلي:

* الجزء الأول: وتضمن البيانات الشخصية الخاصة بوصف مجتمع الدراسة، والتي يتم من خلالها تحديد هوية وخصائص المبحوثين، وقد تضمن 04 أسئلة.

* الجزء الثاني: وقد تضمن 30 عبارة تمثل الكفايات التدريسية لعضو هيئة التدريس الجامعي كمؤشر للجودة التعليمية، لمعرفة مدى توافرها في أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل، وقد جاءت موزعة كالتالي:

الجدول رقم (01): يبين توزيع محاور وعبارات الاستبيان

المحور	الكفاية	عدد العبارات	أرقام الكفايات كما وردت في الاستبيان
الأول	كفاية التخطيط للتدريس	10	من 1 إلى 10
الثاني	كفاية تنفيذ التدريس	10	من 11 إلى 20
الثالث	كفاية التقويم	10	من 20 إلى 30

وقد استخدم الباحث لقياس مدى توافر الكفايات التدريسية مقياس ليكرت الخماسي لقياس درجة إجابة المستجوبين أو المبحوثين على عبارات الاستبيان، كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (02): يبين البدائل المحتملة للإجابة على عبارات الاستبيان

الاستجابة	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة
الدرجة	1	2	3	4	5

صدق أداة الدراسة وثباتها:

* **صدق أداة الدراسة:** تعد أداة الدراسة صادقة إذا تمكنت من قياس ما صممت لقياسه. حيث قام الباحث بحساب ما يلي:

أ- **الصدق الظاهري (صدق المحكمين):** تم التحقق من أن مظهر الأداة يدل على أنها تقيس ما وصفت لقياسه من خلال عرضها بصورتها الأولية على عدة محكمين عددهم 10 أساتذة برتبة أستاذ محاضر قسم أ وأستاذ التعليم العالي من ذوي الخبرة والمعرفة في مجال البحث العلمي حيث طلب من كل محكم إبداء رأيه بخصوصه مدى وضوح الصياغة، ومدى مناسبة وشمولية وانتماء كل عبارة لمحورها، ومدى ملائمة ودقة تسمية كل محور وتدرجات قياسه. وفي ضوء ملاحظات المحكمين تم إجراء التعديلات المطلوبة التي اتفق عليها 80% من المحكمين. وقد تركزت ملاحظات المحكمين في تعديل الصياغة لبعض العبارات ودمج بعض العبارات المتكررة وحذف أخرى، وتغيير موضع بعض العبارات في المحور أو تغييرها لمحور آخر.

ب- **الصدق البنائي (الاتساق الداخلي):** تم التحقق من الصدق البنائي من خلال توزيع أداة الدراسة على عينة عشوائية بسيطة حجمها (20) طالبا وذلك لتحديد مدى التجانس الداخلي لأداة الدراسة. بعد تجميع الاستبيانات تم معالجتها باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS وذلك من خلال تحديد معاملات الارتباط بين كل محور بالدرجة الكلية للاستبيان، حيث جاءت النتائج كما هي في الجدول التالي:

الجدول رقم (03): معاملات الارتباط بين كل محور والدرجة الكلية للاستبيان

المحور	الكفاية	عدد العبارات	قيمة معامل الارتباط
الأول	كفاية التخطيط للتدريس	10	0.816**
الثاني	كفاية تنفيذ التدريس	10	0.899**
الثالث	كفاية التقويم	10	0.904**

** دال إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01 فأقل

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن قيم معامل ارتباط كل محور بالدرجة الكلية للاستبيان موجب ودال إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.01 فأقل، مما يشير إلى أن جميع محاور الاستمارة تتمتع بدرجة صدق مرتفعة، وهي صالحة لأغراض الدراسة. وقد تراوحت معاملات الارتباط بين (0.904) في حدها الأعلى

للمحور الثالث المتعلق بكفاية التقويم، و(0.816) في حدها الأدنى للمحور الأول المتعلق بكفاية التخطيط للتدريس.

* **ثبات أداة الدراسة:** يمكن وصف الاختبار بالثبات إذا كنا نثق أنه سيعطينا النتائج نفسها عند إعادة تطبيقه مرة أخرى على العينة نفسها بعد مرور فترة زمنية مناسبة وفي ظروف التطبيق نفسها. وقد تم التأكد من ثبات أداة الدراسة من خلال حساب معامل الثبات ألفا كرونباخ، وقد جاءت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (04): قيم ألفا لمعاملات ثبات الأداة

المحور	عدد العبارات	قيمة ألفا كرونباخ
الأول	10	0.867
الثاني	10	0.892
الثالث	10	0.879
الاستبيان ككل	30	0.967

يلاحظ من الجدول أن أداة الدراسة تتمتع بدرجة ثبات عالية حيث تراوحت قيم ألفا بين (0.892) في حدها الأعلى للمحور الثاني و(0.867) في حدها الأدنى للمحور الأول، في حين بلغت قيمة ألفا العام للأداة (0.967) وهي قيم مرتفعة جدا، مما يعني أن معامل الثبات للمحاور مرتفع.

4. نتائج البحث وتفسيرها

لقد حددت بدائل الاستجابة أمام كل فقرة خمسة مستويات لمستوى توافر كفايات التدريس لدى أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كمؤشر للجودة التعليمية، بحسب تقديرات فئات العينة وهي: (موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق بشدة).

وللحكم على مستوى توافر الكفايات لدى أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل حسب تقديرات العينة أعطيت التقديرات الوصفية تقديرات كمية كما يلي: (موافق بشدة = 5)، (موافق = 4)، (محايد = 3)، (غير موافق = 2)، (غير موافق بشدة = 1).

وقد تم تحويل التكرارات من بيانات تقع بمستوى القياس الاسمي على المقياس الخماسي، إلى درجات تقع بمستوى القياس شبه الفئوي لتسهيل عملية تصنيفها إلى خمسة مستويات بحسب مدى متوسط التكرارات، كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (05): مستويات توافر الكفايات التدريسية لدى أعضاء هيئة التدريس بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل

مدى الدرجات	1-1.79	1.80-2.59	2.60-3.39	3.40-4.19	4.20-5
مستويات التوافر	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة

وسيتم عرض النتائج على مستوى كل فئة على حدة على النحو التالي:

1.4. النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى: يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التخطيط للتدريس من وجهة نظر الطلبة.

سيتم عرض نتائج استجابات عينة الدراسة على أساس كفاية التخطيط للتدريس، على النحو التالي:

الجدول رقم (06): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات فئات عينة الدراسة لممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التخطيط للتدريس من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية.

الترتيب بحسب الاستبيان	كفاية التخطيط للتدريس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الإجابة
1	يختار موضوعات المقرر الضرورية الأكثر أهمية في مجال التخصص.	3.94	1.028	1	موافق
10	يحضر مسبقا لموضوع الدرس من جميع جوانبه.	3.67	1.179	2	موافق
4	يحدد إستراتيجية تدريسية تلائم أهداف الدرس.	3.58	1.063	3	موافق
2	يحدد الوسائل التعليمية المناسبة للدرس.	3.54	1.120	4	موافق
6	يقوم بجمع المادة العلمية حول موضوع الدرس من مراجع متعددة.	3.54	1.194	5	موافق

8	يختار التمهيد المناسب لموضوع الدرس.	3.52	1.160	6	موافق
3	يختار وسائل التقويم المناسبة لتحقيق أهداف الدرس.	3.51	1.022	7	موافق
7	يوزع زمن الحصة على عناصر الدرس بصورة ملائمة.	3.50	1.215	8	موافق
5	يحدد إستراتيجية تدريسية تتلائم مع اهتمامات الطلبة وعددهم.	3.24	1.257	9	محايد
9	يتنبأ بالأحداث التي قد تقع في المحاضرة، ويحدد التحركات التدريسية التي تلائمها.	2.89	1.198	10	محايد

يلاحظ من الجدول رقم (06) أن هذا المحور شمل 10 كفايات خاصة بالتخطيط للتدريس، وأن تقديرات عينة الدراسة لممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل لكفاية التخطيط للتدريس قد تراوحت بين (3.94-2.89) وانحراف معياري بين (1.022-1.257). وموزعة على مستويين للتقدير هي:

المستوى الأول: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (3.94-3.50)، ومدى انحراف معياري بين (1.028-1.215) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق)، وتشمل (08) عبارات من عبارات المقياس، وهي تشكل 80% من عبارات المقياس. حيث احتلت العبارة 1 (يختار موضوعات المقرر الضرورية الأكثر أهمية في مجال التخصص) المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (3.94) وانحراف معياري قدر بـ (1.028)، تليها العبارة 10 (يحضر مسبقا لموضوع الدرس من جميع جوانبه) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي بلغ (3.67) وانحراف معياري قدر بـ (1.179)، بعدها العبارة 4 (يحدد إستراتيجية تدريسية تلائم أهداف الدرس) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي بلغ (3.58) وانحراف معياري قدره (1.063)، ثم العبارة 2 (يحدد الوسائل التعليمية المناسبة للدرس) في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي بلغ (3.54) وانحراف معياري قدره (1.120)، بعدها العبارة 6 (يقوم بجمع المادة العلمية حول موضوع الدرس من مراجع متعددة) في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي بلغ (3.54) وانحراف معياري قدره (1.194)، ثم العبارة 8 (يختار التمهيد المناسب لموضوع الدرس) بمتوسط حسابي بلغ (3.52) في المرتبة السادسة وانحراف معياري قدره (1.160)، يلي ذلك العبارة 3 (يختار وسائل التقويم المناسبة

لتحقيق أهداف الدرس) في المرتبة السابعة بمتوسط حسابي بلغ (3.51) وانحراف معياري قدره (1.022)، وأخيرا العبارة 7 (يوزع زمن الحصة على عناصر الدرس بصورة ملائمة) في المرتبة الثامنة بمتوسط حسابي بلغ (3.50) وانحراف معياري قدر بـ (1.215).

المستوى الثاني: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (2.89-3.24)، ومدى انحراف معياري بين (1.198-1.257) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (محايد)، وتشمل (02) عبارتين من عبارات المقياس، هما على التوالي العبارة 5 (يحدد إستراتيجية تدريسية تتلائم مع اهتمامات الطلبة وعددهم) في المرتبة التاسعة، والعبارة 9 (يتنبأ بالأحداث التي قد تقع في المحاضرة، ويحدد التحركات التدريسية التي تلائمها) في المرتبة العاشرة. وهي تشكل 20% من عبارات المقياس.

وحسب هذه النتائج يتضح بأن عضو هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل يمارس كفاية التخطيط للتدريس كمؤشر للجودة التعليمية من وجهة نظر الطلبة.

2.4. النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية: يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية تنفيذ التدريس من وجهة نظر الطلبة.

سيتم عرض نتائج استجابات عينة الدراسة على أساس كفاية تنفيذ التدريس، على النحو التالي:

الجدول رقم (07): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات فئات عينة الدراسة لممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية تنفيذ التدريس من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية.

الترتيب بحسب الاستبيان	كفاية تنفيذ التدريس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الإجابة
19	يتيح الفرصة للطلبة لطرح أسئلتهم.	4.11	0.893	1	موافق
13	يوضح المفاهيم الرئيسية لمادته العلمية.	3.87	0.949	2	موافق
18	يستخدم الأمثلة التوضيحية بكفاءة لشرح الدرس.	3.86	1.061	3	موافق
17	ينوع في طرائق التدريس (الإلقاء، الحوار ...).	3.68	1.194	4	موافق
12	يعرض المقرر بأسلوب يسهل على	3.68	1.115	5	موافق

	الطالب استيعابه.				
14	متمكن من محتوى الموضوع الذي يقوم بتدريسه.	3.65	1.143	6	موافق
16	يتحدث بصوت مسموع يتغير بما يناسب المواقف التعليمية.	3.55	1.210	7	موافق
15	يحافظ على استمرارية جذب انتباه الطلبة لموضوع الدرس.	3.45	1.239	8	موافق
11	يمهد للدرس بشكل مشوق ومثير لدافعية الطلاب للتعلم.	3.39	1.317	9	محايد
20	يراعي الفروق الفردية بين الطلبة في المستوى.	3.06	1.384	10	محايد

يلاحظ من الجدول رقم (07) أن هذا المحور شمل 10 كفايات خاصة بتنفيذ التدريس، وأن تقديرات عينة الدراسة لممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل لكفاية تنفيذ التدريس قد تراوحت بين (4.11-3.06) وانحراف معياري بين (0.893-1.384). وموزعة على مستويين للتقدير هي:

المستوى الأول: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (4.11-3.45)، ومدى انحراف معياري بين (0.893-1.239) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق)، وتشمل (08) عبارات من عبارات المقياس، وهي تشكل 80% من عبارات المقياس. حيث احتلت العبارة 19 (يتيح الفرصة للطلبة لطرح أسئلتهم) المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (4.11) وانحراف معياري قدر بـ (0.893)، تليها العبارة 13 (يوضح المفاهيم الرئيسية لمادته العلمية) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي بلغ (3.87) وانحراف معياري قدر بـ (0.949)، بعدها العبارة 18 (يستخدم الأمثلة التوضيحية بكفاءة لشرح الدرس) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي بلغ (3.86) وانحراف معياري قدره (1.061)، تليها العبارة 17 (ينوع في طرائق التدريس (الإلقاء، الحوار ...)) في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي بلغ (3.68) وانحراف معياري قدره (1.194)، بعدها العبارة 12 (يعرض المقرر بأسلوب يسهل على الطالب استيعابه) في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي بلغ (3.68) وانحراف معياري قدره (1.115)، ثم العبارة 14 (متمكن من محتوى الموضوع الذي يقوم بتدريسه) في المرتبة السادسة بمتوسط حسابي بلغ (3.65) وانحراف معياري قدره

(1.143)، بعدها العبارة 16 (يتحدث بصوت مسموع يتغير بما يناسب المواقف التعليمية) في المرتبة السابعة بمتوسط حسابي بلغ (3.55) وانحراف معياري قدر بـ (1.210)، وأخيرا العبارة 15 (يحافظ على استمرارية جذب انتباه الطلبة لموضوع الدرس) في المرتبة الثامنة بمتوسط حسابي بلغ (3.45) وانحراف معياري قدر بـ (1.239).

المستوى الثاني: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (3.39-3.06)، ومدى انحراف معياري بين (1.317-1.384) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (محايد)، وتشمل (02) عبارتين من عبارات المقياس، هما على التوالي العبارة 11 (يمهد الأستاذ للدرس بشكل مشوق ومثير لدافعية الطلاب للتعلم) في المرتبة التاسعة، والعبارة 20 (يراعي الفروق الفردية بين الطلبة في المستوى) في المرتبة العاشرة. وهي تشكل 20% من عبارات المقياس.

وحسب هذه النتائج يتضح بأن عضو هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل يمارس كفاية تنفيذ التدريس كمؤشر للجودة التعليمية من وجهة نظر الطلبة.

3.4. النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة: يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التقويم من وجهة نظر الطلبة.

سيتم عرض نتائج استجابات عينة الدراسة على أساس كفاية التقويم، على النحو التالي:

الجدول رقم (08): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات فئات عينة الدراسة لممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل كفاية التقويم من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية.

الترتيب بحسب الاستبيان	كفاية التقويم	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الإجابة
27	ترتبط أسئلة اختباراته بالمقرر الدراسي.	4.05	0.939	1	موافق
24	يطرح أسئلة أثناء الدرس للتأكد من فهم الطلاب.	3.94	0.951	2	موافق
22	يتابع الواجبات والأنشطة ويجعل لها علامة في التقويم.	3.85	0.976	3	موافق
26	يصوغ أسئلة اختباراته بوضوح ودقة.	3.61	1.147	4	موافق

23	يتحقق من استيعاب طلبته للمادة العلمية.	3.55	1.172	5	موافق
21	يستخدم أساليب تقويم متنوعة تتناسب مع مستوى الطلبة.	3.40	1.134	6	موافق
28	يتوخى الدقة في تصحيح اختباراته بوضع درجاته دون تحيز.	3.32	1.388	7	محايد
30	يتقن تشخيص نقاط القوة والضعف في تعلم الطلبة.	3.27	1.192	8	محايد
29	يحرص على معرفة مستوى النمو المعرفي الذي وصل إليه الطالب.	3.07	1.218	9	محايد
25	يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين عند طرح الأسئلة.	2.82	1.195	10	محايد

يلاحظ من الجدول رقم (08) أن هذا المحور شمل 10 كفايات خاصة بالتقويم، وأن تقديرات عينة الدراسة لممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل لكفاية التقويم قد تراوحت بين (2.82-4.05) وانحراف معياري بين (0.993-1.388). وموزعة على مستويين للتقدير هي:

المستوى الأول: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (3.40-4.05)، ومدى انحراف معياري بين (1.028-1.134) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق)، وتشمل (06) عبارات من عبارات المقياس، وهي تشكل 60% من عبارات المقياس. حيث احتلت العبارة 27 (ترتبط أسئلة اختباراته بالمقرر الدراسي) المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (4.05) وانحراف معياري قدر بـ (0.939)، تليها العبارة 24 (يطرح أسئلة أثناء الدرس للتأكد من فهم الطلاب) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي بلغ (3.94) وانحراف معياري قدر بـ (0.951)، ثم العبارة 22 (يتابع الواجبات والأنشطة ويجعل لها علامة في التقويم) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي بلغ (3.85) وانحراف معياري قدر بـ (0.976)، ثم العبارة 26 (يصوغ أسئلة اختباراته بوضوح ودقة) في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي بلغ (3.61) وانحراف معياري قدره (1.147)، بعدها العبارة 23 (يتحقق من استيعاب طلبته للمادة العلمية) في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي بلغ (3.55) وانحراف معياري قدره (1.172)، وأخيرا العبارة 58 (يستخدم أساليب تقويم

متنوعة تتناسب مع مستوى الطلبة) في المرتبة التاسعة بمتوسط حسابي بلغ (3.40) وانحراف معياري قدر بـ (1.134).

المستوى الثاني: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (2.82-3.32)، ومدى انحراف معياري بين (1.195-1.388) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (محايد)، وتشمل (04) عبارات من عبارات المقياس، حيث جاءت العبارة 28 (يتوخى الدقة في تصحيح اختباراته بوضع درجاته دون تحيز) في المرتبة السابعة بمتوسط حسابي بلغ (3.32) وانحراف معياري قدر بـ (1.388)، تليها العبارة 30 (يتقن تشخيص نقاط القوة والضعف في تعلم الطلبة) في المرتبة الثامنة بمتوسط حسابي بلغ (3.27) وانحراف معياري قدر بـ (1.192)، بعدها العبارة 29 (يحرص على معرفة مستوى النمو المعرفي الذي وصل إليه الطالب) في المرتبة التاسعة بمتوسط حسابي بلغ (3.07) وانحراف معياري قدره (1.218)، وأخيرا العبارة 25 (يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين عند طرح الأسئلة) في المرتبة العاشرة بمتوسط حسابي بلغ (2.81) وانحراف معياري قدره (1.195). وهي تشكل 40% من عبارات المقياس.

وحسب هذه النتائج يتضح بأن عضو هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل يمارس كفاية التقويم كمؤشر للجودة التعليمية من وجهة نظر الطلبة.

4.4. النتائج المتعلقة بالفرضية العامة: يمارس أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل الكفايات التدريسية من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية .

سيتم عرض نتائج استجابات عينة الدراسة على أساس كفايات التدريس، على النحو التالي:

الجدول رقم (09): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات فئات عينة الدراسة لممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل للكفايات التدريسية من وجهة نظر الطلبة كمؤشر للجودة التعليمية.

ترتيب المحور حسب الاستبيان	الكفايات التدريسية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الإجابة
المحور الثاني	كفاية تنفيذ التدريس	3.6764	0.73337	1	موافق
المحور الأول	كفاية التخطيط للتدريس	3.5146	0.67446	2	موافق
المحور الثالث	كفاية التقويم	3.4979	0.71886	3	موافق

يلاحظ من الجدول رقم (09) المتعلق بالمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمحاور أداة الدراسة الآتي:

بلغت متوسطات تقديرات العينة لممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل لكفاية تنفيذ التدريس (3.6764) بانحراف معياري (0.73337)، أي أنها تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق). بينما بلغت متوسطات تقديرات العينة لدرجة ممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل لكفاية التخطيط للتدريس (3.5146) بانحراف معياري (0.67446)، والتي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق). في حين بلغت متوسطات تقديرات العينة لدرجة ممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل لكفاية التقويم (3.4979) بانحراف معياري (0.71886)، والتي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق).

وحسب هذه النتائج يتضح بأن عضو هيئة التدريس الجامعي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة جيجل يمارس الكفايات التدريسية كمؤشر للجودة التعليمية من وجهة نظر الطلبة، والمتمثلة في كفاية التخطيط للتدريس، كفاية تنفيذ التدريس، كفاية التقويم.

5. الإقترحات:

بناءا على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يقترح الباحث بما يلي:

- اعتماد قائمة بمعايير جودة الأداء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي تستخدم في تقويم أدائهم.
- تشجيع أعضاء هيئة التدريس الجامعي على تطوير أدائهم التدريسي كمعيار لتحقيق الجودة التعليمية.
- تدعيم العلاقات الصفية الايجابية بين الطالب والأستاذ في سبيل تحقيق أهداف العملية التعليمية التعلمية.
- التنويع في استخدام استراتيجيات وأساليب التدريس، والعمل على تجاوز صعوبات التعلم لدى الطلبة.
- الاهتمام والتركيز على تنمية المهارات والكفايات التدريسية الأساسية لدى أعضاء هيئة التدريس الجامعي وذلك بهدف التحسين النوعي في مستوى أدائهم التدريسي.
- إجراء دراسة مشابهة للدراسة الحالية في مختلف الكليات وحتى الجامعات لمعرفة درجة ممارسة أعضاء هيئة التدريس الجامعي للكفايات التدريسية.

6. قائمة المراجع:

1- الألفي، طارق أبو العطا (2014). **تطوير الإدارة الجامعية في ضوء مدخل الإدارة الإستراتيجية تحديات وطموحات**، ط1، مؤسسة طيبة، القاهرة.

2- جرادات، عزت وآخرون (2008). **التدريس الفعال**، ط1، دار صفاء، عمان.

3- حداد، محمد بشير (2004). **التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس الجامعي**، ط1، عالم الكتب، القاهرة.

4- السامرائي، مهدي صالح (2007). **إدارة الجودة الشاملة في القطاعين الإنتاجي والخدمي**، دار جرير، عمان.

5- العبادي، هاشم فوزي دباس وآخرون (2009). **إدارة التعليم الجامعي مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر**، مؤسسة الوراق، عمان.

6- عطية، محسن علي (2008). **الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال**، ط1، دار صفاء، عمان.

7- علي، محمد السيد (2011). **موسوعة المصطلحات التربوية**، ط1، دار المسيرة، عمان.

8- عمران، خالد عبد اللطيف محمد (2012). **تقنيات تعليم الدراسات الاجتماعية وتعلمها في عصر المعلومات وثورة الاتصالات رؤى تربوية معاصرة**، ط1، مؤسسة الوراق، عمان.

9- القيسي، هناء محمود (2011). **فلسفة إدارة الجودة في التربية والتعليم العالي الأساليب والممارسات**، ط1، دار المناهج، عمان.

10- محمد، أشرف السعيد أحمد (2007). **الجودة الشاملة والمؤشرات في التعليم الجامعي دراسة نظرية وتطبيقية**، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.

11- مرعي، توفيق أحمد، الحيلة، محمد محمود (2002). **طرائق التدريس العامة**، ط1، دار المسيرة، عمان.

12- معمرية بشير (2001). **بحوث ودراسات في علم النفس والبحث النفسي في الجامعة**، ط1، المكتبة العصرية، مصر.

المقاربة بالكفاءات ودورها في الحد من ظاهرة الانقطاع الدراسي

مرحلة التعليم المتوسط أنموذجا ـ دراسة ميدانية على أساتذة التعليم المتوسط

الباحث/ نورالدين حمر العين ـ جامعة محمد خيضر ـ بسكـرة ـ الجزائر.

الملخص:

يعد الانقطاع الدراسي من المشكلات التربوية التي باتت تؤرق الفاعلين في الوسط المدرسي بدءا من الأسرة إلى المدرسة فالمجتمع لما للظاهرة من تأثيرات وانعكاسات اقتصادية باعتبار الانقطاع يشكل هدرا لطاقات أي بلد كان تأثيرات سياسية باعتباره يمثل نتيجة سلبية للسياسة التربوية المنتهجة في البلد كما نجد أن للانقطاع انعكاس على الجانب الاجتماعي لما يشكله المنقطعون عن الدراسة من تأثير على النسيج الاجتماعي وعلى سلوك الأفراد ولمعالجة مشكلة الانقطاع ارتأينا البحث في الآليات التي يمكن أن تحد من الظاهرة وتسهم في إيجاد الحلول اللازمة و من الحلول الملائمة التي ترتبط بالفعل التربوي المقاربات البيداغوجية المتبعة في العملية التعليمية التعلمية والتي تتصل بالمتعلم مباشرة وعليها تتوقف مدى نجاعة وفاعلية الفعل التربوي لذلك سنعالج في بحثنا هذا المقاربة بالكفاءات ومدى إسهامها في الحد من الانقطاع الدراسي.

الكلمات المفتاحية : الانقطاع المدرسي، المقاربة بالكفاءات، المقاربات البيداغوجية، التعليمية.

Résumé :

Décrochage scolaire est problèmes éducatifs qui sont des acteurs de to'zk dans le milieu scolaire allant de la famille à l'école,
communauté phénomène influences et répercussions économiques comme un gaspillage de perturbation des énergies de n'importe quel pays a des influences politiques comme une conséquence négative de la politique éducative Dans le pays que nous trouvons cette réflexion ininterrompue sur l'aspect social du décrochage scolaire sur l'étude de l'effet sur le tissu social et le comportement des individus afin de régler le problème de la discontinuité nous avons décidé d'examiner les mécanismes qui pourraient réduire le phénomène et contribuer à trouver des solutions et des solutions Qui sont associés à des approches pédagogiques éducatifs déjà utilisés dans le processus d'enseignement et d'apprentissage lié à l'apprenant directement et il dépend comment efficients et efficaces éducatifs déjà si nous occuperons de cette approche dans nos compétences et de leur contribution pour minimiser les interruptions.

Mots clé : decrochage scolaire , Approche par compétence, les approches pedagogiques, Didactique .

مقدمة:

تعتبر مسألة الانقطاع الدراسي من أبرز مشكلات صناع القرار والفاعلين التربويين على المستوى المحلي والدولي ولا زالت كذلك لأهمية الظاهرة وتفاقمها فصار العمل على التقليص من الظاهرة والحد منها أولوية بالنسبة للقائمين على النظام التربوي.

فالبحث والعمل على إيجاد الحلول الناجعة للظاهرة أصبح ضرورة تعليمية وتربوية ومطلبا اجتماعيا ملحا نظرا للأزمة التي يعرفها النظام التربوي في كثير من النواحي، فكثرة المشكلات التربوية كالتسرب والرسوب والانقطاع المدرسي والمشكلات الاجتماعية المرتبطة بتلك الظواهر كل ذلك يدعو إلى إحداث تغييرات في النظام التربوي والممارسات التعليمية المرتبطة بالبيئة المدرسية وذلك بغية الحد من تلك المشكلات والتقليل منها ومن تلك المشكلات الانقطاع المدرسي.

فالمدرسة تسعى لتكوين جيل متشبع بقيمه، معتزا بوطنيته وثقافته ومتفتح على العالم، غير أن طغيان الجانب الكمي على النوعي يؤدي بها إلى الخروج عن ذلك المسار فيلجأ المعلمون إلى انتهاج أساليب غير ناجعة من أجل توصيل المعارف والمفاهيم ما ينجر عنه ضعف التحصيل وصعوبة الاستيعاب من قبل المتعلمين مما يؤدي إلى ضعف النتائج المدرسية ومن ثم حدوث ظاهرة الرسوب والفشل ثم التسرب والانقطاع عن الدراسة، سواء كان هذا الانقطاع حضوريا أي وجود المتعلم داخل البيئة المدرسية لكنه منقطع ذهنيا ووجدانيا، وهذا يعد أمر جديد لما عرفته المدرسة في أوقات سالفة، وعليه سنتناول في بحثنا ظاهرة الانقطاع المدرسي دراسة ميدانية وفق الخطوات التاليـــــــة:

- **أولا:** إبراز إشكالية الدراسة وتساؤلاتها ثم تحديد الأهداف والأهمية التي تكتسبها الدراسة.
- **ثانيا:** تحديد مفاهيم الدراسة التي يدور حولها البحث ويكتنفها بعض الغموض ثم استعراض بعض الدراسات السابقة حول ظاهرة الانقطاع وصولا إلى تحديد منهج الدراسة والعينة وأداة الدراسة.
- **ثالثا :** عرض وتحليل نتائج الدراسة ومناقشتها واستخلاص النتائج المتوصل إليها.

1. مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يدرك المرء في حياتنا اليومية مدى التطور الحاصل والسريع في مختلف الميادين والمجالات وحتى في سلوكيات الأفراد ولا شك أن هذا التطور والازدهار لم يأت من عدم بل له خلفيات وعوامل كثيرة. تعتبر عملية التعليم من أهم العوامل التي ساهمت في رسم الصورة الحالية لعصر عنوانه السرعة ، الابتكار، التجديد ، وفي نفس الوقت يعتبر من أهم ما فرضه هذا التطور ذلك أن التعليم يتضمن تقديم معارف و خبرات ومهارات واكتساب سلوكيات في إطار مخطط مدروس لتحقيق أهداف وغايات محددة

يسعى إليها أي مجتمع، وانطلاقا من هذه الحقيقة بدلت الدول جهودا كبيرة وسخرت إمكانيات هائلة بيداغوجية، مادية وبشرية من أجل توفير الظروف المناسبة والمناخ الملائم وإتاحة الفرص أمام جميع المتعلمين للحصول على مستوى مقبول من التعليم وما يتضمنه من مكتسبات معرفية وسلوكية ونتائج مرضية تجعل منهم أفرادا قادرين على العطاء والفاعلية والإسهام في بناء وتطور مجتمعهم.

ولكن في بعض الأحيان لا تتحقق هذه الأهداف المنشودة وتكون نتائج المتعلمين سلبية وغير مرضية عكس ما هو مخطط لها ويتجسد ذلك من خلال ظاهرة الانقطاع الدراسي وهذا ما أثار اهتمام الباحثين والمهتمين بالشأن التربوي حيث كان البحث في أسباب الظاهرة والحلول الناجعة لها في ظل تفاقم الانقطاع الحضوري بشكل خاص في المدرسة لكنه منقطع ذهنيا وعقليا مع أنشطة المدرسة. لذلك تبدل مختلف الدول جهودا مضنية لإيجاد الحلول اللازمة للظاهرة وذلك من خلال ضمان جودة التعليم من خلال تحسين كافة جوانبه لمواجهة مختلف المشكلات ومنها ظاهرة الانقطاع الدراسي وعليه ننطلق في بحثنا من الإشكالية التالية: **هل للمقاربة بالكفاءات دور في الحد من ظاهرة الانقطاع المدرسي؟**

2- فرضية الدراسة :

المقاربة بالكفاءات تسهم في الحد من ظاهرة الانقطاع المدرسي .

3-. أهمية الدراسة:

تكتسي هذه الدراسة أهمية كبيرة في التعرف على الظاهرة وأسبابها وآليات علاجها والحد منها ذلك أن الدراسة ميدانية وليست نظرية تعتمد على الفاعلين المباشرين في العملية التعليمية التعلمية، وهم أساتذة التعليم حيث أن الدراسة تدور حول المقاربة بالكفاءات والكفيلة بالحد من ظاهرة الانقطاع الدراسي لاسيما أن المنقطعين في كثير من الحالات يكون عزوفهم لأسباب بيداغوجية دون غيرها من الأسباب فعدم جاذبية المقاربات وعدم فاعليتها في كسب المفاهيم وجلب اهتمامه داخل حجرة الدرس يؤدي به إلى اليأس والنفور من أستاذه ومن المادة الدراسية التي يقدمها فهذه الدراسة ذات أهمية كبيرة وتمكن من مجابهة الظاهرة باعتماد الحلول البيداغوجية كاستراتيجية فعالة بعيدا عن الاستراتيجيات العلاجية الأخرى.

4- أهداف الدراسة:

إن هذه الدراسة التي نقوم بها نسعى من خلالها إلى إماطة اللثام عن مشكلة من المشكلات التي تواجه المدرسة في وقتنا الحاضر وهي مشكلة الانقطاع المدرسي ، كما نسعى من خلالها إلى تحقيق جملة من الأهداف نوجزها فيما يلي:

- التعرف على ظاهرة الانقطاع المدرسي في الوسط المدرسي وأبعادها المختلفة.

- التعرف على المقاربة بالكفاءات وتطبيقها في الوسط المدرسي.
- التعرف على إيجابيات وسلبيات هذه المقاربة في تطبيقاتها الميدانية.
- الوصول إلى مدى إسهام المقاربة بالكفاءة في الحد من ظاهرة الانقطاع المدرسي.
- الوصول إلى أهم الحلول الكفيلة بالحد من ظاهرة الانقطاع المدرسي.

5- مفاهيم الدراسة:

1.5. الانقطاع الدراسي: يعتبر منقطعا عن الدراسة كل طفل ابتدأ مرحلة تعليمية ولم يتممها بنجاح، والانقطاع ثلاثة أنواع:

- **التسرب:** يصنف كل تلميذ في خانة التسرب إذا سجل نفسه بالمدرسة وغادرها إراديا دون الحصول على شهادة المغادرة خلال السنة الدراسية لسبب من الأسباب.
- **عدم الالتحاق:** غير الملتحق هو كل تلميذ نجح أو كرر مستوى دراسي ولم يلتحق في الموسم الدراسي الموالي بالمدرسة ولم يحصل على شهادة المغادرة رغم توفره على المؤهلات والإمكانات النظامية والتربوية المتاحة.
- **الفصل:** يكون التلميذ فيه مرغما على مغادرة المدرسة على إثر الفشل والتأخر الدراسيين أو لأسباب أخلاقية وتربوية، يحدث هذا الانقطاع على إثر قرار إداري وهو ما يعبر عنه "بالفصل عن الدراسة" وتكون المدرسة مسؤولة عن هذا النوع من الانقطاع.

2.5. المقاربة Approche: هي تصور وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز على ضوء خطة أو استراتيجية تأخذ في الحسبان كل العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال والمردود المناسب من طريقة ووسائل، ومكان وزمان وخصائص المتعلم والوسط والنظريات الاجتماعية. **(فريد حاجي ،2005،ص11).**

3-5 المقاربة بالكفاءات Approche par compétence: "هي طريقة لإعداد الدروس والمناهج اعتمادا على: تحديد الوضعيات التعلمية، تحديد الكفاءات المطلوبة، ترجمة هذه الكفاءات إلى أهداف وأنشطة تعلمية. **(محمد الطاهر وعلي ،2011،ص14).**

4-5 التعليمية Didactique: "بالنسبة لـB.JASMIN هي بالأساس تفكير في المادة الدراسية بغية تدريسها، فهي تواجه نوعين من المشكلات: مشكلات تتعلق بالمادة الدراسية وبنيتها ومنطقها، ومشاكل ترتبط بالفرد في وضعية التعلم، وهي مشاكل منطقية وسيكولوجية. 1973 ويعرفها أيضا REUCHLI بأنها مجموع الطرائق والتقنيات والوسائل التي تساعد على تدريس مادة معينة 1974"**(فريدة شنان ومصطفى هجرسي ،2009،ص41)**

5-5 التعلميـة Apprentissage: وهو البنـاء الإدراكـي للفرد أي تغيير أداء الفرد أو تعديل سلوكه من خلال الخبرة والمراس وعن طريق إشباع الحاجات وبلوغ الأهداف بغية التكيف مع المواقف الجديدة.

6 ـ حدود الدراسة:

6-1 الحدود المكانيـة: الدراسة الميدانية تمت بمتوسطة بن يحي محمد وهي مؤسسة تقع بولاية جيجل وهي ولاية ساحلية تقع في الشرق الجزائري، يحدها شمالا البحر المتوسط وجنوبا ولايتي ميلة وسطيف وشرقا ولاية سكيكدة أما غربا فتحدها ولاية بجاية . وهي ولاية استحدثت بموجب التقسيم الإداري لسنة 1974.

6-2 الحدود البشرية: المجال البشري للدراسة تمثل في أساتذة التعليم المتوسط حيث أجريت الدراسة على 40 أستاذا للتعليم المتوسط بمتوسطة بن يحي محمد ولاية جيجل .والذين يتوزعون حسب الجدول أدناه :

6-3الحدود الزمنية: قبل البدء في الدراسة الميدانية قمنا بزيارة استطلاعية:

أ)- **الدراسة الاستطلاعية:** تمثلت في زيارة المؤسسات التربوية لأخذ فكرة عن الموضوع وهذا بداية من 2018/09/05 إلى غاية 2018/12/20، والحديث إلى الأطر المسيرة للمؤسسة التربوية وكذا الأساتذة وهيئات الإشراف لأخذ فكرة عن ظروف التمدرس والمشكلات التربوية التي تشهدها المؤسسات التربوية .

ب)- **الدراسة الميدانية:** تمت بالمؤسسة في الفترة الممتدة من 2018/12/22 إلى 2018/12/27 حيث تم توزيع الاستمارة على الأساتذة المعنيين بالدراسة مع ترك الوقت الكافي للأساتذة للإجابة على أسئلتها بكل حرية.

7 ـــ الدراسات السابقـــــــــة :

7ـ1 الدراسات الأجنبية :

7-1-1 دراسة "بريمر" و"بولي"سنة 1969 : أجرى الباحثان دراسة في مجال التسرب(الانقطاع) المدرسي بالمكتب الدولي للتربية وموضوعها "الهدر المدرسي"، مشكل عالمي وهدفها افادة دول الأعضاء في المكتب بالمعلومات التي ترتبط بظاهرة التسرب المدرسي وتوصل الباحثان إلى أن التسرب المدرسي ينتج عن النظام المدرسي .

.7-2 الدراسات العربية :

7ـ2-1 الدراسة الأولى : دراسة المنظمة العربية للثقافة والعلوم : انعقدت ندوة بالجزائر العاصمة سنة 1972 حول انقطاع الطلاب عن الدراسة وخاصة في مرحلة التعليم الابتدائي تحت اشراف المنظمة

عالجت المشكلة من مختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وذلك بالتطرق لأسباب المشكلة ومحاولة علاجها والحد من أضرارها ولاسيما

في الوطن العربي توصلت هذه المنظمة إلى عرض أسلوب قياس اقترحته وهو أسلوب الأفواج الذي يناسب البلاد العربية . ثم عمدت الندوة إلى إعطاء بعض التوصيات كانت أهمها:

-توحيد أسلوب دراسة اقتصادية التعليم وحساب كلفة التلميذ في كل مرحلة تعليمية .

-اعادة النظر في النظام التعليمي والاهتمام بالبحث فيما يتعلق بظاهرة التسرب المدرسي .

-توفير الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية للتلميذ خاصة في المناطق النائية

7-3 دراســـــــــات جـــــــــزائريـــــــــة :

7-3-1 : دراسة قام بها رابح العايب ومحمد الصالح بوطوطن (1998) عنوانها أسباب الرسوب المدرسي لدى طلاب الثانويات من وجهة نظر الأسـاتذة

أهـــداف الدراسة :

أ- هدف علمي : ويتمثل في دراسة موضوع أسباب الرسوب المدرسي من وجهة نظر الأساتذة ، دراسة علمية تكون اثراء للمنهج العلمي والتراث النظري الذي يقتصر على مثل هذه الدراسات لبلادنا .

ب - هدف عملي : ويتمثل في اعطاء بعض التوصيات والمقترحات للتخفيف ما أمكن من حدة المشاكل التي يعانيها القطاع وخاصة قطاع الثانوي في الجزائر .

عينة الدراسة : خصص الباحث ثانويتين بالخروب احداهما عامة والأخرى متقنة ، شملت 111 أستاذا وأستاذة وهي عينة قصدية ، مجتمع الدراسة 1837 بولاية قسنطينة منهم 897 نساء

أداة الدراسة :الاستمارة ، الملاحظة ، المقابلة .

نتائج الدراسة :العوامل الأكثر أهمية بالترتيب حسب وجهة نظر الأساتذة كانت كالتالي :

1ـ العوامل المؤسساتية (تعليمية ، بيداغوجية):

-سوء التوجيه المدرســـي

-امتداد الضعف المدرسي إلى المراحل السابقة .

-عدم وجود تشجيعات للأســـاتذة .

-نقص وسائل التعليم ، الانتقال الآلـــي نقص الحجم الساعي مع سوء تحضير الدروس ..

2ــ العوامل الاجتماعية : المشاكل الاجتماعية للأسـاتذة ، اليتم ، فقدان حب الوالدين ، تغيب الأساتذة .

3ـ العوامل النفسيـة : سوء الأحوال الصحية ، صعوبة التكيف ، الحرمان العاطفي.

ملخص الدراســـــة : يعد هذا العمل بمثابة تلخيص لوجهات نظر الأساتذة حول أسباب الفشل المدرسي في مدارسنا الثانوية بوجه عام .يمكن الخروج به هو أن الأساتذة ركزوا على العوامل البيداغوجية أكثر من تركيزهم على العوامل النفسية والعوامل الاجتماعية(**محمد الصالح بوطوطن ورابح العايب ،2005،ص179)**

8- الإجراءات المنهجية:

1.8ـ منهج الدراسة: يعرف المنهج بأنه عبارة عن مجموع العمليات والخطوات التي يضعها بغية تحقيق بحثه وبالتالي فالمنهج ضروري للبحث، فهو الذي ينير الطريق ويساعد الباحث على ضبط أبعاد ومساعي، أسئلة وفرضيات البحث.

ونظرا لتعدد وتنوع وتشعب مواضيع علم الاجتماع، فإنه له مناهج كثيرة وكل منهج يلائم طبيعة موضوع ما، ولذلك فيمكن أن يكون هناك منهج الاثنولوجيا، ولكن لا يوجد منهج علم الاجتماع، بل توجد مناهج علم الاجتماع.(**رشيد زرواتي، 2008، ص 5**)، فاستخدمنا في دراستنا هذه المنهج الوصفي الذي فيه يتبع تقنيات الوصف في العرض والترتيب والتصنيف هو استقصاء ينصب على ظاهرة تربوية من أجل تحليلها وتحديد العلاقات المتواجدة بين عناصرها، وهو أيضا المنهج الذي يعتمد في جمع المعلومات اللازمة عن مشكلة ما مع تصنيفها وترتيبها واستخلاص النتائج بغية إيجاد الحلول اللازمة لمعالجة الظاهرة وآثارها المختلفة، كما يعد المنهج الوصفي المنهج المناسب للدراسات والبحوث الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع التربوي خاصة.

2.8- عينة الدراسة:

2.8 ـ 1 تعريفها: هي عبارة عن مجموعة جزئية من مجتمع الدراسة يتم اختيارها بطريقة معينة وإجراء الدراسة عليها ومن تم استخدام تلك النتائج وتعميمها على كامل مجتمع الدراسة الأصلي.

2ـ8 ـ 2 نوعها: عينة قصدية تم انتقاء أفرادها بشكل مقصود من قبل الباحث نظرا لتوافر بعض الخصائص في أولئك الأفراد دون غيرهم، وتكون تلك الخصائص من الأمور الهامة بالنسبة لدراسة لدى فئة محددة من مجتمع الدراسة الأصلي، وفي دراستنا هذه العينة قصدية تتمثل في أساتذة التعليم المتوسط حيث وزعت40 استمارة على الأســـــاتذة تم استرجاعهـــــا كاملة.

2ـ8 ـ 3 سبب اعتماد العينة القصدية: والسبب في ذلك أن هذه الفئة تدرسلتنفيذ الإصلاحات الجديدة التي تعتمد على المقاربات الحديثة والمستهدفة بالبحث في دراستنا هذه والتي يمكن أن تجيب إجابة صادقة وذات مصداقية على هذه التساؤلات.

2-8 ـ 4 خصائص عينة الدراسة :

- **توزيع عينة الدراسة حسب الجنس :**

الفئة	العـــــــدد	النسبة المئوية	منهم اناث	النسبة المئوية
أســـــتاذ التعلـــــيم المتوسط	40	%100	40	%00

نلاحظ أن أفراد العينة كلهم اناث وهذا يوضح سيطرة العنصر النسوي على قطاع التربية الوطنية وهو ما يتضح من خلال نتائج مسابقات التوظيف التي تنظمها وزارة التربية الوطنية وهذا في السنوات الأخرى وصار عدد الذكور قليل جدا عدا في بعض التخصصات كالتربية البدنية وتخصصات الهندسة .

- **توزيع عينة الدراسة حسب نمط التوظيف :**

الفئة	توظيـــف عـــن طريق المسابقة	النسبة المئوية	خريج مدرسة عليا للأساتذة	النسبة المئوية
أســـــتاذ التعلـــــيم المتوسط	22	%55	18	%45

أفراد العينة 55% من الأساتذة خريجي الجامعات الذين تم توظيفهم عن طريق المسابقة وهي مسابقة كتابية الناجحون فيها يخضعون لمقابلة شفهية بمعنى أن النجاح يتم على أساس الاستحقاق في المقابل نجد 45% من أفراد العينة من خريجي المدرسة العليا للأساتذة ممن تلقوا تكوينا متخصصا لأداء وظيفة التدريس وتوظيفهم مباشر لايخضعون لمسابقة التوظيف ,

- **توزيع عينة الدراسة حسب نوع الشهادة :**

الفئة	شهادة الليسانس	النسبة المئوية	شهادة أعلى	النسبة المئوية
أســـــتاذ التعلـــــيم المتوسط	40	%100	00	%00

أفراد العينة 100% من الأساتذة خريجي الجامعات الذين تم توظيفهم عن طريق المسابقة وهم حاصلون على شهادة الليسانس ذلك أن التوظيف للالتحاق برتبة استاذ التعليم المتوسط يتطلب الحصول على شهادة الليسانس أوشهادة معادلة لها لا أقل ولا أكثر وحسب التخصص المطلوب ,

- **توزيع عينة الدراسة حسب الاستفادة من دورة تكـــــــــــــوينية :**

الفئة	الاستفادة من دورة تكوينية	النسبة المئوية	عدم الاستفادة من دورة تكوينية	النسبة المئوية
أســـتاذ التعلـــيم المتوسط	40	%100	00	%00

أفراد العينة 100% من الأساتذة استفادوا من دورات تكوينية لتحسين المستوى وكذا الاطلاع على كل ماهو جديد لاسيما في مجال طرائق التدريس والتقويم وتقنيات تسيير الأقسام التربوية المسندة .

8 ـ 3 ادوات جمع البيانات: تم الاعتماد على أداة واحدة هي الاستمارة.

الاستمارة: تعرف بأنها: نموذج يضم مجموعة أسئلة توجه إلى الأفراد من أجل الحصول على معلومات حول موضوع أو مشكل أو موقف، ويتم تنفيذ الاستمارة إما عن طريق المقابلة الشخصية أو أن ترسل إلى المبحوثين عن طريق البريد.كما تعرف بأنها مجموعة من الأسئلة بعضها مفتوحة وبعضها مغلقة، وبعضها الآخر نصف مفتوح.

وتستخدم الاستمارة لجمع البيانات الميدانية التي تعسر جمعها عن طريق أدوات جمع البيانات الأخرى، ويجب أن تغطي الاستمارة جميع محاور البحث، وتستخدم الاستمارة لجمع البيانات الميدانية التي تعسر جمعها عن طريق أدوات جمع البيانات الأخرى، ويجب أن تغطي الاستمارة جميع محاور البحث، إذا كانت استخدمت كأداة بحث وحدها، وقد تخصص لبعض محاور البحث وبعض المحاور الأخرى تدرج في أدوات بحث اخرى كالمقابلة، الملاحظة، الوثائق والسجلات الإدارية(**رشيد زرواتي، 2008، ص:176**).

وتتميز الاستمارة بأنها حيادية، فلذا كانت أسئلتها مستقلة تسمى بالاستمارة، أما إذا أتت في المقابلة فتدعى باستمارة الاستبيان

فالاستمارة من أهم أدوات البحث والدراسة في جانبها الميداني لجمع المعلومات من الفئة المستهدفة وهي فئة أساتذة التعليم المتوسط، حيث وزعت 40 استمارة تضمنت 03 محاور كل محور يتضمن مجموعة من المؤشرات والمتغيرات في هيئة أسئلة مغلقة تكون الإجابة وفق نعم أو لا وفق المحور التالي :

- بيانات عامة.

- المحور الأول: بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات.

8ـ 4 الأساليب الإحصائية المعتمدة :

تمت الاستعانة في عملية التفريغ والتحليل والتفسير الإحصائي للبيانات واختبار الفرضيات والتأكد من صحة الفرضيات أو خطأها بالاعتماد على :

ـ التكرارات والنسب المئوية من أجل عرض خصائص العينة ومعرفة مدى موافقة أفرادها على عبارات الاستبيان .

ـ المتوسطات الحسابية لمعرفة اتجاهات اجابات أفراد العينة .

ـ التكرارات والنسب المئوية لمعرة قيمة واتجاهات أفراد العينة من خلال العبارات المجاب عنها

9 ـ عرض وتحليل نتائج الدراسة ومناقشتها :

9 ـ 1 عرض وتحليل نتائج الدراسة :

عرض وتحليل النتائج: المقاربة بالكفاءات تحد من الانقطاع المدرسي .

الجدول رقم 01:محتويات المناهج الحالية مبنية على العمل بالمقاربة بالكفاءات

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	36	% 90
لا	04	% 10

نلاحظ أن المناهج التعليمية مبنية على المقاربة بالكفاءات وهذا تجسيدا للإصلاحات التربوية الساعية إلى الرفع من المستوى والحد من الانقطاع والضعف المستوى وهذا منذ سنة 2003 وهو ما عبر عنه بنسبة 90 % من المبحوثين مقابل 10 %. كما ان المناهج المعاد كتابتها سنة 2014 تعتمد على المقاربة بالكفاءات وفق نظرة جديدة تتجاوز الصعوبات المسجلة سابقا لتحقيق الأهداف التربوية المسطرة بفعالية كبيرة وتحقق منتوج تعليمي جيد .

الجدول رقم 02: هل تعمل بالمقاربة بالكفاءات في تنفيذ مضامين المناهج

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	38	% 95
لا	02	% 05

عبر 95 % من المبحوثين عن تأكيدهم على العمل بالمقاربة بالكفاءات لأنها مقاربة بديلة لمقاربة الأهداف في النظام التربوي الجزائري وهذا تجسيدا للتوجيهات الرسمية. كما أن العمل بها ملزم لجميع الأساتذة في ظل تنفيذ سياسة تكوينية قائمة على التحوير البيداغوجي بما يتماشى وهذه المقاربة والتي امتدت إلى جميع الفاعلين خاصة هيئات التفتيش وهيئات التسيير والإشراف . والفئة التي لا تعمل بهذه المقاربة تتمثل أساسا في الأساتذة القدامى الذين يجدون صعوبة في التأقلم مع هذه المقاربة .

الجدول رقم 03: المقاربة بالكفاءات سهلة العمل بها مع التلاميذ

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	06	%15
لا	34	%85

عبر 85 % من المبحوثين عن صعوبة العمل بهذه المقاربة مع التلاميذ مقابل 15 % ذكروا أنها سهلة التجسيد والصعوبة راجعة لضعف التكوين والتغييرات المستمرة للمنهاج وغياب الوسائل اللازمة لتطبيقها وكذا كثافة البرنامج.كما أن الأساتذة يجدون صعوبة في إعداد الوضعيات التعليمية التعلمية تراعي بيئة المتعلم السوسيو ثقافية والسوسيو اقتصادية .... في ظل كثافة البرنامج ومحتوياته .

الجدول رقم 04: يبدي التلاميذ استجابة لهذه المقاربة

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	26	% 65
لا	14	% 35

65% من المبحوثين ذكرو أن التلاميذ يستجيبون للعمل بهذه المقاربة ويعملون بها كونها المقاربة الأولى والمعتمدة في التدريس كما أنها تعتمد على الوضعيات التعليمية المألوفة والعملية بمعنى أنها من الواقع المعيش وهو ما يجعلها مشوقة ومرغبة على التعلم كما أنها تجعله الفاعل فيها ليس مستقبلا فقط بمعنى آخر يسهم في بناء معارفه وما لذلك من تشويق واثبات للذات وبالتالي اقبال على التعلم ومواصلة التمدرس بكل رغبة واقبال .

الجدول رقم 05: المقاربة بالكفاءات تساعد على الرفع من مستوى المتعلمين

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	28	% 70
لا	12	% 30

عبر المبحوثين على أن هذه المقاربة ترفع من المستوى التعليمي لدى التلاميذ لأنها تجعل التلميذ محور للعملية التعليمية وهذا ما عبر عنه 70 % من المبحوثين. كما أنها نفعية براغماتية لتعلماته نفع له وهو ما يحفزه على التعلم وبالتالي الرفع من مستواه .

الجدول رقم 06: المقاربة بالكفاءات محفزة للمتعلمين

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	30	% 75
لا	10	% 25

المقاربة بالكفاءات مقاربة محفزة ومشجعة للمتعلمين على التعليم وفق ما ذكره المبحوثون بنسبة 75 % وهي تسهم في التقليل من الرسوب والتسرب أو الانقطاع بعبارة أخرى لأنها تعتمد على المتعلم ولا تهمله بل تجعله محورا فعالا وأساسيا في العملية تراعي رغباته وميولاته وحاجاته المختلفة وهوما أهملته المقاربات القديمة على غرار المقاربة بالمضامين والمقاربة بالأهـــــداف .

الجدول رقم 07: المقاربة بالكفاءات تسهم في الحد من الانقطاع الدراسي

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	28	%70
لا	12	%30

بالنسبة للانقطاع ذكر المبحوثون أن هذه المقاربة تسهم في الحد من الانقطاع المدرسي وتحد منه وهو ما عبر عنه 70 % من المبحوثين وذلك بالنظر للنسب المرتفعة للناجحين في مرحلة التعليم المتـــــوسط وقلة عدد المنقطعين عن الدراسة لاسيما في السنوات الأولى من مرحلة التعليم المتوسط (س1، س2 ، س3) .

الجدول رقم 08: ينقطع التلاميذ عن الدراسة لصعوبة هذه المقاربة

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	14	% 35
لا	26	% 65

صعوبة هذه المقاربة ليست سببا في الانقطاع الدراسي ولا تؤدي إلى الانقطاع الدراسي بل تساهم في الحد منه والقضاء عليه وهذا وفق ما يعبر عنه بـ 65 %. فهذه المقاربة ليست سببا في الانقطاع بل هـــــي عامل في الحد منه ومجابهته ولذلك تم الاعتماد عليها .

الجدول رقم 09: الاعتماد على المقاربة بالكفاءات قلص من نسب الانقطاع والفشل

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	28	% 70
لا	12	% 30

تسهم هذه المقاربة في الحد من الانقطاع المدرسي و التسرب بشكل آخر وهذا ما عبر عنه العدد الأكبر من أفراد العينة 28 مقابل 12 يرون عكس ذلك ويرون أنها لا تسهم في الحد من الانقطاع المدرسي .

الجدول رقم 10: العمل بالمقاربة بالكفاءات أمر صعب على المتعلمين

	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	12	% 30
لا	28	% 70

المقاربة بالكفاءات أمر غير صعب على المتعلمين والمعلمين على حد سواء وهو ما يسهل التحصيل الجيد والذي يؤدي إلى النجاح في المسار الدراسي وفق ما ذكره أغلب أفراد العينة بنسبة 70 % مقابل 30 % ترى أنها أمر صعب على المتعلمين ويعيق التحصيل الجيد والنجاح في المسار الدراسي .

9ـ 2 نتائج الدراســــــــــة ومناقشتها :

(1) مناقشة نتائج الدراسة في ظل الفرضية :

للتأكد من صحة الفرضية الأولى والتي مفادها "المقاربة بالكفـــاءات تحد من ظاهرة الانقطاع المدرسي لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط " وبالرجوع إلى عبارات المحور الأول نجد أن أغلب العبارات حظيت بالموافقة المرتفعـــة ومن بين هذه العبارات نجد العبارة (1)،(2)،(4)،(5)،(6)،(7)،(9) والتي تؤكد الاعتماد على المقاربة بالكفاءات في إعداد المناهج الدراسية في اطار إصلاح المنظومة التربوية كما تبين الاعتماد عليها في التدريس وبناء المعرف للتلاميذ باعتبارها مقاربة نفعية براغماتية كما بينت إجابات الأساتذة تجاوب المتعلمين مع هـــــذه المقاربة كما أكدوا أنها تسهم بشكل كبير في الرفع من المستوى التعليم وزيادة درجات التحصيل الدراسي كما أنها تسهم بشكل كبير في الحد من ظاهرة التسرب والانقطاع الدراسي الذي يعد مشكلة كبيرة تواجه المدرسة ومن العبارات التي تؤكد ذلك العبارة رقم 5 والتي تبين اسهامها في الرفع من نسب النجاح والتحصيل ، العبارتين 07و09 بنسب بلغت 70%اللتان تبينان أن هذه المقاربة تسهم في الحد من الرسوب والانقطاع المدرسي ، وكذلك ما تبينه النتائج الدراسية حيث بلغت نسب النجاح والانتقال في التعليم المتوسط مستويات عالية تجاوزت 80 % في كثير من المؤسسات والولايات وعليه نصل وفي ظل الإجابات المحصل عليها والنسب المئوية الخاصة بكل عبارة الى القول أن المقاربة بالكفاءات مقاربة بيداغوجية حديثة تعتمد عليها الكثير من الدول العربية ومنها الجزائر كبديل للمقاربات السابقة التي لم تعد تساير متطلبات العصر والذي يشهد تسارعا كبيرا وعلى جميع الأصعدة هذه المقاربة نفدت حولها العديد من الملتقيات والورشات التكوينية لتسهيل العمل بها مع التلاميذ وهو ما تم تحقيقه وبشكل كبير رغم حداثة العمل بهـا .

خاتمة :

من خلال دراستنا هذه حول ظاهرة الانقطاع الدراسي لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط ومدى اسهام المقاربات البيداغوجية الحديثة المعتمدة في مناهجنا الدراسية في الحد والتقليل ومواجهة ظاهرة الانقطاع الدراسي التي تعد إشكالية كبيرة تواجه الكثير من المنظومات التربوية في العالم عامة والدول العربية خاصة ومنها الجزائر ، توصلنا إلى جملة من النتائج والتي تتمثل أساسا في :

*بناء المناهج التعليمية يرتكز على اعتماد المقاربة بالكفـــــــــاءات .

*التزام الأساتذة والمدرسين بالاعتماد عليها في العملية التعليمية التعلمية وتلقيهم لدورات تكوينية حولها .

*استجابة المتعلمين لهذه المقاربة وتفاعلهم معها.

*هذه االمقاربة تتطلب إمكانات ووسائل بيداغوجية كثيرة .

*تتطلب هذه المقاربة تكوينا عاليا للأساتذة والمعلمين من جميع الجوانب بما يؤهلهم لتنفيذ هذه الاستراتيجيات بشكل كبير .

* اسهام هذه المقاربة في الحد من ظاهرة التسرب والانقطاع الدراسي لكونها تتيح مجالا كبيرا للمتعلمين لإبداء آرائهم ومشاركتهم في العمل بفاعلية كبيرة كما أن أعمالهم قابلة للملاحظة والتقييم بما يساعد على تحقيق درجات معرفية كبيرة .

*من نتائج تطبيق هذه المقاربات تقليص نسب الانقطاع المدرسي ففي دراسة لمديرية التربية بولاية جيجل سجلت نسبة انقطاع قدرت بنسبة 8,4% خلال السنوات (1994 ، 1995 ، 1996 ، 1997 ،1998 ، 1999) وهي السنوات التي كان العمل فيها يعتمد على المقاربة بالأهداف بينما سجلت نسبة انقطاع قدرت بـنسبة مئوية 0,06% فمن جملة 50665 تلميذ متمدرس انقطع عن الدراسة 3182 تلميذ وهذا في نهاية الموسم الدراسي 2017 /2018 وهي السنة التي بلغت نسب الإصلاحات مرحلة متقدمة والتي تعتمد على المقاربات الحديثة ومن هذه المقاربات المقاربة بالكفاءات أما في التعليم الابتدائي فبلغت نسبة الانقطاع في نهاية سنة 2018/2017 نسبة بلغت 0،09% في حين وفي نهاية سنة 1999 بلغت 2،87 % وهنا نلاحظ المساهمة الكبيرة لهذه المقاربة في التقليل من ظواهر التسرب ، الرسوب أو التكرار ، الانقطاع الدراسي. في الأخير نصل إلى القول أن المقاربة بالكفاءة تسهم بشكل كبير في الحد من التسرب والانقطاع الدراسي إضافة إلى العوامل الأخرى .

قائمة المـــــراجع :

1-فريد حاجي. (2005) ،**بيداعوجيا التدريس بالكفاءات ـ الأبعاد والمتطلبات** ـ الجزائر ،دار الخلدونية للنشر والتوزيع .

2ـ فريدة شنان ومصطفى هجرسي ، (2009) .**المعجم التربوي**، الجزائر، المركز الوطني للوثائق التربوية

3-رشيد زرواتي،(2008) ،**تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية** ،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية .

4- محمد الصالح بوطوطن ،رابح العايب ، (2005) ، **أسباب الفشل المدرسي من وجهة نظر الأساتذة** ،الجزائر ، جامعة الجزائر.

5ـ محمد الطاهر وعلي، (2011) ، **بيداغوجية الكفاءات**، الجزائر ، دار الورسم للنشر والتوزيع .

جودة الحياة الوظيفية و علاقتها بالدافعية للانجاز عند الموظفين

دراسة ميدانية بالمدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها بدالي إبراهيم – الجزائر العاصمة

د/ محيوز كريمة ـ جامعة الجزائر 2

ملخص :

عمدت هذه الدراسة إلى إيجاد العلاقة بين جودة الحياة الوظيفية و دافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها كمجتمع دراسة انطلاقا من دراسات أثبتت وجود علاقة بين هذين المتغيرين ، لهذا و من أجل الكشف على هذه العلاقة تم طرح تساؤلات البحث التالية :التساؤل الرئيسي :–هل توجد علاقة بين جودة الحياة الوظيفية و الدافعية للانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها ؟ ومن خلال هذا التساؤل العام يمكن طرح الأسئلة الجزئية التالية :

1– هل توجد علاقة بين بيئة العمل المادية و المعنوية (الأمن و الصحة المهنية ، العلاقات الاجتماعية ، الأجور و الرواتب) و الدافعية للانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها ؟

2–هل توجد علاقة بين بيئة العمل التنظيمية و الوظيفية (الإشراف و مشاركة العاملين في الإدارة ، الأمن و الاستقرار الوظيفي ، الترقية و التقدم الوظيفي) و دافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها ؟ و للإجابة على هذه التساؤلات طبق مقياسين الأول خاصة بقياس جودة الحياة الوظيفية تم إعداده من طرف الباحث مروان حسن البربري و الثاني خاص بقياس الدافعية للانجاز تم إعداده من طرف الباحثة قوراري حنان حيث طبق المقياسين على عينة قوامها 49 موظفا تتوزع على مختلف أقسام العمل بالمدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها من بين 245 موظفا ما يعادل نسبة 20 % منهم .أما عن المنهج المتبع فقد تمثل في المنهج الوصفي و هو الأنسب لدراسة العلاقة الإرتباطية بين متغيرات الدراسة ، بالنسبة لنتائج الدراسة فكانت كالتالي : لا توجد علاقة بين جودة الحياة الوظيفية و دافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها –لا توجد علاقة بين بيئة العمل المادية و المعنوية (الأمن و الصحة المهنية ، العلاقات الاجتماعية ، الأجور و الرواتب) و الدافعية للانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها – لا توجد علاقة بين بيئة العمل التنظيمية و الوظيفية (الإشراف و مشاركة العاملين في الإدارة ، الأمن و الاستقرار الوظيفي ، الترقية و التقدم الوظيفي) و دافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها .

الكلمات المفتاحية : جودة الحياة الوظيفية، بيئة العمل التنظيمية والوظيفية، بيئة العمل المادية والمعنوية، الدافعية للانجاز .

Abstract:

This study aimed finding the relationship between the quality of career and the achievement's motivation of the staff of the Higher School of Sports Science and its technologies as a study society based on studies that proved a relationship between these two variables. For this purpose ,the following queries have been asked:

The main one: Is there a relationship between the quality of the career and the motivation for achievement in the staff of the Higher School of Sports Science and its Technologies? Through this general question, we could ask the following partial questions:

1. Is there a relationship between the physical and moral working environment (security and health, social relations, wages and salaries) and the motivation for achievement at the staff of the Higher School of Sports Science and its Technologies?

2 - Is there a relationship between the regulatory and functional environment (supervision and participation of employees in management, security and career stability, promotion and career advancement) and motivation for achievement at the staff of the Higher School of Sports Science and its technologies? In order to answer these questions two measures were applied, the first one is to measure the quality of the career that the researcher Marwan Hassan Al-Barbri prepared it.The second one is the measurement of motivation for achievement that was prepared by Researcher Kourari Hanane. The two measures were applied to a sample of 49 employees among the various sections of the Higher School of Sports Sciences and its Technologies of 245 employees, equivalent to 20% of them. The method used in the descriptive approach is the most appropriate to study the correlation between the variables of study. The results of the study were as follows: There is no relationship between the quality of career and the motivation for achievement. There is no relationship between the physical and moral working environment (security, occupational health, social relations, wages and salaries) and the motivation for achievement at the staff of the Higher School of Sports Science and Technologies. There is no relationship between the organizational work environment (Supervision and participation of staff in management, security and career stability, promotion and career advancement) and motivation achievement at the staff of the Higher School of Sports Sciences and its technologies.

Keywords: Quality of career, Organizational and functional environment, Physical and moral work environment, Motivation for achievement.

1-مقدمة :

يعتبر المورد البشري في المنضمات أهم مورد فبفضله تحقق الميزة التنافسية و الاستثمار فيه يفوق أي استثمار في مورد أخر ولقد أثبتت الدراسات أن سبب تفوق الكثير من المؤسسات و المنضمات راجع إلى وجود إدارة متطورة تهتم بموظفيها .

و لدى كل منظمة مجموعات من الأفراد من ثم فإن الحصول على خدمات هؤلاء الأفراد و تنمية مهاراتهم و تحفيزهم لتحقيق أعلى مستويات الأداء و ضمان استمرار ولاءهم و انتمائهم للمنظمة يعتبر مطلبا أساسيا لتحقيق الأهداف التنظيمية و ينطبق ذلك القول على منظمات الأعمال كما ينطبق على أية منظمة أخرى سواء كانت تعليمية ، صحية ، ...فالحصول على الأفراد المناسبين و الحفاظ عليهم يمثل الدعامة الأساسية لتحقيق النجاح والاستقرار والنمو لهذه المنظمات .

و لقد بدأ الاهتمام بجودة الحياة الوظيفية داخل الشركات و المنظمات عام (1970) حيث شرعت الإدارات في العديد من الشركات و المنظمات الكبرى في إعداد مشاريع شاملة و متكاملة لتحسين إنتاجية القوى العاملة و تطوير أدائها و التخلص من العقبات التي تحول دون تقدمها و تطورها .

فوجود جودة الحياة الوظيفة داخل التنظيم له دور حيوي في التأثير على الموارد البشرية و بعض المتغيرات المتعلقة بالأفراد و منها الدافعية لديهم و خاصة الدافعية للإنجاز و التي تعتبر مطلبا يسعى له جميع أفراد المجتمع و كل منظمة تريد أن تحقق نجاحا اقتصاديا هاما واستقرارا متميزا ، و هي تعبر عن مدى سعي الفرد و اجتهاده و مثابرته من أجل تحقيق مستوى عال من الأداء ، كما تعبر عن مختلف التحديات التي يقوم بها الفرد من أجل تحقيق أهدافه . و لهذا جاءت الدراسة التالية محاولة التعرف على العلاقة بين جودة الحياة الوظيفية والدافعية للانجاز .

2-الإشكالية :

لقد حظيت الموارد البشرية باهتمام العديد من الباحثين من خلال الكم الهائل من الدراسات التي خصصت لها و كان لظروف العمل و جودة الحياة حصة الأسد و الحظ الأوفر منها، فقد ظهر مصطلح جودة الحياة لأول مرة عام 1972 خلال المؤتمر الدولي لعلاقات العمل و نال هذا المصطلح اهتماما كبيرا نتيجة تركيزه على تطبيق أسلوب إعادة هندسة الموارد البشرية و اكسباها مهارات متنوعة بما يمنحها الفرصة لاتخاذها القرارات الخاصة بها على مستوى وظائفها .(**دسوقي، 2015 : 318**) .

لقد استحوذ مفهوم جودة حياة العمل على مجال واسع من الظواهر التنظيمية سواء في شكله الكلي و الموضوعي أو في احد أبعاده و مكوناته حيث يشير مفهوم جودة حياة العمل إلى توفير المنظمة لعوامل و أبعاد حياة وظيفية أفضل للعاملين بها و يتطلب ذلك انتهاج سياسات الأجور و المكافئات التي تمكن من توفير حياة وظيفية تشبع حاجاتهم و تحقق أداء أفضل للمنظمة (**زاهر ، 2016 : 109**) . و يعرف "كاسيو Cassio" جودة الحياة الوظيفية بأنها تصورات بشان بيئة العمل هل هي أمنة و هل تحقق الرضا لديهم و هل تحقق التوازن بين حياتهم الشخصية و الوظيفية و هل تحقق لهم فرص للتعلم، النمو ، التطور ، الاعتراف و تقدير الذات .(**ساخي ، 2016 : 88**)

كما يعرفها كل من " Sherman ; Bohander & Smell " على أنها " تمثل الجهود التي تبذلها المنظمة لتحسين جودة حياة العمل مما يتطلب إجراء التغيرات التي تركز على البحث عن أفضل الطرق لتحسين بيئة العمل كمدخل يمكن من خلاله إمداد العاملين بالمعلومات و المعرفة و السلطة و المكافئة التي تنمي الأداء و تمنح التعويض بشكل عادل مع الحفاظ على استقرار الأفراد و كرامتهم مما يدعم و يقوي الثقافة التنظيمية للمنظمة (**بركيبة ، 2017 : 24**) و هو ما ذهب إليه هاجر قريشي و فهيمة باديسي (2016) حول تقييم الأثر الذي يمكن أن تحدثه جودة الحياة الوظيفية على الأداء الوظيفي بكلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير بجامعة قسنطينة 2 و دراسة فيروز بوزورين (2010) التي كشفت عن الدور الذي تلعبه جودة الحياة الوظيفية في تحفيز العاملين بالمؤسسات الصغيرة و المتوسطة في دراسة ميدانية قامت بها بشركة مامي للمشروبات الغازية بسطيف .

لم يكتفي أصحاب المشاريع و العمل بالاهتمام بجودة الحياة الوظيفية عند العمال كعامل مؤثر داخل المؤسسة من شانه دعم الاستقرار و تحقيق أحسن النتائج التنظيمية بل الأكثر من ذلك اهتموا بدافعيتهم نحو عملهم بحكم المهنة و المجتمع و ذلك من اجل انجاز وظائفهم و تقديم خدمات تعود بالنفع على الفرد، المؤسسة و الاقتصاد على حد سواء .

و بين هذا و ذاك من الظروف و المطالب الضاغطة فالعامل في الأخير هو إنسان بقدرات و إمكانيات جسمية و نفسية و معرفية محدودة تتأثر حالته النفسية و دافعيته للعمل و العطاء سلبا و إيجابا بما يحيط به . حيث أن موضوع الدافعية حظي باهتمام بالغ لدى الباحثين في علم النفس سواء التربوي أو المهني طالما أن الفرد هو الوحدة الأساسية الذي يتمحور حوله هذا الموضوع .

و لقد عرف " فاروق عبد الفتاح " الدافعية على أنها " الرغبة المستمرة للسعي إلى النجاح و إنجاح و انجاز أعمال صعبة و التغلب على العقبات بكفاءة و بأقل قدر ممكن من الجهد و الوقت و بأفضل مستوى أداء (**موسى ، 1991 : 6**) ، في حين أشار ماكليلاند لدافعية للانجاز على أنها " ترتبط بمنافسة الفرد لمعايير الأداء التي يضعها و يميز بين الرغبة في النجاح والخوف من الفشل و الانفعال الوجداني المرتبط بينهما حيث أن نتيجة دافعية الانجاز تتضمن صراع انفعالي بين الرغبة في النجاح و الخوف من الفشل .

فالدافعية للانجاز مطلب أساسي تسعى إليه المؤسسات و المنظمات إذ أن قدرتها على تحقيق أهدافها تعتمد بشكل كبير على نجاح الإدارة في توفير القدر الكافي من الدافعية للوصول إلى أهدافها المسطرة و هذا استنادا إلى العديد من الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب منها دراسة مريم عثمان (2010) التي بحثت في العلاقة الموجودة بين الضغوط المهنية و دافعية الانجاز لدى أعوان الحماية المدنية بالوحدة الرئسية و دراسة قوراري (2014) و التي هدفت إلى التعرف على مستوى الضغوط المهنية و دافعية الانجاز لدى أطباء الصحة العمومية و طبيعة العلاقة بينهما .

و من هنا يتضح أن الاهتمام بجودة الحياة الوظيفية يستدعي تسليط الضوء على دافعية الانجاز لدى الأفراد الذين يشكلون الركيزة الأساسية في المؤسسات و هو ما نسعى للبحث عنه من خلال دراستنا هذه و التي حصرناها في التساؤل الرئيسي التالي :

-هل توجد علاقة بين جودة الحياة الوظيفية و الدافعية للانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها ؟

ومن خلال هذا التساؤل العام يمكن طرح الأسئلة الجزئية التالية :

1- هل توجد علاقة بين بيئة العمل المادية و المعنوية (الأمن و الصحة المهنية ، العلاقات الاجتماعية ، الأجور و الرواتب) و الدافعية للانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها ؟

2-هل توجد علاقة بين بيئة العمل التنظيمية و الوظيفية (الإشراف و مشاركة العاملين في الإدارة ، الأمن و الاستقرار الوظيفي ، الترقية و التقدم الوظيفي) و دافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها ؟

2-فرضيات الدراسة :

1.2-الفرضية العامة : توجد علاقة بين جودة الحياة الوظيفية و دافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها .

2.2-الفرضيات الجزئية:

- توجد علاقة بين بيئة العمل المادية والمعنوية (الأمن و الصحة المهنية، العلاقات الاجتماعية ، الأجور والرواتب) والدافعية للانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة وتكنولوجياتها .

-توجد علاقة بين بيئة العمل التنظيمية و الوظيفية (الإشراف ومشاركة العاملين في الإدارة ، الأمن و الاستقرار الوظيفي، الترقية و التقدم الوظيفي) ودافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها .

3-أهمية الدراسة :

يعالج هذا البحث موضوعا هاما يتمثل في الدراسة العلمية للعلاقة بين جودة الحياة الوظيفية من جهة و الدافعية للانجاز من جهة أخرى و عليه يمكن أن نلخص أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية :

-محاولة الكشف عن أكثر عوامل و أبعاد جودة الحياة تأثيرا في دافعية الانجاز و الذي ينعكس على أدائهم و مستواه الإنتاجي في المؤسسة .

-تسهم هذه الدراسة في تقديم معلومات للمسؤولين عن كيفية رفع أداء موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها و زيادة كفاءتهم و هذا من خلال توفير الأجواء المناسبة لزيادة دافعيتهم للانجاز.

-تقديم معلومات عن عوامل تحقيق الجودة الوظيفية و عن أهميتها في أي مؤسسة .

4-أهداف الدراسة :

-تهدف الدراسة للكشف عن العلاقة بين جودة الحياة الوظيفية و الدافعية للانجاز لدى الموظفين بالمدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها .

- كما تهدف إلى التعرف على العلاقة بين بيئة العمل المادية والمعنوية (الأمن والصحة المهنية ، العلاقات الاجتماعية، الأجور و الرواتب) والدافعية للانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و

تكنولوجياتها و التعرف على العلاقة بين بيئة العمل التنظيمية و الوظيفية (الإشراف و مشاركة العاملين في الإدارة ، الأمن والاستقرار الوظيفي، الترقية والتقدم الوظيفي) و دافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة وتكنولوجياتها.

5-مفاهيم و مصطلحات الدراسة :

1.5- مفهوم جودة الحياة الوظيفية :

1.1.5 -التعريف اللغوي: كلمة الجودة في أصل اللغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور تعني الجيد و الأجود و هو نقيض الرديء و يقال فلان أجاد عمله و أجود و استنجد ...عده جيدا و أجاد الشيء يجوده أي صار جيدا (**ابن منظور ، 2005 :693)**

2.1.5-التعريف الاصطلاحي: إن مفهوم جودة الحياة الوظيفة يجب أن يكون مفهوما شاملا يتضمن أهداف و مصالح العاملين و أهداف إدارة المنظمة و التي تعكس بدورها أهداف أصحاب رأس المال حيث أن زيادة معدلات الرضا الوظيفي للعاملين و الناتج عن مستويات عالية لجودة الحياة الوظيفية يساهم في تحقيق الأهداف الإستراتيجية للمنظمة و أيضا تلبية مطالب العملاء و المجتمع .**(عبد الرزاق ، 2015 :48)**

3.1.5- التعريف الإجرائي : نعرفها إجرائيا على أنها : " بيئة العمل التي تتوفر فيها العوامل المادية و المعنوية بمختلف أبعادها بشكل جيد مما ينعكس ذلك إيجابا على الموظف فيشعر بالرضا و الأمان الوظيفي فيبذل أقصى جهد ممكن في خدمة المؤسسة " . و هي تعبر عن مجموع الدرجات التي يتحصل عليها الفرد في المقياس المعد لقياس جودة الحياة الوظيفية عند الموظفين.

2.5- الدافعية للانجاز :

1.2.5- التعريف اللغوي : جمعها دافع و هي التي تحمل معنى التحريك أو الدفع بمعنى كل ما يحمل الشخص على الحركة فيجعله يتحرك .(**البار ، 2014 : 60)**

إن كلمة دافعية "Motivation" لها جذورها في الكلمة اللاتينية " Movere " و التي تعني يدفع أو يحرك، في علم النفس حيث تشتمل دراسة الدافعية على محاولة تحديد الأسباب أو العوامل المحددة للفعل أو السلوك .

2.2.5- التعريف الاصطلاحي:

و يشير مصطلح دافعية إلى مجموعة الظروف الداخلية التي تحرك الفرد من اجل تحقيق حاجاته و إعادة التوازن عندما يختل و المحافظة على استدامته حتى تشبع الحاجة و يعود التوازن ،كما يشير مصطلح الدافعية إلى حالة بسيكولوجية نفسية داخلية تحرك الفرد للقيام بسلوك معين لتحقيق هدف محدد و إذا لم تحقق هذا الهدف يشعر الإنسان بالضيق و التوتر حتى يحققه . (**الغامدي ،2009 : 90)**

3.2.5- التعريف الإجرائي :

هو ذلك الطموح الذي يدفع الفرد للمثابرة من أجل بذل الجهد من خلال سلوكات انجازيه مهنية تدل على إقباله على العمل رغم وجود توترات داخله و هي تعبر عن مجموع العلامات التي يتحصل عليها الفرد في المقياس المعد لقياس دافعية الانجاز عند الموظفين .

6-منهج الدراسة :

باعتبار أن الدراسة تتمحور حول إيجاد العلاقة بين الجودة الوظيفية و الدافعية للانجاز فان المنهج المناسب هو المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب كونه يستخدم في دراسة العلاقات الارتباطية و تقدير مداها و اتجاهها .

7-مجتمع الدراسة :

يتكون مجتمع الدراسة من مجموع الموظفين المنتسبين للمدرسة العليا في علوم الرياضة و تكنولوجياتها بدالي إبراهيم الجزائر العاصمة البالغ عددهم 245 موظفا على اختلاف أعمارهم و سنوات خبرتهم و مؤهلاتهم العلمية و مناصبهم التي يشغلونها و هذا موضح في الجدول رقم (1) :

جدول رقم (1) : يوضح توزيع أفراد مجتمع الدراسة

الطبقات	التكرار	النسبة %
الأساتذة	62	25.30
الإداريين	69	28.16
السلك الطبي و شبه الطبي	07	2.85
العمال التنفيذيين	107	43.67
المجموع	245	100

8- عينة الدراسة :

من بين 245 موظفا نأخذ نسبة 20 % منهم بما يعادل 49 موظفا تتوزع على مختلف أقسام العمل على النحو التالي:

م=حجم العينة الكلية (49) موظفا

ن=حجم مجتمع الدراسة (245) موظفا

ن1 =حجم الأساتذة في المجتمع (62) أستاذا

ن2 = حجم الإداريين في المجتمع (69) إداريا

ن3=حجم عينة السلك الطبي و الشبه طبي في المجتمع (7) أطباء

ن4=حجم عينة العمال التنفيذيين في المجتمع (107) عاملا

م1 = ن1 x م / ن = 62x 49 /245 = 12،4

و بنفس الطريقة نتحصل على النتائج التالية :

م1=12 م2=14

م3=2 م4= 21

جدول رقم (02) : يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة

الطبقات	التكرار	النسبة%
الأساتذة	12	%24.48
الإداريين	14	%28.57
السلك الطبي و شبه الطبي	02	%4.08
العمال التنفيذيين	21	%42.85
المجموع	49	%100

9-أدوات جمع البيانات :

1.9-استبيان جودة الحياة الوظيفية :

تم إعداد الاستبيان من طرف الباحث مروان حسن البربري في إطار تحضير شهادة الماجستير في برنامج القيادة و الإدارة بأكاديمية الإدارة و السياسة للدراسات العليا غزة فلسطين . و يتكون الاستبيان من ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول : و هو عبارة عن البيانات الشخصية و الوظيفية للمستجوبين (الجنس ،العمر ، المؤهل العلمي ، المسمى الوظيفي ، عدد سنوات الخدمة)

القسم الثاني : و هو عبارة عن أبعاد جودة الحياة الوظيفية و يتكون من 36 فقرة تم الاستعانة بها و هذه الفقرات مقسمة إلى جزئين :

أولا : الأبعاد المتعلقة ببيئة العمل المادية و المعنوية : و يتكون من (17) فقرة موزعة على ثلاث مجالات هي :

المجال الأول : الأمن و الصحة المهنية و يتكون من خمس فقرات

المجال الثاني : العلاقات الاجتماعية و يتكون من ست فقرات

المجال الثالث : الأجور و الرواتب و يتكون من ست فقرات

ثانيا : الأبعاد المتعلقة ببيئة العمل التنظيمية و الوظيفية : و يتكون من (19) فقرة موزعة على ثلاث مجالات هي :

المجال الأول : الإشراف و مشاركة العاملين في الإدارة و يتكون من سبع فقرات

المجال الثاني : الأمان و الاستقرار الوظيفي و يتكون من خمس فقرات

المجال الثالث : الترقية و التقدم الوظيفي و يتكون من سبع فقرات و قد تم استخدام سلم ليكرت الخماسي لقياس الاستبيان حسب الجدول أدناه :

الجدول رقم (03) : درجات مقياس ليكرت الخماسي

الاستجابة	موافق بدرجة قليلة جدا	موافق بدرجة قليلة	موافق بدرجة متوسطة	موافق بدرجة كبيرة	موافق بدرجة كبيرة جدا
الدرجة	1	2	3	4	5

2.9-مقياس الدافعية للانجاز :

تم إعداد هذا المقياس من طرف الباحثة قوراري حنان و التي اعتمدت في بناءه على كل من استمارة دافعية الانجاز لفرومر –مقياس نيموف ر.س 1999 –استخبار الدافع للانجاز هرمانس 1970 .

وصف المقياس : يتكون من خمسة أبعاد هي :

-**البعد الأول** : سلوك الانجاز

-**البعد الثاني** : المثابرة في بذل الجهد

-**البعد الثالث** : الإقبال على العمل

-**البعد الرابع** : التوتر في العمل

-**البعد الخامس** : الطموح . بكل بعد 05 أسئلة و بالتالي يوجد 25 سؤالا يتم الإجابة عليها وفق ثلاث بدائل و هي : دائما (03 نقاط)– أحيانا (نقطتين 02)– أبدا (نقطة واحدة 01) (**قوراري ، 2014 : 103**)

10-الخصائص السيكومترية :

1.10-الخاصة بمقياس الجودة الوظيفية :

1.1.10- قياس الثبات : من أجل قياس ثبات المقياس تم الاعتماد على ألفا كرونباخ والذي قدرت قيمته ب 0.84 و بالتالي فالمقياس ثابت .

2.1.10- قياس الصدق : تم الاعتماد في التأكد من صدق المقياس على صدق الاتساق الداخلي و ذلك بإيجاد معاملات الارتباط بين كل بعد في المقياس و الدرجة الكلية للمقياس وفق ما هو موضح في الجدول رقم **(04)** و الذي يبين صدق المقياس .

جدول رقم (04) : صدق الاتساق الداخلي لمقياس جودة الحياة الوظيفية

العينة	الأبعاد	قيمة معامل الارتباط	مستوى الدلالة
30	الأمن و الصحة المهنية	0.47	دال عند مستوى 0.01
	العلاقات الاجتماعية	0.49	
	الأجور و الرواتب	0.74	
	الإشراف و مشاركة العاملين في الإدارة	0.77	
	الأمان و الاستقرار الوظيفي	052	
	الترقية و التقدم الوظيفي	0.64	

2.10- الخاصة بمقياس الدافعية للانجاز :

1.2.10- قياس الثبات : من أجل قياس ثبات المقياس استخدمنا معامل الفاكرنباخ فتحصلنا على القيمة 0.80 و هي قيمة مرتفعة و تدل على ثبات المقياس .

2.2.10- قياس الصدق : تم الاعتماد في التأكد من صدق المقياس على صدق الاتساق الداخلي و ذلك بإيجاد معاملات الارتباط بين كل بعد في المقياس و الدرجة الكلية للمقياس وفق ما هو موضح في الجدول رقم **(05)** و الذي يبين صدق المقياس .

جدول رقم (05) : صدق الاتساق الداخلي لمقياس الدافعية للانجاز

العينة	الأبعاد	قيمة معامل الارتباط	مستوى الدلالة
30	سلوك الانجاز	0.72	دال عند 0.01
	المثابرة في بذل الجهد	0.72	
	الإقبال على العمل	0.78	
	التوتر في العمل	0.85	
	الطموح	0.41	

11- عرض و مناقشة نتائج الدراسة :

1.11-عرض و مناقشة نتائج الفرضية العامة :

نصت الفرضية العامة على: " توجد علاقة بين جودة الحياة الوظيفية و دافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها ".و لاختبار صحتها تم حساب معامل الارتباط بيرسون و النتائج موضحة في الجدول رقم (06)

جدول رقم (06) : معامل الارتباط بيرسون بين جودة الحياة الوظيفية و دافعية الانجاز

المتغيرات	العينة	قيمة بيرسن	مستوى الدلالة	القرار الإحصائي
جودة الحياة الوظيفية	49	0.25	0.86	غير دال
الدافعية للانجاز				

من خلال الجدول رقم (06) نلاحظ أن قيمة معامل الارتباط بيرسن غير دالة إحصائيا و بالتالي لا توجد علاقة بين جودة الحياة الوظيفية و دافعية الانجاز لدى أفراد العينة و يعود ذلك إلى أن الدافعية للانجاز هي ذلك الطموح و الرغبة التي تدفع الفرد للمثابرة و القيام بعمل جيد و لا تتعلق فقط بالمحيط و ظروفه و بنوعية الحياة التي يعيشها أفراد العينة داخل المؤسسة بل بشخصية الفرد ورغبته في العمل و التحدي رغم عدم توفر الظروف الخارجية المساعدة و هذا ما اتصف به أغلب أفراد العينة . و اتفقت دراستنا

هذه مع دراسة " **ساثيش فارما** " **(2015) Satheesh Varma** التي بحثت في العلاقة بين الدافعية للانجاز و جودة الحياة الوظيفية لدى العمال التنفيذيين و احتوت العينة الكلية على 31 عاملا تنفيذيا في قطاع الملابس بمدينة بانغالور و أظهرت النتائج أنه لا توجد علاقة بين متغير جودة الحياة الوظيفية و المشاعر و متغير الدافعية للانجاز الكلي رغم و جود علاقة بين بعض العوامل الثانوية لكلى المتغيرين .

بينما جاءت نتائج دراستنا منافية لما توصلت إليه دراسة **بلغيزاد ساسان و غورداني يحي Baleghizadeh Sasan ,Gordani Yahia** (2012) التي بحثت من جانبها في العلاقة بين جودة الحياة الوظيفية و الدافعية عند المعلم ، ضمت عينة الدراسة 160 معلما للغة الانجليزية في المدارس المتوسطة كمعلمين لغة أجنبية في طهران ، إيران ، حيث أظهرت النتائج أن المشاركين تمتعوا بنسبة متوسطة من جودة الحياة الوظيفية ، إضافة إلى ذلك اتضح أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الدافعية و جودة الحياة الوظيفية وربما اختلاف النتائج يعود لاختلاف العينة .

جانب آخر اعتمدنا عليه في تفسير نتائج الدراسة في أن أفراد العينة الذين تم استجوابهم دافعيتهم للانجاز من نوع دافعية الانجاز الذاتية و التي يقصد بها وفق " **ميزوف** " و " **سميث** " تطبيق المعايير الداخلية أو الشخصية في مواقف الانجاز . كما أنهم يصنفون من ذوي الدافعية الداخلية التي توجد عندما يعمل الفرد لأن هناك رغبة داخلية لأداء مهامهم في المدرسة سواء من خلال التدريس أو الأعمال الإدارية أو التنفيذية أو الطبية أو النفسية بنجاح و هذا حسب **سباولدنك Spaulding** (1992) الذي صنف نوعين من الدافعية حسب مصدر استثارتها بين دافعية داخلية و أخرى خارجية .

كما أن **ريان و ديسي Ryan et Deci** (2006) من خلال نظريتهما المفسرة للدافعية بأن هناك أفراد يكونون مدفوعين داخليا لأداء مهامهم و بأن لديهم القدرة على التحكم بقدراتهم و مهاراتهم مما يجعلهم يختارون الأنشطة التي يستطيعون التكيف معها و معالجتها بنجاح و تجنب الأنشطة التي تفوقهم و لا يستطيعون التكيف معها من جهة ثانية و هذا ما لمسناه عند أفراد عينتنا .

2.11- عرض و مناقشة نتائج الفرضية الجزئية الأولى :

نصت الفرضية الجزئية الأولى على :" توجد علاقة بين بيئة العمل المادية و المعنوية (الأمن و الصحة المهنية ، العلاقات الاجتماعية ، الأجور و الرواتب) و الدافعية للانجاز عند موظفي المدرسة

العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها " و لاختبار صحتها تم حساب معامل الارتباط بيرسون و النتائج موضحة في الجدول رقم (07) :

جدول رقم (07) :معامل الارتباط بيرسون بين بيئة العمل المادية و المعنوية و دافعية الانجاز

المتغيرات	العينة	قيمة بيرسون	مستوى الدلالة	القرار الإحصائي
بيئة العمل المادية و المعنوية	49	0.23	0.87	غير دال
الدافعية للانجاز				

من خلال الجدول رقم (07) يتضح عدم وجود علاقة بين بيئة العمل المادية و المعنوية (الأمن و الصحة المهنية ، العلاقات الاجتماعية ، الأجور و الرواتب) و دافعية الإنجاز عند أفراد عينة الدراسة ، حيث أن دافعية الإنجاز عند أفراد العينة لم تتأثر لا بظروف الأمن و الصحة المهنية و لا بنوعية العلاقات الاجتماعية و لا حتى بمستويات الأجور و الرواتب التي يتقاضونها فهذا البعد لم يكن عاملا مثبطا ، ذلك أن أفراد العينة لا يعيرون اهتماما لبيئة العمل و ظروفها و هذا بالرجوع لما جاءت به نظرية **أتكسون** فإن أفراد عينة الدراسة لديهم الرغبة في النجاح بدرجة تجعلهم يتجهون نحو الهدف و تتولد هذه الرغبة نتيجة المتغيرات الثلاثة التالية :

-**دافع النجاح** : و يمثل مجرد الرغبة في القيام بعمل معين .

-**ترجمة النجاح** : و يمثل التنبؤ مستقبلا بنتائج السلوك

-**القيمة الحافزة للنجاح** : و تتمثل في المنبهات التي تجذب الفرد للعمل على تحقيق هدف معين

هذا ما يمكننا من القول أن الفرضية الجزئية الأولى لم تتحقق في إطار نتائج الدراسة التي توصلنا إليها.

3.11- عرض و مناقشة نتائج الفرضية الجزئية الثانية : نصت الفرضية الجزئية الثانية على :" - توجد علاقة بين بيئة العمل التنظيمية و الوظيفية (الإشراف و مشاركة العاملين في الإدارة، الأمن و الاستقرار الوظيفي ، الترقية والتقدم الوظيفي) و دافعية الانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة وتكنولوجياتها " و لاختبار صحتها تم حساب معامل الارتباط بيرسون و النتائج موضحة في الجدول رقم (08) :

جدول رقم (08) :معامل الارتباط بيرسون بين بيئة العمل التنظيمية و الوظيفية و الدافعية للانجاز

المتغيرات	العينة	قيمة بيرسون	مستوى الدلالة	القرار الإحصائي
بيئة العمل المادية و المعنوية	49	0.52	0.72	غير دال
الدافعية للانجاز				

من خلال الجدول رقم (08) يتضح عدم وجود علاقة بين بيئة العمل التنظيمية و الوظيفية (الإشراف و مشاركة العاملين في الإدارة ، الأمن والاستقرار الوظيفي ، الترقية و التقدم الوظيفي) والدافعية للانجاز ، الوظيفي لدى أفراد عينة الدراسة ، حيث أن الدافعية للانجاز لم تتأثر لا على مستوى الإشراف و مشاركة العاملين في الإدارة و لا على مستوى الأمن والاستقرار الوظيفي و لا حتى فيما يخص الترقية والتقدم الوظيفي .

و هذه النتيجة التي تحصلنا عليها اختلفت مع النتائج التي توصلت إليها دراسة "خليل إسماعيل إبراهيم ماضي (2014) التي أظهرت وجود تأثير مهم و ذو دلالة إحصائية لأبعاد جودة الحياة الوظيفية و أن أهم الأبعاد تأثيرا في الأداء الوظيفي تتمثل في : فرص الترقي و التقدم الوظيفي ، العلاقات الاجتماعية ، الاستقرار و الأمان الوظيفي ، المشاركة في اتخاذ القرارات ، برامج التدريب و التعلم ، التوازن بين الحياة الشخصية و الحياة الوظيفية .

12- خاتمة :

من خلال الدراسة التالية تم التوصل إلى نفي فرضيات البحث و التي بينت غياب العلاقة بين جودة الحياة الوظيفية و الدافعية للانجاز عند موظفي المدرسة العليا لعلوم الرياضة و تكنولوجياتها بحيث أن ظروف العمل المادية و المعنوية و كذا الظروف التنظيمية و الوظيفية لم تؤثر على دافعية الموظفين و ذلك لأنهم وصفوا بدافعية داخلية عالية لا تتأثر بالظروف الخارجية و تبقى النتائج التالية منحصرة على موظفي هذه المدرسة ، كون دافعية الأفراد تتأثر بالمحيط الخارجي وفق بحوث و دراسات علمية في هذا المجال مما يفتح المجال لدراسات أخرى و على عينة أكبر و مجتمع مختلف كون متغير الدافعية متعلق بشخصية الفرد الذي إما أن يتحكم في ظروفه الخارجية و يتصف بدافعية داخلية عالية و إما أن يحدث العكس و تتغلب عليه هذه الظروف و يتصف بدافعية منخفضة .

ـ قائمة المراجع :

1-ابن منظور . (2005) . لسان العرب ، بيروت : دار الشروق .

2-البار ، الرميساء .(2014). المناخ التنظيمي و علاقته بالدافعية للانجاز ، الجزائر ، بسكرة : جامعة بسكرة .

3-بركبية ، ثورية .(2017) . إدراك الأساتذة لجودة حياة العمل في ظل بعض المتغيرات الديمغرافية دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بورقلة ، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي ، جامعة قاصدي مرباح ، قسم علم النفس و علوم التربية ، ورقلة .

4-دسوقي نجلاء .(2015). تأثير جودة حياة العمل على المهارات الإدارية لأعضاء هيئة التدريس ، مجلة العلوم الزراعية ، مج (60) (02) ، 318 .

5- زاهر ، تيسير .(2016) .أثر جودة حياة العمل في الالتزام التنظيمي . مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات العلمية ، 38 (01) ، 109.

6-ساخي ، بوبكر . (2016). تمكين العاملين و علاقته بجودة الحياة الوظيفية في ضوء الثقة التنظيمية كمتغير وسيطي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التنمية البشرية و تنمية الأداءات ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم النفس و الارطوفونيا ، وهران .

7- عبد الرزاق ، شيماء حسين ربيع. (2015) . العوامل المؤثرة في جودة الحياة الوظيفية للأخصائيين الاجتماعيين العاملين بالمؤسسات التعليمية . مجلة الخدمة الاجتماعية – الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين (54) ، الصفحات 43-68 .

8-الغامدي ، غرم الله بن عبد الرزاق بن صالح .(2009). التفكير العقلاني و التفكير غير العقلاني و مفهوم الذات و دافعية الانجاز لدى عينة من المراهقين المتفوقين دراسيا و العاديين بمدينتي مكة المكرمة و جدة ، أم القرى .

9-موسى ، فاروق عبد الفتاح . (1991). كراسة تعليمات اختبار الدافع للانجاز . القاهرة : مكتبة الانجلو مصرية .

إستراتيجيات التعامل مع الأطفال ذوي التوحد.

الباحثة/ بودان كوثر ـ جامعة حسيبة بن بوعلي ـ الشلف ـ الجزائر.

ملخص :

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على أحد الأمراض النفسية: التوحد عند الأطفال، باعتباره إعاقة مرضية ترجع لعدة أسباب، وتؤثر سلبا على جميع جوانب نمو الطفل، سواء النفسية أو المعرفية أو السلوكية. ويظهر ذلك من خلال وجود خلل في مهارات الطفل، كعدم قدرته على التعلم العادي، وعدم قدرته على التواصل الاجتماعي واللفظي، إلى غير ذلك من المهارات الأخرى التي يعجز عن اكتسابها وتنميتها، ومن هذا المنطلق سنحاول في هذه المداخلة معرفة هذا النوع من الإعاقة، الذي يعاني منه بعض الأطفال، وتسليط الضوء على أهم أنواعه، وأهم الأسباب المؤدية إلى ظهورها،وبالإضافة إلى ذلك سنحاول معرفة أهم أعراض التوحد لدى الأطفال، وكذا التعرف على أهم طرق تشخيص التوحد، ومقاييس التوحد، لأجل التعرف على فن استراتيجيات التعامل مع هذا النوع من الإعاقة(التوحد) لدى الأطفال.

الكلمات المفتاحية : التوحد، الانعزال، الانطواء، الوحدة، الطفل.

Résumé :

Ce papier de recherche, objet de cette communication, vise à mettre en évidence l'une des maladies psychologiques des plus handicapante: l'autisme chez l'enfant en tant qu'invalidité pathologique due à plusieurs causes, qui affecte négativement tous les aspects du développement de l'enfant, que ce soit l'aspect psychologique, cognitif ou comportemental, ce qui induit à son incapacité de développer ses aptitudes cognitives, ses difficultés de communication sociales et verbales, ainsi que d'autres aptitudes qu'il ne peut acquérir ou développer. Dans ce sens, nous essaierons au long de cette communication de faire connaître ce handicap subi par des enfants et d'identifier ces différents types et leurs principales causes. Nous essaierons également d'identifier les symptômes les plus importants de l'autisme chez l'enfant, les principales techniques de son diagnostic, dans le but d'identifier les stratégies pour faire face à ce type de handicap qui est l'autisme chez l'enfant.

Mots clés : Autisme, isolement, introversion, solitude, enfant.

مقدمة:

يعتبر التوحد، الذي يرجع لأسباب مختلفة، نوعا من الإعاقة المتعلقة بالنمو والتي يعاني منها بعض الأطفال، مما يؤثر سلبا على مختلف جوانب النمو الأخرى، سواء تعلق الأمر بعدم قدرة الطفل على

التواصل الاجتماعي أو القصور في اللغة وبعض المهارات والقدرات العقلية والمعرفية الأخرى...إلخ. ونظرا لثقل هذا الاضطراب،يتوجب على المجتمع إيلاء اهتمام كبيرا بهؤلاء الأطفال، باعتبارهم إحدى فئات ذوي الاحتياجات الخاصة، من خلال توفير الرعاية التربوية والنفسية والصحية والتأهيلية اللازمة لهم بغية تنمية قدراتهم المعرفية والعقلية، ومساعدتهم على تجاوز هذا النوع من الإعاقة (التوحد) ومحاولة إدماجهم مع الأطفال العاديين وهذا وفق استراتيجية علمية مدروسة تحدد كيفية التعامل معهم.

أولا: تحديد مفاهيم الدراسة

- **الطفل:** هو كل شخص دون الثامنة عشرة، طبقا لاتفاقية حقوق الطفل.
- **الوحدة:** هي شعور قوي بالفراغ والعزلة لكون الشخص مقطوع عن الأخرين، والشخص الوحداني يجد صعوبة في الاتصال مع الأخرين.(https://ar.m.wiqipedia.org/wiqi 2019/02/06/22:45).
- **العزلة:** هي صورة معبرة لمعنى الانفصال عن الأخرين، وتعني قضاء الأفراد معظم الأوقات منعزلين عن العلاقات الاجتماعية، كالبقاء في المنزل لأيام وعدم التحدث مع الأصدقاء. وبشكل عام العزلة هي تجنب أي شكل من أشكال الاتصال.(www.alnafsy.com 22 :45 /2019/02/06).
- **الانـطـواء:** هو اضطراب في النمو يشمل جميع أبعاد النمو المختلفة، خصوصا الأبعاد الثلاثة الأساسية (التفاعل الاجتماعي، التواصل، اضطرابات السلوك). (www.psy.conitive.net، 2019/02/06/22:45).

– **الـتـوحد:** وحدد مصطلح التوحد في معجم علم النفس بأنه الاتجاه نحو الذات. ويعتبر الطبيب الألماني **Blueler** أول من استعمل لفظ **Autisme** سنة 1911 في إطار حديثه عن الأعراض الأساسية للّأمراض العقلية لدى الطفل، خصوصا السكيزوفرينيا.

ثانيا: مفهوم التوحد:

يمثل التوحد **Autisme** شكلا من أشكال الاضطرابات الانفعالية غير العادية ونوعا من أنواع الإعاقة للنمو الانفعالي للأطفال، غالبا ما يظهر في السنوات الثلاث الأولى من العمر ويتمثل في بعض صور القصور والتصرفات غير الطبيعية والتعثر في النمو الاجتماعي والعاطفي والتي تستدعي معه الحاجة إلى التربية الخاصة.

وقد حدد مصطلح التوحد في معجم علم النفس بأنه المتجه نحو الذات، أما في موسوعة علم النفس فحدد بأنه المتوحد أو الاجتراري أو الذاتوي(**سوسن شاكر مجيد، 2010: 23،24**).

ومرض التوحد كما يعرفه محمد أحمد محمد هو:" عبارة عن إعاقة متعلقة بالنمو تؤثر سلبا في جميع جوانب النمو، وأبرز تأثيرها يكون في القدرة على التواصل بشقيه اللفظي واللالفظي، الذي ينتج عنه غياب تام للغة سواء كانت استقبالية أو تعبيرية مما يترتب عليه خلل في مهارات الفرد الاجتماعية والسلوكية والنفسية ويؤدي به إلى الانعزال التام عن المجتمع المحيط به، هذا بالإضافة إلى وجود مشكلات حسية سواء حساسية زائدة أو لامبالاة بالمثيرات من حوله وتظهر عادة هذه المشكلات بوضوح في حواس ثلاث هي: السمع والبصر واللمس، وعادة مايتم تشخيص هذا الاضطراب خلال الثلاث سنوات الأولى من عمر الطفل".

أما ماري جومو وآخرون **Marie Gomot et al** فيعرفونه بأنه:اضطراب ناتج عن خلل في وظائف المخ، يتضمن ضعفا في التواصل الاجتماعي بالإضافة إلى تكرار الحركات ومقاومة التغيير.

ويشير حامد زهران إلى أنه: عبارة عن اضطراب نمائي شامل وحاد يظهر في شكل رزمة أعراض سلوكية يميزها قصور معرفي اجتماعي شديد قبل سن الثلاث سنوات وفي التفاعل الاجتماعي والتواصل، حيث يلاحظ على المريض بالتوحد الوحدة الشديدة وتأخر النمو اللغوي والتكرار والملل والكلام.(**علي إسماعيل وطفة، 2014: ص 7-8**).

ثالثا: أنواع التوحد:

هناك نوعان من التوحد هما: التوحد الكلاسيكي ومتلازمة"آسبرغر".

1- التوحد الكلاسيكي: يكون الطفل مصابا بالتوحد الكلاسيكي عندما تظهر عليه جميع الصفات الثلاثة: وهي أن الطفل لديه صعوبة في استعمال اللغة أو لا لغة لديه من الأساس، ويبدو كما لو أنه لا يريد الاندماج في المجتمع ولا أن يلعب مع الأطفال الآخرين، وعادة ما يعاني الطفل أيضا من صعوبات عامة في التعلم والتي يكون لها تأثير واضح وصريح في جميع نواحي حياته عند اجتماعها مع الصعوبات الأخرى، ويعد التوحد الكلاسيكي أعلى الحالات الحادة من اضطراب طيف التوحد.

2- متلازمة "آسبرغر": تكون الإصابة بمتلازمة "آسبرغر" عندما يقوم الطفل، على الأقل في العامين الأولين أو الأعوام الثلاثة الأولى من مرحلة الطفولة، بتطوير اللغة لديه بشكل طبيعي نسبيا، إلا أنه على الرغم من تطور اللغة لديه يتسم كلامه بصفات غريبة، فقد يطور مفردات لغوية ممتازة مع قدرة على استعمال الكلام لتوصيل المعنى بشكل صحيح إلا أن انسيابية كلامه واتزانه يبدوان كما لو أنهما صادران عن إنسان آلي مع صوت رنان وطابع رسمي على نحو غريب، كما أنه قد تتطور لديه صعوبات خطيرة في النواحي الاجتماعية للغته، والتي تؤثر بشكل خطير في قدرته على تكوين علاقات اجتماعية فعالة مع

البالغين أو الأطفال الآخرين، وعلى الرغم من تأثير الأعراض المصاحبة لمتلازمة "أسبرغر" على جميع النواحي الحياتية للطفل المصاب إلا أنه عادة ما تعتبر المتلازمة أكثر الحالات المعتدلة من اضطراب طيف التوحد.(**تيري باسينجر،2013: ص50،49**).

رابعا: أسباب وعوامل التوحد:

أ- **أسباب نفسية:** يرى أصحاب وجهة النظر هذه إلى أن "إعاقة التوحد" سببها الإصابة بمرض الفصام الذي يصيب الأطفال في مرحلة الطفولة وأنه مع زيادة العمر يتطور هذا المرض لكي تظهر أعراضه كاملة في مرحلة المراهقة ومن الذين يتبنون هذه النظرة " سينجرو وينمي".

ب- **أسباب اجتماعية:** يرى أصحاب وجهة النظر هذه أن "إعاقة التوحد" ناتجة عن إحساس الطفل بالرفض من والديه وعدم إحساسه بعاطفتهم بالإضافة إلى وجود بعض المشكلات الأسرية وهذا يؤدي إلى خوف الطفل وانسحابه من هذا الجو الأسري وانطوائه على نفسه وبالتالي تظهر عليه أعراض الأوتيزم ومن الذين يتبنون هذه النظرة"بوتمان وسيوريك".

ج-**أسباب إدراكية:** ويرع أصحاب وجهة هذه النظر"إعاقة التوحد" إلى اضطراب نمائي، حيث أشارت بعض الدراسات على سبيل المثال: دراسة آلن وآخرون أن الأطفال الاجترارييين لديهم انخفاض في نشاط القدرات العقلية المختلفة والتي ترجع بدورها إلى انخفاض قدرتهم على الإدراك بالإضافة إلى اضطراب اللغة.(**عبد الرحمن سيد سليمان، 2000: ص74**).

د- **عوامل جينية:** ويرجع حدوث التوحد إلى وجود خلل وراثي فأكثر البحوث تشير إلى وجود عامل جيني ذي تأثير مباشر في الإصابة بهذا الاضطراب، وقد وجد أن نسبة 15% من بين الأطفال الذين يعانون من حالات التوحد يعانون من حالات الريت أو من حالات فراجل إكس **Fragilex** وهما إعاقتان ثبت أن لهما أساسا وراثيا ويتضح من ذلك أن الوراثة ربما تكون عاملا ممهدا للإصابة بهذا الاضطراب، ويتوفر عاملان من أقوى العوامل التي تسبب حالات التوحد:

- شذوذ الكروموسومات(x).
- تصلب الأنسجة الدرنية Tuber sclerosis .

هـ-**عوامل مناعية:** أشارت العديد من الدراسات إلى وجود خلل في الجهاز المناعي لدى الأشخاص التوحديين، وتشير بعض الأدلة إلى أن بعض العوامل المناعية غير الملائمة بين الأم والجنين قد تساهم في حدوث اضطراب التوحدية، كما أن الكريات الليمفاوية لبعض الأطفال المصابين بالتوحدية يتأثرون

وهم أجنة بالأجسام المضادة لدى الأمهات وهي حقيقة تثير احتمال أن أنسجة الأجنة قد تتلف أثناء مرحلة الحمل.

و- **مرحلة الحمل:** قد يؤدي نزيف الأم بعد الشهور الثلاثة الأولى على الجنين، كما أن المواد الموجودة في بطن الجنين والسائل الداخلي المحيط بالجنين قد وجد في تاريخ الأطفال التوحديين أكثر مما لدى الأطفال الأسوياء، حيث يصاب الطفل التوحدي بعد الولادة بمتاعب التنفس والأنيميا، كما تشير بعض الأدلة إلى حدوث علل لتأثير العقاقير التي تتعاطها الأم أثناء فترة الحمل على الأجنة والنتيجة هي ميلاد الطفل التوحدي.

ز- **قصور التغذية لدى الأمهات:** في حدوث التوحد لدى أبنائهن، فقد وجد مستويات منخفضة بدرجة دالة من المواد الغذائية في الدم وفي الشعر والأنسجة الأخرى لدى الأطفال التوحديين وكذلك انخفاض في مستويات الماغنيسيوم.

ح- **الضغوط النفسية** التي تتعرض لها الأم والتاريخ النفسي للأبوين يمكن أن يمثل أو يشمل عوامل خطر لإصابة الأطفال بالتوحد.(**أسامة فاروق مصطفى، 2014: ص39-55**).

خامسا: أعراض التوحد لـدى الأطفال:

هناك أعراض عديدة تظهر على الأطفال المصابين بالتوحد منها:

1- يكون التوحد قبل سن الثالثة: يظهر اضطراب التوحد خلال الثلاث سنوات الأولى من العمر، وتكون الأعراض قد بدأت في الظهور على شكل صعوبات غير مألوفة في السلوك، مثل حدة الطبع، وضعف التغذية ومشكلات في النوم، وهذه الأعراض من الممكن أن تظهر من العام الأول ومن الممكن أن تبدأ بعد العام الأول.

2- السلوك النمطي المتصف بالتكرار: السلوك النمطي يتضمن حركات تلقائية ميكانيكية غير متعمدة، إيذاء النفس بشكل مستمر، هوس الترتيب وعدم احتمال التغيير، صدى كلامي، ورفرفة العينين، رفرفة اليدين وتحريك الأشياء بشكل كروي دائري، وقد أشارت دراسة(WOLF(2005 أن الطفل التوحدي يمارس أنواعا سلوكية نمطية تظهر وتختفي بشكل تلقائي.

3- عدم القدرة على اللعب التخيلي: يكون لعب الأطفال التوحديين في نطاق محدود تماما، فهذه الفئة من الأطفال تميل إلى تكرار نفس النشاط ولا تنمي أو تطور من اللعب التظاهري أو التخيلي، الأمر الذي يجعل سلوك الأطفال التوحديين خلال ممارسة اللعب يفتقد إلى الإبداع والتجديد والتخيل.

4- قصور في اللغة والتواصل اللغوي: هناك مشكلات تظهر لدى التوحديين خاصة باللغة وتؤثر على التواصل ومن هذه المشكلات مشكلة المصاداة: هي من أهم المشكلات اللغوية الشائعة التي تظهر لدى الطفل التوحدي، وتشير إلى تكرار أحداث أو كلمات أو جمل أو أغاني أو برامج التلفاز بعد فترة قد تكون ساعات أو أيام أو أسابيع كشكل لسلوك إثارة ذاته.

5- الاستخدام العكسي للضمائر: هو من المظاهر الشائعة لدى الأطفال التوحديين، حيث يتم استخدام الضمائر بصورة مشوشة، فيشير الطفل التوحدي إلى الآخرين بضمير أنا وإلى نفسه بضمير هو أو هي ويستعمل أنا عندما يود أن يقول أنت.

6- قصور في اللغة وبعض التفوق في التواصل غير اللفظي: افترض بعض الباحثين أن هؤلاء الأطفال الذين يعانون من التوحد يظهرون تفوقا في بعض المهارات مثل عزف الموسيقى في سن مبكر قبل أقرانهم وقد تكون لديهم مهارات مثل الرسم والتلوين.

7- ضعف التفاعل الاجتماعي: يعد القصور الكمي والكيفي في التفاعل الاجتماعي من أبرز الخصائص الاجتماعية لدى الطفل المصاب بالتوحد، وهو خاصية تتوافر في كافة هؤلاء الأطفال المصابين بالتوحد لأنها لب اضطراب التوحد، وتوجد لديهم بدرجات متفاوتة تختلف من طفل لآخر، وقد وصف أطفال التوحد بأنهم غير مبالين، ولا يبحثون عن التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، ولا يشعرون بالسعادة حتى عند وجودهم مع الأشخاص الآخرين، كما يعانون أيضا من صعوبة في الحصول على الأصدقاء. ولعل أبرز أسباب الفشل في جعل علاقاتهم مستمرة مع الآخرين هو الافتقار إلى التفاعل الاجتماعي.

8- قصور في أداء بعض المهارات الاستقلالية والحياتية: وتشيع لدى أطفال التوحد أعراض التبول الليلي، ومشكلات الأكل والأرق، كما أن اضطرابات الإخراج شائعة بين الأطفال التوحديين أيضا.

9- نوبات إيذاء الذات: بالرغم من أن الطفل التوحدي يظل مستغرقا لفترة طويلة في سلوكيات نمطية، إلا أنه أحيانا يثور في سلوك عدواني موجه إلى ذاته.

10- ضعف الاستجابة للمثيرات الحسية: يعتمد الأطفال التوحديون كثيرا في استكشافهم للعالم على حواسهم المختلفة، وخاصة اللمس والتذوق والشم، وإن لدى أطفال التوحديين اضطرابات حسية تستدل عليها من التناقض في استجابتهم للمثيرات الحسية.

11- انخفاض مستوى الوظائف العقلية والمعرفية: إن أداء أطفال التوحد في بعض الاختبارات العقلية في "مقياس **وكسلر** للذكاء" يكون أحيانا عاديا، بل ويكون مرتفعا في بعض الأحيان، وقد وجد أن بعض أطفال التوحد لديهم قدرات معرفية مبكرة، فالذاكرة غير العادية للحس، أو الموسيقى، أو القدرة الحسابية،أو

الطلاقة اللغوية الفائقة في القراءة على الرغم من أنهم لا يفهمون ما يقرؤون.(**حسام محمد أحمد علي، 2014: ص11- 15**).

12- الإعاقة العقلية: يعاني أكثر من ثلاثة أرباع المصابين بالتوحد من الإعاقة العقلية، حيث تشير الدراسات إلى أن معظم المصابين بالتوحد يعانون من الإعاقة من الدرجة المتوسطة.

13- ضعف السمع: يعاني الأطفال المصابين بالتوحد من مشكلة تولد الضغط السلبي في الأذن الوسطى بمعدل أعلى من الأطفال الآخرين، وينشأ ذلك الضغط السلبي نتيجة الالتهاب المتكرر للأذن الوسطى.

14- متلازمة الكروموسوم الهش: يصاب الأطفال المصابين بالتوحد بمتلازمة الكروموسوم الهش بنسبة أعلى من الأطفال الآخرين، وتعرف متلازمة الكروموسوم الهش على أنها حالة وراثية تصحبها إعاقة عقلية واضطرابات سلوكية.

15- المشاكل الهضمية: خلصت إحدى الدراسات التي أجراها باحثون من كلية الطب في جامعة ميريلاند الأمريكية عام 1999 إلى وجود علاقة بين التوحد والمشاكل الهضمية، وقد شملت الدراسة 36 طفلا مصابا بالتوحد، قد عانوا من بعض المشاكل الهضمية كالمغص، والإسهال المزمن،والانتفاخ،والاستيقاظ ليلا، والتهيج غير المبرر. وتبين من خلال هذه الدراسة أن أكثر المشاكل الهضمية انتشارا بين الأطفال المصابين بالتوحد هي الارتجاع المريئي والالتهاب المزمن للمعدة.(**حازم رضوان آل إسماعيل، 2012: ص22،21**).

سادسا: طرق تشخيص التوحد لـدى الأطـفـال:

1- أسس التشخيص:

منذ سنوات ليست ببعيدة لم يكن هناك وعي بمرض التوحد، وغالبا ما كان تشخيص هؤلاء الأطفال المتوحدين على أنهم متأخرون عقليا، أو لديهم تأخر لغوي شديد لأسباب مجهولة، ولكن في الآونة الحالية قد زاد الوعي بهذا المرض وأعراضه، وأصبح يتم تشخيص هذا المرض إكلينيكيا حيث لاتوجد حتى الآن وسائل معملية أو إشعاعية تمكننا من تشخيصه. ويعتمد التشخيص الإكلينيكي على ملاحظة الطفل بواسطة الطبيب النفسي المتخصص في الطب النفسي للأطفال مع سؤال الأبوين، ثم الرجوع إلى جداول ثابتة بها معايير لتشخيص هذا المرض، ومن المعروف أن هناك نسقين تصنيفيين مقننين لأمراض الطب النفسية وأشكال العجز المختلفة، يستخدمان على نطاق عالمي دولي، ولكل نسق منهما أقسامه فيما يتعلق باضطراب التوحد، وكل واحد منهما يتم تحديثه كل بضع سنوات، أحدهما تقدمه

الرابطة الأمريكية للطب النفسي وأما ثانيهما فتقدمه منظمة الصحة العالمية ويسمى التصنيف الدولي للأمراض.فالدليل التشخيصي والإحصائي للتوحد يشمل اثنى عشر بندا في ثلاثة مجالات (أربعة بنود منها في مجال التفاعل الاجتماعي، وأربعة في مجال المقدرة على التواصل أما الأربعة الأخرى فهي في مجال نمطية السلوك وتكراره)، ويتم تشخيص مرض التوحد عندما يكون لدى الطفل خلل في ستة بنود على الأقل من هذه الاثني عشر بندا، شريطة أن يكون اثنان منها على الأقل في مجال التفاعل الاجتماعي وواحد على الأقل في المجالين الآخرين. وتتخلص بنود هذا الدليل التشخيصي للتوحد في الآتي:

أ- خلل في التفاعل الاجتماعي ويشمل:

- خلل شديد في عدة سلوكيات غير لغوية مثل التواصل البصري، فهم تعبيرات الوجه، الأوضاع والإيماءات التي تنظم التفاعلات الاجتماعية.
- خلل في تكوين علاقات مع الأصدقاء تتوافق مع مرحلة الطفل العمرية.
- خلل في عدم المقدرة على البحث التلقائي للمشاركة مع الآخرين في اهتماماتهم ومتعتهم أو إنجازاتهم مثل عدم الإشارة للأشياء التي تجذب الاهتمام أو إحضار شيء للآخرين يجذب انتباههم.

ب- خلل في التواصل ويشمل:

- تأخر أو غياب كامل للكلام وعدم المحاولة لاستبدال هذا بلغة أخرى مثل لغة الإشارة.
- عدم المقدرة على بدء أو استمرار المحادثة عند هؤلاء الذين يستطيعون الكلام.
- تكرار الكلام أو استخدام لغة خاصة غير مفهومة.
- عدم المقدرة على اللعب الابتكاري والتقليد المناسب لعمر الطفل.

ج- نمطية السلوك وتكراره وقلة الاهتمامات والأنشطة وهي تشمل:

- الاهتمام المتكرر بشيء غير مألوف مع قلة اهتمامات الطفل.
- الاهتمام الشديد غير القابل للتغيير بعادات روتينية ليست ذات جدوى.
- القيام بحركات تكرارية مثل تحريك اليد أوالأصابعأو تحريك الجسم كله أو رفرفة الذراعين.
- الاهتمام المتواصل بأجزاء من الأشياء.(**جيهان مصطفى، 2008: ص41- 42**).

2-فريق العمل الإكلينيكي ودور كل مكوناته في التشخيص:

أ-أخصائي اللغة والتخاطب والسمع والأعصاب والوراثة: يكون أخصائي اللغة والتخاطب واحدا من فريق العمل فيقوم بتقييم عمر الطفل اللغوي، وذلك في ضوء الملاحظة المباشرة للطفل وتحديدا من خلال ملاحظة وتقييم الإشارات، الإيماءات وتعبيرات الوجه، فيحدد اللغة ويضع نقطة البداية في تعليم الطفل المهارات اللغوية، وكذلك يحدد طبيب السمع ما إذا كان الطفل يسمع أو لا، ويبدأ باختبار السمع (بمقياس السمع للمجال الصوتي) ويبني على أن الطفل يظل يسمع حينما يوضع له ميكرفون في أذنيه طوال فترة استيقاظه، لتنبيهه نحو مصدر أي صوت، وقد تم وضع أسلوب جديد وهو(اختبار وظيفة العقل مباشرة) من خلال استجابة العقل سمعيا وهذا الاختبار يقيس وظيفة العصب السمعي عند الطفل، ويختبر طبيب الأعصاب النشاط الكهربي بالذهن ويختبر هياكل المخ، وطبيب الوراثة يقوم بتفسير عمل الدراسات الكروموزومية والبحث عن الأخطاء الميلادية لعامل الأيض والتي قد تكون سببا في وجود أعراض عديدة عند الطفل التوحدي.

ب- الطبيب النفسي: إن المهمة الرئيسية للطبيب النفسي عموما هي التأكيد من سلامة التشخيص فيجب على الطبيب معرفة التاريخ المرضي للطفل وسلوكه منذ البداية، ومدى مطابقة نمط سلوكه مع توحد الطفل المبكر ثم يمضي في التحقق فيما إن كان الطفل مصابا باي نوع من الاضطرابات التي شخصت خطأ على أنها اضطرابات توحدية، والطبيب النفسي يكون هو المعالج الأساسي والرئيسي في التشخيص،لأنه يقوم بالاتصال بباقي فريق العمل وذلك بجمع كل البيانات والمعلومات المطلوبة للتشخيص بملاحظة الطفل، وتقييم ذكائه، وأيضا يطبق عليه الكثير من الاختبارات التي تفيد في التشخيص.

ج- الحوار مع الوالدين والمدرسين: إن إقامة الحوار المتكامل والصريح عندما ينتبه الوالدان إلى أن طفلهما معاق وغير طبيعي من شأنه أن يرسخ انطباعا إيجابيا في ردود أفعالهما واتجاهاتهما نحو مشكلة طفلهما في المستقبل، فمعظم الآباء يفضلون أن يعرفوا اسم الاضطراب الذي يعاني منه طفلهم، كما نجد أن المدرس واحد في الفريق الذي يهتم ويعنى بمساعدة الطفل التوحدي، فعليه أن يعمل ويتعاون مع الأطباء والأخصائيين النفسيين ليس كمختص في مجال التوحد، لان مهمة المدرسة في ذلك تكمن أن يكون لدى الطفل قدر من السلوك الاجتماعي المعقول، وان يستطيع الاعتماد على نفسه في المأكل والملبس، وأن يستطيع غسل يده وأن يظل نظيفا ولا يبلل ملابسه خلال النهار.**(حسام محمد أحمد علي، 2014: ص30).**

سابعا:مقياس مستويات التوحد لدى الأطفال:

ينسب المقياس إلى" إيريك سكوبلر" Eric Schopler الذي وضعه في أوائل السبعينات ويعتمد على ملاحظة سلوك الطفل بمؤشر به 15 درجة ويقيم المتخصصون سلوك الطفل من خلال:

1- علاقته بالناس.

2- التعبير الجسدي.

3- التكيف مع التغيير.

4- استجابة الاستماع لغيره.

5- الاتصال الشفهي.

6- وهكذا يتم تقييم الطفل من قبل فريق كامل من تخصصات مختلفة، حيث يمكن أن يضم هذا الفريق: أخصائي أعصاب، أخصائي نفسي أو طبيب نفسي، طبيب أطفال متخصص في النمو، أخصائي علاج لغة وأمراض نطق، أخصائي علاج مهني وأخصائي تربية خاصة، والمختصين الآخرين ممن لديهم معرفة جيدة بالتوحد وأي شخص قد يفيد في ذلك.**(كوثر حسن عسيلة، 2006: ص 42،39)**.

ثامنا: استراتيجيات التعامل مع الأطفال ذوي التوحد:

هناك عدة أدلة تشير إلى قدرة المتعلم على توفير المعاملة التي هي بحد ذاتها مهمة جدا في تغيير تعلم وتصرفات الطفل التوحدي، ويتم ذلك من خلال عدة طرق تساعد الطفل المتوحد على تنمية قدراته العقلية والمعرفية والجسمية نذكر منها مايلي:

1- محاولة فهم احتياجات الطفل.

2- وضع توقعات إيجابية وحقيقية وإيصالها للأطفال والآباء

3- التكلم مع الأطفال بطريقة مشجعة وسهلة ومناسبة لمستواهم

4- مشاركة الكبار في النشاطات ومن ضمنهم الأهل، سواء في البرنامج التعليمي أو أي نشاطات أخرى.

5- تقديم نماذج من النشاطات اللامنهجية للطفل التوحدي وتدريب المحاكاة لديه، ومراقبة تقدم لغة الطفل عن طريق منحه فرصا لتقديم أفضل مما لديه.**(خولة أحمد يحيى، 2000: ص232،231)**.

6- مثلما لايوجد سبب معروف لهذا الاضطراب بالتحديد فلا يوجد معالجة محددة له أيضا وإنما هناك تدريب على تحسين وتطوير مهارات الطفل المصاب بالتوحد، ومن بين هذه التدريبات نذكر منها مايلي: **(رياض عبد الرحمن الصلاحات، 2013: ص6)**.

– تدريبات حركية للتوحد: تم الاعتماد على العلاج بالحركة كأحد العلاجات لاضطراب التوحد، فالعلاج الحركي مظلة تحوي في ظلالها أنواعا عديدة، منها العلاج بالحركات الدرامية، العلاج بالرقص والعلاج بالتمارين الحركية الرياضية، وسوف نلقي الضوء على العلاج بالتمارين الحركية الرياضية التي باتت أسلوبا متبعا من قبل الرواد في علاج التوحد، أبرزهم مدرسة هيجاشي في اليابان التي انتهجت هذا النوع من العلاج في برنامج طلابها اليومي الأساسي منذ عام 1982. ومن هنا نجد أن التأثيرات الإيجابية للتمارين الحركية تتمثل أساس في: تقوية الجسم، إذ من التأثيرات الإيجابية للتمارين الحركية أنها تبني وتقوي عضلات الجسم المختلفة منها: عضلات اليدين والساعدين الضرورية لإمساك الكرة على سبيل المثال، وبالتالي فإن الأطفال المصابين بالتوحد يصبحون يتقنون مهارات اللعب من خلال ممارستهم لمختلف التمارين الحركية.

–تطوير مهارات التواصل: وعلى غرار ذلك فإن جلسة التمارين الحركية تشكل مناخا مناسبا لتطوير مهارات اللغة والتواصل من خلال تدعيم حركة التمارين بالكلمات المناسبة فتأتي الحركة مصاحبة للكلمة، كما أن جلسة العلاج الحركي تخلق محيطا اجتماعيا لأطفال التوحد لكي يستفيدوا من تفعيل وتقوية إدراكهم بزملائهم والبيئة المحيطة بهم، وهكذا فإن العلاج بالحركة يزيد ويطور المهارات الحركية ومهارات اللعب وبالتالي مهارات اللغة والتواصل، لأن افتقار الأطفال المصابين بالتوحد إلى مهارات اللعب البسيطة يكون نتيجة ضعف القدرات والمهارات الحركية سوف يؤدي إلى التقليل من فرصة تطوير مهارات اللغة والتواصل، ومن ذلك فإن العلاج الحركي يساهم بشكل غير مباشر في التدخل وتطوير الجوانب الثلاثة المتأثرة في التوحد وهي: اللعب والتواصل الاجتماعي واللغة.(**علي إسماعيل وطفة، 2014: ص 20– 23**).

7– استخدام الأساليب التربوية للتعامل مع أطفال التوحد:يكون الهدف الأساسي من استخدام الأساليب التعليمية أو التدريبية هو تنمية المهارات التواصلية لديه لكسر حاجز العزلة، وتنمية المهارات التي تعيده إلى المجتمع وتجعله يمارس حياته ونشاطاته، ومن هذه الأساليب:

– تعليم لغة الإشارة والإيماءات لأطفال التوحد:استخدام الإيماءات والإشارات في التعليم لأطفال التوحد أو لضعاف السمع تعد أحد القضايا الهامة من مكونات الكلام وبالإمكان تعليم الطفل القراءة من خلال التعرف على العمر العقلي للطفل والتركيز على الجوانب الإيجابية في كل طريقة محتملة للتواصل مع تدريب الإيماءات والكلام السوية ومن خلال ذلك يمكن تعليم الطفل كتابة الحروف وتعلم القراءة.

- التدريب في الانتباه إلى اسمه:من الأفضل أثناء تعلم الطفل التوحدي لاسمه أن يستخدم معه اسم واحد فقط يتفق عليه الجميع وبعد أن يبدأ الاستجابة لهذا الاسم فقد لا تكون هناك مشكلة في تعليم أشكال مختلفة لاسمه وفي بداية التعليم يجب أن يقترن اسم الطفل التوحدي دائما بمواقف تكون سارة بالنسبة له.
- التدريب على الجلوس: إن الجلوس على المقعد بهدوء يجب أن يتعلمه على مراحل صغيرة بنفس الشكل فيمكن للطفل التوحدي أن يتعلم أنه لن يحصل على طعامه إلا إذا جلس بهدوء إلى مائدة الطعام وهذا يتم بالتدريج وبذلك يصبح هذا النشاط ممتع بالنسبة له.
- التدريب على العناية بالصحة الجسمية: إن ضعف القدرة على الكلام يجعل من الصعوبة على الطفل التوحدي أن يشكو إذا ما شعر بتوعك أو تعب أو أن يشير إلى موقع الألم ومن الممكن التغلب على ذلك من بواسطة اللعب مع الطفل لعبة تقليد الطبيب عندما يفحصه وذلك كي يعتاد الطفل على اليد عند وضعها على بطنه وعلى سماعة الطبيب عند وضعها على صدره وهي تساعد كذلك على التدريب على فتح وإغلاق العينين والفم عندما يطلب من الطفل ذلك.
- التدريب على الأنشطة البدنية: من المفيد بصفة خاصة أن تشجع أطفال التوحد على الأنشطة البدنية الممتعة التي لا تحتاج إلى الخيال وذلك لضعف قدرتهم على اللعب الإبداعي وعادة ما يحب أطفال التوحد اللعب بالأراجيح والزحالق والأحصنة.
- التدريب على اللعب والألعاب: بالنظر لكون إعاقة الطفل التوحدي تمنع نمو الخيال لديه أو تعيقه بشكل حاد فإنه لا يلعب مثل باقي الأطفال ولكن يمكن مساعدته في اكتساب خبرة مفيدة عن طريق اختيار اللعب التي تثير اهتمامالأطفال الصغار مثل: تشجيع الطفل التوحدي على التعامل مع لعبة الأحجام المتدرجة التي يدخل الصغير منها في الأكبر وهكذا، والمكعبات الملونة لان هذا يوفر له بعض الخبرة فيما يتصل بالشكل والحجم واللون، العلاقة بين الأشياء.

- كما أن أطفال التوحد الذين لديهم مشاكل في اللغة يمكنهم التعامل مع العب التي تربط بين الكلمات والأصوات والصور.(**سوسن شاكر مجيد، 2010: ص 102- 114**).

بالإضافة إلى استخدام طرق أخرى علاجية للتوحد: نذكر منها مايلي:

1- العلاج النفسي: يعد"**برونوبتلهايم**"**Bruno Bettelheim** أول من اقترح المدخل النفسي في علاج التوحد وبنى مصلحة علاجية في مدرسة العلاج النفسي الملحقة بجامعة شيكاغو، وهي مكان يتيح

للأطفال التوحديين التعرض لبيئة إنسانية تستقبلهم وتسمح لهم بإعادة النمو في مواقف آمنة مضبوطة، وهذا الأسلوب كان سائدا حتى السبعينات من القرن العشرين، وكان الهدف منه هو إقامة علاقة قوية بين الطفل والنموذج الذي يمثل الأم، في محاولة لتزويد الطفل بما لم تقدمه أمه من خبرات مشبعة من الحب والأمن والتفاعلات الإيجابية، حيث ينطلق هذا الأسلوب من افتراض مؤداه أن هناك نقصا في الارتباط العاطفي بين الأم وطفلها وان الأم لم تستطع تزويده بتلك الخبرات.

2- العلاج السلوكي: يعد العلاج السلوكي من الأساليب الفعالة في علاج وتعديل سلوكيات الأطفال التوحديين لعدة أسباب نذكر منها:

أ- أنه مبنى على مبادئ يمكن أن يتعلمها الآباء والمعلمين وغيرهم وأن يطبقوها بشكل صحيح بعد التدريب.

ب- أنه يمكن قياس تأثيره بشكل واضح ودون تأثر بالعوامل الشخصية.

ج- أنه لا يعير اهتماما لأساليب التوحد وإنا يهتم بالسلوك المشكل.

د-أنه ثبت نجاح هذا الأسلوب في تنمية مهارات وقدرات الأطفال وتعديل سلوكياتهم المضطربة.

هـ- ولكي يأتي العلاج السلوكي بنتائج أفضل مع هؤلاء الأطفال لابد من التدخل المبكر، أي قبل بلوغهم أربع سنوات بهدف إنقاص الأعراض السلوكية غير السوية،والارتقاء بالوظائف الضعيفة أو غير الموجودة لديهم مثل اللغة ومهارات رعاية الذات، ويتحقق نمو اللغة والمجالات المعرفية والاجتماعية للسلوك من خلال التدريب الدقيق للوالدين بصورة فردية على مفاهيم ومهارات تعديل السلوك، مع التركيز على المشكلات الفردية للوالدين، ويعتمد العلاج السلوكي على فنية إدارة السلوك للتخلص من السلوكيات غير المقبولة، والتقليل من الأفعال التكرارية النمطية وغيرها من أشكال السلوك الإيجابي، وتقليل أو استبعاد السلوك السلبي، وقد نجح العلاج السلوكي مع هؤلاء الأطفال في اكتساب المهارات الاجتماعية ومهارات التواصل ورعاية الذات والمهارات المعرفية.(**عبد الله حسين الزعبي، 2012: ص 47-49**).

خاتمة:

وأخيرا يمكن القول أنه حتى نستطيع التعامل مع أطفال ذوي التوحد بشكل سليم لابد من التدخل المبكر وتشخيص حالتهم لمعرفة الأسباب الكامنة من وراء إصابتهم بهذا النوع من الإعاقة (التوحد) وتفاديا لتطور هذه الإعاقة، إضافة إلى ذلك يجب تنظيم حملات تحسيسية لتوعية الوالدين على كيفية التعامل والتواصل مع أطفالهم التوحديين ومحاولة تدريبهم على مختلف مهارات التعلم التي وجدوا صعوبة في إكتسابها من خلال برامج علاجية وتربوية تتوفر عليها المراكز المتخصصة بهؤلاء الفئة

من الأطفال المصابين بالتوحد بغية مساعدتهم على تنمية مهاراتهم وتعديل سلوكاتهم المضطربة ومحاولة إدماجهم مع غيرهم من الأطفال العاديين وهذا وفق إستراتيجيات معينة .

قائمة المراجع:

1- عبد الرحمن سيد سليمان، **محاولة لفهم الذاتوية: إعاقة التوحد عند الأطفال**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2000.

2- تيري ياسينجر، ترجمة مارك عبود، **التوحد، فرط الحركة، خلل القراءة والأداء**، دار المؤلف، الرياض،ط1، 2013.

3- خولة أحمد يحيى،**الاضطرابات السلوكية والانفعالية**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط 1 2000.

4- أسامة فاروق مصطفى، السيد كمال الشربيني، **التوحد**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط 2،2014.

5- رياض عبد الرحمن الصلاحات، **الدليل الإرشادي المصور لاضطرابات طيف التوحد**، دار البداية للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2013.

6- علي إسماعيل وطفة، **التوحد عند الأطفال**، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2014.

7- كوثر حسن عسلية، **التوحد**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ، 2006.

8- عبد الله حسين الزعبي، **التوحد**، دار الخليج للنشر والتوزيع،عمان،د.ط، 2012.

9- حازم رضوان آل إسماعيل، **التوحد واضطرابات التواصل**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012.

10- حسام محمد أحمد علي، **فعالية برنامج معرفي إلكتروني قائم على توظيف الانتباه الانتقائي في تحسين استجابات التواصل لدى أطفال التوحد**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التربية،2014.

11- جيهان أحمد مصطفى، **التوحد**، دار أخبار اليوم، القاهرة، 2008.

12- سوسن شاكر مجيد، **التوحد: أسبابه، خصائصه، تشخيصه، علاجه**، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2012.

13- فاطمة بنت قاسم العنزي،**استراتيجيات التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة(الأطفال)**، د.ن، د.ب، ط1، 2011.

14- https://ar.m.wiqipedia.org/wiqi، 2019/02/06/22:45، الوحدة(علم النفس).

15- www.alnafsy.com، 2019/02/06/22:45،العزلة الاجتماعية.

16- www.psy.conitive.net،2019/02/06/22:45، الانطواء، التعريف والمساعدة.

منظومة التكوين الجامعي بالجزائر والفكر المقاولاتي

الباحث/ طاليبي محمد ـ جامعة الجزائر2

الملخص:

إن الهدف الأسمى للجامعة هو التنظير البحت، فالأستاذ الجامعي مطالب بالبحث العلمي، من أجل اكتشاف النظريات والقوانين، أما مؤخرا فالجامعة الجزائرية وفي ظل تشبع القطاع العام من حيث التوظيف، وتدهور القطاع الخاص، صارت ملزمة بتنمية ثقافة المقاولة وتنمية الفكر المقاولاتي، حتى يقتحم خريجوها انشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ليحقق الطالب مبتغاه من أجل الربح المادي من جهة، ويساهم في التنمية الاقتصادية لبلاده من جهة أخرى.

لكن بعد تحليلنا للوضعية الحالية فان الجامعة لم تحقق هذا الهدف ،لان ممارساتنا معتمدة على البرامج القديمة ،التي تمد ذهن الطالب بمعارف جامدة لا تمت بصلة للحقيقة.

Résumé :

L’objectif ultime de l’université est de théoriser : le professeur d’université doit faire de la recherche scientifique pour découvrir des théories et des lois.

Récemment، l'université algérienne، avec le secteur public saturé en termes d'emploi et la détérioration du secteur privé، s'est vue obligée de développer la culture de l'entrepreneuriat et le développement de la pensée entrepreneuriale.

Alors les diplômés s'introduisent dans la création de petites et moyennes entreprises.

Pour réaliser le désir de profit matériel de l'étudiant d'une part et contribuer au développement économique de son pays de l'autre Cependant، après l'analyse de la situation actuelle، l'université algérienne n'a pas atteint cet objectif.

Parce que nos pratiques reposent toujours sur l'ancien programme en fourrant dans l'esprit de nos étudiants des connaissances rigides qui ne correspondent pas à la réalité dans la plupart d'entre eux.

مقدمة :

يعتبر التعليم الجامعي مرحلة هامة من مراحل التعليم ككل انطلاقا من روضة الأطفال ،فهو يواصل غرس القيم والمعايير المطلوبة في الفرد كي يكون ناجحا في حياته الخاصة والمجتمعية على السواء، لذلك فالجامعة مكمل ضروري ومهم لأهداف التنشئة الاجتماعية، والتي بواسطتها يصبح الطالب متفهما لحياته المجتمعية من جهة ،ولاعبا اساسيا فيها ،باعتبار من يلج الجامعة هو من نخبة مجتمعها .

اعتبارا لما سبق لا نستغرب تعالي صيحات الأصوات المنادية مؤخرا (العشرية الأخيرة) بالإصلاح في التعليم العالي ،بما يشمل التمويل والتحجيم ونوعية التكوين والتسيير ،من اجل مخرجات في مستوى تطلعات عالم الشغل .

فبعد أن كان الأستاذ الجامعي مطالبا أكثر بالبحث العلمي المنحصر خاصة في القضايا النظرية والبحث عن القوانيين، أصبح هذا الأخير يقوم بمدى تعليم طلبته وقدرته على توصيل المعلومات لهم، أي أصبح مطالبا بتكوين بيداغوجي لاكتساب المعارف حول طرائق التدريس وأساليب التقويم وإدارة الصف والمدرجات ، لأن الدور المنوط بالجامعة حاليا هو تحقيق مواءمة مع متطلبات سوق الشغل ،لأن أكبر تحد تعرفه الجامعة حاليا هو بطالة الخريجين .

لذلك كان من أهداف إصلاحات 2004 وتطبيق نظام ما يعرف بـ :(ل . م . د)هو تحسين نوعية التعليم ،وضمان جودة التكوين المبني الكفاءة والمهارة والاقتدار، وهذا لنقل النظرة التقليدية في العملية التعليمية والتكوينية ،من مبدأ "ماذا نعرف " إلى مبدأ " كيف نستثمر ما نعرفه " وهنا ننتقل في إطار " كيف نستثمر ما نعرفه " بعد الاكتفاء بطلب مناصب قارة في مؤسسات قارة كذلك ،خاصة إذا لاحظنا مؤخرا تشبع القطاع العام من جهة (تربية ،صحة...إلخ) وفقر في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة من جهة .

فالطالب الجامعي مطالب أكثر من أي وقت مضى بالتفكير الجاد في الاعتماد على نفس ومحاولة استثمار ما عرفه لإنشاء مؤسسة خاصة ،يشغل نفسه ،ويشغل مجموعة معه وهذا بتحويل دور الجامعة من التركيز على التوظيف إلى التركيز على مبدأ خلق الفرص

وهنا التساؤل :

هل المنهاج المعتمد في السياسة التربوية الجامعية حاليا ينمي ثقافة المقاولة (المقاولاتية)؟

قبل التطرق إلى محاور الدراسة بالتحليل لابد من تحديد المفاهيم :التعليم العالي(الجامعة)؛ المنهاج التعليمي، ثقافة المقاولة.

التعليم العالي (الجامعة):

الجامعة أعلى مؤسسة معروفة في التعليم الجامعي وتطلق أسماء أخرى على الجامعة والمؤسسات التابعة لها مثل: الكلية، المعهد، الأكاديمية، المدرسة العليا، وهذه الأسماء تسبب اختلاط في الفهم لأنها تحمل معاني مختلفة من بلد إلى آخر، فعلى الرغم من أن كلمة كلية تستخدم لتدل على معهد للتعليم العالي، نجد أن دولا تتبع التقاليد البريطانية أو الاسبانية تستخدم كلمة "كلية" للإشارة إلى مدرسة ثانوية خاصة. وهو بالمثل فإن الأكاديمية ربما تدل على معهد عال للتعليم أو مدرسة.[1]

تتميز الجامعة عن باقي مؤسسات التعليم العالي، في المدى الواسع لمقرراتها الدراسية وتعدد تخصصاتها، ويوفر النمط السائد في الجامعة فرصا كثيرة للطلبة للتخصص في حقول العلوم (الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا...)، العلوم الاجتماعية (علم النفس، علم الاجتماع....)، العلوم الإنسانية (تاريخ، فلسفة...) وغيرها.

مفهوم المقاولاتية :

أما ROBERT HISRIH فيعرف المقاولاتية على أنها :"السيرورة التي تهدف إلى إنتاج منتج جديد ذو قيمة وذلك بإعطاء الوقت والجهد اللازمين، مع تحمل المخاطر الناجمة عن ذلك بمختلف أنواعها (مالية، نفسية، اجتماعية)، وبمقابل ذلك يتم الحصول على اشباع مادي ومعنوي".[2]

هذا بالإضافة لكونه يؤكد على مفهوم السيرورة فهو يشير صراحة إلى فكرة تحمل المخاطر التي تنجم عن المغامرة باقتراح منتج جيد على المستهلك قد يلقى القبول كما قد يلقى الرفض.

ويعرفها بيتر دراكر (1985) DRUKER فيقول: المقاولاتية هي فعل الإبداع الذي يتضمن النظر للتغيير على أنه فرصة لإعطاء الموارد المتاحة حاليا القدرة على خلق قيمة جديدة".[3]

[1] - العبادي هاشم فوزي ،ادارة التعليم الجامعي، مفهوم حديث في الفكر الاداري المعاصر ،مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الاردن، 2008، ص163.

[2] - Robert D Hisrich et Michel P. ENTRENEURSHIP ; édition de nouveaux horizons. France. 1989.p7.

[3] - SARIMAH HANIM AMAN SHAH; ABDUL RACHID ALI. ENTREPREURSHIP. second edition. Ox FORD Fagar. Kuala Lampur. Malaysia.2010.p09.

ويعرف L-J FILION (1997) المقاولاتية كالتالي: " المقاولاتية هي الحقل الذي يعنى بدراسة واقع المقاول وتطبيقاته من حيث نشاطه وخصائصه والآثار الاقتصادية والاجتماعية لسلوكاته، وكذلك يدرس أساليب دفع وحماية النشاط المقاولاتي".[1]

الجامعة الجزائرية : خلفية تاريخية

تعد جامعة الجزائر (Université D'Alger) من أقدم جامعات العالم العربي ،ذلك انها تأسست سنة 1877 من طرف المستعمر الفرنسي ،لتكون نسخة طبق الأصل (نظام تسيير ،برنامج ونشاطا علميا) للجامعات الفرنسية التقليدية المنطوية على التعليم النظري، دون استجابة لمشاكل المجتمع الجزائري آنذاك[2].

وبعد الاستقلال كان على السلطات الجزائرية إصلاح المنظومة التربوية عامة والجامعية خاصة لتستجيب لطموحات الشعب الجزائري وتدعم استقلاله ،وفعلا قد شهدت الجامعة في عشرية الاستقلال الأولى (الستينات)مجموعة من الإصلاحات كإنشاء فرع الآداب باللغة العربية، وارتفاع عدد الطلبة من حوالي 3000 طالب سنة 1963 إلى 20000 طالب سنة 1972[3] .

لكن أهم اصلاح عرفته الجامعة الجزائرية كان في السبعينيات، ذلك أنه شمل التعلم والبحث العلمي، فقد جاء في كتاب "إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي" الصادر سنة 1971، أن الجامعة مطالبة بأن تقدم للقطاع الاقتصادي، وفي أسرع وقت ممكن ما يحتاج إليه من أطر قادرة كما وكيفا على تلبية متطلبات التنمية في البلاد، ومتمكنة من مشكلات التخلف المتنوعة لإيجاد الحلول المناسبة لها، كما أنها مطالبة بأن تربط التعليم الجامعي بالحقائق الوطنية، وتجعله يعالج مشكلات الحياة المختلفة وتوجهه نحو الفروع التي يحتاجها الاقتصاد الوطني.[4]

كما عرفت بعد ذلك عدة اصلاحات، كظهور عدة تخصصات، لم تكن مؤسسة سواء في العلوم الإنسانية والاجتماعية أو في العلوم والتكنولوجيا، كما مست الاصلاحات طريقة العمل ككل، وهذا بتطبيق نظام الأعمال الموجهة ككل T.D إلى جانب المحاضرات، وهذا لربط النظري بالتطبيقي، وكذلك اقتصار

---

1 - Azzeddine Tounes, évolution de la recherche dans le champ de l'entrepreneuriat. REVUE AIGERIENINE DE MANAGEMENT. RAM n01.p79.

2 - محمد مقداد ولحسن بوعبدالله، تقويم العملية التكوينية في الجامعة، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ،الجزائر ،ص2

3 - المرجع السابق ص 3

4 - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إصلاح التعليم العالي ، المطبعة الرسمية الجزائرية، 1971،ص15.

حصص الأعمال الموجهة على أعداد قليلة متمثلة في عمل الأفواج، وحتى يتسنى للطالب المشاركة في بناء التعلمات، ومناقشة الأساتذة من أجل التزود أكثر بالمعلومات وترسيخها.

إلى جانب هذا فقد شهد برنامج التعليم العالي ظهور حصص التدريب الميداني التي كان الهدف منها المساهمة في بناء علاقات وطيدة بين الجامعة والمحيط المهني والاجتماعي، وجعل التعليم أكثر واقعية، وأكثر ارتباطا بالواقع ومخبرا ميدانيا يتم التأكد فيه من مدى صدق المفاهيم والنظريات الغربية.[1]

أما في مرحلة الثمانينيات أصبحت العلاقة بين الجامعة والمحيط الاقتصادي نوع من الفتور، على الرغم من أن الأهداف التي حددت للجامعة في السبعينات بقيت على حالها دون تغيير، فالجامعة استمرت في القيام بدورها المتمثل في اخراج الأطر الجامعية، لكن القطاع الإنتاجي لم يتمكن من إدماج هذه الأطر وتوظيفها لتشبعه، ولعدم وجود مناصب عمل شاغرة.

لأن ما أنجز من مناصب في مرحلة السبعينات قد تم ملؤها، وقل بشكل ملحوظ وجود فرص العمل، وساد نوع من السكون في القطاع الإنتاجي كانت نتيجة ظهور البطالة في صفوف الأطر الجامعية.[2]

أما مرحلة التسعينات فقد شهدت محاولة من جديد لبناء علاقات وطيدة بين الجامعة والمحيط المهني الاجتماعي، فالمؤسسة الانتاجية تسعى للدخول إلى ساحة الاقتصاد الحر حيث يجب أن تكون قوية ومتوفرة على أفراد أكفاء ومتكونين تكوينا جيدا، وقادرة على الصمود في وجه المنافسة، لذلك شهدت لجامعة في هذه المرحلة عملا واسعا لإثراء البرامج الجامعية، كما شهدت عملا واسعا لإعداد الأساتذة الجامعيين اعدادا بيداغوجيا حتى يتمكنوا من رفع فعالية التكوين سواء بواسطة الملتقيات الجهوية أو الوطنية، أو الورشات التدريبية خارج الوطن، أما اخر اصلاحات شهدها قطاع التعليم العالي والبحث العلمي فكانت اصلاحات 2004 أو ما يعرف بإدخال نظام L.M.D والذي نورد أهدافه مباشرة كالآتي:

-مساعدة الطالب على اختيار مساره والمشاركة في فهم تكوينه حيث أنه يسمح بالانتقال من المسار المفروض إلى المسار الحيوي، التي تبدو فيه ذاتيته وهذا ما يساعده على التكوين الفردي حيث تكون الفرق البيداغوجية بمثابة دعم ودليل ونصيحة ترافقه طيلة مساره التكويني.

-إرساء نظام تكوين مرن وإعداد مشروع جامعة يشمل الانشغالات المحلية والعالمية على المستوى الاقتصادي، العلمي، الاجتماعي والثقافي.

[1] - محمد مقداد ولحسن بوعبد الله، مرجع سابق، ص3.
[2] - المرجع نفسه،ص4.

-ترقية استقلالية الجامعة بيداغوجيا مع ضمان التقييم المستمر لها ولبرامجها.

-اعطاء حيوية وفاعلية كبيرة للتكوين الجامعي وذلك بتحديث البرامج التكوينية(من خلال مراجعة البرامج وتنويع وتعديل المسالك أثناء الدراسة في مجالات التكوين) لتكون نوعية ومنظمة وملائمة لمتطلبات سوق العمل، وذلك بالتشاور مع القطاع الاقتصادي في إطار خطط الدولة التنموية.

-تفتيح الدولة على العالم الخارجي قصد تطوير البحث العلمي وتنمية الروح العلمية.

-تشجيع وتنويع التعاون الدولي في الجوانب البيداغوجية و/أو التقنية.

-تسهيل معادلة الشهادات لتسيير حركية الطلبة من داخل الوطن وخارجه.

-التركيز على آليات الاستقبال والتوجيه والدعم البيداغوجية للطلبة.

-تعبئة كل الأسرة الجامعية والتحامها لتكون جامعة حيوية وعصرية.

المدخل التقليدي والمدخل الحديث في التعليم الجامعي:

في علوم التربية هناك مدخلان بيداغوجيان عرفهما تطور مناهج التكوين: مدخل تقليدي واخر حديث:

المدخل التقليدي:

وهو نموذج تكوين متمركز حول المعرفة باعتبارها محور العملية التعليمية والتكوينية، أما الاستاذ فهو السلطان في ذلك، باعتباره مالك لهاته المعرفة، لخص عبد العزيز الفارابي وعبد العزيز العرصاف خصائص هذا المدخل كما يلي:[1]

على مستوى الأهداف: غالبا ما يهدف هذا النمط إلى تكوين ما يلي :

-تهذيب سلوك المتعلم بجعله يتمثل القيم الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع، ويخضع لسلطة الواجب والحق.

-تلقين نماذج جاهزة من المعارف تنتمي غالبا إلى الماضي.

-تحصيل أكبر قدر من المعلومات والمعارف.

[1] - عبد العزيز الفارابي وعبد العزيز الغرضاف، البرامج والمناهج من الهدف إلى النسق، دار الخطابي للطباعة والنشر، المغرب، 1992،ص121.

على مستوى **الوسائل الديداكتيكية:** بالنسبة لهاته الوسائل وفق هذا النموذج تلتقي عند الخصائص التالية:

المحتويات تتصف بكونها تتمركز حول المادة، مجزأة إلى أقسام وفروع تتخذ صبغة تراكمية وذات طبيعة يقينية غير قابلة للتعديل والتغيير.

العلاقة البيداغوجية(أستاذ–طالب): سلطوية تفرض خضوع المتعلم للمعلم الذي يمارس وحده وظائف التخطيط والتنظيم والتسيير والانجاز والضبط والتقييم.

طرائق التدريس: تعتمد بالأساس على أساليب تبليغ المادة إلى المتعلم إما عن طريق الإلقاء أو عن طريق الحوار الموجه.

على مستوى **وضعيات التقييم:** يهدف التقييم في الغالب إلى قياس تحصيل التلميذ ولما لقن له، ولذلك فإنه تقييم للمنتوج النهائي.

النموذج الحديث للتكوين:

يهدف هذا النموذج من التكوين إلى إحداث تغيير في سلوك المتعلم، أما خصائصه فهو كالتالي:[1]

_على **مستوى الأهداف:** معظم أهداف هذا النموذج تتمثل فيما يلي:

تنمية مواقف الفردانية والمنافسة والنفعية.

تدعيم قيم الانتاجية والمردودية لدى الفرد.

تأهيل الفرد للتمكن من الحقول العلمية المختصة والتحكم في التكنولوجيا.

_على **مستوى المحتويات :** تكون مصوغة على شكل سلوكات وانجازات يقوم بها المتعلم في وضعيات دقيقة.

العلاقة البيداغوجية: مبنية على مبدأ العقد والتعاقد البيداغوجي فالمدرس يخطط وينظم الفعل التربوي، ثم يعلم ويشترك المتعلمين في تحقيقها، والكل يعمل على تنفيذ العقد(بلوغ الأهداف المسيطرة).

[1] - عبد اللطيف الفارابي، مرجع سابق، ص122.

_ **طرق التعليم والتعلم:** تعتمد بالأساس على احترام الايقاع الخاص للمتعلم في العملية التعليمية والتدخل لتصحيح مساره(بيداغوجية الأهداف، التعليم المبرمج)، كما تستند إلى تكنولوجيا التعليم(تخطيط، برمجة).

_على **مستوى وضعيات التقييم:** يهدف التقييم في هذا النموذج إلى تصحيح الفارق بين الهدف المنشود والهدف الحقيقي الذي يبلغه المتعلم والتدخل المستمر للدعم والتقوية قصد تقليص هذا الفارق.

على اعتبار الجامعة فضاء واسع لتأطير وتكوين العنصر البشري ومع تزايد عدد الخريجين في جميع التخصصات وبمختلف المستويات (ليسانس، ماستر، دكتوراه)

ومع ملاحظتنا بأنه لم يعد بالإمكان الاستمرارية في سياسة التوظيف في القطاع العام على إثر التشجيع الملحوظ، وفي ظل الأوضاع المالية السائدة، أصبح على الجامعة الجزائرية محاولة المساهمة في حل هاته المشاكل من خلال العمل على تكوين المواد البشرية وفق متطلبات المحيط الاقتصادي.

ولا يأتي ذلك إلا من خلال الاستثمار في الرأسمال البشري أي الاستثمار في العقول والكفاءات البشرية للانتقال من مفهوم "التوظيف" إلى مفهوم "خلق فرص العمل" أي أن الجامعة مطالبة بتنمية ثقافة المقاولاتية، من خلال دعم الابداع والابتكار في شكل مؤسسات صغيرة ومتوسطة لتشجيع العمل الحر، وما فكرة حاضنات الأعمال في جامعات الدول المتقدمة إلا دليل على ذلك.

فما المقاولة، وما الفكر المقاولاتي؟

المقاول:

إن المقاول هو ذلك الشخص الذي يرفض العمل كمرؤوس، بل يفضل أن يعمل ويدير مشروع عمله بنفسه ، ليتحول بذلك إلى رئيس وقائد لأفراد آخرين، من أجل تحقيق رغبة نفسية ومادية، ولا يتمكن أي شخص من هذا إلا بتوفر خصائص شخصية ، سلوكية وإدارية نوجزها في التالي:

1. الخصائص الشخصية:

هناك حد أدنى من الصفات التي ينبغي توفرها لدى الشخص صاحب الفكرة(المقاولة) حسب"R.PaPin" وتتمثل فيما يلي:[1]

-أ. الطاقة والحركية:

سلوك ضروري لا يمكن الاستغناء عنه لأن عملية انشاء مؤسسة تتطلب بذل جهد معتبر وتهيئة وقت مكاني والطاقة اللازمة لإنجاز الأعمال.

-ب. القدرة على احتواء الوقت:

ينبغي على صاحب الفكرة القيام بتطوير مجموعة من الأنشطة في الحاضر، والتي سوف لن يكون لها أي أثر إلا لاحقا.

-ج. القدرة على حل مختلف المشاكل:

فقد تواجه المقاول عدة عقبات وهذا ما يفرض عليه محاولة حلها واللجوء في بعض الأحيان إلى أطراف أخرى، ومع ذلك لا يجب نقل كل المشاكل إلى استشاري ما.

-د. تقبل الفشل:

يشكل الفشل جزء من النجاح وبالنسبة للمقاول الخطأ والحلم هي مصادر لاستغلال فرص جديدة لتحقيق نجاحات مستقبلية.

-هـ. قياس المخاطر:

ينبغي أن يواجه المخاطر التي تواجهه في المستقبل وألا يعتمد على الحظ الذي نادرا ما يتكرر فالنجاح يأتي بجهود طويلة وعمل دائم وتقييم مستمر للنشاط.

-و. التجديد والإبداع:

فاستمرار المؤسسات يجب أن تتطور من ناحية منتجاتها أو هياكله أو مخططها الاجتماعي، لهذا تنشأ ضرورة الانفتاح على التجديد والتطوير والخلق.

[1] - صندر سايبي، سيرورة إنشاء المؤسسة وأساليب المرافقة، دار المقاولاتية، جامعة قسنطينة، الجزائر ، 2010،ص8.

-ي-الثقة بالنفس:

وذلك بامتلاك شعور متفوق وحساس بأنواع المشاكل المختلفة التي قد تعتر سبيله بكل ثقة واقتدار.

2. الخصائص السلوكية:

لابد أن تتوفر في المقاول نوعين من المهارات حسب فايز جمعة وصالح النجار:[1]

-أ. مهارات تفاعلية:

وتمثل مجموع المهارات من حيث بناء تكوين علاقات إنسانية بين العاملين والإدارة والمشرفين على الأنشطة والعملية الانتاجية والسعي لخلق بيئة عمل تفاعلية تستند إلى التقدير والاحترام ، والمشاركة في حل المشكلات ورعاية وتنمية الابتكارات، فضلا عن تحقيق العدالة في توزيع الأعمال وتقسيم الأنشطة، وإقامة قنوات اتصال متفاعلة تضمن سير العمل بروح الفريق الواحد، وهذه المهارات توفر الأجواء لتحسين الإنتاجية وتطوير العمل.

-ب. المهارات التكاملية :

المقاولون يسعون باستمرار إلى تنمية مهاراتهم التكاملية بين العاملين، حيث تصبح المؤسسة أو المشروع وكأنه خلية عمل متكاملة وتضمن انسانية الأعمال والفعاليات بين الوحدات والأقسام.

3. الخصائص الإدارية:

تشتمل على تشكيلة أو توليفة متنوعة من المهارات نذكر منها ما يلي .[2]

المهارات الإنسانية: تمثل المهارات الخاصة بالتعامل الإنساني والتركيز على إنسانية العاملية، ظروفهم الإنسانية والاجتماعية وتهيئة الأجواء الخاصة بتقدير واحترام الذات فضلا عن احترام المشاعر الإنسانية والكيفية التي يتم فيها استثمار الطاقات خلال بناء بيئة عمل تركز على الجانب السلوكي والإنساني.

[1] -فايز جمعة، صالح النجار، عبد الستار محمد العالي، الريادة وإدارة الأعمال الصغيرة ، دار الحامد،عمان،2006،ص12.
[2] -نفس المرجع السابق، ص28.

المهارات الفكرية: وتتطلب إدارة المشرعات مجموعة المهارات وامتلاك المعارف والجوانب العلمية والتخطيطية والرؤية لإدارة مشروعه والقدرة على تحديد السياقات والنظم وصياغة الأهداف على أسس الرشد والعقلانية.

المهارات التحليلية : وتهتم بتفسير العلاقات بين العوامل والمتغيرات المؤثرة حاليا ومستقبليا على أداء المشروع وتحليل(الأسباب وتحديد عناصر القوة والضعف الخاصة بالبيئة الداخلية للمشروع، عناصر الفرص والتهديدات المحيطة بالمشروع في بيئته الخارجية، تحديد أثر ذلك على المركز التنافسي للمؤسسة، سلوكيات المنافسين وتصوراتهم المستقبلية وكذا سلوكيات المستهلكين وأثر ذاك على الحصة السوقية للمشروع، والجوانب المالية والمحاسبية والإنتاجية والتسويقية وغير ذلك).

المهارات الفنية(التقنية): وتتمثل في المهارات الأدائية ومعرفة طبيعة العلاقات بين المراحل الإنتاجية، والمهارات التصميمية للسلع ومعرفة أداء العديد من الأعمال الفنية خاصة فيما يتعلق بتصميم المنتج وكيفية تحسين أدائه وكل ما يرتبط بالجوانب التشغيلية، ومعرفة كيفية تركيب الأجزاء وصيانة بعض المعدات والآلات، والمكونات الأساسية للآلات والمعدات، وهذه المهارات تكون ذات تأثير كبير في بعض المشروعات، كما هو الحال في مصانع الملابس والأقمشة، أو الشركات ذات الطبيعة التصنيعية والفنية كالنجارة والمشاغل الأخرى، وحتى في بعض المجالات الخدمية كصيانة الأجهزة الكهربائية والمعدات الأخرى ، حيث ينظر العاملين إلى المقاولين وكأنهم المرجع الأساسي لهم في هذا النشاط .

نستطيع أن نلخص الخصائص الشخصية ، السلوكية والإدارية في الأدوار العشر التي يقوم بها المقاول أو رائد الأعمال حسب Bolton thompson فيما يلي:[1]

قام كل من Bolton and thompson بتحديد عشر أدوار رئيسية يقوم بها رواد الأعمال من أجل تحقيق الأهداف التي يسعون إليها:

-يؤدون أعمال تختلف اختلافا جوهريا عما يقوم به الآخرون.

-يتمتعون بالخلق والابتكار.

-يدركون ويستثمرون الفرص .

[1] – عمر وعلاء الدين زيدان،ريادة الأعمال،منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية،ص109.

-يوفرون المواد اللازمة لاستثمار الفرص.

-بارعون في تكوين شبكات من العلاقات مع الآخرين.

-قادرون على مواجهة الأحداث غير المتوقعة.

-يستطيعون إدارة المخاطر.

-يتمتعون بالسيطرة على شركاتهم.

-يضعون عملاءهم في مقدمة أولياتهم.

-يخلقون رؤوس الأموال التي يحتاجون إليها.

الربط بين الجامعة والمقاولاتية:

لا شك أن الملاحظ للقدرات والمهارات الواجب اكتسابها من طرف الطالب -كي يتبنى فكر مقاولاتي - هي الاستقلالية والابتكار والابداع، وهنا ندرك الفجوة بين هاته المتطلبات وواقع منهاجنا التعليمي بالجامعة والذي يتميز بما يلي:

-مناهج مستوردة من دول متطورة غير متوافقة مع بيئتنا التعليمية.

-غياب برامج واضحة للمحاور المدرسة لمعظم المواد.

-التخطيط والتنظيم غير السليمين للبرامج المتبعة في التعليم .

-النقل الحرفي للمقررات وبرامج المواد من مقررات بعض الدول مثل فرنسا لان الأشخاص المشرفين على ذلك ليسوا في التخصص.

-عدم توافق ومواكبة البرامج والمناهج المتبعة للتطورات التكنولوجية الحالية.

-انفصال المناهج التعليمية عن الواقع المؤسساتي.

-عدم التوفيق بين حاجات المجتمع ومحتويات البرامج.

-اقتصار التدريس على طريقة المحاضرة أو المناقشة الموجهة.

يظهر مما سبق ان واقع منظومتنا التعليمية يشهد تبني مقاربات قديمة تتمثل في حشو أذهان الطلبة بمعارف ومعلومات مستهلكة ،غير شاملة لمتطلبات نمو الطالب عقليا وجدانيا وجسميا ،بما يتماشى مع ظروف بيئة الشغل الحالية، لذلك لترسيخ الخصائص والمهارات والقدرات المطلوبة من الطالب الجامعي، لا بد من مراجعة جذرية لمنظومتنا التربوية ككل، وذلك بتبني استراتيجيات حديثة (المدخل الحديث للتعليم).

ولن يتأتى ذلك إلا بتبني مدخل إدارة الجودة الشاملة بتعليمنا الجامعي ،ويتم ذلك عبر الخطوات التالية:[1]

تجديد التعليم الجامعي: كمدخل لتطبيق الجودة والإطار الفلسفي والممارساتي:

أ- تجديد الإطار الفلسفي الذي تقوم عليه الجامعة: يمكن حصر أهم التجديدات في هذا المجال في ثلاث نقاط أساسية :

-إن الجامعة أو التعليم الجامعي لم يعد قاصرا على الصفوة بل بات مفتوحا لعدد كبير من الأفراد.

-إن الجامعة أو مؤسسات التعليم العالي لم تعد مؤسسات حكومية فقط .

لم تعد الجامعة قاصرة في أهدافها على إعداد الخريجين وإجراء البحوث الأكاديمية وإنما تجاوزت ذلك إلى الاهتمام بالتعليم المستمر وتقديم خدماتها للمجتمع.

ب- التجديد في أهداف التعليم العالي:

فيما يتعلق **بالتعليم** :

-تعليم الطالب كيفية التعلم الذاتي والتقويم الذاتي .

-إكساب الطالب الاستقلالية والإبتكارية والقدرة على الإبداع.

-إكساب الطالب القدرة على التحكم في التغيير.

-إكساب الطالب القدرة على المشاركة في تنمية المجتمع .

-إكساب الطالب الرغبة في الاستمرار في التعلم.

[1] - أسامة نور الدين الغرابي، تطبيق إدارة الجودة في التعليم، المركز العالي للتقنية الصناعية النجيلة،2007،مقال إلكتروني،ص7.

-إكساب الطالب القدرة على تحديد ما يريد إن يكون عليه والقدرة على تنمية شخصيته.

فيما يتعلق **بخدمة المجتمع والتعليم المستمر**:

-تدريب العاملين عن الجديد في مجال عملهم.

-معاونة مؤسسات المجتمع المختلفة في ظل ما يواجه من مشكلات من خلال الدراسات والبحوث

-الانفتاح على الثقافات الإنسانية لدى الشعوب الأخرى.

-الإسهام في حل المشكلات العالمية

-تزويد الباحث والدارس بالمعارف والخبرات التي تمكنه من معرفة أصول ثقافته وتراثه الوطني.

فيما يتعلق **بالبحث العلمي**:

-المساهمة في مجال العلم والتكنولوجيا والإضافة إليها

-الربط بين نوعية البحوث العلمية ومشاكل المجتمع المحلي.

-إجراء البحوث البينية التي تعالج بعض المشكلات المتداخلة من خلال أكثر من تخصص.

-التعاون العلمي مع الجامعات العربية والأجنبية .

ج- التجديد في أنماط التعليم وبنيته مثل:

-الجامعات المفتوحة Open University : يمكن هذا النوع من التعليم الطلاب من الحصول على الشهادات الجامعية للطلاب البالغين غير المتفرعين، وفرص الالتحاق بها متاحة للجميع، دون التقييد بشروط السن أو المؤهلات العلمية.

-جامعات الهواء University of Air : الجامعات التربوية والإذاعية، الجامعات الإذاعية التلفزيونية وغيرها.

-الجامعات بدون جدران University Without Wall : وهي مؤسسة مستقلة لها كيانها القانوني المستقل تقوم بتنظيم دراسات جامعية تلقى عبر البريد الالكتروني في شكل برامج إذاعية مسموعة ومرئية دون أن يكون لهذه المؤسسة مبان أو منشآت تمارس فيها العملية التعليمية.

-التوسيع في مؤسسات التعليم العالي التعاوني Cooperative Higher Education .

-التوسيع في مؤسسات التعليم العالي قصير المدى short cycle higher Education وهذا لأن ملامح ومواصفات النظام الاقتصادي الجديد تتميز بما يلي:

-الانفتاح والمنافسة العالمية وتوظيف التكنولوجيا فائقة الصغر.

-اعتماد نظام معلوماتي فائق السرعة والدقة.

-استثمار الطاقة المتجددة.

-شديد السرعة والتغير.

-يعتمد استشعار حاجات السوق والمستهلكين باستمرار.

ولذلك فهو يتطلب موارد بشرية مؤهلة يتوفر فيها مايلي:

-مستوى عال من التعليم والتدريب .

- نمو مهني وتعلم ذاتي مستمر.

-القدرة على حل المشكلات واتخاذ القرارات.

-القدرة على التواصل والابداع.

-المرونة والقدرة على التحول من مهنة الى أخرى.

لكن الملاحظ للمقاربة المعتمدة في التدريس حاليا، والتي تدور حول تبليغ المعرفة ، فإنها انتجت لنا وفقا لرؤية الأستاذ عبد الوهاب جودة الحايس الأتي:[1]

الغياب: وتشير إلى عجز المتخرجين عن أداء مهامهم ووظائفهم بعد الولوج في الحياة العلمية رغم كونهم يحملون شهادات تشير إلى أنهم مؤهلين للقيام بها.

[1]- عبد الوهاب جودة الحايس، أنماط التكوين والتأهيل في مؤسسات التعليم الجامعي وفرص التشغيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، يونيو2011، ص13.

الخمول: إن منهج اكتساب المعرفة يحدد درجة كبيرة فاعليتها وكيفية استخدامها، فقد يتقن الطالب ذكر نظريات معينة، ولكن لا يستطيع حل مشكلة أو مسألة يتطلب حلها تطبيق تلك النظريات، لأنه لا يستطيع أن يوظف ما يعرفه أو ما تعلمه لحل المسألة، فالمعرفة الخاملة هي المعرفة السطحية التي يحتفظ بها المتعلم من أجل الإجابة في الامتحان، وتنطفئ حسب تعبير "يكينر" بمرور الامتحان، وهي نتيجة طبيعية للنظام الدمجي المتمركز حول تبليغ المعرفة والتلقين والتسميع دون فهم لما تتضمنه محتويات المنهاج التكويني، مما يعيق تطبيقها وتوظيفها.

السذاجة، أو **السطحية:** وتتضح لدى الطلاب في حالة مناقشة قضايا علمية اجتماعية باستخدام مفاهيم اكتسبوها من مصادر غير علمية، رغم تعرضهم لهذه القضايا العلمية الاجتماعية ضمن المقررات وحاولوا تفسيرها تفسيرا علميا، الا أن هذه الدراسة المنظمة لم تستطيع أن تحل محل المعرفة الساذجة التي اكتسبوها من مصادر غير علمية، وكلما طلب من المتعلم استرجاع تلك القضايا ذكرها بمهارات فائقة، بينما إذا طلب منه تقديم تفسيرا أو تحليلا لها عاد إلى التفسيرات الساذجة، أو التفسيرات غير العلمية.

الطقوسية: يكتسب الطلاب اللغة المقبولة علميا ويرددونها دون أية صعوبة، إذ نجدهم يرددون مفاهيم وآراء علمية، ويجتازون الامتحان بنجاح من خلال ذلك، ولكن في الواقع يرددون ألفاظا جوفاء لا معنى لها بالنسبة إليهم كمن يقوم بطقوس ليس لأنه يفهمها، بل لأنه وجد جميع الافراد يقومون بها. فقد يتحدث مثلا المتخصص في علم الاجتماع عن مفهوم الطبقة، ومفهوم الطبيعة البشرية، أو دراسة الحالة، ولكن إذا سألناه عن معنى هذه المفاهيم يعجز عن تحديد المقصود بها.

ويضيف عواشرية السعيد أعراض أخرى لهشاشة المعرفة مثل:[1]

– **النقصان:** أي اجتزاء المعرفة وعدم اكتمالها لدى الطلاب، والاعتماد على الاختصارات والتلخيص، من أجل سهولة الحفظ.

– **الانفصال:** عدم وجود علاقة أو ترابط بين مجموعة المعارف المتضمنة في المادة الواحدة من جهة ومعارف المواد الأخرى من جهة أخرى، وهذا ما يجعله عاجزا عن استثمار تلك المعارف في الحياة العلمية، كما نجده عاجز عن إنتاج المعرفة، لأن ذلك يتطلب أن يكون الطالب قادرا عل الربط بين تلك المعارف المتنوعة وتركيبها.

[1] - عواشرية السعيد، مدى تحكم الأستاذ الجامعي في بعض الكفايات التدريسية في ظل العلاقة التفاعلية بينه وبين الطلاب، فعاليات الملتقى الوطني الأول حول: التقويم التربوي في المنظومة الجامعية - واقعه وسبله - جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر،7-8سبتمبر2003، ص20.

- **الاغتراب:** أي إن منشأ هذه العلوم في معظمها غربي، ولا يرتبط بقضايا الوطن، ويصعب تطبيقها في مشكلاته وقضاياه.

هذا كله في مقابل ما تنص عليه المقاربات الحديثة في التعليم والتي تهدف الى ما يلي:

-النظرة إلى الحياة من منظور عملي.

-ربط التعليم بالواقع والحياة.

-الاعتماد على مبدأ التعليم والتكوين.

-السعي إلى تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة نفعية.

-تنظيم برامج التكوين انطلاقا من الكفاءات المراد اكتسابها.

-وصف الكفاءات بالنتائج والمعايير.

-اعتماد التكوين على الجانب التطبيقي الخاص.

-المعارف قابلة للتجنيد والمشاريع(طريقة المشاريع.

فالمقاربة بالكفايات في التعليم هي الطريقة الأجدى والأنفع، والأقرب إلى ما تعرضنا إليه سابقا بخصوص متطلبات النظام الاقتصادي الجديد في عصر اقتصاد المعرفة.

خاتمة :

لم يعد بالإمكان التوظيف في القطاع العام في ظل التشبع الحاصل بهذا الأخير، ولهذا بات لزاما على الجهات المعنية التفكير بجد في اليات أخرى لاحتواء جحافل الطلبة المتخرجة سنويا من الجامعات على مستوى الوطن، وهو ما يدخل ضمن ما يعرف بمواءمة مخرجات التعليم العالي مع مدخلات قطاع الشغل.

ولذلك فغرس ثقافة المقاولة(المقاولاتية) أصبح يفرض نفسه على الجامعة الجزائرية ،باعتبارها مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، مسؤولة عن غرس قيم ومعايير وتمثلات أفرادها تجاه انشاء

مؤسسات صغيرة ومتوسطة، يجد فيها الطالب ضالته لتحقيق مبتغاه المادي من جهة، ويساهم في التنمية المحلية لبلاده من جهة أخرى.

والمتتبع للنظم التعليمية والمقاربات التي تعتمدها، يدرك تماما أن المقاربة المتمركزة حول تبليغ المعرفة، وحشو أذهان الطلبة بمعارف جامدة ،دون خضوعها للتجربة الميدانية ،أصبح غير نافع بالنسبة للطالب، في مقابل المقاربة المتمركزة حول انتاج المعرفة، والمتمثل في بناء هاته المعارف والمعلومات من قبل الطالب نفسه ،عن طريق حل المشكلات وانجاز المشاريع ،كطرق نشيطة في التعلم، تكسب الطالب الاستقلالية والتفكير الذاتي. وهنا نستطيع أن ننتقل من مبدأ التوظيف إلى مبدأ خلق الفرص.

قائمة المراجع :

الكتب:

1- العبادي هاشم فوزي ،ادارة التعليم الجامعي، مفهوم حديث في الفكر الاداري المعاصر ،مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الاردن، 2008.

2- الفارابي عبدا لعزيز والغر ضاف عبد العزيز، البرامج والمناهج من الهدف إلى النسق، دار الخطابي للطباعة والنشر، المغرب، 1992.

3 – جمعة فايز، صالح النجار، عبد الستار محمد العالي، الريادة وإدارة الأعمال الصغيرة ، دار الحامد،عمان،2006.

4-مقداد محمد وبوعبدالله لحسن ،تقويم العملية التكوينية في الجامعة ،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ،الجزائر ، 1994.

5-صندر سايبي، سيرورة إنشاء المؤسسة وأساليب المرافقة، دار المقاولاتية، جامعة قسنطينة، الجزائر ، 2010.

المنظمات:

- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، إصلاح التعليم العالي ، المطبعة الرسمية الجزائرية، 1971.

الملتقيات:

- السعيد عواشرية ، مدى تحكم الأستاذ الجامعي في بعض الكفايات التدريسية في ظل العلاقة التفاعلية بينه وبين الطلاب، فعاليات الملتقى الوطني الأول حول: التقويم التربوي في المنظومة الجامعية - واقعه وسبله - جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر،7-8سبتمبر 2003

– عمر علاء الدين زيدان، ريادة الأعمال، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية

المقالات:

– أسامة نور الدين الغرابي، تطبيق إدارة الجودة في التعليم، المركز العالي للتقنية الصناعية النجيلة،2007،مقال إلكتروني

المجلات:

– عبد الوهاب جودة الحايس، أنماط التكوين والتأهيل في مؤسسات التعليم الجامعي وفرص التشغيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، يونيو 2011،

المراجع بالأجنبية:

1- Robert(D) Heinrich et Michel(p); ENTRENEURSHIP Edition de nouveaux horizons. France. 1989.

2- SARIMAH HANIM AMAN SHAH; ABDUL RACHID ALI. ENTREPREURSHIP. second edition. Ox FORD Fagar. Kuala lampur. Malaysia.2010.

3- Azzedine Tunes، évolution de la recherche dans le champ de l'entrepreneuriat. REVUE AIGERIENINE DE MANAGEMENT. RAM n01.

تقنيات التنشيط التربوي في الوسط المدرسي "البديل التربوي للممارسات البيداغوجية"

أ/ مدور ليلى د/ رقية نبار

جامعة الحاج لخضر باتنة01 ـ الجزائر. جامعة مولاي الطاهر سعيدة ـ الجزائر.

ملخص:

تسعى بيداغوجيا التنشيط التربوي إلى تطوير أساليب التدريس و تجديدها لتتلاءم مع الحاجات المتطورة للحياة و لتساير الكم الهائل من المعارف و المعلومات المتنامية بفعل التقدم التكنولوجي و الإعلامي السريع الذي عرفته الحياة المدرسية، مما فرض حتميا تغيير وظيفة المدرسة و الانتقال بها من دور اكتساب المعارف التي لم يعد المدرس مصدرها الوحيد إلى دور التكوين المبني على تنمية الكفايات الملائمة لمتطلبات الحياة و ضروراتها و قد ظهرت بيداغوجيا التنشيط التربوي بتقنياتها و آلياتها المتنوعة لتستهدف إشراك المتعلمين و تحفيزهم على تنمية كفاياتهم الذاتية و تزويدهم بآليات اكتساب المعرفة و توظيفها بديلا على أساليب التعليم التقليدي المتمركزة على المدرس بدل المتعلم و على تلقين المعرفة لذاتها و حشو الأذهان بالمعارف الجاهزة. وقد أتت دراستنا هذه لتسليط الضوء على هذه البيداغوجيا ومدى مساهمتها في التفاعل الصفي للتلاميذ داخل الوسط المدرسي ومن ثمة إكسابهم التوافق مع البيئة التعليمية لهم.

الكلمات المفتاحية: تقنيات التنشيط، الوسط المدرسي،الممارسات البيداغوجية

Abstract :

The pedagogy of competency approach seeks to develop teaching methods and renew them to suit the evolving needs of life and to cope with the vast amount of knowledge and information growing due to the rapid technological progress and media knowledge of school life, which inevitably necessitated changing the function of the school and transferring it from the role of knowledge acquisition. The teacher is the only source to the role of training based on the development of competencies appropriate to the requirements of life and its necessities has emerged pedagogy educational revitalization techniques and mechanisms of various to target the involvement of learners and motivate them to develop their own competencies and provide Are the mechanisms of acquiring knowledge and employing it as an alternative to traditional teaching methods based on the teacher instead of the learner and to teach the knowledge to itself and fill the mind with ready knowledge. Our study is intended to shed light on this pedagogy and its contribution to classroom interaction within the school.

Keywords : animation technique , school environment, pedagogic practices

1. إشكالية الدراسة:

يشهد العالم ثورة في التكنولوجيا بأنواعها و العلوم بكافة فروعها. الأمر الذي جعل لزاما على القائمين بشؤون التربية في بلادنا تجديد فلسفتهم التربوية و بالتالي أنظمتهم التربوية. و قد عرفت المنظومة التربوية في الجزائر منذ الاستقلال عدة إصلاحات و تجديدات آخرها إتخذ من بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات الوسيلة للوصول بمستوى التعليم إلى الدرجة التي تسمح للبلاد بمواكبة التطور و الالتحاق بالركب العالمي و أيضا كحل لمشكلات سوء التوافق بين البرامج و متطلبات المحيط ،و تهدف مقاربة الكفاءات إلى جعل المعارف النظرية سلوكات ملموسة انطلاقا من تسخير مجموع المعارف و القدرات و المهارات لمواجهة مختلف الوضعيات الإشكالية .

و تسعى بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات إلى تطوير أساليب التدريس و تجديدها لتتلاءم مع الحاجات المتطورة للحياة و لتساير الكم الهائل من المعارف و المعلومات المتنامية بفعل التقدم التكنولوجي و الإعلامي السريع الذي عرفته حياتنا المعاصرة مما فرض حتميا تغيير وظيفة المدرسة و الانتقال بها من دور اكتساب المعارف التي لم يعد المدرس مصدرها الوحيد إلى دور التكوين و التأهيل المبني على تنمية الكفايات الملائمة لمتطلبات الحياة و ضروراتها، و قد ظهرت بيداغوجيا التنشيط التربوي بتقنياتها و آلياتها المتنوعة لتستهدف إشراك المتعلمين و تحفيزهم على تنمية كفاياتهم الذاتية و تزويدهم بآليات اكتساب المعرفة و توظيفها بديلا على أساليب التعليم التقليدي المتمركزة على المدرس بدل المتعلم و على تلقين المعرفة لذاتها و حشو الأذهان بالمعارف الجاهزة.

و بما أن التدريس بالكفايات أصبح ضرورة ملحة، كان من الواجب التركيز على أهم أدوار المدرس و تقنيات التنشيط في ظل بيداغوجيا الكفايات لتلازمهما و تكاملهما كأهم ميزة تؤشر على درجة أهميتهما على مستوى الأداء الديداكتيكي و والبيداغوجي.

و يعد التنشيط التربوي الأساس الداعم للفعل التعليمي التعلمي في المدرسة الجزائرية بمفهوم التفعيل و يعد مكونا من مكونات بنية هذا الفعل من منظور الممارسة الميدانية ذلك أنه وسيط بيداغوجي فعال في مقاربة المواد الدراسية حيث يحمل تلك المواد إلى المتعلم في شكل مقاربات متنوعة و هادفة كما أنه جزء من مكونات بنية المادة الدراسية حيث يكون مستهدفا بالتدريس لذا اعتمدته البيداغوجيا الجديدة منهجا وموضوعا لتدريس في نفس الوقت مما يجعل الفعل البيداغوجي حيويا ينبض بالحياة فهو يحرك المتعلم و يبعث فيه الحيوية و النشاط.

والتنشيط في مفهومنا ليس ترفيها أو مضيعة للوقت كما يظن البعض به و إنما هو مكون حقيقي من مكونات الفعل البيداغوجي تحث عليه فلسفة ميثاق التربية و تقننه المواد التشريعية المدرسية، فهو في البيداغوجية الفارقية أو بيداغوجيا المجموعات ديناموا للفعل التعليمي التعلمي ينهض بتنشيط مجموعات القسم و يحقق التواصل فيما بينها.

و باعتبار أن التنشيط التربوي وسيلة لتحريك ملكات التعلم فإنه أيضا يمثل كفاءة أساسية على كل مدرس أن يملكها لتساعده على تفعيل التفاعل الصفي بين التلاميذ والمعلم من جهة، و بين التلاميذ أنفسهم من جهة أخرى.

و على ضوء ما سبق ذكره ، و نظرا للأهمية الكبيرة لدور التنشيط التربوي كبديل تربوي داخل الوسط المدرسي ارتأينا اختيار موضوع دراستنا الحالية من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية :

1. **ما هي أهم تقنيات التنشيط التربوي في الوسط المدرسي ؟**
2. **هل يساهم التنشيط التربوي في التفاعل داخل الوسط المدرسي ؟**
3. **ما هي أدوار المدرس في ظل بيداغوجيا التنشيط التربوي؟**

2- أهمية الدراسة:

تساهم الدراسة الحالية في إثراء الفكر التربوي بالتقنيات المختلفة للتنشيط التربوي وبالتالي الاستفادة منها في استخدامها كطرق نشطة في التدريس الصفي، هذا ما يضمن التفاعل بين التلاميذ و ما يحقق الجو النفسي المناسب في الوسط المدرسي. و على مستوى أبعد قد تفيد الدراسة الحالية المهتمين و القائمين على تخطيط و تطوير طرق التدريس المساهمة في تصنيف المتعلمين من خلال تطبيقها من طرف المدرسين. وفيها أيضا دعوة لتشجيع المدرسين على استخدام تقنيات التنشيط التربوي من أجل ابتكار جو تفاعلي صفي في الوسط المدرسي.

3- أهداف الدراسة:

- معرفة أهمية استخدام تقنيات التنشيط التربوي في تحقيق التفاعل الصفي للمتعلمين في الوسط المدرسي.
- معرفة مدى مساهمة تقنيات التنشيط التربوي في تحقيق التفاعل الصفي داخل جماعة القسم .
- الكشف عن تقنيات التنشيط التربوي التي تحقق التفاعل الصفي للتلاميذ في الوسط المدرسي.

4- تحديد مصطلحات الدراسة:

التنشيط التربوي: و يقصد به في هذه الدراسة مجمل تقنيات و أدوات و أساليب التدريس التي تحفز المتمدرسين على النشاط في الدرس و إشراكهم فيه، و تسهيل مهامهم و أدوارهم في انجازه ، مع إبقاء التلاحم و التواصل بينهم، في ظل توجيهات و إرشادات المنشط(المدرس).

الوسط المدرسي: و يقصد به كل ما تشمله البيئة المدرسية من متغيرات فيزيقية، مادية، أو معنوية تتمثل في الفضاءات ، في الساحة، و في الأقسام الدراسية التي يشغلها الأساتذة والتلاميذ والفريق التربوي للمدرسة.

الإطار النظري للدراسة:

أولا-مفهوم التنشيط التربوي:

تعريف التنشيط التربوي: التنشيط التربوي لغة : تنتمي كلمة تنشيط إلى الجذر المعجمي (ن ش ط) و تفيد لغة حسب المعجم العربي الأساسي : نشط – ينشط – نشاط – نشيط في عمله:طابت نفسه له ، بما يفيد التحفيز والرغبة و العزم على فعل الشيء. نشط – ينشط – تنشيطا : ينشط و هو أيضا الأسلوب الذي يرتكز عليه التعلم النشط الذي يقوم علي الأنشطة المختلفة التي يمارسها المتعلم ، وتنتج عنها سلوكيات تعتمد علي مشاركة المتعلم الفاعلة والايجابية في الموقف التعليمي / التعلم ، فالمتعلم محور العملية التعليمية.

فالتعلم النشط يوفر فرصا عديدة أمام المتعلمين لاكتساب واختبار ما يحيط بهم ، وهم يتبعون التكرار والتقليد والتجربة والخطأ ، من أجل أن يفهموا عالمهم ، ويوسعوا مداركهم ، فيتعلموا مهارات الاتصال والتفاوض ، والتعامل مع المشاعر والصراعات ،المتعلمون يتعلمون حين يشاركون في المسئولية ، وفي اتخاذ القرار ، ويكون تعلمهم أشمل وأعمق أثراً ، وأمتع ، بوجود الكبار حولهم يهتمون بمشاركتهم ويحترمونهم ، ويوفرون بيئة داعمة وآمنة ومحفزة علي المزيد من الاكتشاف (حمداوي، 2015،6).

ويتكون التنشيط التربوي من أربع مكونات أساسية هي:المنشط بكسر الشين.المنشط بفتح الشين.موضوع التنشيط. وسائل وتقنيات التنشيط التربوي (فرحات و القصار، 2015، 53).

و مما سبق يمكن أن نعرف التنشيط التربوي على أنه : **عملية دينامية لإثارة الحيوية والفعالية داخل جماعة فصل معينة، من خلال القيام بأدوار وممارسات لفظية أو حركية الهدف منها إدخال تعديل أو**

تغيير على سلوك إنساني في إطار ثقافي أو تربوي، وفق أهداف مضبوطة و محددة. و هو يعتمد أساسا على المنشط و المكان و الزمان، و الوسائل البيداغوجية و المادية.

أهمية التنشيط التربوي: للتنشيط أهمية كبرى في مجال التربية والتعليم؛ لكونه يرفع من المردودية الثقافية والتحصيلية لدى المتمدرس، ويساهم في الحد من السلوكيات العدوانية، ويقضي على التصرفات الشائنة لدى المتعلمين. كما يقلل من هيمنة بيداغوجيا الإلقاء والتلقين، ويعمل على خلق روح الإبداع، والميل نحو المشاركة الجماعية، والاشتغال في فريق تربوي.

ويمكن إخراج المؤسسة التعليمية، عبر عملية التنشيط الفردي والجماعي، من طابعها الانضباطي القاتم الذي يقوم على الصرامة والالتزام والعقاب، إلى مؤسسة بيداغوجية إيجابية فعالة صالحة ومواطنة، يحس فيها التلاميذ والمدرسون بالسعادة والطمأنينة والمودة والمحبة، ويساهم الكل فيها،بشكل جماعي، في بنائها ذهنيا ووجدانيا وحركيا، عن طريق خلق الأنشطة الأدبية والفنية والعلمية والتقنية والرياضية، يندمج فيها الجميع بدون استثناء: التلاميذ، والأساتذة، ورجال الإدارة، وجمعيات الآباء، وأعضاء مجلس التدبير، والمشرفون التربويون، والمكونون، والمجتمع المدني(الديب،2004،27).

من الضروري أنُ تعوض طرائق الإلقاء والتلقين والتوجيه، في فلسفة التنشيط الجديد، وفي تصورات البيداغوجيا الإبداعية، بطرائق بيداغوجية حيوية معاصرة فعالة وهادفة وبناءة، تقوم على الفكر التعاوني، وتفعيل بيداغوجيا ديناميكية الجماعات، واعتماد التواصل الفعال المنتج، وتطبيق اللاتوجيهية، والهدف من ذلك كله هو تحرير المتعلمين من شرنقة التموضع السلبي، وإخراجهم من الاستلاب المدمر، وتخليصهم من قيود بيروقراطية القسم وأوامر المدرس المستبد، وتعويض ذلك كله بالمشاركة الديمقراطية القائمة على التنشيط والابتكار والإبداع، بتشييد الدولة للمختبرات العلمية، وتأسيس المحترفات الأدبية، وتوفير الورشات الفنية، وبناء المقاولات التقنية والأندية الرياضية داخل كل مؤسسة تعليمية على حدى. (حمداوي،2015،8).

أهداف التنشيط التربوي:

من المعلوم أن للتنشيط التربوي مجموعة من الأهداف العامة والخاصة التي يمكن تسطيرها في النقاط التالية:

- يساهم التنشيط التعليمي في تثقيف المتعلمين، وتأطيرهم معرفيا ووجدانيا وحركيا؛
- تهذيب الناشئة وتخليقها لتكون في مستوى المسؤولية وأهلية المشاركة والتدبير؛

- الانتقال من بيداغوجيا المدرس إلى بيداغوجيا المتعلم؛
- تفعيل الحياة المدرسية وتنشيطها؛
- إدخال الحيوية والديناميكية على الفعل التربوي والسلوك التعليمي.
- إخضاع الإيقاع المدرسي لمتطلبات التنشيط،وشروطه الإيجابية.
- الاهتمام بميول المتعلم السيكوبيداغوجية، والحد من تصرفاته العابثة، واستيعاب تمرده النفسي والاجتماعي، عن طريق إشراكه في بناء المؤسسة التربوية، عبر خلق مشاريع إبداعية مفيدة وممتعة.
- القضاء على الروتين القاتل، والحد من الثبات المدرسي، عبر تفعيل عمليات التنشيط الثقافي والأدبي والفني والعلمي والرياضي.
- تطبيق فلسفة البيداغوجيا الإبداعية، وتمثل مبادئها الإنتاجية في التعليم المغربي.
- خلق مؤسسات تربوية نظرية وتطبيقية، بإيجاد مرافق تنشيطية، كتوفير المحترف الأدبي والفني، وتشييد قاعات الرياضة المجهزة بأحدث الآليات، وبناء مختبرات العلوم والتكنولوجيا.
- إيجاد منشطين مؤهلين أكفاء ليقوموا بعمليات التنشيط والتكوين والتأطير، داخل المؤسسات التربوية التعليمية (حمداوي،2015، 9).

أساسيات التنشيط التربوي:

إذا تأملنا فعل التنشيط، في مجال التربية والتعليم، فهو ينبني على عدة مرتكزات نظرية وتطبيقية، ويستند إلى مجموعة من المفاهيم الإجرائية، التي لابد من الاعتماد عليها بغية تمثلها أثناء حصة التنشيط. وهذه المرتكزات هي على النحو التالي:

- الإيمان بفلسفة الإبداع والاختراع والابتكار.
- التحلي بالمواطنة الصالحة.
- تمثل البعد القومي في عمليات التنشيط بغية خدمة الأمة.
- الانطلاق من التصور الإنساني.
- الاشتغال في فريق جماعي.
- الأخذ بالفلسفة التشاركية.
- الاهتداء بالفكر الديمقراطي المبني على التعاون، والاستشارة، والتسامح، والتفاهم، واحترام الآخر.
- ربط النظري بالتطبيقي، والمعرفي بالعملي.

- الارتكاز على الجوانب المعرفية والوجدانية والحركية في الشخصية الإنسانية.
- التسلح بالمعطيات السيكواجتماعية في عمليات التنشيط.
- خلق المدرسة الديناميكية الفعالة.
- خلق أجواء التباري والتنافس والتفوق والريادة والتميز في مجال التربية والتعليم.
- ربط المدرسة بالتجديد والكفاءة والخبرة والجودة الكمية والكيفية.
- تحويل المدرسة من ثكنة إلزامية صارمة إلى مدرسة الالتزام، والمواطنة الحقة، والحياة السعيدة (حمداوي، 2015، 11).

4-مكونات التنشيط التربوي:

ويستوجب التنشيط البيداغوجي التركيز على ثلاثة عناصر بنيوية أساسية هي:المنشط(بكسر الشين)، والمنشط(بفتح الشين)، والنشاط. **فالمنشط (بكسر الشين)**هو الذيُ يفعل عملية النشاط التربوي، ويتحكم في طاقة المتعلمين الذهنية والوجدانية والجسدية، توجيها، وإشرافا، وترشيدا، وتدريبا، وتأطيرا، وتكوينا. ومن ثم، يحرك عمليات التنشيط بشكل ديناميكي حيوي.علاوة على ذلك، فهو يساهم، بقدراته الخلاقة في إثراء عمليات التفاعل الإيجابي والتواصل الفعال بين المنشطين (بالفتح)، بهدف تحفيزهم على العمل الفردي أو المشترك،عبر التقليد أولا، فالتجريب ثانيا، ثم الإبداع ثالثا.

ومن هنا، **فالنشاط** هو إفراغ للطاقة الحيوية الزائدة، وترجمة للأفكار المخزنة في منطقة الوعي أو اللاوعي على أرض الواقع، وإخراج التصورات والخطط الذهنية إلى حيز التطبيق.ويكون النشاط كذلك بمثابة قدرات ذاتية، وكفاءات مضمرة، تحتاج إلى إنجاز حركي عضلي ونفسي ووجداني، في شكل ميول ذاتية انسيابية، وأهواء عاطفية حركية، وانفعالات ديناميكية متحركة، وتعبير عن قناعات شخصية مقنعة أو واضحة، أو في شكل رؤى موضوعية أو إيديولوجية.(ايت مهدي، 2009 ، 45).

أما **المنشط (بالفتح)**، فهو الذي يستفيد من عملية التنشيط، وينفذ تعليمات المنشط (بالكسر)، ويترجم عن طريق قدراته الحركية، وطاقته الزائدة، كل مايتلقاه نظريا وتطبيقيا. وغالبا، ما يكون هذا المنشط هو المتعلم أو التلميذ المستهدف من عملية التنشيط.(مهداوي، 2012)

أساليب التنشيط التربوي:

أ-أسلوب سلطوي أو توجيهي: وفي هذا الأسلوب يؤكد المنشط دوره باعتباره قائدا، فهو يضع جميع التوجيهات والتعليمات، ويؤمن الانضباط والنظام ، ويسير الجماعة بحسب خطة وضعها مسبقا لم

يطلع الجماعة عليها، بحيث لا يكون توجيه الأنشطة واضحا أبدا وثابتا بالنسبة للجماعة. إنه يفرض المهام، ويوزعها، ويكون الجماعات الفرعية، كما يتتبع ويراقب الإنجازات ويقومها، ويتخذ الإجراءات المناسبة في الوقت المناسب .

ب-أسلوب ديموقراطي (تبادلي): وهو الأسلوب الذي نص عليه الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المناسب لبيداغوجيا الكفايات، حيث يحاول المنشط في هذا الأسلوب الاندماج في الجماعة، فالتوجيهات ليست سوى اقتراحات تكون موضوع مداولة بين أفراد الجماعة، اقتراحات يثيرها المنشط ويشجعها وقد يكون التعاون كليا أو جزئيا. لا يحدد المنشط سوى الأهداف المراد تحقيقها، و يقترح خطة العمل، ثم يتحول إلى عضو من الجماعة، و يشارك بكيفية ديموقراطية في تنفيذ الخطة.

ج-أسلوب فوضوي(حر): وفيه يكتفي المنشط بتقديم العمل ويترك المشاركين أحرارا تماما في أن يفعلوا ما يودون فعله. إنه لا يتدخل على أي مستوى، لا من أجل المشاركة في العمل، ولا بإعطاء توجيهات، أو إعلان عن اتفاقه أو عدم اتفاقه، ويجيب عن الأسئلة بكيفية غامضة، ويتخلف تلقائيا عن الجماعة وفي غالب الأحيان تتخلى الجماعة أيضا عن أداء المهمة نتيجة تخلف المنشط عنها (بن الزين ،2013، 11).

ثانيا: أدوار المدرس في ظل بيداغوجيا التنشيط التربوي:

من أجل إلقاء الضوء على بعض النماذج من الأدوار الجديدة المطلوبة من المدرس في ظل بيداغوجيا التنشيط التربوي والتدريس بتقنيات التنشيط نذكر ما يلي:

1- المدرس مصمما ومهندسا لعملية التعلم: إذا كان المدرس فيما قبل يقوم بتصميم درسه مرتكزا على خطواته ومراحله الأساسية ومحتوياتها ، وبمعنى آخر تركيزه على تخطيط التعليم، فإنه أصبح اليوم مطالبا بتطوير أدائه و بأن يقوم بعملية تصميم شامل وعام لمسارات التعلم أيضا ، وذلك بإعداد ملف خاص بكل وحدة دراسية من وحدات المقرر، من خلال تصور وابتكار وضعيات محفزة ومثيرة، بل ومستفزة، وذلك في حدود الطاقة الاستيعابية والتمثلية للفئة المخاطبة، واقتراح آليات التبسيط والتوجيه، وإعداد وتنظيم فضاء التعلم ، وتكوين مجموعات العمل، وذلك في ضوء ما تتطلبه الكفاية أو الكفايات المراد تحقيقها ، كما ينبغي أن يكون لديه تصور احتمالي لكيفية تدبير وضعية الفشل أيضا؛ فهو مصمم ومنفذ في نفس الآن، وهو يقوم بهذه المهام انطلاقا من المقرر الدراسي وتأسيسا عليه.

ويمكن أن يشتمل الملف الديداكتيكي المشار إليه، إلى جانب ومراحل الدرس الأساسية ومحتوياته، على كل الوثائق، والأوراق، والأدوات المتعلقة بالوسائل التعليمية، من شفافات، وصور توضيحية،

ونصوص مدونة على شرائح مثلا، وقصاصات إخبارية، وبيانات، أو إحصائيات، وما إلى ذلك مما يمكن استثماره في معالجة مفردات الوحدات الدراسية المقررة .

2-المدرس منشطا: من أهم أدوار المدرس، التنشيط ونقصد به كل الطرق والأساليب والوسائل أو الوسائط التي من شأنها تنشيط التعلم، والمضي به إلى أبعد الحدود الممكنة، عن طريق نهج أساليب تحفيز واستدراج المتعلمين إلى المشاركة في التعلم وأنشطته، فالمدرس هو الموجه لكافة التعلمات المطلوبة عبر درس من وحدة دراسية، أو عبر وحدة بأكملها .

والتنشيط التربوي التعليمي هو توجيه لمسارات التعلم من أجل تحقيق الكفاية أو الكفايات المطلوبة، وقد يؤدي التنشيط الناجح إلى اكتشاف قدرات بناءة لدى المتعلمين، يمكن استثمارها والاستفادة منها في الوصول إلى أبعد من الكفاية، وهو التمهير. و لا ينبغي اعتبار التحفيز –نظرا لأهميته الديداكتيكية– مجرد طرح إشكال أمام التلاميذ في بداية الحصة، وانتظار استجابتهم لنقول، وإنما على المدرس أن يدرك بأن التحفيز معناه " خلق شروط محيطة تجعل التلاميذ يطرحون بأنفسهم الأسئلة، ومن ثم، تتحول المشكلة والبحث عن حلها إلى مسألة شخصية للتلاميذ، وليست مجرد استجابة لطلب المدرس" (غريب، 2001، 197).

3-المدرس مسهلا لعملية التعلم:

أهم أدوار المدرس في ظل بيداغوجيا التنشيط التربوي هو الاستكشاف، استكشاف القدرات لدى تلاميذه، الفطري منها والمكتسب، والعمل على تصحيح الخاطئ منها، أو تعزيز السليم، أو تطويرها نحو الأحسن، مما يساعد المتعلم على استخدامها وتسخيرها لتحقيق الكفاية، أو الكفايات المستهدفة في أية لحظة من لحظات حياته الدراسية والعامة. وما ينبغي التأكيد عليه هنا، هو أن المدرس في ظل هذه البيداغوجيا، أصبح ملزما بتمكين المتعلم من أدوات عمل، ومنهجيات، وأساليب، وطرق، واستراتيجيات، وكل ما من شأنه أن يساعد المتعلم على حسن القيام بدوره في عملية التعلم على الوجه الأكمل،حيث يسهلها في وجهه، ويمكنه منها عن طريق تمريرها إليه ، وتدريبه عليها حتى تستدمج ضمن خبراته العملية.

4-المدرس موجها لعملية التعلم: من أهم الأدوار التي يضطلع المدرس اليها في ظل بيداغوجيا التنشيط التربوي ، هو توجيه تعلم تلاميذه، حتى لا يزيغ أو يحيد عما تم تخطيطه ورسمه له بشكل مسبق، فهو موجه لكافة تعلمات تلاميذه، مسؤول على تحقيقها وترسيخها لديهم، وذلك باتخاذ كافة التدابير والوسائل والأسباب الكفيلة بتعزيز تلك التعلمات، وسيرها الصحيح نحو التحقق .

المدرس مقوما: فهو مقوم لمفردات المقرر ككل ، ومقيم لكل وحدة دراسية ومدى تحقق الكفايات المرتبطة بها ، ومقيم لكل درس من دروس كل وحدة دراسية على حدة ، تشخيصيا ، ومرحليا ، وإجماليا. إنه في كل ذلك يقيم تعلمات تلاميذه، ويقيم الكفايات ومدى تحققها، ويرصد الصعوبات والعوائق التي قد تحول دون تحققها، كما يقيم المحتويات الدراسية ككل ، مجسدة في مفردات الوحدات المقررة حسب المستويات المسند إليه تدريسها، فهو باحث بهذا الاعتبار، فضلا عن كونه مجرب (غريب، 2001، 199) .

ثالثا:تقنيات التنشيط التربوي:

تعتمد العملية التربوية خلال سيرها العملي على مجموعة من الطرق وتقنيات تقوم كل واحدة على تصور معين للعملية التعلمية، ومن أنماط هذه الطرق نجد: طرق استفهامية، إثباتية ونشيطة. وكل واحدة من هذه الطرق تستعمل عدد كبير من التقنيات والصيغ ، حسب اختلاف العوامل التالية:

- الفاعل الرئيسي في التعلم : المدرس ، المتعلم أو المجموعة .
- اتجاه التعلم : صيغة تستهدف إعادة إنتاج ورد قدرة (التكرار أو التقليد).
- درجة مشاركة المتعلمين : طرق تشاركية قليلا أو كثيرا، تهدف إلى نقل معارف بيداغوجية تستهدف إعادة الإنتاج أو طرق تشاركية تهتم أولا بأنواع الجودة الدينامية للأفراد ، وبتحويل المكتسبات .
- الاستعمال الأكثر أو الأقل للوسائط التعلمية (نادية، 2007).

على عكس الطرق التقليدية المتمركزة حول المدرس كفاعل رئيسي، فهذه الطرق تتمركز على الفعل وليس فقط على السمع والملاحظة للمتعلمين، لذلك تنقلب القاعدة في هذه الطرق ليصبح هؤلاء المتعلمين هم الفاعلون في العملية التربوية، لينعكس بذلك ما تعلموه في جزء كبير من النشاط الذي يقومون به بأنفسهم لذلك تتأسس هذه الطرق على فكرة أن البيداغوجيا هي إبداع لمحيط يقوم به المكون يسمح له بالوصول إلى المعرفة أو تملكها بفضل الاكتشاف والتجريب والفعل والتجربة الشخصية، لذلك سيكون الفرد يتعلم أحسن إذا ما :

- انخرط شخصيا في الفعل .
- شيد معرفته بنفسه وهو يواجه مشكلا.
- إذا شعر بأنه معنيا ومورطا ثم محفزا.
- إذا كان مشاركا في المجموعة (لأننا نتعلم بسهولة مع الجماعة).

وتشير الدراسات إلى أن يكون دور المدرس خلال تبنيه هذه الطرق، هو تسهيل العملية التعليمية أي أن المدرس هو المسهل والوسيط عوض المعلم ، كما انه يلعب دور المنشط حيث يقدم لكل فرد الوسيلة التي من شأنها تجعله يمتلك المعرفة، لذلك يتطلب من المدرس التمكن من قدرات كبيرة على تنشيط الجماعات .

ويتطلب من المدرس خلال تفعليه لهذه الطرق النشيطة عدة تقنيات تختلف حسب نوعية ومعطيات جماعة المتعلمين، من هذه التقنيات:

1- تقنيات النقاش داخل الجماعة : تعرف (رانيا شاكر،2004، 96) المناقشة بأنها موقف تفاعلي مخطط و مقصود ، يشترك فيه المعلم مع الطلاب في تحديد أهدافه، و توزيع الأدوار بشكل مناسب على المشاركين فيه، تحت إشراف قيادة معينة و توجيهها من خلال أحد الطلاب ، أو المعلم، ويتم فيه تبادل الآراء و الأفكار حول موضوع أو فكرة أو قضية ما،بهدف الوصول إلى نتائج محددة يتفق عليها جميع المشاركين في المناقشة.

يمكن أن ينظم النقاش داخل الجماعة بطرق متنوعة حسب عدد المشاركين (المتعلمين) أو حسب الهدف المسطر للحصة، أو حسب متطلبات الموضوع المعالج أو سياق النقاش.أما دور المنشط في هذه التقنية فيتمثل في تشجيع المشاركين و ديناميكية الجماعة، التوجيه و انجاز الملخصات.

يستهدف النقاش إشراك المتعلم، وذلك بمنحه فرصة التكلم وإبداء الرأي، وتبادل المعارف وأوجه النظر. تعتبر تقنية النقاش، من التقنيات السهلة والاقتصادية، لكنها تتطلب بالمقابل إعداد جيدا، وتوفيرا للوسائل والمعينات التي تهيئ المتعلمين(النصوص ، الوثائق).

2- تقنية فليبس 6/6:(6x6) Philips: تقنية يوزع فيها المشاركون على مجموعات صغرى من 6 أفراد، من أجل تقديم نتائج موحدة الأفكار حول موضوع ما أو دراسة حالة ، أو حل مشكلة خلال 6 دقائق.

مميزاتها:

- ✓ تتشكل المجموعات بدقة أو بالقرعة، ويعين على رأس كل مجموعة مسيرا تغيره لإتاحة الفرصة لباقي أعضاء المجموعة

- ✓ تضمن تدخل جميع مشاركين المجموعات في تناول الموضوع خلال مدة وجيزة (6د)، ويعد ضغط الوقت عامل مشجعا للجماعة على الإنتاج.
- ✓ بعد 6د يقدم مسيروا المجموعات، إنتاج مجموعاتهم بشكل سريع (3د).
- ✓ في الأخير يقدم المنشط تركيبا عاما يلخص فيه النقط العامة للنتائج.

جدول 1 جدول يوضح سلبيات و ايجابيات كل من المتعلم و المدرس في تقنية فيلبس6/6.

	إيجابيات	سلبيات
المدرس	ـ يقتصر دوره في المهام التنظيمي والتوجيه للمجموعات النقاش.	. ضيق الوقت.
المتعلم	. تتيح فرصة إبداء الرأي والاقتراح. . تعلم تحمل مسؤولية تسيير مجموعة صغرى ، أو لعب دور المقدم. ـ تكوين نتائج موحدة (الاتفاق على الأفكار الجيدة) . ـ تتيح فرصة المشاركة لجميع المعلمين دون استثناء .	ـ محدودية الوقت قد يكون عامل طابع لتفكير المتعلم .

3- تقنية الزوبعة الذهنية/العصف الذهني (Brainstorming:)

تقوم تقنية الزوبعة الذهنية على إشراك المتعلمين في المناقشة(النقاش) بهدف إنتاج واقتراح أفكار بشكل جماعي، ولإيجاد حلول لموقف أو وضعية مشكلة:

- وتستند هذه التقنية إلى جملة من الشروط أو المبادئ منها:
- عرض المنشط أمام المجموعة وتوضيحها وتحديد عناصرها .
- إدلاء كل مشارك بآرائه واقتراحه دون حكم أو نقد للآخرين.
- عدم نقد أفكار المشاركين وتأجيل ذلك حتى يتم الاستماع لكل المساهمات.
- عدم إيقاف وحصر الطاقة التعبيرية للمتدخلين.
- العمل على اثراء النقاش: كثرة وغزارة في الأفكار والاقتراحات.

- جمع الأفكار والتدخلات وتدوينها (المنشط).
- تحليل الأفكار والاقتراحات في النهاية للخروج باستنتاج عام (المعايير).

يرى "فؤاد أبو حطب وأمال صادق"(1980) أن العصف الذهني وسيلة للحصول على أكبر عدد من الأفكار من مجموعة من الأشخاص خلال فترة زمنية وجيزة،ويعتبر العصف الذهني من أكثر الأساليب شيوعا من حيث الإستخدام بغرض حل المشكلات بطريقة إبتكاريه، وهو يسهم بشكل مباشر في تنمية التفكير الإبتكاري لدى المشاركين فيه. يستخدم العصف الذهني كأسلوب للتفكير الجماعي في أغراض متعددة منها: حل المشكلات في المجالات الحياتية المختلفة، والتدريب بقصد زيادة كفاءة القدرات والعمليات الابتكارية. (أحمد عبادة،1992، 38).

هو طريقة منظمة لاستمطار الأفكار حول مشكلة محددة، فهي عملية يستثار فيها أذهان مجموعة من المتعلمين لتوليد أكبر قدر ممكن من الأفكار لحل مشكلة محددة، و القاعدة الأساسية في العصف الذهني هي أن تفضل عملية توليد الأفكار عن تقويمها و نقدها، لأن نقد الأفكار يعيق إبداعها، والعصف الذهني هو الإطار الرسمي للتفكير الإبداعي.(راشد بن حسين ،2008، 33).

تتكون مجموعة المتعلمين في هذه التقنية من 12 إلى 15 فرد، يقوم المنشط بعرض الموضوع (مشكل) وتحديد قواعد العمل، ليقوم بعد ذلك إعطاء المجموعة بطرح أفكارهم دون كبح أو تقيد، حيث يمكنهم المشاركة بأن شيء لأنه ليس هناك انتقاد أو حكم على ما يقوله، كما يمكن للمتعلمين الاستلهام من أفكار غيرهم قصد إثرائها.

يقتصر دور المنشط أثناء المناقشة بالتذكير بقواعد العمل. لكن في المرحلة الثانية يقوم بتجميع الأفكار لمعروضة ثم انتقاء الأفكار الجيدة، ليخلص في الأخير إلى تركيب شامل حول الموضوع المطروح. تمتد هذه التقنية من 20د إلى ساعة واحدة حسب درجة تعقيد الموضوع (نادية، 2007).

جدول 2 جدول يوضح سلبيات و ايجابيات كل من المتعلم و المدرس في تقنية الزوبعة الذهنية.

	الإيجابيات	سلبيات
المدرس	. يعمل على احترام قواعد العمل . ـ يقوم بدور تجميع وتلخيص الأفكار المعروضة وانتقاء الأفكار الجيدة . . تعدد استعمال التقنية في مختلف الحالات.	. تتطلب جودة الإعداد والتنظيم الجيد. ـ تستدعي القدرة على الضبط الجيد للمجموعة . . تتطلب الحياد الذي قد يؤدي إلى الفوضى.
المتعلم	. تعلم البحث عن منهجية الحلول . . تنمية القدرة على التخيل والإبداع . ـ إبداء الرأي والمشاركة بكامل الحرية دون تقيد أو كبح . تشجع على التعبير عن الأفكار دون خوف أو خجل. ـ تعلم دور المقدر والعمل في مجموعات صغرى.	. قد يستغل بعد المشاركين الضوء الأخضر للمشاركة في الثرثرة واللعب وتبادل الكلمات التي لا تفيد في معالجة الموضوع.

4-لعب الأدوار :

تنسب طريقة لعب الأدوار الى العالم النمساوي (مورينو،Moreno)،حيث طبقها لأول مرة في مدارس النمسا عام 1911 ، وانتشرت بعد ذلك في أنحاء العالم بأسماء متعددة منها (لعب الأدوار، تمثيل الأدوار، المحاكاة)، وهي إحدى طرائق التدريس التي تحقق تفاعلا عقليا و وجدانيا و حركيا لدى التلاميذ من خلال المشكلة المطروحة عليهم في بداية الحصة.(حلس، 2011، 33)

و لطريقة لعب الأدوار استخدامات عديدة في العملية التعليمية نذكر منها:

-تستخدم لتحقيق الأهداف التعليمية

- تتيح الفرصة للمتعلم تقمص المشاعر و الأحاسيس للشخصية التي يؤدي دورها.

-توضح قيم و اتجاهات و سلوكيات معينة تتصل بالحياة الاجتماعية.

-تستخدم لحل بعض المشكلات المتصلة بالبيت و المدرسة و المجتمع المحيط بالتلميذ.

-تستخدم للتدريب على مهارة صنع القرار.

تتلخص خصائصها العامة:

- تحقيق أهداف في المجال النفسي والعاطفي.
- التواصل يقوم على محاكاة وضعية متخلية (لعب الدور من طرف المتعلم).
- يقوم المتعلمون بتشخيص الأدوار بطريقة عفوية وبكامل الحرية في التصرف.
- تساعد على فهم العناصر (المفاتيح) للمشكلة.
- قلب الأدوار سيساعد على فهم وجهة نظر المحاور الآخر.
- تعلم تحليل مشاكل العلاقات البين شخصية.

تستعمل هذه التقنية في تحقيق عدة أهداف منها التكوين الشخصي التكوين الشخصي،التكوين المهني و أيضا تستخدم كطريقة للتنشيط البيداغوجي.

جدول 3 جدول يوضح سلبيات و ايجابيات تقنية لعب الأدوار بالنسبة للمدرس والمتعلم

	الإيجابيات	سلبيات
المدرس	ـ طريقة مرنة (صالحة للتعليم أو التدريب على العلاقات الإنسانية) . . طريقة محفز للمتعلمين . . طريقة غير مكلفة كثيرا . . تتطلب فقط منشط واحد .	. تتطلب إعداد جيد.
المتعلم	. تساعد على فهم العناصر المشكلة . ـ تعلم تحليل المشاكل والعلاقات البين ت شخصية . اكتساب حسن التصرف . ـ اكتساب حسن التواجد على المستوى العلائقي الاجتماعي . ـ تحسين التواصل وربط العلاقات الإنسانية بين الآخرين.	ـ يبقى باقي المتعلمين في حالة الملاحظين (أثناء تأدية الباقي للأدوار).

حل المشكلات:

عرفها"هابنر، "Happner (1982) بأنها مجموعة العمليات التي يقوم بها الفرد مستخدما المعلومات التي سبق له تعلمها، والمهارات التي إكتسبها في التغلب على موقف بشكل جديد، وغير مألوف له في السيطرة عليهوالوصول إلى حل له. (مقدادي و الزيتون، 2010: 528).

كما أن أسلوب حل المشكلات له أهمية كبيرة في تنمية التفكير الإبتكاري لدى الأفراد، وهذا ما أكدته دراسات" شونديرو، Shodnire"و "سيرافكا، Serafica" و"ميلر، Miller"، حيث توصلوا إلى أن تدريب الأطفال على أسلوب حل المشكلات ينمي ويدعم التفكير الإبتكاري لديهم.وعليه، نجد أن كل من "تورانس" و "عبد الغفار"و "جيافورد" و"فوكس"، قد أكدوا على أن عملية الإبتكار هي نموذج لحل المشكلة، وتمر بنفس خطواتها أما "هبنر وآخرون،Heppner et al"(1983)، يؤكدون على أهمية أسلوب حل المشكلات في المجال الدراسي، حيث يرون "أن من أجل زيادة فاعلية الطالب الناجح لابد من إمتلاك إستراتيجية حل المشكلات من أجل الحد من صعوبات الدراسة والتكيف معها،كما أن التوتر النفسي وصعوبات التكيف هما نتاج لعدم فاعلية الأسلوب الذي يستخدمه الفرد في حل المشكلات.(بن الزين، 2013،67) .

رابعا: وسائل التنشيط التربوي:

يقتضي التنشيط الفعال (لهادف و اللين و المرح) اعتماد أدوات حديثة، هذه الأدوات يتم إحضارها وتجريبها قبل استعمالها النهائي .فنختار الوسيلة المناسبة وفق الهدف المتوخى، والموضوع، و البرنامج، والتوقيت، والمدة الزمنية ، والمكان ، وعدد المشاركين ، ومستواهم العمري و الفكري ، وتبعا لاهتماماتهم. من الأدوات و الوسائل الأكثر استعمالا نجد: المسلاط العاكس، والحاسوب باستعمال جهاز العرض، والسبورة الورقية، والأجهزة السمعية – البصرية ،الصورة الشّفافة. الديابورما، الفيديو، التكنولوجيات الجديدة للإعلام و التواصل،الحاسوب باستعمال جهاز الداطاشو (Datashow) (مهداوي، 2012).

خلاصة:

من خلال ما سبق ذكره، يتبن لنا ضرورة تكامل كافة الإمكانيات من عناصر بشرية كمدرسين و متمدرسين و عناصر تعليمية تتمثل في طرائق و أساليب التدريس و عناصر عملية متمثلة في الوسائل و الوسائط التكنولوجيا التعليمية من أجل إنجاح وتحقيق التنشيط التربوي الجيد الذي تسعى اليه مدارسنا بغية تحقيق غايات و مرامي التعليم ، ألا وهي بناء فرد ذو جودة و كفاءة عالية و استغلال كافة مواهبه و قدراته في خدمة وطنه و تطويره.

وتعتبر تقنيات التنشيط التربوي التي أشرنا إليها في دراستنا هذه السبيل الوحيد لتجويد العمل التدريسي داخل الوسط المدرسي، ولا يمكن توظيفها إلا بمراعاة خصائص التلاميذ داخل الفصل الدراسي، و ذلك من أجل ضمان فعالية عالية في التدريس، مما ينعكس بالإيجاب على قدرات التلاميذ في مواجهة تحديات الإصلاحات المستمرة التي تواجهها منظومتنا التربوية باستمرار.

من خلال هذه الدراسة حاولنا التطرق لضرورة التطبيق العملي لتقنيات التنشيط من طرف المدرسين، و دورها الفعال في تحفيز التلاميذ داخل القسم ، مما يؤدي الى محاربة الملل وكسر الروتين الذي يقتل الإبداع كما يؤدي الى تعزيز الثقة بالنفس لدى المتعلمين و يسمح لهم بفرصة المشاركة العلمية والوجدانية، خاصة إذا كانت تقنيات التنشيط التربوي مقترنة مع وضعيات من المحيط الذي يعيش فيه المتعلم ، فتجعله فنانا في حل المشكلات التي تواجهه في حياته المدرسية وهذا بدوره يضمن له الصحة النفسية والاستقرار طيلة مشواره التعليمي.

فالتنشيط التربوي له دور هام في تفعيل الحياة المدرسية إذ يعتبر شكلا من أشكال التدخل البيداغوجي الذي يعمل على مقاربة المواد الدراسية اعتمادا على أسلوب و تقنيات يتم بها تسهيل و تنظيم و ضبط التواصل بين المعلم و المتعلم داخل الصف لتحقيق كفايات محددة و دقيقة. فهو يسمح باكتشاف المعرفة وبناؤها من قبل التلميذ نفسه في سياقها الطبيعي ،مما يجعله يتعود على أساليب البحث مما ينمي فيه روح الابتكار والإبداع. لذا فان المعلم مدعو إلى اختيار الأنشطة التعليمية والمشكلات المناسبة التي تخدم هذا الاتجاه عن طريق أسلوب تدريسي فعال يؤدي إلى فهم المتعلم وإتقانه للكثير من المهارات والمفاهيم والقدرات والمعارف.

الاقتراحات:

من خلال هذا الطرح المستفيض حول أهمية تقنيات التنشيط التربوي نوصي بما يلي:

- ✓ الإلحاح في توظيف تقنيات التنشيط التربوي في تدريس المواد الدراسية عامة من طرف المشرفين والمسؤولين في المدارس والمقاطعات.
- ✓ إجراء دورات تدريبية للمعلمين على آليات استخدام تقنيات التنشيط التربوي، وكيفية الإعداد لها وتطبيقها في جميع المراحل التعليمية، و على مستوى مختلف المدارس والتأكيد على تفعيلها.
- ✓ تعميم استخدام هذه التقنيات مع جميع المستويات لما لها من نتائج في تحسين المستوى وتجويد العملية التعليمية في الوسط المدرسي.

قائمة المراجع:

1) الديب، محمد مصطفى (2004). دراسات في التعلم التعاوني،ط1، عالم الكتب، القاهرة.

2) الحسن بولحية: http://www.hassanlahia.com/2015/08/blog-post_727.html.

3) المنجي فرحات، و الهادي القصار. (2015). تقنيات التنشيط. تونس: وزارة التربية التونسية.

4) بن الزين، نبيلة. (2013). فعالية أسلوب حل المشكلات في تنمية الضبط الداخلي لدى عينة من الطلبة في مرحلة التعليم الثانوي "دراسة شبه تجريبية بورقلة". رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

5) جميل حمداوي. (2015). التنشيط التربوي, مفهومه و تقنياته و وسائله. شبكة الالوكة.

6) عبادة، أحمد (1992)الحلول الابتكارية للمشكلات النظرية و التطبيق، دار الحكمة للنشر و التوزيع، البحرين.

7) عبد الهادي مهداوي. (2012). تقنيات تنشيط الجماعات. تاريخ الاسترداد 10 04, 2017، من الحوار المتمدن: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=310643

8) عبد الكريم غريب. (2001). الكفايات و استراتيجيات اكتسابها. الرباط: منشورات عالم التربية.

9) عثمان، ايت مهدي. (2009). المعجم التربوي. سعيدة: وزارة التربية الجزائرية.

10) وزارة التربية المغربية (2009):دليل التواصل البيداغوجي والتنشيط التربوي، مديرية المناهج، الدار البيضاء.

11) وزارة شؤون المرأة والأسرة (2013).الدليل البيداغوجي للتنشيط الاجتماعي التربوي، الإدارة العامة للطفولة، تونس.

12) حلس، داود درويش(2008).محاضرات في طرائق و أساليب تدريس التربية الإسلامية.ط2، غزة،فلسطين، آفاق للطباعة و النشر.

13) لطفي، نادية. (2007). تقنيات التنشيط التربوي. تاريخ الاسترداد 15 04, 2017، من علوم التربية على الرابط http://www.hassanlahia.com/2015/08/blog-post_727.html.

14) مقدادي، يوسف موسى و أبو زيتون، جمال عبدالله (2010).أثر برنامج تدريبي مستند إلى التربية العقلانية الانفعالية في تحسين الكفاءة الاجتماعية و مهارة حل المشكلات لدى طلبة الصيفين السابع و الثامن الأساسين.مجله الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الإنسانية).المجلد الثامن.العدد الثاني ص 521-555.

15) رانيا شاكر السيد أحمد(2004) برنامج مقترح لتنمية مهارات التعبير الشفوي لدى الطلبات المعلمات بقسم اللغة العربية في ضوء مراحل التواصل اللغوي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات ،جامعة عين شمس.

16) راشد، بن حسين العبد الكريم(2008).إستراتيجية العصف الذهني استمطار الأفكار-حقيبة تدريبية لتنمية مهارات العصف الذهني لدى المعلمين.الرياض، وزارة المعارف.

مفهوم الصلابة النفسية: أبعادها و أهم النماذج النظرية المفسرة لها.

الباحثة / عزوز حميدة ـ جامعة الجزائر 2.

ملخص:

نشأ مفهوم الصلابة النفسية على يد الأمريكية سوزان كوبازا (Kobasa,S) أثناء إعدادها لرسالة دكتوراه تحت إشراف أستاذها مادي(Maddi)بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، و التي انتهت منها سنة 1977، حيث استطاعت كوبازا (Kobasa) من خلال سلسلة من الدراسات التي أجرتها أعوام: 1982،1979،1983،1985 الكشف عن الصلابة النفسية بوصفه متغير يساعد الفرد على الاحتفاظ بصحته النفسية و الجسمية عند تعرضه للأحداث الضاغطة و أثبتت دوره الفعال في إدارك الأحداث الشاقة و تفسيرها على نحو ايجابي، حيث أنها تساهم في ارتقاء الفرد و نضجه الانفعالي و زيادة خبراته في مواجهة المشكلات الشاقة، لذا تم تطوير مفهوم الصلابة النفسية و بناء أدوات لقياسها.

الكلمات المفتاحية:الصلابة النفسية،النماذج النظرية، مقاومة الضغوط.

Abstract :

The notion of Hardiness was born in the hands of the American Susan (Kobasa S)during the preparation of a doctorate under the supervision of her professor Maddi at the University of Chicago, in the United States, which ended in 1977 , where Kobasa (Kobasa) conducted a series of studies conducted by Years: 1979, 1982, 1983, 1985 The detection of **:** hardness as a variable helps the individual to maintain his mental and physical health in case of stress and proves its effective role in raising awareness of difficult events and their interpretation in a positive way, as it contributes to the development of emotional and individual maturity. And increase his experience facing difficult problems, so it was Taiwir the concept of psychological rigidity and tools to measure the construction**.**

Keywords: hardness, theoretical models, stress resistance**.**

تمهيد:

لقد برزت الشخصية ذات البناء الصلب كعامل مهم في مقاومة الضغوط و الإجهاد، حيث وجدت العديد من الدراسات أن الأفراد الذين يملكون صفات ايجابية قوية مثل الصلابة لا يستسلمون بسهولة للضغط، فهي إحدى سمات الشخصية التي تساعد الفرد على التعامل الجيد مع الضغوط و الاحتفاظ بالصحة الجسمية و النفسية، انخفاض مستويات الإجهاد المهني.

سنتطرق في هذه الورقة إلى تحديد مفهوم الصلابة النفسية أهميتها وكذا خصائصها، بالإضافة أبعادها و أهم النماذج النظرية المفسرة للصلابة النفسية.

مفهوم الصلابة النفسية:

تحدث عنها اريكسون (1983) موضحا الدور الأساسي الذي يلعبه الوالدان في تكوين هذه السمة فمن خلال إشباعهما للحاجات الأساسية للطفل منذ الصغر، كذا إشباع حاجاته الثانوية، فالحاجة إلى الحب و الحنان و الشعور بالدفء يشعر الطفل بالأمان و القيمة الذاتية و الثقة بالنفس و بالآخرين في مراحله العمرية التالية (**الطاهر:2016،119**).

ثم جاء الاتجاه المعرفي عند لازاروس(Lazarous,1966) و الذي أكد على آراء اريكسون و أضاف إليها، مشيرا إلى أن احترام الوالدين لآراء الطفل منذ الصغر، و وضع مستوى مناسب من التواصل بينهم و بينه بالإضافة إلى تقديرهما لانجازاته البسيطة، و تشجيعه على الاعتماد على نفسه عند أداء متطلباته الشخصية، فهذا من شانه أن يشعر الطفل بالأمان و بالقيمة الذاتية و يجعله أكثر تحملا للمسؤولية و أكثر قدرة على تحديد أهدافه في مراحله العمرية، أما في حالة رفض الأسرة لآراء الطفل و لانجازاته و فرض الوالدين لآرائهم، فإن ذلك يشعر الطفل بالخوف و يجعله يتوقع حدوث الخطر باستمرار، كما يفقده الثقة بنفسه و بالآخرين، و بالتالي يؤثر على المراحل العمرية التالية (**العيافي:2012:14**).

أيد ماكوبي(Maccoby) ما جاء به من سبقه من العلماء و الدارسين فيما يخص منشأ سمة الصلابة النفسية، و ذلك من خلال دراسته التي أجراها عام 1980، بهدف معرفة دور البيئة الأسرية في تكوين سمة الصلابة فيما بعد عند إدراك المشقة و التعايش معها، و قد أشارت نتائج هذه الدراسة إلى أن العلاقات السرية التي تتسم بالدفء القبول الاهتمام بالطفل الثقة فيه و الاحترام و التقدير له تنمي لديه الاعتقاد بأن خبرات النجاح و الفشل ترجع لعمله و مجهوده و مدى مثابرته و تحديه للأحداث الشاقة المحيطة به.

و يرى كولرك(Colerick) أن أبعاد الصلابة النفسية تكون في حالة نمو مستمر مع التقدم في العمر، فكلما تقدم الشخص في العمر زادت درجة صلابته النفسية فهو تعلم كيفية التعامل مع أحداث الحياة، و يتم ذلك من خلال محاولات النجاح و الفشل، فضلا عن تعلمه لأنماط من السلوك تتراكم مدى الحياة (**المرجع السابق،14-15**).

بينما تؤكد كوبازا(Kobasa ;1983) دور التعلم الاجتماعي من الأسرة و المجتمع في ظهور هذه السمة كمتغير وقائي مقاوم للضغوط، و يساعد على الصحة النفسية و الجسمية، فتتبعت كوبازا منذ عام

1979 حتى عام1985 در القدوة أو النموذج في تكوين هذه السمة لدى الطفل منذ طفولته، فذكرت أن وجد نماذج والدية ايجابية تتسم بالثقة بالنفس و الصلابة النفسية في بيئة الطفل تمثل له أساسا لارتقاء السمة في مراحله العمرية التالية.

كما أيد سندلر و اروين(Sandler et Irwin) آراء كوبازا من خلال دراستهما التي أجريت على عينة قوامها 258 طفلا من ذوي الأسر المفككة، و التي أظهرت نتائجها أن وجود نماذج والديه سلبية في حياة الطفل تتسم بالضعف في مقاومة أوجه المشقة(أحداث الحياة الشاقة)، ربما تسهم في تكوين الخصال الشخصية السلبية لديه فيما بعد (**المرجع السابق:15**).

أطلقت كوبازا(Kobasa) على مجموعة الخصائص التي تميز الأشخاص الذين يقاومون الضغوط مصطلح الصلابة النفسية" **Psychological Hardiness** " ، و لم تغفل أونتي هل(Auonti hull) دور المتغيرات الأخرى التي تساعد مقاومة الضغوط مثل الوارثة، التدين، المساندة النفسية و الاجتماعية، الدخل المرتفع، الوظيفة، الرعاية الطبية الجيدة، و هؤلاء الأشخاص الذين يتسمون بالصلابة النفسية لديهم القدرة على التحكم، الالتزام اتجاه الأخلاق و القيم وكذلك القدرة على التحدي(**الطاهر،21:2016**).

و يرى العيافي(2012) أن سمة الصلابة النفسية هي سمة مكتسبة في مراحل مبكرة جدا من العمر تصنع الأسرة الكثير من جوانب تكوينها، كما تساهم البيئة الاجتماعية المحيطة بما تتضمنه من زملاء،مؤسسات اجتماعية،كالمدرسة، المسجد وغيرها من القوالب التي يمارس فيها الطفل نشاطه الاجتماعي على إنمائها ارتقائها عبر المراحل العمرية اللاحقة المختلفة(**العيافيّ،16:2012**).

و هو ما سبق أن أكده فنك(Funk;1992) الذي ذكر أن الصلابة النفسية خصلة عامة في الشخصية تعمل على تكوينها و تنميتها الخبرات البيئية المتنوعة المعززة التي تحيط بالفرد منذ الصغر (**مخيمر،13:2011**).

تعريف الصلابة النفسية:

ترى كوبازا 1979(kobasa) بأن الصلابة النفسية:" كوكبة من السمات الشخصية التي تعمل كمصدر للمقاومة في مواجهة الأحداث الضاغطة".

فتعرفها على أنها:" اعتقاد عام لدى الفرد في فاعليته و قدرته على استخدام كل المصادر النفسية و البيئية المتاحة كي يدرك يفسر و يواجه أحداث الحياة الضاغطة" (**حنصالي،121:2014**).

و يرى الحواجزي(2004)أن الصلابة النفسية هي :"العامل الذي يميز بعض الأفراد بمقدرتهم على مجابهة الضغط و تحملها مقارنة بالآخرين حيث أن أفضل المتكيفين مع الضغوط هم الأشخاص الذين

لديهم سمات شخصية يطلق عليها الشخصية الصلدة، هي تسمية لأشخاص لديهم التام عالي و يستمتعون بعملهم و أسرهم و أصدقائهم، و الذين يملكون الإحساس بالسيطرة على الأمور و الذين يمتلكون الإحساس بالقدرة على مجابهة التحديات (**يوسفي،167:2012**).

بينما يعرفها سليغمان و آخرون(seligman,et al ;1995):" أنها مرتبطة باختلال السلوك السلبي و غير المرغوب فيه و تقديم السلوك الصحي و المنتج، وحتى التعرض للظروف الصعبة".

إن مفهوم القدرة على الصمود و هو مفهوم متخط للقطاعات يستقي جذوره من العلوم المادية و علوم البيئة، لكنه يطبق في علوم اجتماعية مختلفة و في علم النفس كذلك، و يتعلق المفهوم عادة بقدرة النظم على الاستجابة للظروف المتغيرة و التكيف معها، و بصورة ملموسة هو قدرة البنية التحتية الفيزيقية الأساسية على امتصاص الصدمات، و من منظور نفسي أكثر هو عملية التكيف و مجموعة من المهارات و القدرات و السلوك و الفعال الرامية إلى التعامل مع الشدائد (**عوض،25:2015**).

و يرى (روان أحمد عوض،2015)أن الصلابة النفسية تعنى امتلاك الفرد لدرجة مقبولة من الضبط الداخلي و الالتزام للتعامل بفعالية مع الآخرين في المواقف الانفعالية الصعبة و الأزمات الطارئة التي من المفترض أن يواجهها بكل قوة و تحمل، فالفرد عندما يخبر درجة عالية من الضغوط دون أن يصاب بأي من الأمراض النفسية أو الجسمية فهو يتصف بدرجة عالية من الصلابة النفسية، فالصلابة النفسية تعمل كواق ضد العواقب السيئة للضغوط، حيث يتم النظر لتلك الضغوط على أنها تحدي للفرد و ليس على أنها تهديد، فهي تنشئ جدار دفاع للفرد تدفعه للتكيف مع أحداث الحياة الضاغطة و المؤلمة، و تخلق نمطا من الشخصية شديد الاحتمال تستطيع أن تقاوم الضغوط و تخفف من آثارها السلبية ليصل الفرد إلى مرحلة التوافق (**المرجع السابق:27-28**) .

و يعرفها البهاص أنها:" إدراك الفرد و تقبله للمثيرات أو الضغوط النفسية التي يتعرض لها فهي تعمل كوقاية من العواقب الحسية و النفسية للضغوط، و تساهم في تعديل العلاقة الدائرية التي تبدأ بالضغوط و تنتهي بالإنهاك النفسي، على اعتباره أنه مرحلة متقدمة من الضغوط (**عودة،66:2010**).

و ما يمكن استنتاجه من عرض التعاريف السابقة أن معظمها تركز على أهمية الصلابة النفسية في تجاوز العقبات و الظروف الضاغطة المنهكة و التصدي للإعياء و الإجهاد المهني و كذا ظروف الحياة الصعبة.

أهمية الصلابة النفسية:

تعد الصلابة النفسية أحد العوامل المهمة و الأساسية من عوامل الشخصية في تحسين الأداء النفسي و الصحة النفسية و البدنية، و كذلك المحافظة على السلوكات الصحية، فهي تقي الإنسان من آثار الضغوط الحياتية المختلفة، وتجعل الفرد أكثر مرونة و تفاؤلا و قابلية للتغلب على مشاكله، كما أنها عامل حماية من الأمراض الجسمية و الاضطرابات النفسية. راضي 2008 نقلا عن(**طاهر،2016:121**).

لقد قدمت كوبازا (Kobasa)عدة تفسيرات توضح السبب الذي يجعل الصلابة النفسية تخفف من حدة الضغوط التي تواجه الفرد، ففي هذا الخصوص ترى كل من كوبازا و مادي(Kobasa et Maddi) أن الأحداث الضاغطة تقود إلى سلسلة من الأوجاع تؤدي إلى استثارة الجهاز العصبي الذاتي و الضغط المزمن، يؤدي فيما بعد إلى الإرهاق و ما يصاحبه من أمراض جسدية و اضطرابات نفسية و هنا يأتي دور الصلابة النفسية في تعديل العملية الدائرية التي تبدأ بالضغط و تنتهي بالإرهاق فالصلابة :

- تعدل من إدراك الأحداث و تجعلها تبدأ أقل وطأة.
- تؤدي إلى أساليب المواجهة نشطة أو تنقله من حال إلى حال.
- تؤثر على أسلوب المواجهة بطريقة غير مباشرة من خلال تأثيرها على الدعم الاجتماعي.
- تقود إلى التغيير في الممارسات الصحية مثل: اتباع نظام غذائي صحي، ممارسة الرياضة، وهذا بالطبع يقلل من الإصابة بالأمراض الجسمية (**عوض،2015:28**).

فالصلابة النفسية تؤثر في تقييم الفرد المعرفي للحدث الضاغط ذاته و ما ينطوى عليه من تهديد لأمنه و صحته النفسية و تقدير لذاته كما تؤثر في تقييم الفرد لأساليب المواجهة لديه.

حيث أظهرت دراسة الرد و سميث(Allerd ;Smith1989) أن الصلابة النفسية مقاومة للأمراض وذلك بسبب الطريقة الادراكية التكيفية التي ينظرون من خلالها للمواقف الضاغطة، فذلك يجعلهم يتمتعون بمفهم ذات ايجابي.

وتبعا كوبازا فالصلابة النفسية تؤدي إلى تغيير الادارك المعرفي الأحداث اليوميةّ، فالأشخاص ذوو الصلابة يرون أحداثهم اليومية الشاقة بصورة تفاؤلية و تخفف من الشعور بالإجهاد، و تحول دون وصول الفرد لحالة الإجهاد المزمن (Kobasa,maddi ;1982:156-172) نقلا عن (**عوض،2016**).

فتؤكد كوبازا أن الصلابة مفيدة لمقاومة الضغوط و الإنهاك النفسي، حيث أنها تعدل من إدراك الفرد للأحداث تجعلها أقل تأثير فتكسبه قدرا من المرونة، لهذا تزيد من قدرات الفرد لمواجهة الضغوط المختلفة وكذلك الوقاية من الإنهاك النفسي(**المرجع السابق:29**).

كما أكدت دراسة شان(2002) أهمية الصلابة النفسية حيث من بين ما توصلت إليه نتائج دراسته أن الصلابة النفسية العالية تحمي الفرد تفر له طرق للتعامل مع الضغوط و المشاكل الحياتية، و بالتالي تجعل الفرد يتعامل معها بإيجابية و تحميه من الاحتراق النفسين بينما امتلاك الفرد لصلابة نفسية ضعيفة تجعله أكثر عرضة للاحتراق النفسي(**تعكرميت،22:2013**).

كما توصلت دراسة (حورية تعكريمت،2013) إلى أن هناك علاقة ارتباطية عكسية دالة بين الصلابة النفسية و الاحتراق النفسي مما يدل على أهمية الصلابة النفسية في خفض درجة الاحتراق النفسي(**المرجع السابق،2013**).

خصائص الصلابة النفسية:

حصر تايلور(Taylor,1995) خصائص الصلابة النفسية فيما يلي:

- الإحساس بالالتزام(sense of commitment) أو النية لدفع النفس للانخراط في أي مستجدات تراجعهم.
- الايمان (الاعتقاد) بالسيطرة(sense of control) الإحساس بأن الشخص نفسه هو سبب الحدث الذي حدث في حياته و أن الشخص يستطيع أن يؤثر على بيئته.
- الرغبة في احداث التغيير و مواجهة الأنشطة الجديدة التي تمثل أو تكون بمثابة فرص للنماء و التطوير.

و أكد عماد مخيمر(1997) على هذه الخصائص في دراسته لأدبيات الموضوع، حيث قام بالعديد من الدراسات العربية في مجال الصلابة النفسية (**راضي،40:2008**).

- **خصائص ذوو الصلابة النفسية المرتفعة:**

توصلت كوبازا من خلال دراساتها سنوات (1979،1982،1983،1985) إلى أن الأفراد المتمتعون بالصلابة النفسية يتميزون بالخصائص التالية:

- القدرة على الصمود و المقاومة .
- لديهم انجا أفضل.
- ذوو وجهة داخلية للضبط.
- أكثر اقتدارا يميلون للقيادة السيطرة.
- أكثر مبادأة و نشاطا و ذوي دافعية أفضل(**المرجع السابق،41**).

و حسب كوبازا أيضا(1979) فالأفراد مرتفعي الصلابة النفسية هم أكثر ايجابية في مواجهة ضغوطات الحياة مما يجعلهم يتمتعون بالصحة و هم أفراد ناجحون(**pallabi.M,2017:140**)

كما أوجدت دراسات كل من(kobasa, maddi, puccetli,1982& roth,1989 ;collins1991,Williams et al1992bartone1998)

حول مجموعات العمل(المجموعة المهنية)انه من بين وظائف الصلابة النفسية المرتفعة تعز من الصحة النفسية، و تقي من الإجهاد في علاقات العمل(المرجع السابق).

و بين ديلاد(Delad,1990) أن أصحاب الصلابة النفسية المرتفعة لديهم أعراض نفسية وجسمية قليلة و لديهم تركيز على التحمل الاجتماعي، ارتفاع الدافعية نحو العمل و لديهم القدرة عل التفاعل، و أكثر توجها للحياة و مواجهة الأحداث الضاغطة (**معمري،71:2015**).

في حين حدد كل من لولوة حمادة و عبد اللطيف(2008) خصائص مرتفعي الصلابة النفسية كما يلي :

- هم أفراد ملتزمون بالعمل الذي عليهم آداءوه.
- لديهم القدرة على التحكم في الأحداث بدلا من شعورهم بفقدان القوة.
- ينظرون إلى التغيير على أنه تحد عادي بدلا من أن يشعروا بالتهديد.
- يجدون في ادراكهم و تقويهم لأحداث الحياة الضاغطة الفرصة لممارسة اتخاذ القرار (**راضي،41:208**).

و يذكر(العيافي،2012) مجموعة من الخصائص نقلا عن مادي و آخرون(1998).

- الأشخاص الذين يتمتعون بمستويات مرتفعة من الصلابة النفسية يتمتعون بجود نظام قيمي ديني لديهم يقيهم من الوقوع في الانحراف أو الأمراض أو الإدمان.
- وجود أهداف في حياتهم و معاني يتمسون بها.
- الالتزام و المساندة للآخرين عند الحاجة.
- المثابرة و بذل الجهد القدرة على التحمل و العمل تحت الضغوط.
- التفاؤل و التوجه الايجابي نحو الحياة.
- الهدوء و القدرة على التنظيم الانفعالي و التحكم في الانفعالات.
- التحكم المعرفي: أي القدرة على التفسير و التقدير للأحداث الضاغطة.
- الاعتقاد بأن النجاح في الحياة يعود للعمل و المجهود و ليس للصدفة أو الحظ و الظروف.
- اعتبار أن الأحداث الضاغطة أمر طبيعي، و ليس تهديدا لهم(**العيافي،2012: 25-26**).

و بين كل من(دبلار 1990،كوزي19991،كريستفر 1996) أن أصحاب الصلابة النفسية المرتفعة لديهم أعراض نفسية و جسمية قليلة، غير منهكين و يتمتعون بالانجاز الشخصي، لديهم القدرة على التحمل الاجتماعي و ارتفاع الواقعية نحو العمل، أكثر توجها للحياة، يمكنهم التغلب على الاضطرابات النفس جسمية، و تلاشي الإجهاد(**المرجع السابق:26**).

- **خصائص ذوو الصلابة النفسية المنخفضة:**

من بين الخصائص التي تميز ذوو الصلابة النفسية المنخفضة أنهم يتصفون بعدم الشعور بهدف لأنفسهم، و لا معنى لحياتهم كما أنهم لا يتفاعلون مع بيئتهم بإيجابية، و يتوقعون التهديد المستمر، الضعف في مواجهة الأحداث الضاغطة المتغيرة و يفضلون ثبات الأحداث الحياتية فليس لديهم اعتقاد بضرورة التجديد و الارتقاء كما أنهم سلبيون في تفاعلهم مع بيئتهم، و عاجزون عن تحمل الأثر السيئ للأحداث الضاغطة(**راضي،42:2008**).

كما قام كل من كوبازا مادي(kobasa ,maddi ;1979) بمجموعة من الدراسات التي استهدفت معرفة المتغيرات النفسية التي تكمن وراء احتفاظ بعض الأشخاص بصحتهم النفسية و الجسمية عند تعرضهم للضغوط، بينما يتعرض آخرون للمرض و الاجهاد بتعرضهم للضغوط نفسها، و توصلا إلى أن غياب الصلابة النفسية يقلل من قدرة الفرد على مواجهة الضغوط و تزيد من الشكاوى البدنية(**نصر،01:2014**).

حيث أنهم ليس لديهم اعتقادات راسخة بضرورة الارتقاء فتؤثر الظروف الشاقة فيهم سلبا و منه على حالتهم الصحية نتيجة عجزهم عن تخفيف الأثر السلبي الناتج عن الأحداث الضاغطة أو السلبية(**زكري،93:2016**).

بناءا على ذكر صفات و الخصائص المميزة لذوي الصلابة النفسية المرتفعة و المنخفضة تستنتج راضي فوقية نوفل(2008) ان ذوي الصلابة النفسية يتميزون بما يلي:

- يكون عندهم الصبر راسخا في الذات مع تحمل المشقة.
- الحكمة و المرونة في اتخاذ القرارات.
- عدم فقدان التوازن في الأزمات
- الاحتفاظ بالهدوء و الثبات في أشد و أقسى المواقف و الظروف.
- القدرة على وضع الخطط لمواجهة المشكلات.
- الالتزام بقيم و مبادئ و معتقدات معينة و التمسك بها و عدم التخلي عنها.
- القدرة على التكيف مع مواقف الحياة الجديدة.
- المبادرة لحل ما يواجههم من مشكلات.
- التحكم في الانفعالات و الغضب و السيطرة على النفس(**راضي،42:2008**).

مما سبق يتضح أن الأفراد الذين يتصفون بخصائص الصلابة النفسية المرتفعة يتمتعون بالقدرة على مقاومة ظروف الحياة الضاغطة و بيئة العمل و ظروفه السيئة، و يتكيفون بايجابية مع الظروف المحيطة الصعبة و ينسجمون في علاقاتهم مع غيرهم و يتحملونهم دائما، كما أنهم يسعون للتغيير و التجديد في مواجهة الصعاب و ذلك سعيا منهم للاستمرار في تحقيق أهدافهم و طموحاتهم لأن الحياة بالنسبة إليهم لها معنى، لهذا لا نجدهم كثيري الشكوى النفسية و البدنية، فهم أكثر تحملا للإجهاد النفسي و البدني فتتوفر فيهم الخصائص الايجابية للصلابة النفسية.

أبعاد الصلابة النفسية: توصلت كوبازا إلى ثلاثة أبعاد تتكون منها الصلابة النفسية هي:

1/ **الالتزام:** يعتبر الالتزام من أكثر مكونات الصلابة النفسية ارتباطا بالدور الوقائي للصلابة النفسية بوصفها مصدرا لمقاومة مثيرات المشقة، و قد أشار(جونسون و ساراسون،1987) إلى هذه النتيجة حيث تبين لهما أن غياب هذا المكون يرتبط بالكشف عن الإصابة ببعض الاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب **(طاهر،122:2015)**.

حيث يشير مفهوم الالتزام إلى الاعتقاد في الثقة و الأهمية و قيمة ما يفعله الشخص و أيضا النزعة إلى اندماج الفرد في العديد من المواقف في الحياة مثل: الأسرة، المنظمات الاجتماعية، و العمل.

و أن الأفراد الذين يتسمون بالصلابة النفسية يكونون على درجة عالية من الالتزام لما يقومون به، و أن الأفراد الملتزمين تكون علاقاتهم مع أنفسهم و مع البيئة نشطة و اقدامية عوضا أن تكون سلبية احجامية، و أن الأفراد ذوي الدرجات المرتفعة من الالتزام يكون لديهم إحساس عام بالهدف في الحياة و القدرة على إيجاد معنى في الظروف التي يتعرضون لها و لا يشعرون بالاغتراب و لديهم القدرة على مواجهة التحديات التي تعترضهم**(شريفي،159:2014)**.

فهو نوع من التعاقد النفسي يلتزم به الفرد اتجاه نفسه و أهدافه و قيمه و الآخرين من حوله(تعكريمت،26:2013).فحسب ويبي(Weibie ;1991) الالتزام يوصف بأنه اعتقاد الفرد بضرورة تبنيه قيما و أهدافا محددة اتجاه نشاطات الحياة المختلفة و ضرورة تحمل المسؤولية اتجاه هذه القيم و المبادئ و الأهداف، ما يشير إلى اتجاه الفرد نحو التعامل مع الأحداث الشاقة برؤيتها كأحداث هادفة و ذات معنى، و جديرة بالتفاعل معها**(طاهر،122:2015)**.

أنواع الالتزام:

تناولت (كوبازا و أخرون،1985 ; Kobasa,Maddi,Puccetti) مكون الالتزام الشخصي أو النفسي بالدراسة رأت أنه يضم كلا من:

- الالتزام اتجاه الذات: اتجاه الفرد نح معرفة ذاته و تحديده لأهدافه و قيمه الخاصة في الحياة، تحديده لاتجاهاته على نح يميزه عن الآخرين.
- الالتزام اتجاه العمل: اعتقاد الفرد بقيمة العمل أهميته سواءا له أو الآخرين، اعتقاده بضرورة الاندماج في محيط عمله و بكفاءته في انجاز عمله، و ضرورة تحمله مسؤوليات العمل و الالتزام بنظمه(**شريفي،160:2014**).

كما تطرق محمد طاهر (2015) إلىّ أنواع الالتزام و حددها فيما يلي:

- الالتزام الديني: و هو التزام الفرد بما ورد في القرآن و السنة من قيم و مبادئ و قواعد.
- الالتزام الأخلاقي: يتجلى في تحلي الفرد بصفات خلقية تتناسب واقع الحياة الاجتماعية التي يعيشها.
- الالتزام الاجتماعي: يتمثل في شعور الفرد بالمسؤولية اتجاه مجتمعه و مشاركته في الأنشطة الاجتماعية مع ابناء مجتمعه(**طاهر،122:2015**).

2/ **التحكم:**

أشارت كوبازا (Kobasa) إليه بوصفه اعتقاد الفرد بأن موقف و ظروف الحياة المتغيرة التي يتعرض لها هي أمور متوقعة الحدوث و يمكن التنبؤ بها للسيطرة عليها، كذلك ويبي (Weibie ;1991) يرى أن التحكم اعتقاد الفرد بتوقع حدوث الأحداث الضاغطة و رؤيتها كمواقف أحداث شديدة قابلة للتناول و التحكم فيها.

و بالنسبة لمخيمر عماد الدين فهو اعتقاد الفرد بالتحكم فيما يلقاه من أحداث أنه يتحمل المسؤولية الشخصية عن حوادث حياته، أنه يتضمن القدرة على اتخاذ القرارات و الاختيار بين البدائل و تفسير و تقدير الأحداث و المواجهة الفعالة (**المرجع السابق،123**).

كما يشير إلى اعتقاد الفرد بإمكانيته و قدرته على تحمل الضغوط الناتجة عن الأحداث الحياتية باعتبارها أحداثا متغيرة و ليست ثابتة و أن لديه القدرة على التحكم فيما يتلقاه من أحداث و يتحمل المسؤولية الشخصية عما يحدث له.

أخذت كوبازا (Kobasa) مفهوم التحكم من نظرية روتر عن مركز التحكم و طبقا لوجهة نظرها فهو يشير إلى اعتقاد الفرد بأنه يستطيع أن يؤثر على الأحداث في حياته، و ذلك من خلال ما يقوله و ما يفعله مع التأكيد على المسؤولية الشخصية و ترى كوبازا أن التحكم يؤثر على الأفراد من خلال مستويين: الأول منهما أن التحكم يحسن من قدرة الفرد على مقاومة الضغوط على المستوى الإدراكي، و الثاني أن الضبط يؤثر على المواجهة و التي من خلالها يؤدي الإحساس بالتحكم إلى قيام الفرد باستجابات سلوكية

تهدف إلى تغيير الأحداث إلى شئ ما يكون متناغما مع خطة الفرد في الحياة، و لذلك تبدو الأحداث أقل تهديدا للفرد، أيضا إذا لم يكن الموقف أو الحدث تحت تحكم سيطرة الفرد فإن الأفراد ذوي درجة الضبط أو التحكم المرتفعة يجسدون الحدث من خلال العمليات و الأفعال التي يقومون بها إلى خطة على المدى الطويل، و بذلك يبدوا الموقف منسجما مع وجهة نظرهم عن الحياة(**شريفي،2014: 160-161**).

و أشارت أبو حسين إلى التحكم بأنه يتمثل في قدرة الفرد على توقع حدوث المواقف الصعبة بناء على استقرائه للواقع و ضعه الخطط المناسبة لمواجهتها و التقليل من آثارها حين حدوثها، مستثمرا كل ما يتفر لديه من إمكانيات مادية و معنوية و استراتيجيات عقلية، مسيطر على نفسه متحكما في انفعالاته(**منذر،15:2015**).

كما أشار أبو مصطفى إلى أن التحكم يدل على إيجاد الفرد في مواجهة أحداث الحياة بفعالية، نظرا لما يمتلك من خصائص و سمات تؤهله لذلك، حيث تحمل المسؤولية و القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة التي تساعده في التحكم بأحداث الحياة الضاغطة بجدارة نقلا عن(**منذر،15:2017**).

أنواع التحكم: هناك أربعة أشكال رئيسية للتحكم هي:

- **التحكم في اتخاذ القرار:** يتمثل في طريقة التعامل مع الموقف ساء بإنهائه أو تجنبه أو بمحاولة التعايش معه، و لذا يرتبط بطبيعة الموقف نفسه و ظروف حدوثه حيث يتضمن الاختيار من بين البدائل (**كاهنة،46:2015**).
- **التحكم المعرفي:** يعد أهم صور التحكم التي تقلل من الآثار السلبية للمشقة إذا ما تم على نحو ايجابي، فيختص هذا التحكم بالقدرة على استخدام بعض العمليات الفكرية بكفاءة عند التعرض للمشقة، كالتفكير في الموقف، إدراكه بطريقة ايجابية و متفائلة، و تفسيره بصورة منطقية و واقعية، بمعنى آخر إن الشخص يتحكم في الحدث الضاغط باستخدامه بعض الاستراتيجيات العقلية، مثل تشتيت الانتباه بالتركيز في أمور أخرى، أو عمل خطة للتغلب على المشكلة (**منذر،16:2017**).

  واستخدام كافة المعلومات المتاحة عن الموقف لمحاولة السيطرة عليه و ضبطه(**طاهر،124:2015**).
- **التحكم ألاسترجاعي:** يرتبط بمعتقدات الفرد و اتجاهاته السابقة عن الموقف و طبيعته، فيؤدي استرجاع الفرد لمثل هذه المعتقدات إلى تكوين انطباع محدد عن الموقف و رؤيته على أنه موقف قابل للتناول و السيطرة، بمعنى نظرة الفرد للحدث الضاغط و محاولة ايجاد معنى له في حياته، مما قد يؤدي لتخفيف أثر الحدث الضاغط(**المرجع السابق**).

و من يتسم بقوة التحكم سيكون لديه اعتقاد بأنه يمكن أن يتحكم في أحداث حياته، و يحمل نفسه مسؤولية ما يحدث له من أجل التأثير فيما يحدث حوله، حتى لو كان في سياق صعب، و يزعجه الإحساس بانعدام الحيلة و السلبية و يميل للتصرف بطريقة تؤثر في أحداث الحياة بدلا من الشعور بالعجز عندما تقابله الشدائد و المحن(**منذر،17:2017**).

- **التحكم السلوكي:** يقصد بالتحكم السلوكي القدرة على التعامل مع الموقف بصورة علنية و ملموسة، بمعنى تحكم الشخص في أثر الحدث الضاغط من خلال القيام ببعض السلوكيات لتعديله أو تغييره(**المرجع السابق،16**).

3/ التحدي :

التحدي هو اعتقاد الفرد بأن التغيير المتجدد في أحداث الحياة هو أمر طبيعي و حتمي لابد منه لارتقائه، أكثر من كونه تهديدا لأمنه و ثقته و سلامته النفسية(**طاهر،124:2015**).

فهو اعتقاد الفرد أن ما يطرأ على جانب حياته من تغير هو أمر مثير و فرصة ضرورية للنمو أكثر من كونه تهديد له، و هو يمثل جانبا طبيعيا في الحياة مما يساعد الفرد على اكتشاف البيئة و معرفة المصادر النفسية و الاجتماعية التي تساعده على مواجهة الضغوط بكفاءة.

إن مفهوم التحدي عند كوبازا يشير إلى أن الأفراد ذوي الدرجات المرتفعة من التحدي يخففون و يلطفون من شدة الأحداث الضاغطة على الجانب الإدراكي، و ذلك عن طريق تلوين الأحداث على أنها تمثل تهديد للفرد، و أن التحدي يشجع على الإحساس بالانفتاح و المرونة و هذا يتيح للفرد أن يقيم أحداث الحياة الصعبة الضاغطة بشكل فعال(**شريفي،161:2014**).

و منه فالتحدي هو امتلاك الفرد خصائص نفسية تساعده على مواجهة الضغوط بفعالية و التكيف مع مواقف الحياة مع توقع حدوثها و اعتبارها مواقف طبيعية.

ـ النماذج النظرية المفسرة للصلابة النفسية:

اختلف تفسير علماء النفس لمفهوم الصلابة النفسية كل حسب وجهة نظره وتوجهه، لهذا توجد العديد من الأطر النظرية و النماذج المفسرة لمفهوم الصلابة النفسية نذكر منها:

1/ نظرية كوبازا (Kobasa ;1979):

لقد قدمت كوبازا نظرية رائدة في مجال الوقاية النفسية من الإصابة بالاضطرابات النفسية و الجسمية، و تناولت من خلالها العلاقة بين الصلابة النفسية بوصفها مفهوما حديثا في هذا المجال، و احتمالات الإصابة بالأمراض و قد اعتمدت على عدد من الأسس النظرية تمثلت في آراء بعض العلماء أمثال:

ماسلو، روجرز، فرانكل و التي أشارت إلى وجود هدف للفرد و معنى لحياته يجعله يتحمل إحباطات الحياة، و يتقبلها و أن يتحمل الفرد الإحباط الناتج عن الظروف الحياتية الصحية المعتمدة على قدرته و استغلال إمكاناته الشخصية و الاجتماعية بصورة جيدة، و من أهم النماذج التي اعتمدت عليها نموذج " لازاروس " الذي يرى أن أحداث الحياة الضاغطة مرتبطة بعدد من العوامل و حددها في ثلاث عوامل رئيسية و هي:

- البيئة الداخلية للفرد.
- الأسلوب الإدراكي المعرفي.
- الشعور بالتهديد و الإحباط.

و هنا جاءت نتيجة دراساتها و التي كان منها:

- الكشف عن مصدر ايجابي جديد في مجال الوقاية من الإصابة بالاضطرابات النفسية و الجسمية، و هو الصلابة النفسية بأبعادها و هي: الالتزام، التحكم، التحدي.
- أن الأفراد الأكثر صلابة حصلوا على معدلات أقل في الإصابة بالاضطرابات النفسية رغم تعرضهم للضغوط الشاقة، فكان هذا الافتراض أن التعرض للأحداث الصادمة الحياتية الشاقة يعد أمر ضروريا، بل حتمي لا بد منه لارتقاء الفرد و نضجه الانفعالي و الاجتماعي، أن المصادر النفسية و الاجتماعية الخاصة بكل فرد قد تقوى و تزداد عند التعرض لهذه الأحداث الصادمة و من أبرز هذه المصادر الصلابة النفسية.

و من خلال دراستها توصلت إلى أن الارتباط القائم بين الصلابة و الوقاية من الأمراض أدى إلى تحديدها للخصال المميزة للأفراد مرتفعي الصلابة النفسية حيث أنهم يتسمون بالأكثر صمودا و مقاومة لأعباء الحياة و أشد واقعية و انجازا و سيطرة و قدرة على التفسير، خاصة و أن الصلابة النفسية تغير من مكونين أساسيين من مكونات التقدير أو التثمين المعرفي، إذ تقلل من المبالغة في التقدير أو التثمين المعرفي لخطورة و تأثيرات التهديد و تزيد في الوقت ذاته من توقعات المرء بأن مجهوداته ستنجح في التصدي أو التعامل الايجابي مع هذا التهديد(Tortasky ;1993) نقلا عن(**شريفي،2014:162-163**).

فالصلابة النفسية تعمل كمتغير مقاومة وقائي يقلل من الإصابة بالإجهاد الناتج عن التعرض للضغط، و تزيد من استخدام الفرد لأساليب المواجهة الفعالة، و العمل على استخدامه لمصادرها الشخصية الاجتماعية المناسبة اتجاه الظروف الضاغطة(**منذر،20:2017**). و الشكل التالي يوضح ذلك:

***شكل رقم(01) يوضح نموذج العلاقة بين الصلابة النفسية و أحداث الحياة الضاغطة.**

أثبتت كل من (Kobasa ;1982, Gentry &Kobasa ;1984,) أيضا جود ارتباط بين الصلابة النفسية و استخدام الفرد لاستراتيجيات التعامل الفعال المرتكزة حل المشكلة في التعامل مع الأحداث الضاغطة، و افترض بناءا على هذين الميكانيزيمن أنهما يقللان بصورة دالة من كمية الضيق و الكدر النفسي الذي يمكن أن يخبره أو يعانيه الفرد، إضافة إلى إسهامهما على المدى الطويل في تحسين جودة الحياة النفسية و تحقيق السعادة و الرفاهية النفسية للفرد(**شريفي،2014:162-163**).

و منه فالصلابة النفسية تعمل كمتغير وقائي يقلل من الإجهاد الناتج عن التعرض للضغط و تزيد من استخدام الفرد لأساليب المواجهة الفعالة، و بالتالي تحقيق الصحة و السلامة النفسية للفرد بل و ترتقي بها إلى مستوى الرفاهية و السعادة النفسية باعتبارها متغير وقائي.

2/ نظرية فينك(Venk ;1992) :

قدم فينك1992،1995 في مجال الوقاية من الإصابة بالاضطرابات نموذج من خلال الدراسات التي أجراها بهدف بحث العلاقة بين الصلابة النفسية و الإدراك المعرفي و التعايش الفعال من ناحية و الصحة العقلية من ناحية أخرى، و اعتمد على قياس المواقف الشاقة الواقعية و كيفية التعايش معها قبل الفترة التدريبية التي أعطاها للمشاركين و التي بلغت ستة أشهر(06)، في تحديده لدور الصلابة النفسية، أما الدراسة الثانية فقد أضاف تنفيذ المشاركين للأوامر المطلوبة حتى و إن تعارضت مع ميولهم و استعداداتهم الشخصية، و ذلك بصفة متواصلة، و بعد انتهاء الفترة التدريبية قام بقياس الصلابة النفسية و كيفية الإدراك المعرفي للأحداث الشاقة الحقيقية(الواقعية) و طرق التعايش معها، و توصل إلى مجموعة من النتائج :(**المرجع السابق،164**).

- ارتباط بعدي الالتزام التحكم فقط بالصحة العقلية الجيدة للأفراد.
- ارتباط الالتزام جوهريا بالصحة العقلية من خلال تخفيف الشعور بالتهديد.
- استخدام لإستراتيجية التعايش الفعال خاصة استراتيجية ضبط الانفعال.
- ارتباط بعد التحكم ايجابيا بالصحة العقلية من خلال إدراك الموقف على أنه أقل مشقة.
- استخدام إستراتيجية حل المشكلات بالتعايش(منذر،22:2017).

و لقد طرح فنك نموذجه المعدل لنظرية كوبازا للتعامل مع المشقة و كيفية مقاومتها كما هو موضح في الشكل.

***شكل رقم(02) نظرية فينك المعدل لنظرية كوبازا(راضي ،40:2008)**

خاتمة :

مما سبق يتضح دور الصلابة النفسية في التخفيف و التقليل من أحداث الحياة الضاغطة، حيث إن هذا المتغير الواقي الذي يساعد على امتلاك الفرد قدرة عالية من الإدراك المعرفي و استراتيجيات التعايش الايجابية التي تساعد الفرد على المواجهة الفاعلة لأحداث الحياة الضاغطة، و تشكل الحافز لمواجهة المشكلات و التغلب عليها(منذر،22:2017).

و بناءا على الطرح النظري لكوبازا (Kobasa) و نموذج فينك المعدل (Venk) تعتبر الصلابة النفسية متغير فعال لمساعدة الفرد على مواجهة الضغوط و التخفيف من آثارها و منه الإنهاك و الإجهاد النفسي الذي يعد آخر مرحلة للضغط النفسي، فالصلابة النفسية تمكن الفرد من التعايش مع المشكلات الحياتية و كذا مختلف الأحداث الضاغطة، فتنشئ لدى الفرد سمات صلبة في شخصيته من خلال الدمج بين الإدراك المعرفي الجيد و كيفية التصدي للموقف الضاغط، و من ثمة اتخاذ استراتيجيات للتعايش مع المواقف الضاغطة أو الإجهاد النفسي على حسب ما يواجهه الفرد، و بالتالي تعتبر الصلابة النفسية من أهم متغيرات التي لها دور في التخفيف من درجة الإجهاد النفسي أو الوقاية منه ، إذا ما توافرت

سماتها لدى الفرد بشقيها الإدراك المعرفي الجيد و استخدام أساليب مواجهة فعالة ما يجعل الفرد يتمتع بالصحة النفسية.

قائمة المراجع:

- حنصالي مريامة،(2015) **ادارة الضغوط النفسية و علاقتها بسمات الشخصية المناعية (الصلابة النفسية و التوكيدية)في ضوء الذكاء الانفعالي دراسة ميدانية على الأساتذة الجامعيين الممارسين لمهام إدارية بجامعة محمد خيضر**، بسكرة، الجزائر.
- عبد الله محمد ابراهيم عبد النبي(2012)**برنامج ارشادي لتحسين مستوى الصلابة النفسية لدى المعلمين المحترقين نفسيا"** رسالة ماجستير في الإرشاد النفسي، جامعة القاهرة ، معهد الدراسات النفسية، مصر.
- بوراس كاهينة،(2014)**الصلابة النفسية و علاقتها بالتوافق الدارسي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية يتيمي أحد الوالدين**،رسالة ماجستير في علوم التربية،، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر.
- محمد منذر، يوسف عبد الخالق دحلان(2017)**الصلابة النفسية كمتغير وسيط بين الضغو النفسية و التوافق النفسي لدى خريجي الجامعات الفلسطينية**، ماجستير علم النفس الارشاد النفسي، جامعة الاقصى:فلسطين.
- روان احمد عوض(2015)**الصلابة النفسية و علاقتها بالأحداث الضاغطة – دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق**، رسالة ماجستير في الارشاد النفسي، كلية التربية، جامعة دمق: سرريا
- حورية تعكريمت(2013) **تأثير الصلابة النفسية على الاحتراق النفسي عند مربي ذوي الاحتياجات الخاصة**، ماجستير في علم النفس مناهج و تربية علاجية، جامعة سعد دحلب بالبليدة، الجزائر.
- الطاهر محمد الطاهر(2016) **الصلابة النفسية لدى العاملين بوزارة الصحة ولاية جنوب دار فور**، مجلة كلية دالتا للعلوم و التكنولوجيا، العدد الرابع، سبتمبر2016، جامعة الإمام المهدي: العراق.
- أحمد بن عبد الله محمد العيافي(2011) **الصلابة النفسية و احداث الحياة الضاغة لدى عينة من الطلاب الايتام و العاديين بمدينة مكة محافظة الليث**، ماجستير في علم النفس تخصص ارشاد نفسي، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية.
- مخيمر عماد الدين(2011) **مقياس الصلابة النفسية، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة: مصر.**
- عود محمد(2010) **الخبرة الصادمة و علاقتها بأساليب التكيف مع الضغوط و المساندة الاجتماعية و الصلابة النفسية لدى أطفال المناطق الحدودية بقطاع غزة**، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة :فلسطين .
- رضي، زينب نوفل احمد(2008)**الصلابة النفسية لدى أمهات شداء انتفاضة الأقصى و علاقتها ببعض المتغيرات**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، الجامعة الاسلامية،غزة، فلسطين.
- Pallabi Mund(2017)**Hardiness and culture :A study with reference to the 3 CS of Kobasa,**International Reserche Journal of Management , Vol 4,Issue 2,Marche 2017, P139-144.

الأرض المقدسة والهيكل في الفكر والوجدان اليهودي

د/ الشيخ عدة ـ جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف- الجزائر.

الملخص:

تتناول الدراسة، بيان عقائد اليهود تجاه الأرض المقدسة- فلسطين- والهيكل، إذ يحتل الحديث عنهما، مساحة كبيرة في التراث القديم والفكر المعاصر عندهم، وزادت يد التحريف من قبل مفكريهم من المبالغة في الكلام عنهما حتى أصبح كتاب التوراة لديهم عبارة عن حديث متنوع عن الأرض المقدسة والمعبد في مجال الشعائر والطقوس، وحديثا فقد ولع اليهود بالحديث عن أرض الميعاد والهيكل، إذ يردد سياسيهم المعاصرون أمثال بن غوريون وبيغن مقولات عديدة منها مثلاً:(أنه لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل)، بل أن اليهود، قد بلغ الهيكل عندهم منزلة حتى جعلوه شعاراً لدولتهم اسرائيل ممثلاً في نجمة داود السداسية، محاولين الإظهار أنه أن أول من بنى الهيكل هو سيدنا داود عليه السلام. والحقيقة خلاف ذلك حيث أثبتت الأحاديث النبوية، أن النبي سليمان عليه السلام لم يبن هيكلاً لله، بل أنه بنى مسجداً لله تعالى وهو المسجد الأقصى المبارك، وذلك ما أكدته أقوال العلماء من المسلمين ومن أهل الكتاب أنفسهم. مما يفند مزاعم اليهود في الهيكل، ويثبت أنها مجرد خرافة وأسطورة نسجها أيادي اليهود للسيطرة على الأرض المقدسة.

الكلمات المفتاحية: فلسطين، المسجد الاقصى، الهيكل، التوراة، اسرائيل.

Abstract:

The study, a statement of Jewish beliefs about the Holy Land, Palestine, structure, occupies a large space, souveniers in ancient heritage and contemporary thought, and increased by interpolating by their reasonings exaggeration speak about them until it became the book of the Bible have a varied talk about holy land. And the Temple in ceremonies, rituals, and recently lost a fondness Jews speaking of promised land and structure, echoing their political contemporaries like Ben-Gurion, before them, many categories such as: (it does not value to Israel without Jerusalem and no value to Jerusalem without structure), but to the Jews, their structure was his home until They made him a slogan for their State representatives in Israel six-Star, trying to show that first built structure is s Dawood (peace be upon him). And the truth otherwise proved prophetic, that prophet Sulayman (as) not built a structure to Allah, but he prays to Allah almighty is Al-Aqsa Mosque, confirmed by the scholarly Muslims and people of the book themselves. Thus refuting allegations of Jews in the temple, and proved to be a myth and a legend spun by Jewish hands for control of the Holy land.

Key words: Palestine, Mosque, Temple, Torah, Israel.

مقدمـــة:

لم يكن من قبيل المصادفة أو الإتفاق، تحذير القرآن الكريم من عداوة اليهود ووضعهم في مقدمة أعداء المسلمين والمؤمنين وذلك في قوله تعالى في سورة المائدة:**(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ)**[1].

اذ أن اليهود؛ قد اشتعلت نيران الحقد في صدورهم لما ظهر لهم أن النبيﷺ الذي أرسل ليس من بني اسرائيل، فتسللت بذلك عداوتهم ومؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين منذ ذلك الحين الى اليوم، بل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها كما أخبرنا به النبي ﷺ عن أبي هريرة τ أن رسول الله ﷺ قال:**(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله). وزاد مسلم:(إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود)**[2]. لعل من أهم الأمثلة الدالة على ذلك، خروج بعضُ المفكرين اليهود مع بداياتِ القرن التاسع عشر بفكرةِ جمع اليهود في أرض الميعاد– فلسطين–، وإقامة الدولة اليهودية فيها، وربطهم ذلك بهيكل سليمان المزعوم.

1– حقيقة الهيكل(المعبد) لدى اليهود:

إن الهيكل، هو اسم يطلقه أهل الكتاب على المكان المخصص للعبادة، وهم يسمون المعبد المزمع انشاؤه (الهيكل الثالث) لأنه سبق أن هدم قبل الإسلام مرتين الأولى من قبل الملك البابلي نبوخذ نصر(بختنصر)، والثانية من طرف القيصر الروماني تيطس(تيتوس)، وهم ينوون إقامته للمرة الثالثة[3].

وإذا نظرنا إلى الهيكل من وجهة النظر اليهودية ، نجد أن الهيكل عندهم يعني بالعبرية "بيت همقداش" أو "البيت المقدس" أو "هيخال"، وتعني البيت الكبير في كثير من اللغات السامية ، ومن أهم [i] أسماء الهيكل عندهم: "يهوه" وهو إله اليهود ، أي "بيت الإله"، وأُعِد أساسا ليكون مسكنا للإله، كما يزعم الكتاب المقدس[4]. ولكنه بعد ذلك أصبح مكانا للعبادة وأداء الطقوس وتقديم القرابين[1].

---

[1]– سورة المائدة، الآية:82.

[2] – متفق عليه.

[3] – عبد العزيز مصطفى، قبل أن يهدم الأقصى، دار الوطن للنشر، ط2، الرياض، 1410هـ/1989م ، ص27.

[4]– الكتاب المقدس(التوراة)، سفر الملوك ، الإصحاح8 / الفقرتان 12–13.

يزعم اليهود أن الهيكل بناه سليمان عليه السلام في الفترة 960-953ق.م، وقد بناه فوق جبل- موريا- وهو جبل بيت المقدس، حيث يوجد الآن المسجدان الأقصى وقبة الصخرة، ويسمي اليهود هذا الجبل بجبل الهيكل، وقد جاءت قصة بناء سليمان للهيكل في سفري الملوك الأول وأخبار الأيام [2].

بينما يعتقد البعض، أن هيكل سليمان هو هيكل عظمي، ولكن الحقيقة أن الهيكل حسب الزعم اليهودي، هو المسجد الذي بناه سيدنا سليمان عليه السلام، وحسب التوراة المتداولة بين اليهود فإن سليمان عليه السلام بنى معبد لليهود وأنجزه حوالي953ق.م؛ ولهذا سُمِي(هيكل سليمان) أو (الهيكل الأول). وتذكر روايات الكتب المقدسة أن نبوخذ نصر- بختنصر-(الحاكم البابلي) هدم الهيكل بالكامل ولم يبق حجراً على حجر وذلك عام587ق.م[3].

وقد جاء ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم في سورة الإسراء: **(وَقَضَيْنَآ إِلَىَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنّ فِي الأَرْضِ مَرّتَيْنِ وَلَتَعْلُنّ عُلُوّاً كَبِيراً. فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِباداً لّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مّفْعُولاً)**[4].

تم توسيع بناء الهيكل على يد ملك اليهودية الروماني هيرودوس عام20 ق.م بمساعدة الرومان. وهدم الهيكل مرة أخرى على يد الإمبراطور الروماني تيطس عام70م وقام بحرق المدينة المقدسة، ولم يبق للهيكل حجر على حجر كما تقول كتبهم ، وتحقق بذلك التدمير الثاني للمعبد[5]، وجاءت إشارة القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى:**(ثُمّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً . إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوّلَ مَرّةٍ وَلِيُتَبّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً . عَسَىَ رَبّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً)**[6].

---

[5]- عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة ، بيروت، ط1 ، 1999م ، ج4، ص159.

[1]- صالح حسين الرقب ، المزاعم الصهيونية حول الهيكل الثالث ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المجلد10 ، العدد 1 ، سنة 2002 ، ص45.

[3]- عبد العزيز مصطفى، المرجع السابق ، ص36.

[4]- سورة الإسراء ، الآية: 4-5.

[5]- عبد العزيز مصطفى، المرجع السابق ، ص39.

[6]- الإسراء ، الآية 4-8.

وبعد أن دمر تيطس المعبد، جاء بعد ذلك امبراطور آخر هو أدريانوس، الذي أزال معالم المدينة المقدسة، وأزاح حطام الهيكل في حدود سنة135م، وحرث الأرض، وأقام مكان الأنقاض معبدًا وثنيا آخر سماه – جوبيتار – على اسم رب الآلهة عند الرومان الوثنيين.[1]

فكان هذا حال المنطقة في عهد الرومان الذين دمروا القدس بأسرها وطمسوا كل أثر لليهود وطردوهم وبنوا مدينة رومانية جديدة ومعابد رومانية في نفس المكان.

2- الأرض المقدسة والهيكل في التوراة:

لا يكاد الحديث عن الأرض المقدسة والهيكل يتوقف عن أسفار التوراة ، بل أنه يصبغهما بطابعهما، فمن أول سفر في التوراة(العهد القديم) وهو سفر التكوين، يبدأ الحديث عن الوعد الإلهي بمنح الأرض المقدسة لإبراهيم عليه السلام(لنسلك أعطي هذه الأرض، من النهر الكبير إلى الفرات)[2]. بل أنهم جعلوا هذا النص مكتوباً بشكل دائم فوق منصة الكنيست الإسرائيلي، ومعلوم أن اسرائيل دولة ليس لها دستور مكتوب، فدستورها الأعلى هو التوراة، ومعلوم أنها أيضاً، لم تضع لنفسها حدوداً رسمية إلى الآن، انتظارًا لإكمال ابتلاع بقية الأراضي التي تنص عليها التوراة على أنها أرض اسرائيل[3].

وتتحدث التوراة عن المرحلة المبكرة جداً لإتخاذ ابراهيم معبداً في أرض الشام(واجتاز إبرام الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض. وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض ، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك الى الجبل الشرقي بيت إيل ونصب خيمته)[4].

وتتحدث التوراة عن اتخاذ يعقوب معبدًا في تلك الأرض(ثم قال الله ليعقوب: قم إصعد إلى بيت إيل، وأقم هناك، وأصنع هناك مذبحًا للرب الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك)[5].

وتذكر التوراة أن رفات يوسف عليه السلام نقل إلى الأرض المقدسة(وعظام يوسف التي أصعدها بنو اسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الأرض التي اشتراها يعقوب)[6]. ثم تحكي التوراة عن الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون مصر، أنه كان حول طلب موسى في الخروج من مصر ببني

---

[1]- عبد العزيز مصطفى، المرجع السابق ، ص39.

[2]- الكتاب المقدس(التوراة)، سفر التكوين- الإصحاح12/ الفقرة7.

[3]- عبد العزيز مصطفى ، المرجع السابق ، ص60.

[4]- الكتاب المقدس(التوراة) ، سفر التكوين ، الاصحاح12/ الفقرات من6-9.

[5]- الكتاب المقدس (التوراة)، سفر التكوين، الاصحاح35/ الفقرة 1

[6]- الكتاب المقدس (التوراة)، سفر يشوع، الاصحاح 24/ الفقرات 32-33.

اسرائيل لكي يعبدوا الله في الأرض المقدسة التي كانوا فيها من قبل(وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون: هكذا يقول الرب إله إسرائيل، أطلق شعبي، ليعيدوا لي في البرية، فقال فرعون: من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل لا أعرف الرب و اسرائيل لا أطلقه)[1].

وتذكر التوراة كذلك، أن يوشع بن نون الذي ورث النبوة من بعد موسى عليه السلام، قد أمر أن يخف لإقتحام أسوار الأرض المقدسة بالجيل التالي لجيل التيه(وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يوشع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات، فالآن قم فأعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي معطيها لهم)[2].

هكذا يدور الحديث ويتلون عن الأرض المقدسة والمعبد في عصور أنبياء بني اسرائيل من عهد ابراهيم عليه السلام إلى عهد يعقوب – اسرائيل– الذي سموا عليه دولتهم ، إلى النبي يوسف و النبي موسى، والنبي يوشع بن نون الذي ورث النبوة من بعد موسى عليهم السلام، إلى غاية العصور الذهبية لبني اسرائيل في عصر الملوك منذ عهد نبي الله داود وابنه سليمان عليهما السلام[3].

3– الأرض المقدسة والهيكل في التلمود:

التلمود هو عبارة عن شروحات مفصلة ومطولة للتوراة وضعها حاخامات اليهود في فترات الشتات والتيه، وهو كتاب سري وضعوه خلال فترة امتدت مابين400 إلى 600سنة، وبلغت مجلداته 20 مجلداً ضخماً، وأصبح التلمود مقدسًا عند اليهود كالتوراة أو أكثر، حتى صارت له السيطرة على الفكر اليهودي، وهو يتناول شروحات وأحاديث وحكايات مكثفة عن الهيكل والأرض المقدسة، وهو يتميز عن التوراة بأسلوب المبالغة والتحريف في سرد الأمور[4].

لقد تحدث التلمود –الكتاب المقدس الثاني– عند اليهود عن الهيكل في مواضع متعددة منه، ومن ذلك:" لما دخل تيطس الهيكل، وبهزةٍ من سيفه مزق ستار الهيكل، فسال الدم من الستار، فأرسلت بعوضة لعقابه، ودخلت مخه، وأخذت تكبر حتى صارت مثل الحمامة، وحين فتحت جمجمته وجدوا أن البعوضة لها فم من نحاس، ومخالب حديدية". وزعم التلمود أن الرب –تعالى عما يقولون علواً كبيراً –بعد تدمير الهيكل وإلى الآن، لم ينقطع عن البكاء والنحيب، لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة، وهذه الخطيئة قد أبهظت

---

[1]– الكتاب المقدس(التوراة)، سفر الخروج، الاصحاح 5/ الفقرات1–2

[2]– الكتاب المقدس(التوراة)، سفر يوشع، الاصحاح1/ الفقرات 1–2.

[3]– عبد العزيز مصطفى، المرجع السابق ، ص 64.

[4]– المرجع نفسه، ص65.

ضمير الله، حتى أنه يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشًا على ذاته مالئًا الدنيا زئيرًا كالأسد، ويردد عبارات الندم على سماحه بهدم الهيكل، ومن ذلك:(تباً لي! أَمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل وتشريد أولادي)[1].

ويقول التلمود:(تربة فلسطين طاهرة، لا بد من دفن المتقين من موتى بني اسرائيل فيها، وإن لم يتيسر ذلك يوضع مع الكفن شيء من التراب المجلوب منها). و(... الذي يتمشى أربع أذرع في أرض اسرائيل على يقين من أنه من أبناء الآخرة)[2].

كما يدّعي اليهود على غير حق ، أنَّ حائط البراق(وهو حائط المبكى بالنسبة لهم) ، هو من بقايا هذا الهيكل المزعوم ، ويدَّعي بعض اليهود الأشكنازية منهم وهم – القادمين من أمريكا وأوروبا– أنّ هذا الهيكل تحت الحرم القدسي ، كما يعتقد بعضهم أنَّ الهيكل قد بُنِيَ على جبلِ جرزيم بنابلس ، والهيكل المزعوم فى عقيدة اليهود ، هو هيكل سليمان عليه السلام ، الذي يظنون أنه تحت المسجد الأقصى، ويعتبر الهيكل هو أساس عقيدة اليهود، وهو السبب الرئيسي لإستعمار فلسطين ، فهم لم يأتوا لبناء مستعمرات وبناء دولة كما يزعمون، وإنما أتوا لتحقيق حلم الهيكل، وقد قالها أحد حاخاماتهم:(لا اسرائيل بدون القدس و لا قدس بدون الهيكل)[3]. بينما يرى بعض المؤرخين اليهود أن هذا الهيكل لا أساس لوجوده وأنه محضُ خُرافات.

وعندما نقف على حقيقة الهيكل الذي نسج اليهود المعاصرون حوله أسطورة كبيرة ، ويتخذونها اليوم ذريعة لتنفيذ مخططاتهم الخبيثة لهدم المسجد الأقصى ، ندرك للوهلة الأولى أنه ليس للهيكل وجود حقيقي، بل هو أسطورة يهودية نسجتها أيدي أحبار وحاخامات اليهود ، ثم نسبتها إلى نبي الله سليمان – عليه السلام–، والثابت تاريخيًا – وكما جاء في السنة النبوية – أن سليمان عليه السلام ، لم يبنِ هيكلاً كما تزعم التوراة ، بل الثابت أنه بنى لله تعالى مسجدًا وهو المسجد الأقصى ، وإن قصة الهيكل كما ترويها الكتب المقدسة عند اليهود قصة خرافية ، والهيكل نفسه ليس له وجود حقيقي في التاريخ[4].

---

[1]– ابراهيم خليل أحمد ، إسرائيل والتلمود ، دار المنار، لم يذكر اسم البلد والطبعة، 1403هـ/1983م ، ص40.

[2]– نقلاً عن : عبد العزيز مصطفى، المرجع السابق، ص65.

[3]– المرجع نفسه ، ص59.

[4] – صالح سليمان الرقب ، المرجع السابق ، ص80.

ويدل على ذلك الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد أن أبا ذر τ قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال: "المسجد الحرام"، قال: قلت: ثم أي قال: "المسجد الأقصى"، قلت: كم كان بينهما؟ قال: "أربعون سنة[1]."

وجاء في شرح الحديث في فتح الباري لإبن حجر العسقلاني وتفسير ابن كثير، أن أول من أسس مسجد بيت المقدس، وهو المسجد الأقصى هو آدم عليه السلام ؛ ليكون قبلة لبعض ذريته ، وذكر بعض أهل العلم أن أول من بنى المسجد الأقصى هو إبراهيم عليه السلام ، وأن داود عليه السلام أراد تجديد ذلك البناء ، ولكنه لم يكمله فأكمله ابنه سليمان عليه السلام وأتمه وبناه بناء عظيمًا[2].

4- معتقدات الهيكل في الفكر والوجدان اليهودي:

للهيكل مكانة كبيرة في معتقدات اليهود وفي وجدانهم الديني ، وفي هذا يقول المؤرخ "وايل.ديورانت" في كتابه – قصة الحضارة– متحدثاً عن مكانة الهيكل وقدسيته لدى اليهود: " كان بناء الهيكل أهم الحادثات الكبرى في ملحمة اليهود ... ذلك أن هذا الهيكل لم يكن بيتًا ليهوه "إله اليهود" فحسب، بل كان أيضا مركزًا روحيا لليهود وعاصمة ملكهم ، ووسيلة لنقل تراثهم ، وذكرى لهم ، كأنه علم من نار يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض[3].

وعن أهمّية الهيكل الدينية يقول كذلك المؤرخ" لودز": لقد بالغ كتبة(الكاتبون) العهد القديم في العصور المتأخرة في أهمية بناء الهيكل في أورشليم ، لقد بدأ الهيكل يأخذ مكانة مميزة في الديانة اليهودية ، نتيجة لتدمير مملكة إسرائيل الشمالية سنة 722ق.م من قبل الآشوريين...وكان الفضل كله يرجع إلى إصلاح يوشيا سنة 622ق.م، الذي أعلن أنّ الهيكل هو المعبد الشرعي الوحيد للإله يهوه، بحيث أصبح الهيكل بالنسبة للديانة اليهودية وحتى إبطال تقديم القرابين عام 70م، قلب الديانة الوطنية..."[4].

---

[1]- رواه البخاري ، رقم 3366 ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب رقم 10 ، والإمام أحمد في المسند ، 150/5، 156، 157، 160 ، 166. وأخرجه مسلم 370/1 ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، رقم1 ، 21، واللفظ له.

[2]- الحافظ أبو الفداء ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط5، 1404هـ/1983م، ج2، 26. وج12، 325.

[3]- وايل ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة: زكي نجيب محمود ، مطابع الدجوي ، القاهرة ، دون طبعة، 1973م، ج2، ص338.

[4]- نقلاً عن: أحمد عيسى الأحمد ، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم ، مطبعة حكومة الكويت، دون طبعة، 1410هـ/1990م ، ص114.

وبعد بناء هيكل سليمان بدأ تحوّل عظيم في الطقوس اليهودية، فقبل بنائه لم يكن هناك مكان مقدّس يحمل اسم الإله "يهوه"، يمارس اليهود فيه طقوسهم الدينية، ولقد كان اليهود قبل بناء الهيكل يصعدون إلى المرتفعات لتأدية الطقوس الدينية، وبعد بنائه أصبحت تأدية الطقوس داخله أمراً واجباً، وأصبح ينظر إلى تأدية هذه الطقوس خارجه كأنّها عبادة وثنية، لأنّ الهيكل مقر إلههم ومعبودهم، وهو مسكن الأرواح، وبه المذبح المقدس، وبمرور الزمن أصبح هيكل سليمان مهوى أفئدة اليهود، ولقد اتفقوا على طقوس واحدة وعبادة واحدة[1].

فقد أصبح للهيكل موقع خاص في نفوسهم ووجدانهم يستوي في ذلك المتدين والعلماني، وهم يبالغون في نظرتهم لمكانة الهيكل إلى حد وضعه في مركز العالم حسب تعبيرهم:" لأنه بني في وسط القدس الكائنة في مركز الدنيا، وقدس الأقداس الذي يقع في وسط الهيكل هو بمنزلة سُرة العالم ، ويوجد أمامه حجر الأساس النقطة التي عندها خلق العالم. والهيكل عندهم كنز ثمين بل هو أثمن ما في السموات الأرض، لأن الله–كما يزعمون–خلق السموات والأرض بيد واحدة بينما خلق الهيكل بيديه كلتيهما، بل إن الإله قرر بناء الهيكل بنفسه قبل خلق الكون نفسه"[2].

ولديهم تأملات شيطانية كثيرة بخصوص الهيكل، فالفناء المحيط بالهيكل بمنزلة البحر، والمقدس هي الأرض، وقدس الأقداس هي السماء، ولما هدم الهيكل في عام70م، ولم يستطع اليهود إعادة بنائه ابتدعوا جملة من الأساطير جعلوها عقائد وطقوس لهم، فهم يذكرون الهيكل في كل المناسبات كالولادة والزواج والمرض والصلاة وعند الوجبات والوفاة ، فعند الزواج مثلاً، يحطم العروسان كوباً فارغاً للتذكير بدمار الهيكل، وقد ينثر بعض الرماد على جبهة العريس لتذكيره بهدم الهيكل، وفي الماضي كان الحاخامات يوصون الذي يريد أن يطلي بيته أن يترك مربعاً صغيراً دون طلاء حتى يتذكر حادثة هدم الهيكل، وفي اليوم التاسع من أغسطس(أوت) من كل سنة ، يصوم اليهود تخليداً لتلك الحادثة، وعلى اليهود الأتقياء الصلاة في منتصف الليل حتى يعجل الإله بإعادة بناء الهيكل، وعليهم تذكر المعبد عند كل وجبة طعام ، وعند كل صلاة في الصباح[3].

---

[1]– حسن صبري الخولي، سياسة الإستعمار الصهيوني تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، دون طبعة ودار النشر ، وبدون تاريخ ، القاهرة ، هامش1، ص6.

[2]– عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ج4، ص159.

[3]– المرجع نفسه، ج4، ص160.

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: أن اليهود يتطلعون إلى افتداء اسرائيل واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء هيكل سليمان، وإقامة عرش داود في القدس وعليه أمير من نسل داود[1].

يقول الحاخام "شلومو آمنون": " يجب ألا ننسى أن السبب الرئيس للعودة من المهاجر ولإقامة دولتنا هو: بناء الهيكل، إن الهيكل هو قمة الهرم"[2]. ويقول المحامي الإسرائيلي"غورشون سلمون":(إن أحداً لا يستطيع أن يتصور حياة اليهود دون الهيكل، ولا بد من إقامة الهيكل. ولا يستطيع أحد أن يمنعنا ولا العرب.لأنها هي إرادة الله وإرادة التاريخ[3] "

فقد سيطر الهيكل على نفوس اليهود وخيالهم، فأورشليم اقترنت به، وإذا ذكر اسمها فهو المراد أولاً وقبل كل شيء، وما كتبه الأحبار والكتاب اليهود عن الهيكل وأورشليم تضيق عنه مئات المجلدات، بحيث كان اليهود في أرض الشتات، وفي كل أماكن تواجدهم يعيشون على هيكل أورشليم مع سطور التلمود وكتابات الأحبار[4].

من هنا نرى، بأن الحديث عن الهيكل يأخذ مساحة كبيرة في التراث اليهودي القديم، وكذا في تراثهم الحديث، ويد التحريف اليهودية تزيد في المبالغة في الكلام عن الهيكل في كل عصر عن العصر الذي سبقه، ومن مقولات قادتهم السياسيين، وعلى رأسهم "بن جوريون" أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني:" لا معنى ولا قيمة لإسرائيل بدون أورشليم ولا قيمة لأورشليم بدون الهيكل"[5].

5- التناقض حول مكان وجود الهيكل:

رغم أن موضوع هيكل سليمان له أصل في التراث الديني القديم والحديث عند اليهود، وأنه ذكر في "الكتاب المقدس"(التوراة وبقية الأسفار)، وفي التلمود، وهي كتب تم تحريفها بأيدي الأحبار والرهبان،

---

[1]- عبد العزيز مصطفى، المرجع السابق، ص126.

[2]- غريس هالسل ، النبوءة والسياسة ، ترجمة: محمد السماك ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، دون تاريخ ، ص108.

[3]- عبد العزيز مصطفى، المرجع السابق، ص ص205 و212.

[4]- حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، دار العلوم والثقافة، بيروت، ط1، سنة1407هـ/1987م، ص30 .

[5]- عبد العزيز مصطفى، المرجع السابق، 59.

ويحتل مساحة من تاريخهم القديم والحديث وأدبياتهم، إلا أنه من الناحية العلمية الموضوعية، فإن التاريخ لا يثبت وجود هذا الهيكل، بل يُعِدُّه من الأساطير والخرافات المؤسسة للعقيدة اليهودية.

ويمكن تفنيد المزاعم اليهودية بخصوص الهيكل من وجوه عدة، من أهمها التناقض والإضطراب والإختلاف الموجود بين نصوص الكتاب المقدس حول مكان وجود الهيكل، ثم الإختلاف بين الطوائف اليهودية في المكان الذي بني فيه الهيكل، فاليهود السامريون يعتقدون أنه بني على جبل "جرزيم" في مدينة نابلس، ولا يعترفون بالمزاعم اليهودية، ويستدلون على ذلك بسفر التثنية أحد أسفار التوراة الخمسة[1].

أما اليهود المعاصرون من الحاخامات والعلماء الباحثين، وخاصة القادمين من أمريكا وبريطانيا "الإشكناز" فهم يعتقدون أن هيكل سليمان تحت الحرم القدسي، ولكنهم مختلفون فيما بينهم في تحديد مكان الهيكل، واختلافاتهم تصل إلى خمسة أقوال كلها مختلفة ومتناقضة، فمنهم من يزعم أنه تحت المسجد الأقصى، ومنهم من يزعم أنه تحت قبة الصخرة، ومنهم من يزعم أنه خارج منطقة الحرم، ومنهم من يزعم أنه على قمة الألواح وهي في منطقة الحرم بعيدًا عن المسجدين[2].

ولقد أثبت علماء الآثار من اليهود والأوروبيين والأمريكان الذين نقّبوا واشتغلوا بالحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي الشريف، أنه لا يوجد أثر واحد لهيكل سليمان تحت الحرم القدسي .. لا تحت المسجد الأقصى ولا تحت قبة الصخرة ، وشاركهم في هذا الرأي كثير من الباحثين اليهود والغربيين، مما دفع بعضهم إلى أن يقول إن الهيكل قصة خرافية ليس لها وجود، ومن أشهر هؤلاء العلماء اليهود "إسرائيل فلنتشتاين" من جامعة تل أبيب ونشرت آراؤه منذ فترة قريبة، وغيره كثير[3].

وقد فنّدت دراسات أجراها باحثون وعلماء آثار يهود، فكرة وجود هيكل سليمان في الحرم القدسي الشريف.. بل ذهب بعضهم إلى أن الهيكل قد بناه سيدنا سليمان خارج الحرم القدسي، بل هناك دراسة حديثة لعلماء يهود تنص صراحة على أن منطقة الحرم القدسي الشريف خارجة عن المنطقة المقدسة لدى اليهود[4].

---

[1]- صالح سليمان الرقب ، المرجع السابق ، ص60.

[2]- المرجع نفسه، ص ص63-65.

[3]- جريدة القدس الصادرة في فلسطين ، العدد :1219م ، الإثنين 2000/11/13م ، ص6. نقلاً عن: صالح سليمان الرقيب ، المرجع نفسه ، ص71.

[4]- صالح سليمان الرقيب، المرجع نفسه، ص74.

ويثير اليهود الشكوك حول المسجد الأقصى المبارك وما حوله ويزعمون أنه بني فوق أرض يهودية، وعلى أنقاض الهيكل المقدس الذي كان يشكل رمزاً للهوية اليهودية، ومعلماً دينياً ووطنياً لهم في زمن من العصور الغابرة.

ومن أجل تأكيد هذه الشكوك، قد جنّد اليهود كثيراً من الطاقات والمقدرات، والإمكانيات البشرية والمادية، لتصبح بعدئذٍ حقائق دينية أكيدة لدى جمهور كبير من اليهود الذين صبغت عقولهم بعنصرية دينية مارقة، وجبلت أذهانهم على حب الإنتقام من الآخر، واستغلال كل فرصة وامتطاء أية وسيلة مهما كانت من أجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو تدمير الأقصى، وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه، مستمدين عزيمتهم وإصرارهم من وحي عبارات تلمودية وتوراتية، صاغها كبار حاخاماتهم وزعاماتهم الدينية وغيّروا وبدّلوا فيها عبر كل عصر، حتى قيل إنّ التوراة دخلها أكثر من ثلاثمائة تحريف.

وقد تم صياغة الفكر اليهودي المشوه في صحائفهم المزورة إلى حقائق مادية على أرض الواقع، تتمثل بمجموعات كبيرة من الشبان العنصريين الذين غرسوا وتربوا وترعرعوا على فكرة واحدة، وهي: "بناء الهيكل لخلاص (إسرائيل)"، فكان هؤلاء الشبان هم الحصان الذي امتطى عليه كبار الحاخامات من أجل تغيير معالم المنطقة المقدسة تمهيداً للحدث الكبير، سواء كان ذلك بوساطة الحفر لتقويض أركان المسجد الأقصى، أو بالإعتداء الوحشي والمتكرر على المصلين المسلمين الذين يؤكدون على قدسية وإسلامية هذا المكان خمس مرات في اليوم الواحد"[1]. وعليه فإنه بالإمكان نقض مزاعم الصهيونية في الهيكل المنسوب لسيدنا سليمان عليه السلام، وكشف الزيوف المتعلقة بهذا الأمر من عدة أوجه بالإعتماد أولاً على الأسفار اليهودية المقدسة عندهم، وعلى أقوال علماء الآثار من اليهود والنصارى وغيرهم، ثمّ على حقائق التاريخ ووقائعه، وعلى أقوال علماء المسلمين من المؤرخين والمفسرين ونحوهم[2].

6- تواجد المسجد الأقصى قبل الهيكل المزعوم بأزمان طويلة:

المسجد الأقصى بُني قبل نبي الله تعالى سليمان عليه السلام بأزمان بعيدة، فكيف يوجد هيكل سليمان تحته كما يزعم اليهود. يقول الله تعالى:(**إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين**)[3]، وجاء في الحديث الصحيح مثلما سبق إليه الذكر: أنّ أبا ذر الغفاري τ قال: قلت يا رسول

---

[1]- من مقال: أقصى المسلمين وهيكل اليهود- الحق والملكية في إطار السياق التاريخي وإشكاليات الصراع الحاضر- محمد الحلايقة – موقع المركز الفلسطيني للإعلام على الإنترنت.

[2]- صالح سليمان الرقيب، المرجع السابق، ص50.

[3]- سورة آل عمران: الآية: 96.

الله أيّ مسجد وُضع في الأرض أوّل؟ قال: "المسجد الحرام" قال: قلت: ثمَّ أيّ؟ قال: "المسجد الأقصى" قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثمّ أين ما أدركتك الصلاة بعدُ فصلِّه فإنّ الفضل فيه"[1].

لقد اختلف العلماء في تحديد الباني الأول للمسجد الأقصى، بناءً على اختلافهم في فهم الآية الكريمة والحديث الشريف، فمنهم من يرى أنّ الملائكة التي قامت ببناء المسجدين الحرام والأقصى، ومنهم من يرى أنّ الباني الأول لهما هو آدم عليه السلام، ومنهم من يرى الباني الأول لهما هو أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، واتفق العلماء على أنّ الباني المجدد للمسجد الأقصى هو نبي الله سليمان عليه السلام. وهناك من العلماء مَن يجمع بين الآية والحديث ويوفق بين الأقوال المختلفة فيقولون: إنّ أول من بنى الكعبة آدم عليه السلام، ثم بنى بعض ولده المسجد الأقصى، ثم بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة بعد الطوفان الذي اجتاح الأرض عقوبة لقوم نوح[2].

وسواء أخذنا برأي من ذهب إلى أنّ الباني الأول للمسجد الأقصى بعض ولد آدم أو إبراهيم عليهما السلام، فإن بين ولد آدم وسليمان عليه السلام آلاف السنين، وبين إبراهيم عليه السلام وسليمان عليه السلام ما يقرب من ألف سنة. فهذا يعني أن المسجد الأقصى وجد في جبل بيت المقدس، قبل أن تكون هناك قبيلة يهودا، أو يكون هناك يهود، وقبل أن يكون التاريخ اليهودي أصلاً، وأيضاً قبل بناء سليمان عليه السلام الهيكل كما يزعم اليهود، وهل من المعقول أو الجائز شرعاً أن يقوم نبي الله سليمان ببناء معبدٍ لله تعالى تحت المسجد القائم. إذن إنّ وجود المسجد الأقصى قبل الهيكل المزعوم من أقوى الأدلة التاريخية التي تبطل مزاعم اليهود وتكشف عن مدى تهافت أساطيرهم[3].

إنّه ما من أحد من المؤرخين- بمن فيهم المؤرخ اليهودي الشهير "يوسفوس"- الذين كتبوا تاريخ القدس بأدق التفاصيل ذكر أو ادعى أنّ المسلمين لمّا دخلوا القدس وجدوا فيها معبداً يهودياً فهدموه، أو أثراً يهودياً واحداً فطمسوه، أو استولوا على كنيس يهودي فحولوه إلى مسجد. وهذا من الأدلة التاريخية

---

[1]- رواه البخاري ، رقم 3366 ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب رقم 10 ، والإمام أحمد في المسند ، 150/5، 156، 157 ،160 ، 166. وأخرجه مسلم 370/1 ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، رقم1 ، 21، واللفظ له.

[2]- مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن، طبعة 1973م، ج1، ص38./ شهاب الدين ابن تميم المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام: تحقيق أحمد الخطيمي، ط1، دار الجيل ، بيروت، 1415هـ-1994م، ص131-134.

[3]- صالح سليمان الرقيب، المرجع السابق، ص76.

القوية التي تثبت أنّ القدس لما دخلها المسلمون بقيادة عمر بن الخطاب لم يكن فيها معابد أو هياكل يهودية[1].

وأيضاً عند ما اشترط النصارى على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن لا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود، لم يسجل التاريخ أنّ أحداً من اليهود احتج على هذا الشرط بحجة أن اليهود لهم معبد مقدس في القدس لا يمكن أن يتخلوا عنه من الناحية الدينية، ولو كان لهم شئ من ذلك لطلبوا من أمير المؤمنين أن يمكنهم من زيارته أو تأدية طقوسهم الدينية فيه لما حرمهم من ذلك، ومن المعلوم تاريخياً أن عمر بن الخطاب لما دخل الساحة سأل كعب الأحبار عن مكان الصخرة فدله عليها ، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد خلف الصخرة، فقال له الخليفة عمر τ: ضاهيت اليهودية وجعل المسجد أمامها، وشارك بنفسه بتنظيف الصخرة – صخرة يعقوب– وإزالة ما عليها من قمامة التي طمرتها فترة من التاريخ[2]. وعليها أقام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان القبة الرائعة، ومن حولها بنى المسجد المشهور بمسجد قبة الصخرة[3].

و هنا لا بد من التنويه ، إنّ إطلاق المسجد الأقصى على المسجد المعروف الآن هو اصطلاح حادث، فالمسجد الأقصى في المصطلح القرآني هو المكان الموجود الآن بين أسوار الحرم الشريف بالقدس، وقد كان مخصصاً للعبادة، وإنّ جميع المؤرخين والعلماء يطلقون اسم المسجد الأقصى أو مسجد بيت المقدس على ما دار عليه السور، وفيه الأبواب، وفيه اليوم المسجد المعروف بالأقصى ومسجد قبة الصخرة وكثير من الأبنية، وهذا المكان هو الذي كان معروفاً عند الإسراء والمعراج النبوي بالمسجد الأقصى[4].

خاتمة:

يسعى رجال الدين والمفكرين والساسة اليهود بكل قوتهم، إلى اقناع الشعب اليهودي والعالم ككل بأحقية اليهود بأرض فلسطين والقدس، وتهويد بيت المقدس واعادة بناء الهيكل المزعوم مكانه، ولتحقيق هذا الأمر، كان لابُدَّ من البحثِ عن أسبابٍ مقنعةٍ لإقناع اليهود حول العالم بالهجرة إلى أرض الميعاد تلك، وما من سبب أكبر من انتماء ديني وتاريخي لأرضٍ هُجِّرَ اليهودُ منها.

فقد تم بالفعل، اللعب على الوتر الديني والعقائدي، بأن خرجت فكرةُ الهيكل المزعوم وإعادة بناءه من جديد، وأنَّ فلسطين هي أرض اليهود التي هُجِّروا منها عُنوة منذ زمن، وأنَّ القدسَ هي عاصمةُ الدولةِ

---

[1]– عبد الحميد الكاتب، القدس، دار الشروق ، القاهرة وبيروت، ط1 ، 1415هـ-1994م ، ص160.

[2]– ابن كثير، المصدر السابق، ج5، ص56.

[3]– مجير الدين الحنبلي، المصدر السابق، ج1، ص273.

[4]– صالح سليمان الرقيب، المرجع السابق، ص77.

اليهودية، وقد كبرت الفكرة شيئاً فشيئاً، حتى تجسَّدت على أرضِ الواقع بمؤتمر الصهيونية ببازل بسويسرا في أواخر القرن التاسع عشر1897م، ثم وعد بلفور الشهير1917/11/2م، والذي أعطى وزير الخارجية البريطاني– جيمس بلفور– بموجبه وعداً لليهود بإقامة دولة لهم في فلسطين.

وفي يوم1918/3/20م، بدأت النوايا تظهر على أرض الواقع خصوصاً بعد تقديم بعثة يهودية طلباً للحاكم العسكري البريطاني في القدس، مضمونه أن يتمَّ السماح ببناء جامعة عبرية في القدس، وأن يتم تسليم حائط البراق أو ما يسمونه بحائط المبكى لليهود. هذه الاعتقادات والأفكار عندهم، حاولنا أن نفصل فيها من خلال ورقات بحثنا هذا راجين من الله التوفيق والسداد.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم

1- أحمد عيسى الأحمد، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، مطبعة حكومة الكويت، دون طبعة، 1410هـ/ 1990م.

2- ابراهيم خليل أحمد ، إسرائيل والتلمود ، دار المنار،لم يذكر اسم البلد والطبعة، 1403هـ/1983م.

3- أبو الفداء ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ، ط5، 1404هـ/1983م.

4- حسن صبري الخولي، سياسة الإستعمار الصهيوني تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، دون طبعة ودار النشر ، وبدون تاريخ ، القاهرة .

5- الامام البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، ط1، سنة 2008.

6 - الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المسند ، تحقيق: عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م.

7-الامام مسلم، أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط1، دار المغني، المملكة العربية السعودية، 1419هـ-1998م.

8- حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، دار العلوم والثقافة ، بيروت، ط1، سنة1407هـ/1987م.

9- جريدة القدس الصادرة في فلسطين ، العدد :1219م ، الإثنين 2000/11/13م .

10- شهاب الدين ابن تميم المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام : تحقيق أحمد الخطيمي، ط1، دار الجيل ، بيروت، 1415هـ-1994م.

11- صالح حسين الرقب ، المزاعم الصهيونية حول الهيكل الثالث ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المجلد10 ، العدد 1 ، سنة 2002.

12 – عبد العزيز مصطفى، قبل أن يهدم الأقصى، دار الوطن للنشر، ط2 ، الرياض، 1410هـ/1989م.

13– عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة ، بيروت، ط1 ، 1999م.

14– عبد الحميد الكاتب، القدس، دار الشروق ، القاهرة وبيروت، ط1 ، 1415هـ–1994م.

15– غريس هالسل ، النبوءة والسياسة ، ترجمة: محمد السماك ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، دون تاريخ .

16– محمد الحلايقة ، مقال بعنوان: أقصى المسلمين وهيكل اليهود– الحق والملكية في إطار السياق التاريخي وإشكاليات الصراع الحاضر – موقع المركز الفلسطيني للإعلام، على الإنترنت.

17– مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن، طبعة 1973م.

18– وايل ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة: زكي نجيب محمود ، مطابع الدجوي ، القاهرة ، دون طبعة، 1973م.

19– الكتاب المقدس(التوراة)، سفر الملوك ، سفر التكوين ، سفر الخروج ، سفر يوشع . على الانترنيت.

التمادي النرجسي الغربي الراهن ....رصد للنرجسية في قراءاتها الفلسفية وتمظهراتها النفسية .

الباحثة / نسيمة ضيافات ـ جامعة سطيف 2 ـ الجزائر.

الملخص :

نتطرق من خلال هذه الورقة البحثية إلى دراسة النرجسية كظاهرة نفسية وفلسفية أضحت مؤشرا من مؤشرات تبدل رؤية الإنسان حول العالم وسبب رئيس في تثبيت دعائم الفردانية، حيث نحاول في هذا الصدد إبراز الأوجه الفلسفية للنرجسية بالوقوف على مضامنها في حقل علم النفس و قراءتها فلسفيا بإعتماد تحليلات الفلاسفة المعاصرين، وأخيرا إستعراض أهم الحلول التي بوسعها أن تحد من تمادي النرجسية على الذات الإنسانية والتحكم في قرارات هذه الأخيرة ، عن طريق استرجاع دور العقل الواعي والناقد الذي تماهى وجوده بسيطرة النرجسية .

الكلمات المفتاحية : النرجسية ؛ الفردانية ؛ المجتمع الغربي؛ القيم ؛ التواصل .

Abstract :

In this paper, we examine narcissism as a psychological and philosophical phenomenon that has become an indicator of changing the human view around the world and the reason for the consolidation of the foundations of individuality. In this regard we try to highlight the philosophical aspects of narcissism by standing on its sponsors in psychology and reading it philosophically based on the visions of a number of contemporary philosophers , And finally to review the most important solutions that can reduce the narcissism of the human self by restoring the role of conscious and critical mind.

Keywords : Narcissism ; individualism ; Western society ; values ; communication

مقدمة :

يعد البحث في موضوع النرجسية من المواضيع المعاصرة التي إهتم بها الفلاسفة بمختلف توجهاتهم، فلم تعد موضوعا نفسيا بالقدر الذي يمكن أن نجد للفلسفة دورا في قراءته ، وهذا راجع لكونها حتمية أو بالمعنى الأدق مآل إنتهى إليه الإنسان الغربي المعاصر نتيجة العديد من المعطيات سواءا كانت معطيات أنطولوجية ، أو دينية ، أو أكسيولوجية ، ولعل هذا التمسك الطاغي بالنرجسية والشعور بجسامتها له مرجعيات وإحالات وهي التي نسعى بدورنا للكشف عنها، ذلك أن النرجسية لم تعد مجرد حالة تنتاب الإنسان وتخالج ذاته ، وإنما أضحت قيمة من مجموع القيم التي ينادي بها عالمنا المعاصر سواءا على الصعيد العربي الذي يخفي نرجسيته أو على

الصعيد الغربي الذي أصبحت النرجسية متفشية فيه بصفة طاغية، وهو الأمر الذي يهتم به مقالنا حيث نحاول من خلاله تسليط الضوء على موقع النرجسية في المجتمعات الغربية المعاصرة دراسة وتحليلا وبالوقوف عند آراء فلاسفة كانت لهم دراسات معمقة حول موضوع النرجسية، ومن ثمة نحاول الكشف عن أهم التغيرات التي طرأت على هذا المفهوم منذ ظهوره ، وقد إرتئينا لمناقشة هذا الموضوع الإعتماد المساءلة المفاهمية والأصولية لمصطلح النرجسية ، والوقوف عند النرجسية من منظور العالم النفسي جاك لاكان ، ثم التحليل الفلسفي الذي قدمه الفيلسوف جيل ليبوفتسكي لقيمة النرجسية، كقيمة من قيم الحداثة الفائقة ، وأخيرا الحلول التي تجعلنا نتجاوز النرجسية من خلال رؤية الفيلسوف والنفساني إريك فروم.

و تهدف هذه المحاور للإجابة عن سؤال إشكالي التالي :

- **ما مدى تأثير النرجسية على الذات الإنسانية وما مدى مساهمة هذا التأثير في تغير منظومة الأسس الكبرى من عقل و دين قيم ؟**

النرجسية ...مقاربة للمفهوم و الأصول :

لطالما إرتبط مفهوم النرجسية بالميثولوجيا اليونانية الشهيرة ب**أسطورة نرسيس**[1] Le mythe de narcisse، كما أن لديه صلة وأبعاد ب**أسطورة إيكو**[2] Le myhte de Echo، ولعل هذه الأصول اليونانية للنرجسية تجعل محاولة الإلمام التام بمفهوم النرجسية مسألة صعبة وهذا راجع لطبيعة الأصول لأنها أسطورة ، وكذلك التفسيرات العديدة التي تصاحب الأسطورة كمفهوم في حد ذاته ، من هنا تتأتى مشروعية إعتبار مفهوم النرجسية من المفاهيم القلقة في الفلسفة، كما نجده المآل الذي يصل الإنسان إلى تبنيه نتيجة العديد من المؤثرات، إذن " النرجسية ذو دلالات متنوعة تجعله ذو توجه مزدوج دائما "[3] ، بيد أن أول إستخدام للنرجسية كان في المجال

---

[1] أسطورة نرسيس : أسطورة يونانية ، قصة الشاب الذي نظر في الماء فعشق ذاته و من ثم كان موته .(أنظر **معجم علماء النفس و التحليل النفسي** ، مجموعة من المؤلفين ، بيروت : دار النهضة ، ط1 ، ص 452).

[2] أسطورة إيكو : ميثولوجيا إغريقية أحبها زيوس إله الآلهة اليونانية ، وكانت مشهورة بجمال اللسان وكثرة الكلام ، جلبها زيوس لقصره وكانت تجالس زوجته هيرا ، إلى أن علمت هيرا بحب زيوس لها ، فعقبتها وقطعت لسانها ، فحكمت عليها تسمع الصوت وتردد المقطع الأخير من الصوت ، فظلت تحيس وحيدة في الغابات إلى أن رأت نرسيس فأحبته ولكنه لم يحبها فذبلت وماتت من هذا العشق ، غضبت الآلهة لإيكو وإنتقمت لها وجعلت نرسيس يعشق ذاته .(أنظر : نهلة ، **موسوعة الأساطير الإغريقية والفرعونية** ، 2008 .)

العلمي من قبل **هافوك أليس**[1] Havelock Ellis وكان ذلك في دراسة اجراها حول الغلمة الذاتية فأدخل هذا المفهوم في الطب النفسي ثم توسعت إستخدامته من قبل علماء النفس[2]، إلى أن عمد **سغموند فرويد** على مد دلالات النرجسية لتصبح وظيفة من وظائف اللبيدو حيث أشار في مقالة اوردها سنة 1914 بعنوان "في النرجسية".

يرتبط مفهوم النرجسية بالإنية وذات الإنسان، فإذا ما خرج عن هذا النطاق يعد فعلا إيجابيا أي يوجه تدعيات هذه الذات نحو الأخر فيحقق تقدمها ، غير أن الإهتمام المفرط بها وتضيق حدود التواصل تدفع بإنسان إلى الدخول في حالة مرضية أو إعتلال نفسي، كما تفسر النرجسية ثلاث مفاهيم رئيسة في علم النفس وهي **الموت** و**الحب** و**العزلة** والتي بدورها مسؤولة عن تشيكل شخصية الإنسان، فمن وجهة نفسية بقدر التفسير الذي يحمله كل شخص على قدر ما تتحدد سلوكاته وافعاله .

وجدير بنا بادىء ذي بدء أن نسعى لكشف مراحل ظهور النرجسية كمفهوم يستند إليه في التفسيرات النفسية ، فقد إستخدم فرويد مفهوم النرجسية لشرح ظواهر مختلفة من السلوك الإنساني، الأمر الذي جعله يربط بينها وبين توليد الرغبة النفسية والجنسية الذاتية ، وتظهر "أول إشارة من قبله إلى هذا الموضوع في خطاب أرسله عام 1899 تظهر رغبة لديه في إستخدام مصطلح النرجسية لأجل شرح فعالية الطاقات الليبدية"[3] في الاضطرابات الذهانية، ومن ثمة كانت التفسيرات الأولى التي أوردها فرويد لمفهوم النرجسية لأجل تبيان الموضوع الرئيس عن الجنسين المثليين الذين يتخذون من أنفسهم موضوعا لتأثير والتأثر، والأشخاص الذين إنسحبوا من العالم وركزوا حبهم وإستمتاعهم على ذواتهم لا غير، هذه المرحلة تعد المرحلة الثانية من النرجسية أو نمط ثاني لها، ومن ثمة هي نمطين، **النرجسية الأولية** والتي تتمظهر من خلال توجه اللبيدو نحو الأنا ثم يتطور ويتجه نحو

---

[1] غرانبرغر ، بيلا . **النرجسية : دراسة نفسية** ، ترجمة : وجيه أسعد ، دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، 2000 ، ص 10، 11 .

[2] هافوك أليس : طبيب بريطاني و أحد علماء النفس ولد عام 1859 م ، من أشهر الذين كتبوا في علم النفس الجنسي ، وكان ماهرا في تحليل اليوميات و الحالات التاريخية والخطابات التي تتناول الحب والجنس ، من أشهر مؤلفاته : عالم الأحلام ، توفي عام 1939 م .(أنظر : الحفني ، عبد المنعم .**موسوعة أعلام علم النفس** ، القاهرة :مكتبة مدبولي ، ص 26 .)

[2] الدرويش ، محي الدين . **إعراب القرآن الكريم وبيانه** ، المجلد 5 ، بيروت : دار إبن كثير ، ط7 ، 1999 ، ص 534 .

[3] البحيري ، عبد الرقيب . **الشخصية النرجسية : دراسة في ضوء التحليل النفسي** ، دار المعارف ، ط1 ، 1987 ، ص4 .

الموضوعات الخارجية وعند لحظة إنفصاله عن الموضوعات ليرتد إلى الأنا من جديد ويستقر عندها تسمى **النرجسية الثانوية**[1] ، من خلال ما سبق يتضح أن النرجسية الأولية على وجه الخصوص هي حب الذات لذاتها أو التعلق الشديد للإنسان بذاته، ثم يتحول هذا الحب نحو الأخر من خلال التواصل والمجابهة الحاصلة بين الأنا والآخر ، ولعل هذا النمط من النرجسية لا يعد إعتلال نفسي لنحو ينطلق من بناء الذات لتوجه نحو العالم الخارجي وهو ما أكده فرويد الذي إعتبر النرجسية الأولية مرحلة طبيعية من مراحل نمو سلوك الطفل، بيد أن المرحلة التي تنبئ بوجود نقص ومرض نفسي هو عودة النرجسية للذات بعد أن تلاشت بمجرد تواصلها مع الآخر، وهي الأزمة التي يعاني منها إنسان اليوم في تملك النرجسية لجميع أفعال فهو مؤشر على بحث الإنسان عن بديل للتواصل وكانت ذاته هي من تحقق له الشعور بالرضى، من هنا كانت النرجسية الثانوية سبيل تتخذه الذات للتستعيد الشعور بوجودها ، وهي أزمة المجتمع المعاصر مجتمع خاضع لشروط ومتطلبات النرجسية .

إن النرجسية في نظر الإنسان الغربي اليوم هي التجربة التي تضمن له السعادة ، غير أن الواقع يعكس حقيقة مغايرة ، فهي تجربة تمرُدٍ على اسس كبرى رامية لتطوير الذات الإنسانية، وإخضاع هذه النرجسية للقوانين العقلية التي تضمن للإنسان الرقي السوي ، على هذا جاءت دراستنا لطغيان النرجسية الراهن، لتعكس الوضع الذي ولجت إليه ذات الإنسان نتيجة العديد من المؤثرات.

كما سبق وأشرنا إلى النرجسية الأولية ، "يتحدث فرويد على انها حالة من السعادة التي يشعر فيها الطفل ان ذاته هي محور الإبداع والخلق والإبتكار "[2] ، ذلك أن فرويد أثناء تطرقه للبحث عن النرجسية بيَّن علاقتها بالسادية Le Sadisme ، الأمر الذي يثبت مدى تأثيرها في الذات الإنسانية إذ يقول : " إن النقطة التي بدأنا منها هي المقابلة الواضحة بين غرائز الحياة وغرائز الموت إذ بنا نجد أن حب الأشياء الخارجية نفسه يواجهنا بمثال آخر ... لقد إهتدينا منذ أول الأمر إلى وجود عنصر السادية أو قسوة الغريزة الجنسية "[3] ، وعليه يوضح كيف أن السادية بما هي موضوع يعد شكل من أشكال ذوبان النفس ذلك أنها ليست إلا غريزة من غرائز الموت التي تأثرت باللبيدو والنرجسي، الأمر الذي جعلها نتيجة للموضوعات الخارجية، هنا يتضح لنا صحة إعتبار فرويد للنرجسية بأنها وظيفة من وظائف اللبيدو غير أنها مرتبطة بأنا، وتعكس دورها على الأجزاء الأخرى للنفس.

---

[1] فروم ، إريك . **جوهر الإنسان** ، ترجمة : سلام خير بيك ، سوريا : دار الحوار ، ط1 ، 2011 ، ص 82 .

[2] البحيري ، **الشخصية النرجسية** ، المرجع سابق ، ص 5 .

[3] فرويد ، سيغموند . **ما فوق مبدأ اللذة** ، ترجمة : إسحاق رمزي ، دار المعارف ، ط5 ، ص 92 .

إضافة لما سبق نجد فرويد يستخدم مفهوم النرجسية في تفسيره لتطور الحالة النفسية والذَكَرِية للإنسانية ككل ، إذ تدخل في ما يسمى المرحلة الإحيائية وتقابلها مرحلة إسقاط الذات على العالم أي يبدأ الإنسان بالبحث عن الموضوعات الخارجية التي تتوافق وذاته ، والتي بدورها تجعله يحقق الإبداع والإكتشاف نتيجة لهذا التوافق المحقق. في إطلاعنا على النرجسية بين ثنايا علم النفس نجد انها تجمع بين مصطلحات ركيزة في هذا العلم بين كل من الغلمة الذاتية Auto-érotisme[1] والذهان[4]Psychose "فقد أدى إكتشاف النرجسية بفرويد إلى طرح مرحلة وسيطة من التطور الجنسي ومابين الغلمة الذاتية وبين محبة الموضوع "[2]، هذا ما يؤكد أن النرجسية هي ولع الإنسان بذاته كموضوع محوري والإستغناء عن المواضيع الخارجية، ذلك أنه يأتي معنى الغلمة الذاتي على أنها صفة للسلوك الجنسي يحصل فيه الشخص على الإشباع من خلال الإستعانة بجسده فقط بدون موضوع خارجي"[3]وهو ما يحصل فيه الإكتفاء بالذات والجسد كبديل عن الآخر .

ولعل هذه العلاقة لا يمكن اعتبارها علاقة إتفاق بالقدر الذي نرى فيه علاقة جدلية بين مكونيين أساسيين المكون الغريزي الذي يمثله اللبيدو وبين المكون النرجسي وتغّلب أحدهما على الآخر، وفي ذلك يضرب لنا فرويد عن حالة العشق يؤكد فرويد أن " العاشق يتجرد في الواقع من لبيده لصالح الموضوع الذي يضفي عليه من ناحية النرجسية قيمة كبرى "[4] ، إن القيمة الكبرى التي تضعها النرجسية والتي تتغلب على اللبيدو هي قيمة الحب أو عشق الآخر الذي قد ينتهي إلى حال السرور كما أنه قد ينتهي إلى حال الألم ، هنا يكمن الفرق بين التغلب النرجسي على اللبيدو أو تغلب اللبيدو على النرجسية، ذلك أن اللبيدو دائما يضمن للإنسان حالة من الإشباع التي تنتهي إلى الفرح والسرور، في حين النرجسية إذا وظفت في الموضوع الخارجي وهو الآخر تؤدي وظيفة تخرج عن وضعية الغريزة لأن العاشق لايشعر بذلك الألم الناجم عن عشقه لأنه مرتبط بقيمة كبرى هي العشق ، وبهذا يتبين لنا مدى إرتباط النرجسية بالذات الإنسانية الأمر الذي قد يؤدي في بعض الحالات إلى صعوبة الإمساك التام بذا المفهوم و هذا راجع إلى تقلباته التي إستمدها من طبيعة مصدره نفسه (الذات)، كما

---

[3]الغلمة الذاتية : هي صفة للسلوك الجنسي يحصل فيه الشخص على الإشباع من خلال الإستعانة بجسده فقط بدون موضوع خارجي .(لابلاش ، جان . و بونتاليس ، ج،ب . **معجم مصطلحات التحليل النفسي** ، ترجمة : مصطفى حجازي ، بيروت : مجد للنشر و التوزيع، ص 385)

[4]الذهان : ظهر مصطلح الذهان في القرن 19 لكي يحدد محطة في التطور الذي أدى لتكوين مجال مستقل للأمراض العقلية وقد إرتبط بأدبيات الطب العقلي في ألمانيا خصوصا للدلالة على الجنون و الإستلاب (لابلاش ، معجم مصطلحات التحليل النفسي ، مرجع سابق ،ص 253.)

[1]فرويد ، **ما فوق مبدأ اللذة** ، مرجع سابق ، ص 512 .

[3]المرجع نفسه ، ص 385 .

[4] غرانبرغر ، **النرجسية** ، مرجع سابق ، ص 13 .

نجد أن الفلسفة إهتمت بتحليل العشق النرجسي، فبمجرد أن ينكر الإنسان أناه لصالح الآخر يدفاع إلا ويعد من تمظهرات التأليه الإنساني " فكما أن المتصوف يسعى إلى الذوبان في الله كذلك يرمي العاشق إلى الفناء في المعشوق"[1] ولعل صورة الفناء سرعان ما تتحول إلى تأليه يعد من المآلات الرئيسة للحداثة التي تجعل المكانة المركزية للإنسان كبديل وحيد للإله . إذن ترتبط الفلسفة بتفسير النرجسية من جهة تأثيرها في الأسس الكبرى للوجود الإنساني ، فالدافع لحالة عشق الذات هو دافع نرجسي نفسي يؤثر على الوجود الإنساني.

النرجسية طليعة تشكل الآنا ...جاك لاكان :

تأتي تفسيرات الفرنسي جاك لاكان[2] حول موضوع النرجسية لترتبط بجانب مهم من جوانب تشكل الشخصية الإنسانية، فإذا كانت تفسيرات فرويد للنرجسية – كما سبق وأشرنا – بإعتبارها وظيفة من وظائف اللبيدو فإن جاك لاكان يبين أنها شق لا يستهان به في مرحلة المرآة المعروفة في الدراسات النفسية ، بإعتبار هذه المرحلة متضمنة في البعد الخيالي، فإن ذلك يقسم الحياة النفسية لدى الإنسان إلى لثلاثة أبعاد البعد الخيالي l'imginair ، البعد الرمزي Le Symbolique ، وأخيرا البعد الواقعي Le reél [3]، ونجد النرجسية التي تختص بالبعد الخيالي الذي إتخذ الإنسان منه سبيلا لتشكيل صورة حول واقعه الخارجي، وما يصحب هذا الواقع من تأثيرات تعكس شخصيته ، يتلقاها إما من قبل أشخاص أو أشياء ما ينعكس على حركاته وتصرفاته الجسمانية وحتى هيأته .

إن منبت الخيالي وأصله حسب جاك لاكان إنما يتمثل في صورة المرآة والتي تمثل بدورها طور من أطوار النمو النفسي لدى الطفل، ومن ثمة تعد مرحلة حاسمة في تشكيل الأنا عصب الشخصية الإنسانية ، فبمجرد تحقق التواصل بين الطفل والمرآة إلا وينتج شعور بإنتماء إلى الآخرين إلى هذا الوجود، فيخال تلك الصور هي الحقيقة، فكما أن ديكارت أكد أن إثبات وجود الأنا يكون بأنا المفكرة ، كذلك الطفل في هذه المرحلة إثبات وجوده مرهون بصورة المرآة ، وتمثل هذه اللحظة مرحلة الولوج في النرجسية وإعجابه بذاته، إذن تصبح حقيقة

---

[1] فيري، لوك . **الإنسان المؤله أو معنى الحياة** ، ترجمة : محمد هشام ، المغرب : إفريقيا الشرق ، 2002 ، ص 126 .

[2] جاك لاكان : من أشهر المحللين النفسانين الفرنسين ولد عام 1901 وتوفي عام 1981 ، أبرز من عمل على تثوير الحليل النفسي على صعيدي الممارسة و النظرية بمنادته للعودة إلى النصوص الأساسية حيث إشتغل على قراءة اللاوعي الإنساني المنبني بمثابة لغة مستندا في ذلك إلى كل معطيات البنيوية واللسانيات والمنطق والرياضيات ، حيث أعاد صياغة العديد من المفاهيم وخلص التحليل النفسي من أوجه الغموض .(صفوان ، مصطفى. **التحليل النفسي علما وعلاجا وقضية** ، ت:مصطفى حجازي ، المنامة : هيئة البحرين للثقافة و الأثار ، ط1 ، 2016 ، ص 8 .)

[3] عبد الرحمان ، طه . **شرود مابعد الدهرانية : النقد الإئتماني للخروج من الأخلاق** ، بيروت : المؤسسة العربية للفكر والإبداع ، ط1 ، 2016، ص 169 .

وجوده مرهونة بتلك الصور الموجودة في المرآة. بيد أن التأثيرات الناجمة عن صورة المرآة تنعكس عن محاولته في التواصل مع الآخرين والتفاعل التام معهم، الأمر الذي يمكن الإنسان من عيش العديد من الحالات التي تنتهي به عند تشكل الأنا.

إن الحقائق التي توصل إليها لاكان من خلال أبحاثه والتي ترتبط بموضوع بحثنا على الخصوص، تعكس مدى تأثيرات النرجسية التي لا يكترث إليها الكثير، غير أن الحقائق تزيد من إعتبار النرجسية تهديدا لكينونة الإنسان ومدى أهمية أن يكون الإنسان سوي، لأن ذلك ينعكس على إسهامته وعلى مكانته الأنطولوجية لذلك فإن الولوج في أسرار النرجسية بوسعه تسليط الضوء على أهم المراحل التي تشكلها وتجعلها لا تتحكم في النفس وهو الأمر الذي أدى بالعديد من الفلاسفة المعاصرين إلى إعتبارها نقطة محورية ينطلق منها لتفسير تغير مجريات المجتمعات على العموم والإنسان على خاصة وهي التمادي النرجسي، فلم تعد الحد السلبي في شخصية الإنسان بالقدر الذي أصبحت فيه هوية على التحرر ووجه من أوجه الفردانية المفرطة .

ويتابع لاكان تحليلاته للنرجسية حيث" يؤكد انها تحمل كل خصائص الشبقية العدوانية "[1] ذلك انها إمتداد للبيدو الجنسي بما هي الشق الجنسي الذي يحرك غرائز الإنسان الخاصة بالنشاط الجنسي على هذا نجد إشتقاق مصطلح الغلمة الذاتية Auto-érotisme من مصطلح الشبقية [2] Erotisme والتي تنبثق من الناحية الأركيولوجية من الميثولوجيا اليونانية حيث تنسب إلى الإله إيروس ، أما من ناحية الحد العدواني تأتي النرجسية لتكون نوعا من إثبات الذات العنيف كرد فعل تقوم به الآنا من التجاهل الذي تتلقاه أو برؤية أوضح سيطرة "الهو" على الأنا بشكل عنفوان .

يتضح إذن أن النرجسية تحاكي أطراف الحياة النفسية للإنسان ولا تستقل بطرف دون آخر، هذا وإن دل على على شئ فإنه يدل على مدى هيمنتها والقدرة الجسيمة على تأثيرها ،هذا ما يجعل النرجسية فلسفية بإمتياز نجد

---

[1] عسكر ، عبد الله . النرجسية في التحليل النفسي : إعادة قراءة للأسطورة ، **مجلة شبكة العلوم النفسية العربية** ، العدد 23 ، 2009 ، ص 114.

[2] **الشبقية** : ظهر التعبير عند فرويد إنطلاقا من 1920م ، ليدل على مجمل الإندفاعات الغريزية للحياة ، إندفاعات جنسية والإندفاعات جنسية وإندفاعات المحافظة على الذات على إعتبار أنها يتعارض مع مجمل الإندفاعات الغريزية للموت .(دورون، رولان.وزيارو، فرنسوا.**موسوعة علم النفس** ، ترجمة : فؤاد شاهين ، لبنان : منشورات عويدات ، ط1 ، 1997 ، ص 424 .)

صداها في تحليلات الفلاسفة للأوضاع التي تعتري المجتمعات الغربية الراهنة على العموم وتتجسد أكثر في القيم التي يدافع عنها الإنسان الغربي ، لذلك وبحكم هذا التأثير النرجسي الطاغي تأتي إسهامات الفيلسوف وعالم الإجتماع الفرنسي جيل ليبوفتسكي حول مكانة النرجسية الراهن.

النرجسية إستراتيجية بث العدم ...جيل ليبوفتسكي :

لقد إتضح بما لا يدع مجالا للشك أن من أهم ملامح الحداثة الفائقة هي الإنتشار الواسع لقيمة **النرجسية** التي تدل على حب الذات أو عشق الذات وفي هذا يقر جيل ليبوفتسكي[1] أن النرجسية في الحضارة الغربية المعاصرة خرجت عن المألوف من خلال تقديس الإنسان لذاته وليس فقط حبها وعشقها وهو الأمر الذي أسهب فيه من خلال تحليلاته وأبحاثه حيث يقر بأن" كل جيل يحب أن يرى نفسه وهويته في صورة أسطورية أو خرافية كبرى، يعيد تفسيرها تبعا لقضايا الساعة ، أوديب بصفته رمزا شاملا ، بروميثيوس وفاوستوس وسيزيف بصفتهم مرايا للواقع الحديث ، أما اليوم ينظر عدد كبير من الباحثين وخاصة الأمريكيين منهم بصورة خاصة بأن النرجسية هي ما يرمز لوقتنا الحاضر "[2] .

وعليه ينعت ليبوفتسكي النرجسية بأنها هنا تلك الإعراب الوحيدة لتفسير مجريات الحضارة الغربية الراهنة، فقد إتخذ الإنسان من الأساطير سبيلا يدافع به عن الحالة التي إستقر فيها ، معلنا أن النرجسية ماهي إلا قيمة قد خسرها فيما مضى ولكن سرعان ما عاد إليها فيقوم بتبريرها من خلال شخصية أوديب وإرجاع الأسباب إلى أسباب علمية يستطيع العقل تقبلها ما دام هذا لا يخرج عن نطاق علم النفس والتطورات الحاصلة فيه ، ليعود

---

[1] جيل ليبوفتسكي : فيلسوف فرنسي معاصر ، ولد في مدينة مايوه عام 1944 ، درس الفلسفة في جامعة السوربون ويقوم حاليا بتدريس الفلسفة في جامعة جرونوبل في فرنسا ، إرتبط إسمه بدراسات و أبحاث عدة كما إشتهر بمصطلحات مابعد الحداثة و الفردانية المفرطة تأكدت شهرته مفكرا وفيلسوفا مع ظهور كتابه الأول زمن العدم عام 1983 ويناقش هوس الإستهلاك في المجتمعات الحديثة .(ليبوفتسكي ، جيل .**مملكة الموضة زوال متجدد: الموضة ومصيرها في المجتمعات الغربية** ، ت : دينا مندور ، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ط1، 2017 ، ص 290 .)

[2] **Gilles lipovetsky** , L'ère du vide ,Essai sur l'individualisme contemporain , éditions Gallimard , paris , 1983 , p 70 ,71 .

ليبوفتسكي و يلح أن النرجسية الجديدة كانت طاغية على الساحة الفكرية فقد ساهمت في إحداث تغير أنثروبلوجي جذري ، يعكس وجود فترة جديدة من **الفردانية النرجسية** تدل على بروز مظهر جديد من إهتمام الإنسان وتعامله مع نفسه وجسده وأيضا تعاملاته مع الآخر والعالم وحتى الزمن ، فإنسان اليوم إنسان يعلن إنتهاء ذلك الحس الثوري والتنافسي الذي كان موجودا بينه وبين الآخر ،بالتالي إعلان لوجود حالة النرجسية التي تنهي مرحلة الإنسان المتساوي.

من خلال تحليلات ليبوفتسكي العميقة وملاحظاته الدقيقة توصل إلى أن الفترات السابقة التي مرت بها الحضارة الغربية المعاصرة لا تخلو من القيم الأخلاقية ، حتى وإن كانت قليلة – هنا نتحدث عن الفترة الممتدة من عصر الأنوار إلى غاية الحداثة و ما بعد الحداثة– لكن سرعان ما دخلت الحضارة الغربية في الحداثة المفرطة أو الفائقة إلا وتغيرت أوضاع ، إلى إلغاء تام للقيم الروحية وإستبدالها بقيم تناسب مكانته ووضعيته الجديدة ، يقر ليبوفتسكي إلى أن الإضطراب السياسي والثقافي الذي تمظهر في سنوات الستينيات من القرن الماضي ، أدى إلى بروز وإنتشار ظاهرة تم تعميمها على كافة فئات المجتمع بطريقة فقدان العاطفة ، فأضحت الغاية اليوم هي العيش في الحاضر ولا شئ سواه، و ذلك أن لقرن العشرين هو إبانة لتغير تاريخي يركز على المناص من الماضي والتخمين في المستقبل وفقدان **حس الشعور بالإنتماء** ، كلها رسوم لمجتمع نرجسي يعيش فيه الإنسان لأجل ذاته غير مهتم بما حوله من الأطر القيمية و سيادة الثراث وكذلك هو شأن المؤسسات الإجتماعية لديه ، فقد أدت قيمة النرجسية إلى إلغاء التفاؤل بالغد ، "بوصفها عارضا مرضيا وإجتماعيا من أعراض الأزمة المعممة في المجتمعات البورجوازية التي فشلت في مواجهة المستقبل بغير يأس"[1].

بالتالي أصبح مفهوم الذاتية هو المفهوم المركزي الذي يظهر حقيقة الوضع في المجتمع الغربي الراهن ، يشدد ليبوفتسكي على عملية التخصيص وخاصة **التخصيص الإجتماعي** ، الذي يعتبره دافعا أساسي لوجود النرجسية كقيمة ينادي بها الغرب اليوم ، فهو حصيلة الإنتقال من المجتمع المستبد إلى المجتمع التحرري ، فالحرية آلت إلى العديد من الأزمات وتشعبت في مظاهر متباينة ، فإنسان ودفاعه الدائم عن النرجسية مرجوعه إلى الشعور بالحرية المطلقة التي تجعل الذات المتحكم الوحيد فيه لأجل إرضاء شهواته وتحقيق رغباته[2].

---

[1] **Lipovetsky** , l ére du vide , op.cit , p 81 .

[1] حرب ، علي . **أزمنة الحداثة الفائقة : الإصلاح – الإرهاب – الشراكة** ، المغرب : المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 2005 ، ص 199 .

ولعل ما يمكن الوقوف عليه من خلال تحليلات ليبوفتسكي هو وجود قيم داعمة للنرجسية ، كالإستهلاك والفردانية...، التي تحقق حرية الإنسان وتقيده في الآن نفسه وهي من إحدى المفارقات التي يحدثنا عنها والتي يرى أن المجتمع الغربي اليوم عنوانه المفارقة الواضحة التي غدت نمطا وأسلوبا للحياة ، و يستند ليبوفتسكي في تفسيره لقيمة النرجسية إلى علم النفس وخاصة علاقة " الأنا"و " الهو" ، لأن الفرد يعد "هو" نفسي مجهول ولا شعوري ويوجد على سطحه "الآنا" إذن الآنا يحيط بجميع صيغ الهو[1] ، نجد أن ليبوفتسكي يركز على الهو والأنا في تحليلاته لنرجسية فعنصر "الهو" الجزء الأساسي الذي ينشأ عنه فيما بعد الأنا والانا الأعلى ، ومن ثمة النرجسية كقيمة تُفسَر على أنها تحكم "الهو" في "الأنا" وبما أنه يقوم على مبدأ اللذة الأمر الذي يجعله يحفز" الأنا "على القيام بجميع ماهو ممتع محقق لرغباتها ، وبالتالي مهدم لذلك الجانب الأخلاقي الموجود في الأنا الأعلى ،"الهو "كدافع لاشعوري يثبيت النرجسية [2].

وعليه تكون النرجسية هي بمثابة الإجابة على تحدي اللاشعور للشعور تتبنى أشكال وعي جديدة باردة وتافهة والتي تشبه " بوعي إنسان مرائي للتلفزيون يستهويه كل شئ ولا شئ ، ذلك الوعي المحرض واللامبالي في آن واحد الوعي الإختياري المشتت على نقيض من الوعي الإرادي"[3] يعلن ليبوفتسكي بهذا عن نهاية الإرادة في عصر اللامبالاة وزمن الفراغ الذي تغيب فيه القيم الأخلاقية والأهداف الكبرى للإنسان ، " إنه عصر متعدد اللغات والمجالات متسارع بقدر ماهو إلكتروني ، ورقمي وبقدر ماهو تقني . "[4] .

وعليه توصل ليبوفتسكي إلى أن آلية النرجسية تعمل على إزالة القوى الصلبة المحددة من باطن النفس والتتعارض مع منظومات الإستهلاك والوسيطية بين الإنسان الإرادي والنظامي ، فقد عمدت النرجسية على قلب وتغير الموازين لتفرض فكرة ضرورة تعميق الشخصية النرجسية ، لتميزها وفرديتها لأنها تمثل الخلاص من سلطة الآخر والمجتمع على حد سواء، "إن تلاشي معالم الأنا هو الجواب الدقيق على الإضمحلال الذي تشهده اليوم الهويات والأدوار الإجتماعية التي كانت قد تحددت بدقة و تندرج في التناقضات منظمة "[5]، ومن ثمة فإن

---

[2] أنظر : فرويد .سيغموند . **الآنا و الهو** ، ترجمة : محمد عثمان نجاتي ، مصر– بيروت : دار الشروق ، ط 4 ، 1972 ، ص 40 – 41 .

[3] voir: **lipovetsky** , L ére du vide , op.cit , p 81,82.

[4] op.cit , p 84.

[5] op.cit , p85

قضية تشخيص النرجسية قد زعزعت معالم الآنا وجردته من أي محتوى نهائي ، بدلت سيادة المساواة وفهم الغيرية رأسا على عقب، الأمر الذي جعل من إنسان اليوم تائها غير مدرك ومستوعب لهويته الحقيقية ، هنا يشير ليبوفتسكي إلى ما يطلق عليه **توكفيل**[1] **تساوي الشروط** أي عندما تنسحب الغيرية الإجتماعية أمام سلطة الشخصية الفردية وعندما تنسحب الإختلافات أمام المساواة ، تنبثق مشكلة الذات الخاصة المشكلة الداخلية ، فعلاقة الإنسان مع الذات عندما تحل محل علاقته مع الآخر ،تتوقف الديمقراطية ، وعليه لا تبرز النرجسية فقط عن طريق إمتصاص النفس المتعية ، ولكن أيضا عن طريق الحاجة للمطالبة بحقوق جديدة. وعليه أدى تثبيت الإنسان الغربي لقيمة النرجسية في الحياة كنمط بديل يمثل النمط الجديد للحياة الراهنة، أدى إلى تثبيت إستراتجيات الفراغ وحسب مقولة ليبوفتسكي إلى إستلزام الإنتهاء إلى العدمية Nihilism.

نحو الحد من النرجسية و إستعادة مفهوم التواصل ... إريك فروم :

يتعين علينا مما تم رصده أن النرجسية لدى التصور الغربي المعاصر إنما تشكل أزمة جديدة وقع فيها الإنسان ، نتيجة للعديد من المسوغات ، وهو الأمر الذي سبق الفصل فيه مع جيل ليبوفتسكي ، وغير بعيد عن هذا التصور تتبني آراء الفيلسوف الأمريكي إريك فروم على إعتبار أن النرجسية داء من جملة الأمراض التي تعاني منها المجتمعات الرأسمالية أو على حد تعبيره المجتمعات الغير سوية ، ليقوم بتشخيص هذا الداء ولكن بطريقة التقصي عن الحلول التي بوسعها إيقاف طغيان النرجسية .

إن هاجس إريك فروم في إيجاد الحلول لخلق مجتمع غربي سوي جعله يهتم بأصغر المظاهر التي تعتري الإنسان الغربي هذا الأخير الذي إستسلم لدواعي ذاته فجعلته حبيسا لنرجسيته وغرائزه التي مافتئ يسعى لإرضاءها وتحقيق متعتها ، وبهذا نجد يروم إريك فروم للحد من النرجسية بإعطاء البديل السوي لها، جاعلا بذلك من التواصل السبيل الأنجع لإسترداد ما تمكنت النرجسية من إلغاءه و من ثمة جعل الوضع الإنساني قادرا على تجاوز أزماته الراهنة.

---

[1] **Lipovetsky** , lére du vide , op.cit , p 84

[2] **توكفيل** : سياسي فرنسي وليبرالي أرستقراطي ولد عام 1805م ، إنضم بصدق إلى الديمقراطية ، فتأثر بالمجتمع الأمركي و الديمقراطية المطبقة في الولايات المتحدة ، لأجل لإستخلاص نتائجها لصالح بلده . توفي سنة 1859م .(دومون ، لويس. **مقالات في الفردانية** :منظور أنثروبلوجي للإيديولوجية الحديثة ، ترجمة : بدر الدين عردوكي ، بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، 2006 ، ص 151 .)

إن التواصل من هذا المنطلق لديه الدور الفعال للحد من النرجسية ، لذلك نجد إريك فروم يقر بجنون الإنسان الذي يعجز عن إقامة أدنى شروط التواصل مع بني جنسه " فالمجنون هو الشخص الذي أخفق تماما في أن ينشئ أي نوع من الإتحاد ، وهو سجين ولو أنه ليس وراء نوافذ مسدودة "[1] فالنرجسية تتعدى على حدود الذات الإنسانية و تمتلكها ، إذ ترتبط في الأساس بعلاقة الإنسان بغيره ، لذلك نجدها مادة متناولة في البحوث عن العلاقات الإجتماعية و حتى السياسية وهو نفس المعنى الذي سبق و تطرقنا إليه مع فرويد الذي أكد أن النرجسية تأخذ إتجاهين إما علاقة الذات بذاتها أو إتجاه علاقة الذات مع الآخر ، هكذا تغدو النرجسية العامل النفسي الأكثر بروزا لدى الإنسان، وقد عمد إريك فروم إلى التميز بين كل من النرجسية والأنانية، ذلك أن الأنانية توحي إلى الطمع والحصول على الشيء مهما كانت تكلفة ذلك ، فحين أن النرجسية يؤكد فروم بوجود " نرجسين الذين قد لا يكونان ولكن مصابين بحب الذات "[2] هذا الحب الذي سرعان ما ينعكس في أفعالهم الخيرية والإنسانية التي تكون بمثابة الحائل الذي تختفي وراءه نرجسيته .

بيد أن النرجسية لم تتوقف عند هذا الحد وإنما سرعان ما تفاعلت مع التطورات والتحولات الجذرية الحاصلة لدى المجتمعات الغربية، الأمر الذي أدى لوجود نوع ثاني أو بالأحرى تجلي مخالف للمعنى الذي ألفناه عنها ، وهو النرجسية الجماعية، هذه الأخيرة التي أقام إريك فروم عليها مناقشات هامة، هذا النوع من النرجسية يرصده بشكل واضح لدى الأمريكيين الذين تبنوا " الإحساس بأقوى و الأفضلية : نحن رقم واحد بالنسبة لشعوب العالم"[3] غير أن التفسير الذي يقيمه فروم على هذا النوع النرجسي هو أنه مرتبط بالأنظمة الاقتصادية الكبرى ، خاصة تلك التي تهتم بالجانب المادي الذي يحقق المنفعة على حساب كل شيء ، وهو نوع من الأنانية التي سرعان ما تتحول لتصبح نرجسية بجدارة .

هكذا بات من الواضح أن النرجسية مرض إستعصى على الإنسان الغربي تجاوزه ، وهذا راجع لقوى أكبر من الغرائز تدافع عنه وإن كانت تمثل تلون آخر لها في شكل سياسة أو إقتصادية ، على هذا جاءت آراء إريك فروم لتوجه الإنسان المريد الذي يملك إرادة في تجاوز أمراضه النفسية الدفينة صوب العلاج الدائم ، إن التواصل هو الأولوية الضرورية للبقاء الإنساني وحاجة لتحقيق سلامة الإنسان النفسية ، لذلك وضع فروم عدة طرق يمكن من خلالها تحقيق التواصل حيث " يحاول الإنسان أن يغدو متحدا مع العالم بالخضوع للشخص أو

---

[1] فروم ، إريك . **المجتمع السوي** ، ترجمة : محمود منقذ الهاشمي ، ط1 ، 2009 ، ص 135 .

[2] أيزابرجر ، آرثر . **النقد الثقافي : تمهيد مبادئ للمفاهيم الرئيسة** ، ترجمة : وفاء إبراهيم ، ورمضان بسطاوسي ، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 ، 2003،ص172 .

[3] أيزابرجر ، **النقد الثقافي** ، المرجع سابق، ص 173.

لجماعة أو لمؤسسة أو إله و هو في هذه الطريقة يتجاوز إنفصال وجوده الفردي "[1] لعل إريك فروم فصل هذه السبل لمنطق سديد، ذلك أن الإنسان إذا إتحد مع العالم أي يصبح متأملا في أحواله وأسراره يستفقل بذلك عن تفكيره في متطلبات ذاته الغريزة و الإنهمام بتحقيق ما يروم لها وبخضوعه للشخص، يقصد هنا فروم ملكة الحب الذي فصل فيها في كتابه " فن الحب " ، فإنسان إذا ما وجه مشاعره صوب إنسان آخر كان سببا وجيها في إحداث تغير هائل فتصبح ذاته منساقة نحو ذلك الحب ولعل عنونة فروم لهذا الكتاب وإختياره لمصطلح الفن لم يكن وليد الصدفة وإنما كانت له مبرراته المنطقية ذلك أنه يعتبره فن " يقتضي معرفة وبذل جهد " [2] فالحب بمقدوره إذن أن يحقق التواصل الذي ينفي النرجسية ويقوم بهدم جسورها التي أسستها في الذات ، وخضوع المرء إلى الجماعة والمؤسسة يعني أنه يعتنق إيديولوجية ويؤمن بقضية وبذلك يبذل ما بإستطاعته ليدافع عنها، ويجعلها المثال الأعلى للوجود وهو في ذاته القضاء على النرجسية وتوجيه الذات نحو الآخر، أما خضوع الإنسان إلى الإله، هو في حد ذاته تواصل أو بمعنى الأدق ذروة التواصل، هذا الإله الأحق بالخضوع والإستسلام وهو الشرط الأساسي والمنطقي الذي يتوافق مع البنية العقلية للإنسان والتي جبل عليها ، والتي تحقق له القضاء على نرجسيته، بيد أن هذا التصور سرعان ما تلاشى لدى الغرب الذي يعتبره وكرا قد خرج منذ بزوغ فجر الأنوار، وبالتالي تأصلت لديهم فكرة الدين الزائف وحقيقة موت الإله ، ما يزيد من تمادي النرجسية روح العصر.

خاتمة :

مجمل القول ساهمت العديد من العوامل في إتساع سيطرة النرجسية على الذات الإنسانية ، فقد أورثت هذه السيطرة أزمات غير معهودة وهذا راجع لغياب الوعي وروح النقد، نتيجة التحكم الذي فرضته الأسس التي قامت عليها الحداثة الغربية من أهمها الدعوة للإستقلالية والحرية من أية سلطة ، بيد أن قراءة الواقع الغربي الراهن يكشف لنا خضوعه لسلطة جديدة، سلطة الذات والنرجسية التي باتت أزمة واضحة المعالم ، فأمام هذه الحركية للمجتمعات الغربية وأمام هذا الزحف الطاغي للمتع ، يستوجب البحث عن الأفق التي بوسعها حل هذه الأزمة وإعادة تفعيل الجانب الأخلاقي والروحي للإنسان، ما يجعل التحكم النرجسي في الذات الإنسانية يزول، وهو ما تثبته عودة الفلاسفة المعاصرين في البحث حول موضوع الأخلاق والدعوة لإسترجاع مكانتها التي سرعان ما انكشفت بوجود أزمة النرجسية وأزمات راهنية أخرى.

---

[1] فروم ، **المجتمع السوي** ، مرجع سابق ، ص 136.

[2] فروم، إريك .**فن الحب : بحث في طبيعة الحب و أشكاله** ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، بيروت : دار العودة ، ص 11 .

قائمة المراجع :

- آرثر . أيزابرجر ، **النقد الثقافي : تمهيد مبادئ للمفاهيم الرئيسة** ، ترجمة : وفاء إبراهيم ، ورمضان بسطاوسي ، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 ، 2003 .
- إريك . فروم ، **المجتمع السوي** ، ترجمة : محمود منقذ الهاشمي ، ط1 ، 2009
- إريك . فروم، **فن الحب : بحث في طبيعة الحب و أشكاله** ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، بيروت : دار العودة
- بيلا . غرانبرغر ، **النرجسية : دراسة نفسية** ، ترجمة : وجيه أسعد ، دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، 2000
- جان . لابلاش ، و ج،ب . بونتاليس ، **معجم مصطلحات التحليل النفسي** ، ترجمة : مصطفى حجازي ، بيروت : مجد للنشر و التوزيع.
- الحفني ، عبد المنعم .**موسوعة أعلام علم النفس** ، القاهرة :مكتبة مدبولي.
- الدرويش ، محي الدين . **إعراب القرآن الكريم وبيانه** ، المجلد 5 ، بيروت : دار إبن كثير ، ط7 ، 1999 .
- سيغموند . فرويد . **الآنا و الهو** ، ترجمة : محمد عثمان نجاتي ، مصر – بيروت : دار الشروق ، ط 4 ، 1972
- سيغموند . فرويد ، **ما فوق مبدأ اللذة** ، ترجمة : إسحاق رمزي ، دار المعارف ، ط5 ،
- طه . عبد الرحمان ، **شرود مابعد الدهرانية : النقد الإئتماني للخروج من الأخلاق** ، بيروت : المؤسسة العربية للفكر و الإبداع ، ط1 ، 2016
- عبد الرقيب . البحيري ، **الشخصية النرجسية : دراسة في ضوء التحليل النفسي** ، دار المعارف ، ط1 ، 1987
- عسكر ، عبد الله . **النرجسية في التحليل النفسي** : إعادة قراءة للأسطورة ، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ، العدد 23 ، 2009.
- علي . حرب ، **أزمنة الحداثة الفائقة : الإصلاح – الإرهاب – الشراكة** ، المغرب : المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 2005
- لوك . فيري، **الإنسان المؤله أو معنى الحياة** ، ترجمة : محمد هشام ، المغرب : إفريقيا الشرق ، 2002
- **معجم علماء النفس و التحليل النفسي** ، مجموعة من المؤلفين ، بيروت : دار النهضة ، ط1.
- نهلة ، **موسوعة الأساطير الإغريقية والفرعونية** ، 2008.
- **Gilles lipovetsky** , L’ère du vide ,Essai sur l’individualisme contemporain , éditions Gallimard , paris , 1983

الخبرة الجمالية في الفلسفة البراغماتية " التداخل بين الوظائف الجمالية والنفعية للفن "

جون ديوي أنموذجا

الباحث/ سفيان عمران ـ جامعة محمد الأمين دباغين سطيف 2 ـ الجزائر.

الملخص:

لقد جعل الفيلسوف البراغماتي الأمريكي " جون ديوي" الفكر وسيلة لخدمة الحياة، والفكرة الصادقة هي الفكرة القابلة للتطبيق العملي، وترك آثار ملموسة تعود بالنفع على الإنسان، والهدف من ذلك حل مشكلاته، وتحقيق التوافق بينه وبين محيطه، والفن كفكرة إنسانية لابد من أن يسير وفق هذه الشروط، وان يسعى لتحقيق هذا الهدف وهو الوصول إلى نتائج ملموسة تمكن الإنسان من التكيف مع محيطه وتحقيق الانسجام مع بني جنسه، والفنان عليه ان ينزل إلى الواقع ليحقق هذا الهدف، وبهذا يكون قد شكل خبرة جمالية ، من شأنها ان تحقق التغيير.

الكلمات المفتاحية: البراغماتية، العمل، الخبرة، الخبرة الجمالية، المنفعة.

Abstract :

The American pragmatist John Dewey has made the thought a way to serve life and the honest idea is the practical idea, leaving tangible effects to the benefit of the human being. The goal is to solve his problems and achieve harmony between him and his surroundings. Art as a human idea must follow These conditions, and strive to achieve this goal is to reach tangible results that enable man to adapt to his surroundings and achieve harmony with his sex, and the artist has to come down to reality to achieve this goal, and thus has formed an aesthetic experience, which would bring about change.

Keywords: pragmatism, work, experience, aesthetic experience, utility.

تمهيد:

شكل الاهتمام بفلسفة الجمال، والدراسات الجمالية محورا أساسيا في الفكر الإنساني عبر مختلف العصور والأزمنة، باعتبار أن الإبداع الفني ظاهرة ثقافية اجتماعية تساهم في تقدم بناء الحضارات وتشييدها ، وفي رفعتها وتطورها، فهي تساعد الإنسان على تطوير آليات البناء التي تدخله سلم التاريخ، والفلسفة المعاصرة كغيرها من الفلسفات السابقة اهتمت بهذه الدراسات ، وشكلت محور اهتمامها ، ومن

الفلسفات التي برزت في هذا السياق نجد" البراغماتية" Pragmatisme أو فلسفة الذرائع التي تجعل من العمل وسيلتها، ومن الفكر واسطة لخدمة الحياة.

ويعد "جون ديوي" John Dewey* من ابرز الفلاسفة البراغماتيين الذين ذاع صيتهم في فلسفة الفن والجمال ، فقد خصص من اجل هذا الميدان مؤلفا كاملا بعنوان (الفن خبرة) الذي صدر سنة 1930 وكان اتجاهه في هذا التخصص واضحا حيث لم يفصل الفن عن أوضاع الحياة المعيشية –كما فعل جميع البراغماتين– أملا في إعادة البناء والانطلاق نحو التقدم والتطور، وبالتالي تطورت النظرة إلى الفن ، وبدا التوجه نحو المجتمع والخبرة ، فلم يعد الفن تقليدا للطبيعة ، وتمثيلا لوقائع الحياة حيث يكتفي بنقلها كما هي ، بل أخذ على عاتقه إعادة خلق الأشياء وخلق العالم من جديد على الصعيد الاجتماعي ، وصار الفن بهذه الصيغة الذريعة التي تأخذ دور الحافز إلى خلق علاقات جديدة بين عناصر مستمدة من المجتمع والحياة والطبيعة ، واعتبارا لهذا التوجه شكلت الخبرة الجمالية محورا هاما في فلسفة الفن عنده ، وقد ارتبطت بالحياة ، إنها ثمرة التفاعل بين الكائن وبيئته ترتبط بما يحققه الفرد من نتائج نفعية تساهم في التقدم والتطور على مستوى الأصعدة ،وبالتالي صبغ الفن بصبغة نفعية عملية وظيفية ، وجعل من خبرات الإنسان النفعية في الحياة ،خبرات جمالية، وهذه الصبغة بنيت على الغموض في سياق الفكر الإنساني المعاصر، وستطرح إشكالية علاقة الجمال بالمنفعة والخبرة تبرز من خلالها إلى السطح الإشكالية التالية: **هل هناك تداخل بين الوظائف الجمالية والنفعية للفن ؟**

أولا– فلسفة الجمال البراغماتية:

يؤكد كثير من الدارسين أن (الفلسفة البراغماتية) من أهم الفلسفات المعاصرة التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد وبداية القرن العشرين ، وهي بمثابة التوجه الجديد الذي رسّخ عقيدة رفض الفلسفات التقليدية السابقة خاصة المثالية معتبرة إياها فلسفات فارغة من المحتوى لا تعالج مشكلات الإنسان ، بل تحلّق في السماء دون جدوى فكانت الحقيقة عندها راسخة في تجارب الإنسان العديدة

*1859– 1952 فيلسوف أمريكي ، من رواد الفلسفة البراغماتية ، كان له تأثير كبير في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم الجمال ، وعلوم التربية مؤسس مدرسة (شيكاكو الذرائعية) وتعرف البراغماتية عنده بالاداتية ، فالفكر ما هو إلا أداة لخدمة الحياة ، منهجه تجريبي ، من مؤلفاته الأساسية نجد : المدرسة والمجتمع سنة 1899 ، الخبرة والطبيعة سنة 1952 ، الفن كخبرة سنة 1930 ، المنطق نظرية البحث سنة 1983 .(روزنتال يودين وآخرون : الموسوعة الفلسفية ، تر: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، دط ، دس ص 215)

والواقعية والمعرفة ما هي إلا أداة لخدمة مطالب الحياة وما هو نافع هو صادق واتجهنا نحو عرضٍ لمفهوم (البراغماتية) من حيث فلسفتها ،وروادها (باختصار) وذلك من اجل أن نقف على نقاط انعكاس هذه الفلسفة على فكر "جون ديوي" فيما بعد (فلسفته بصفة عامة وربطه بين الجمال والمنفعة بصفة خاصة) وسنفصّل هذه النقاط فيما يلي:

1. البراغماتية مقاربة مفهومية ودلالية :

يعرف "وليام جيمس"W.JAMES* البراغماتية بقوله:" إن الطريقة البراغماتية(...) هي محاولة تفسيركل فكرة بتتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية كلا على حدة" [1] فالبراغماتية هي فلسفة تتجه نحو الأداء ، إنها طريقة إنها منهاج تربط صدق الفكرة بقدرتها على آداء وظيفة معينة ، هذه الوظيفة تدل على قبول الفكر للعمل، وهو المغزى الكبير المتنظر من كل فكرة ينتجها الإنسان في حياته ، وعليه تكون البراغماتية عنده منهج أكثر من كونها فلسفة فهي منهج يستعمله الإنسان كأسلوب يتتبع من خلالها فكرة معينة في دنيا الواقع، فكرة تمكنه من تطبيقها تنتج لها آثار عملية، تمكنه من تحقيق منفعة، وبالتالي فهذا المنهج الذي يتتبعه الإنسان ينتظر من ورائه النتائج العملية التي تحقق منفعة، ومتى فعلت ذلك فهي فكرة حقيقية صحيحة صادقة، فمقياس الصدق في النهاية هو قبول الفكرة للعمل، وليس هذا فقط بل هو العمل الذي ينتج آثارا ونتائج، وليس هذا فقط، بل لا بد أن تكون النتائج مقبولة نافعة.

وفي الكتاب ذاته ذكر "وليام جيمس" أن: أول فيلسوف أدخل اللفظ في الفلسفة هو (شارلس بيرس) Charles Sanders Peirce* سنة 1879 في مقال له بعنوان " كيف نجعل أفكارنا واضحة " ، حيث أكد أن كل عقيدة نمتلكها مهما كان نوعها يجب أن تكون قواعد للعمل والأداء وبالتالي صدق الفكرة مرتبط

---

*1842-1910 ، علم نفس وفيلسوف أمريكي ، وهو ثاني فيلسوف عمل على وضع أسس البراغماتية ، كان اهتمامه في بداياته الأولى بالطب وعلم النفس ومن المسائل التي عالجها كذلك نجد التوفيق بين الإيمان الديني ، والفكر العلمي ، ومن أبرز مؤلفاته نجد : مبادئ علم النفس سنة 1890 ، إرادة الاعتقاد 1897 البراجماتية سنة 1907 ينظر : (علي عبود المحمداوي وآخرون : الفلسفة الغربية المعاصرة ، ج1 ، منشورات الاختلاف الجزائر ، منشورات ضفاف ، بيروت ، ط1 2013، ص 29.

[1]وليام جيمس : البراغماتية ، ت: محمد علي العريان ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، دط، 2008 ، ص 64 .

* 1839-1914 فيلسوف أمريكي أحد أعمدة الفلسفة البراغماتية ، وهو أول من ادخل اللفظ في الفلسفة ، تعمق كثيرا في دراسته للفيلسوف الألماني (إيمانويل كانط) ، إلى درجة انه حفظ كتابه (نقد العقل المحض) ، نشر (بيرس) ثمانين بحثا فلسفيا أصيلا ، بما فيه مساهماته في قاموس المنطق والميتافيزيقا ، ينظر (علي عبود المحمداوي وآخرون : المرجع نفسه ، ص ص من79إلى 83)

بنتائجها، والفكرة الحقيقة هي الفكرة القابلة للتطبيق العملي والمزاولة والنشاط ، فلكي يبلغ الإنسان الوضوح التام في أي فكرة يكفيه أن ينتظر نتائجها وآثارها العملية[1] ،ذلك هو مبدأ"بيرس" ومبدأ البراغماتيين عموما فلقد بناها المؤسس الأول لها كفلسفة على قاعدة أساسية ، هي أن الفكرة (أي فكرة مهما كان نوعها ومهما كان انتماؤها ، حتى الأفكار الدينية تدخل حيز هذه القاعدة) تكون صادقة ، متى كانت قابلة للتحقيق التجريبي ، والتطبيق في دنيا الواقع ، ليس هذا فقط بل يجب انتظار آثارها العملية فمتى حققت منفعة يمكننا حينها أن نسميها صادقة ، وهي نفس الفكرة التي سنجدها عند جميع الفلاسفة البراغماتيين، والاختلاف بينهم سيكون في طريقة التعبير عن هذه الفكرة ، وفي توسيعها ، وتوسيع مجالاتها، التي تمكنها في النهاية من ان تكون فلسفة واقعية تحل مشكلات الإنسان المعاصر، والتي هي على درجة كبيرة من التعقيد.

وهي الفكرة التي ذهب إليها الفيلسوف البراغماتي الآخر جون ديوي" في مقال بعنوان" نمو البراغماتية الأمريكية The Dévelopment Of A mericam Pragmatism : أن "شارلس بيرس"هو أول من استخدم كلمة براغماتية ، وذلك حين فرقبين كلمة براغماتي وعملي مستعيرا إياها من الفيلسوف الألماني" ايمانويل كانط" I.kant حيث يقول "ديوي"في ذلك :" إن أصل البراغماتية يرجع إلى شارلس ساندرس بيرس (...) لقد عرف كلمة براغماتية في دراسته لكانط ، وهذا يخالف الرأي السائد الذي يذهب إلى اعتبار البراغماتية نظرية أمريكية خالصة ، وجعل منها طريقة مثلى لإيضاح المدركات العقلية والفرق بينها وبين العملي هو أن هذا الأخير ينطبق على القوانين الأخلاقية ، بينما البراغماتي ينطبق على قواعد الفن وأسلوب التناول الذين يعتمدان على الخبرة ويطبقان في مجال الخبرة " [2].

وظل هذا المبدأ مهملا – في حيّز التبريد بلغة البراغماتيتن –حتى جاء (وليام جيمس) نفسه وبعثه من جديد لكي يحتل مكانته في سياق تطور الفكر الإنسانييقول " وليام جيمس" :" ولقد ظل هذا المبدأ مهملا تماما زهاء عشرين عاما ولم يحفل به أحد ، حتى قدر لي أن ابعثه من مرقده وأخرجه ثانية إلى حيز الوجود حين قدمته في حديث ألقيته أمام رابطة البروفيسور "هوويسون"الفلسفية في جامعة كاليفورنيا ، وطبقته تطبيقا خاصا على الدين "[3] .

---

[1] وليام جيمس : المصدر السابق ، ص 65، 66 .

[2] محمد جديدي : فلسفة الخبرة ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، دس ، ص 18،19.

[3] محمد جديدي: المرجع السابق ،ص 66.

ومن خصائص الفلسفة البراغماتية نذكر وباختصار ما يلي :

اعتماد المعرفة على الخبرة ،رفض وجود الشيء في ذاته وقبول مبدأ "بيرس" الذي مفاده ان تصورنا لموضوع ما هوما ينتج عنه من آثار عملية، وللاعتقاد دور مهم في معارفنا،والإيمان بالتقدم داخل نظام اجتماعي والتأكيد على الطابع الاجتماعي لذواتنا [1].

ومما سبق تحليله نخلص إلى أن الفلسفة البراغماتية في مدللوها اللغوي والاصطلاحي ارتبطت بالعمل والآداء فالفكر ما هو إلا أداة لخدمة الحياة ، والفكرة الصادقة هي الفكرة النافعة في جميع المجالات الممكنة ، وان الاعتقاد يجب أن يؤدي آثار عملية في دنيا الواقع حتى يكون اعتقادا صحيحا ومن هذا المنطلق ستثور الفلسفة البراغماتية على الميتافيزيقا ومشتقاتها.

2. الخلفية الفكرية للفلسفة البراغماتية (أسس قديمة لاسم جديد)

المنطلقات الفلسفية :

تتمثل هذه المنطلقات في ما أقرّه البراغماتيون أنفسهم إذ نجد النزعة " السفسطائية" Sophisme هذه النزعة التي وجدت في الحضارة اليونانية قديمة، وهي فلسفة معروفة اعتمدت على الحواس في محاولتها إلى الوصول إلى الحقيقة والمعرفة الصحيحة، التي كانت هدفا يحاول بلوغه الإنسان فهي النزعة التي اعتمدت على الخبرة الحسية ، واعتبرت الفرد مقياس الأشياء جميعا ، فانتهت إلى مذهب نسبي في الاعتقاد والقيمة والمعرفة [2] ".

كما أننا نجد " أفلاطون" Platon و" أرسطو" Aristote، أو ما يعرف التقاليد السقراطية والأفلاطونية والأرسطية وقفت في وجه الذاتية والنسبية ، وبالتالي في وجه الملامح الأساسية للبراغماتية ، ورغم هذا فإن "أفلاطون" و"أرسطو" قد ساهم في التكوين البراغماتي الفلسفي ، فقد ركز "أرسطو" على التجربة بوصفها مكونا ضروريا من مكونات المعرفة ، كما أن "أفلاطون " جعل التكهن بالمستقبل مقدما في مجال المعرفة، وهي فكرة اهتم بها كثير من البراغماتيين المعاصرين [3]. يتضح ذلك في "نظرية المثل" التي

---

[1] المرجع نفسه، ص ، 25.

[2] المرجع نفسه ، ص 23.

[3] محمد مهران رشوان : مدخل على دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 1980 ص 46.

تمكن خلالها من الوصول غلى فكرة مفادها المعرفة تذكر، فكل ما سيحدث للنفس مستقبل سوف تتذكره، وبالتالي مكن التكهن، فالنفس كانت تعيش في عالم المثل، ثم ارتكبت خطيئتها، وعنما نزلت للعالم الحسي الزائف واتحدث بالبدن كانت ترى اشباه المثل، فتتذكر المثل الأزلية، فالمعرفة في نهايتها تذكر، والجهل نسيان، وفي حقيقتها هي فلسفة مثالية.

وهذا ما يتميز به " البراغماتيون" فحتى أنها فلسفات ثارت على المثالية، والفلسفات الميتافيزيقية خاصة ما جاء به " أفلاطون" إلا أنهم أخذو عنه فكرة هامة، التكهن بمستقبل الأفكار، فالفكرة في حقيقة الأمر جسر للمستقبل، لأنها تظهر من قبولها للعمل وتطبيقها في الواقع قبولها لتحقيق منفعة، وذلك المستقبل المنشود من طرف الإنسان، هو تحقيق منافع قدر المستطاع ، وقبول " البراغماتيين" لهذه الفكرة رغم أنها إنتاج فلسفة مثالية دلالة قاطعة على أن الفكرة متى حققت منفعة هي فكرة مقبولة ويجب الأخذ بها، فيما بعد سيتضح أن العقائد المرتبطة بعالم الميتافيزيقا ستكون مقبولة متى حققت منفعة، المهم الابتعاد عن المثاليات التي لا حل مشكلات الإنسان الواقعية.

كما نجد الفيلسوف الفرنسي فرانسيس بيكون F.Bacon (1561-1626) ؛ الذي أعجب به جملة من المفكرين البراغماتيين خاصة آراؤه المؤكدة على أن المعرفة قوة ، هذه القوة هي التي تمكن الفرد من إخضاع الطبيعة لسيطرته ، وهذا الرأي نجده خاصة عند (جون ديوي)؛ الذي توقف طويلا لمناقشة أفكار "بيكون" في كتابه "إعادة بناء الفلسفة"،وهي المناقشة التي توضح إعجابه الشديد بأفكاره[1]، هذه القوة التي تحدث عنها " فرانسيس بيكون" تأتي من الدور الكبير الذي يلعبه العلم في تمكين الإنسان من السيطرة على الطبيعة، وتسخيرها لخدمة، لهذا فإن البراغماتية كفلسفة ستؤكد على الدور العملي للفكرة والدور العلمي كذلك، أي انها ستشيد كثيرا بمنجزات العلم التي ساهمة بشكل فعال في حل مشكلات الإنسان.

ويعتبر جون ستيورات مل : J.S.mill (1806-1873) أبرز الفلاسفة تأثيرا في البراغماتيين ، خاصة "(وليام جيمس" الذي أهدى له مؤلفه حول "البراغماتية" حيث يقول في هذا الإهداء :" إلى ذكرى جون ستيوارت مل الذي كان أول من علمني سعة الأفق البراجماتية والذي يطيب لخيالي أن يتصوره كقائد لنا لو كان اليوم حيا (...)"[2].

[1] محمد جديدي :المرجع السابق، ص 23.

[2] وليام جيمس : المصدر السابق ، ص 26.

من هذه التحليلات نجد أن للتجريبية الانجليزية مع "فرانسيس بيكون" و"جون ستيوارت مل" وكذلك "جون لوك"و "ديفيد هيوم"تأثير كبير في تشكيل المعالم الكبرى للفلسفة البراغماتية، وقد ساهمت اللغة الانجليزية بشكل فعال في تسهيلما يكتبه هؤلاء الفلاسفة من جهة، ومن جهة اخرى هي فلسفات قريبة للواقع والعلم، كونها تركز على الدور الذي تلعبه التجربة في الوصول إلى المعرفة، فالمعرفة الصحيحة هي التي نحصل عليها عن طريق التجربة الحسية، ولا شيء يوجد في الذهن ما لم يمر من قبل عن طريق الحواس، لأن الحواس تتعامل مباشرة مع العالم الخارجي، ومنه ستكون التجربة وسيلة هامة في أيدي البراغماتيين للرد على الفلسفات المثالية الفارغة من المحتوى، والتي لا تعالج مشكلات الإنسان، وبهذا يمكننا القول أن "البراغماتية" تسمية جديدة لطريقة قديمة خاصة الطريقة الانجليزية.

1. المنطلقات العلمية :

رواد الفلسفة البراغماتية الثلاث "بيرس""جيمس" "ديوي" تأثروا بالعلم الحديث ، وكانت لهم اهتمامات علمية كبيرة حيث اشتغل "بيرس" بالرياضيات والمنطق ، و"جيمس" بالطب وعلم النفس ، و"ديوي" بعلم النفس كذلك ، ولقد كان انشغالهم بالعلم من حيث كونه منهجا ، وليس تقنية أو نتيجة [1]، فإذا أخذنا مثال "وليام جيمس" باعتباره من أبرز الفلاسفة البراغماتين المساهمين في نشوئها ، نجده قد نشأ في جوّ علمي يعطي للجوانب الأكاديمية أهمية كبيرة جدّا ، خاصّة وأن هذه الشخصية تلقّت تعليمها في أمريكيا وانتقلت نحو أوربا وكانت الفائدة الكبيرة انّه جمع بين لغات عديدة ، ولقد أسس فلسفته على أساس اهتمامه بعلم النفس والطب ، وانتقل نحو التوفيق بين العلم والدين [2].

3 .فلسفة الخبرة الجمالية عند البراغماتين (علاقة المنفعة بالجمال) :

سنعرض في هذه النقطة رؤية الفلسفة البراغماتية للفن والجمال من خلال ربطه بالمنفعة والخبرة وهي رؤية ستكون مختصرة والتفصيل فيها سيكون في المبحث الثالث ، وهو المبحث المتعلق بفلسفة الجمال عند "جون ديوي" باعتباره الفيلسوف المحوري الذي يدور حوله هذا البحث من جهة ، ومن جهة أخرى باعتباره ابرز الفلاسفة البراغماتيين الذين تحدثوا عن الفن ، والجمال من خلال تخصيصه مؤلفا كاملا من أجل ذلك وهو بعنوان (الفن خبرة) ولقد ارتبطت الفنون في الفلسفة البراغماتية بما يسمى بالخبرة فماهي

---

[1] محمد جديدي: المرجع السابق، ص 23،24.

[2] جورج طرابيشي :معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط3 ، 2006، ص 241.

الخبرة ؟ وما هي تجلياتها في فلسفة الجمال البراغماتية عامة ، وعند (جون ديوي) خاصة؟ هل والتجربة الجمالية تجربة نفعية؟

أ. مكانة الخبرة في الفلسفة البراغماتية :

تعتبر الخبرة فيما يعتقده كثير من الدارسين نقطة انطلاق أساسية هذه الفلسفة ، اعتبارا للاهتمام الذي قدمته لدور الفلسفة ووظيفتها في مساعدة الإنسان على حل مشاكله ، التي يعانيها ويعايشها في واقعه ، ولقد كانت الخبرة حاضرة بقوة في الخطاب الفلسفي البراغماتي ، وقد حظي هذا المبدأ بقبول كبير عند روادها دون استثناء "بيرس" و"جيمس" و "ديوي" أو غيرهم من البراغماتيين الآخرين .

إن اهتمام البراغماتية بالواقع ، وبالخبرة الحسية ، وتأكيدها على قدرة الإنسان في صناعة الواقع وإعادة تشكيل الظروف التي تبني خبرته وتربط عنده التفكير بالعمل ، واعتبار الأفكار فروض وأدوات للعمل ، كلها علامات واضحة تدل على المكانة التي تحتلها الخبرة في الفلسفة البراغماتية [1].

وهذا ما يجعل من البراجماتية حسب "بيرس" :" منهجا للحياة ، فبعد التطور السريع للعلم تحول اهتمام الناس من البحث في المسائل الميتافيزيقية واللاهوتية إلى البحث في الإنسان ، والبحث عن منهج يقوي علاقة الإنسان مع الطبيعة والحياة "[2] ،وقد حدد "بيرس" أن مفاهيمنا عن الأشياء أو ما نعرفه عن الأشياء هيما تخلفه لنا من آثار، أو نتائج عملية في دنيا الواقع تلك الآثار التي تؤخذ من الخبرة أو تساهم في وجودها الخبرة بصورة فعالة ، وقد استند في ذلك على العلم كمسلك تحققي واقعي يقوم على أساس وقائع معينة من الخبرة [3].

وفي معرض حديثه عن "جيمس" يذكر الفيلسوف الإنجليزي "برتراند راسل" Russell. B. في كتابه "تاريخ الفلسفة الغربية"*مايلي :" (...) هو يأخذ بأن هنالك فقط خامة واحدة ، أو مادة واحدة أولى ، تشكل منها كل شيء في العالم ويسمى هذه الخامة (خبرة خالصة) ويقول أن المعرفة هي نوع خاص من العلاقة بين

---

[1] محمد جديدي :المرجع السابق،ص 39.

[2] علي عبود المحمداوي وآخرون : المرجع السابق ، ص 117.

[3] محمد جديدي : المرجع نفسه ، ص 39.

* الكتاب الثالث : الذي يتحدث عن الفلسفة الحديثة

جزئين من الخبرة الخالصة " [1]،وفيما بعد سيوسع من مفهومه للخبرة ليشمل نطاقات سيكولوجية ، دينية أخلاقية ، من خلال مناقشته للاعتقاد والإيمان والخبرة الدينية وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الدور الذي تلعبه الخبرة، في جعل أفكارنا قابلة للتطبيق العملي وآداء وظيفة معينة في عالم الواقع، ايمانا منا ان الفكرة أو المعتقد مهما كان نوعه هو معتقد صحيح في ارتباطه الخبرة التي تمكنه من تحقيق منفعة، هذه الأخيرة التي تعتبر هدفا منشودا يتماشى مع الطبيعة البشرية، أما عند "جون ديوي" فالخبرة تشكل مصطلحا مركزيا في فلسفته ، فقد أولى لها اهتماما واسعا ، أكثر من الفلاسفة البراغماتين الأخرين، فقد طبق الخبرة على مجالات كثيرة من المنطق إلى الفن والتربية والسياسة ولهذا كانت فلسفته فلسفة الخبرة ومن هنا لقب (جون ديوي) بفيلسوف الخبرة[2].

ب. من الخبرة إلى الخبرة الجمالية (مختصر فلسفة الجمال البراغماتية) :

الخبرة الجمالية تعني موقف الإنسان عند تذوقه العمل الفني أو إبداعه له أو نقده له ، وهي موضوع يعنى به الفلاسفة النقاد والعلماء [3].

وتختلف الخبرة الجمالية من شخص إلى آخر ، تبعا لاختلاف خبراتهم اتجاه العمل الفني ، هذه الخبرة الجمالية التي يصفها (جورج سانتيانا)G.Santayana (1863-1952) على أنها اللحظة التي يتم فيها تلاقي الحواس مع موضوع رغبتنا والجمال هو الضامن لإمكانية توافق النفس مع الطبيعة يقول : " إن الإحساس بالجمال أفضل من معرفة الطريقة التي نحسه بها فكون المرء ذا خيال وذوق ، وكونه يحب أفضل الأشياء ويتأثر في تأمله بالطبيعة بحيث يصل إلى الإيمان بالمثل الأعلى كل ذلك أسمى بكثير مما يحق لأي علم من العلوم أن يطمح إليه ، فالشعراء والفلاسفة الذين يعبرون عن هذه التجربة الجمالية ويشجعوننا على ان نحذو حذوهم فنجرب الجمال عن طريق المثل الذي يضربونه لنا ، هو يؤدون للإنسانية أسمى مما يؤديه مكتشفوا الحوادث التاريخية (...) فأكبر لذة نجدها في التفكير النظري مصدرها التجربة ذاتها " [4].

---

[1] برتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث ، ت: محمد فتحي الشنيطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، دط ، 1977ص 467.

[2] محمد جديدي : المرجع السابق ، ص 40.

[3] أميرة حلمي مطر : مدخل إلى علم الجمال وفلسفة الفن ، دار التنوير للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1، 1989،ص 73.

[4] جورج سانتيانا : الإحساس بالجمال ، ترمحمد مصطفى بدوي، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، دط ،2011، ص 38.

وقد عني فلاسفة الجمال والنقاد والفنانون بمشكلة الصلة بين الخبرة الجمالية في التذوق ، والخبرة الجمالية عند الإبداع الفني واعتبرها بعضهم واحدة فاستجابة المتذوق هي بدورها تجربة مماثلة وشبيهة بتجربة الفنان المبدع ، فهي تعمل على إعادة خلق العمل الفني ، وهذا ما نجده عند الشاعر الفرنسي (بول فاليري) p.valiri (1871-1945) الذي يرى أن عملية الخلق عند الفنان غايتها إثارة عملية خلق أخرى عند المتذوق[1].

أما الفلسفة البراغماتية واحدة من الفلسفات التي أحدثت فعلا مغايرا في الأنماط الفكرية ؛ التي تعاملت مع الفن والمواقف الجمالية ، لقد حاولت أن تنحو منحى جديد في نظريات الفن والجمال ،وإن منطلقات الفكر البراغماتي تهدف أساسا للمشاركة في الخبرة العملية ، وهي بدورها تنعكس على الفكر الجمالي البراغماتي الذي يتطلع نحو النفعية وإرضاء المصالح [2]، فالظاهرة الفنية باعتبارها عقيدة هدفها هو تحقيق منافع ، وقوة الصناعة الفنية تكمن في أثرها الواقعي وقدرتها على حل مشاكل الإنسان ، لهذا نجدها ترتبط ارتباطا وثيقا بالخبرة العملية ؛ يقول "وليام جيمس" :" إننا نختزن حقائق إضافية وندخرها في ذاكرتنا، وكلما أصبحت حقيقة من تلك الحقائق الإضافية مرتبطة عمليا بمطلب عاجل من مطالبنا أو بضرورة ملحة من ضروراتنا فإنها تنتقل من مخزن التبريد حيث كانت قابعة لكي تؤدي عملا في العالم ويزداد نشاط اعتقادنا ، وفي وسعك أن تقول عنها عندئذ انها مفيدة لأنها صحيحة أو أنها صحيحة لأنها مفيدة " [3]، فالبراغماتية رؤية فكرية تنطبق على قواعد الفن والصنعة والحرفة، وتعتمد متراكم التجربة لتكوين الخبرة ، إنها تؤمن بالنظام المعملي للعقل أو النظام الإنتاجي له ، وتعد الخبرة المبدأ الذي أخذت به ، فالخبرة أداة للربط والاتصال بين الفكر والعمل ، بين النشاط والمنفعة ، بين الفرد والمجتمع ، و هي السبيل الأوحد لبناء الحياة والخبرة الجمالية تعد ارتقاء طبيعيا للدوافع البشرية العامة التي نتخذها مثيرا لاستجاباتنا الطبيعية للبيئة التي نعيش فيها، واعتبارا لهذا فالخبرة الجمالية مظهر من مظاهر توازن طاقات الإنسان مع ما يحيط به من ظروف تحقق توازنه [4]، ومنه فالإحساس الجمالي يتم من خلال استجابة أو استقبالية المتلقي لمدركات حيثيات الوسط البيئي الخارجي ومقدار توافقه وانسجامه مع هذا الوسط وأن الجمال يقترن بالغائية والنفعية فمن خلاله يحقق الإنسان وظائف معينة فالجمال هنا إنما يصطبغ

---

[1] أميرة حلمي مطر : المرجع السابق ، ص 73.

[2] إيناس مهدي إبراهيم الصفار : أبعاد الفكر البراغماتي في فن الباوهاوس ، مجلة جامعة بابل (العلوم الإنسانية) ، المجلد 66 ، العدد 5، 2014 ص 1011، 1012.

[3] وليام جيمس : المصدر السابق ، ص 240،241.

[4] إيناس مهدي إبراهيم الصفار : المرجع السابق ، ص 1014،1015.

بالصبغة الإنسانية دون ترحيله خارج حدود التجربة، فالفنان أداة مهمتها تحسين ظروف الحياة البشرية ، وإن الفن هو رسالة للعمل وجلب المنافع وهذا دليل على ارتباط الفنون الجميلة وعلاقتها مع الحياة اليومية [1]، فالفن يجب أن لا يفقد غائيته وأن يرتبط بتطبيقاته العملية التجريبية ذات المنحى الإنساني الشمولي . والقيم الجمالية لا تنفصل عن القيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية لدى الشعوب على مستوى التحولات الحضارية التاريخية، ورؤية الفلسفة البراجماتية للفكر الجمالي من خلال القيام بالتجارب والاختبارات من أجل تكوين معرفة حول موضوع ما جمالي ، والفنان يسعى إلى إحداث تغيرات عليه حتى يصل إلى المطلوب ، ذلك هو الفرق بين الفنان والإنسان العادي ، فالفنان أكثر انفعالا وقابلية ، وله قدرة كبيرة في وصف الانفعال ، فهو يختار وينتقي ما يريد التعبير عنه ليصل على الغاية التي يريدها[2] .

ومن هذا نستنتج أن البراغماتية فلسفة تتجه نحو الأداء والعمل ، هي طريقة ومنهاج تربط صدق الفكرة بمدى قدرتها على آداء وظيفة معينة ، وتحقيق منفعة ، فالصدق صدق لأنه نافع ،وهي ليست فلسفة منغلقة على ذاتها ، إنها تيار ينزل إلى الواقع ، وينطلق من فكرة مفادها أن الحقيقة هي ما نجده في الواقع، وما يحقق منفعة ، وأن أي فكرة لا تفعل ذلك لا حاجة لنا بها، وكل المعتقدات التي يمتلكها الإنسان صادقة بالنسبة للبراغماتيين مادام تؤدي وظيفة نفعية في دنيا الواقع، كما أن للخبرة مكانة بارزة وهامة في الفلسفة البراغماتية ،والخبرة تعني تلك التغيرات النافعة التي تحصل لملكتنا عن طريق التمرين ، وهي التقدم العقلي الذي تكسبنا إياه الحياة وهي نقطة الانطلاق الضرورية في الفلسفة البراغماتية ، اعتبارا للاهتمام الذي قدمته لدور الفلسفة ووظيفتها في مساعدة الإنسان على حل مشاكله ، وطبقتها على كل الميادين الممكنة، والبراغماتية رؤية فكرية تنطبق على الفن ، وتعتمد متراكم التجربة لتكوين الخبرة ، والخبرة أداة للربط بين الفكر والعمل ، ومنه فهي فلسفة تربط بين الفن والمنفعة ، ولا تؤمن بفكرة الفن الروحي ،أو الفن من أجل الفن، مؤكدة على أن الخبرة الجمالية تتم من خلال استجابة المتلقي لمدركات وحيثيات الوسط البيئي الخارجي ومقدار توافقه وانسجامه مع هذا الوسط ، بحيث يحقق جملة من المنافع التي من شأنها التي تتيح له التكيف .

[1] المرجع نفسه، ص 1015.

[2] المرجع نفسه، ص 1016.

ثانيا–جون ديوي فيلسوف الخبرة:

في إطار الحديث عن علاقة الجمال بالمنفعة ،والخبرة الجمالية عند "جون دوي" ، لا بد أن نمر على محطات من فكر هذا الفيلسوف اعتبارا للنسقية التي تميز فكره ، حيث تنعكس أفكاره العامة على أفكاره الخاصة؛ ففلسفة ("جون ديوي" في الجمال والفن ، هي انعكاس لفلسفته العامة ، وهي الفلسفة التي تقع تحت مظلة الفلسفة البراغماتية– كما عرضنا لها سابقا – حيث انطلق منها وسار في سياقها ثم طورها وأعطى لها صورة جديدة تعبر عن الإبداعية لديه ، وبالتالي سنتحدث عن براغماتية (جون ديوي) التي تعبر عن فلسفته ، ثم نمر على مفهوم الخبرة عنده وتطبيقاتها في مجالات أخرى غير مجال الفن .

1. جون ديوي والانعطاف التجريبي البراغماتي :

إن قراءة المسار الفكري والحياتي لأي فيلسوف ، سيقف دون ادنى شك على المؤثرات التي ساهمت في تكوين الشخصية الفكرية المتكاملة له ، فالفيلسوف هو مرآة عاكسة بالإيجاب أو بالسلب لمجموعة من التفاعلات والتوجهات ، لهذا كان من المنهجي الحديث عن المؤثرات الفكرية التي ساهمت في تكوين فكره قبل الحديث عن ملامح الفلسفة البراغماتية عنده والتي تجلت في نظرة مؤسسة للفكر البراغماتي .

وقد كانت المنطلقات الأولى لهذا الفيلسوف فيما يقول الدكتور "أحمد فؤاد الأهواني" في كتابه "جون ديوي": " (...) ومن الموافقات العجيبة أن يقع مولد جون ديوي في عام 1859 وهو العام الذي نشر فيه "داروين" كتابه "أصل الأنواع" ذلك الكتاب الذي لعب في فلسفة ديوي دورا كبيرا فيما بعد ، فلقد اخذ بمذهب التطور العلمي وآمن به كما ينبغي أن يؤمن به كل من يأخذ نفسه بالمناهج العلمية في البحث" [1]. لهذا يرى "ديوي" أن كتاب "أصل الأنواع "لـــ"داروين"يمهد الطريق لإعادة بناء الفلسفة ، إذ انه يجعلنا ننظر لأنفسنا على أننا مخلوقات ينبغي أن تتكيف مع بعضها بعضا ، ومع ظروف الحياة من اجل حفظ البقاء ، وهذا التكيف يتطلب في مجال الفلسفة أن تتصرف عن المذهب إلى المنهج [2]، كما تأثر "جون ديوي" برجل وكتاب أي بأستاذه "توري" Touri الذي درسه الفلسفة في الجامعة ، إذ يدين له باستقرار فكره نحو دراسة الفلسفة واتخاذها غاية له في الحياة والثانية أخذ نصوص قدماء الفلسفة والفلسفة اليونانية خاصة ، وذلك على الطريقة السقراطية في الحوار ،أما الكتاب فهو "علم الفسيولوجيا" تأليف "توماس هنري هكسلي"Huxley Thomas Henry (1852، 1895) ، والشارح لمذهب "داروين"في النشوء والارتقاء،

[1] أحمد فؤاد الأهواني : جون ديوي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3، دس، ص 19.

[2] فواد كامل : اعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1993 ، ص 119.

فاستمد منه دراسة قوية عن وحدة الكائن الحي خلفت في نفسه أنموذجا لنظرة أشمل وأوسع للأشياء ، تلك هي النظرة الشاملة ، التي تميز الدراسة الفلسفية [1].

ثم يأتي بعدها دور التجريبية الانجليزية بزعامة "فرانسيس بيكون"، الذي يعتبر من ابرز الفلاسفة الذين كان لهم تأثير كبير في الفلسفة البراغماتية عند "جون ديوي"، وتظهر ملامح التأثر في مسألة التجديد التي دعا إليها "بيكون"على أن عملية الكشف لا تكون إلا باختراق الطبيعة والبحث في أسرارها وامتلاكها عن طريق منهج تجريبي ، وهي نفس الفكرة التي نجدها عند "ديوي" حيث أن الطبيعة تشدنا من خلال أفكارنا التي تؤدي إلى فعل الأداة والوسيلة؛ يقول في معرض حديثه عن "بيكون" :" وضحت أفكاره الملامح الجديدة التي أدت إلى الاهتمام بعملية إعادة البناء الثقافي ، وكشفت القوى التاريخية والاجتماعية التي ولدت هذه الروح الجديدة (...) لقد أكد بيكون على أفضلية عملية اكتشاف الحقائق الجديدة والوقائع ولا تتم عملية الكشف إلا باختراق الطبيعة والكشف عن أسرارها وانتزاعها بمنهج تجريبي نشط وفعال [2].

وهناك كثير من المؤثرات الأخرى التي ساهمت في التكوين الفكري للفلسفة البراغماتية عند "جون ديوي ولا يجب أن ننسى أهمها وأبرزها تلك المؤثرات التي أثرت في الفلسفة البراغماتية بصفة عامة (والتي ذكرناها سابقا) دون أن ننسى الدور الذي لعبه أقطاب الفلسفة البراغماتية الآخرين "شارلس بيرس"ووليام جيمس في بلورة الفكر البراغماتي عند هذا الفيلسوف .

2. براغماتية جون ديوي :

تبدأ من الثورة على الفلسفات المثالية، فمن خلال الانطلاق مما قاله "برتراند راسل" سابقا في معرض حديثه عن رفض"جون ديوي" لفلسفة "هيجل" المثالية يتضح أن : الفلسفة البراغماتية جاء ت على العموم و كغيرها من الفلسفات الواقعية المعاصرة ثورة على الفلسفات القديمة خاصة المثالية الألمانية التي يتزعمها "هيجل"[3]، وهو النهج الذي سار عليه الفلاسفة البراغماتيون على الخصوص ومنهم "جون ديوي" "لقد كان عيب الفلسفات القديمة في –نظر ديوي– أنها فصلت التفكير عن تيار الخبرة الإنسانية ، ونظرت إليه انه عملية ثابتة ، أو لقطة في صورة فوتوغرافية ، فانتزعت التفكير من مجرى الحياة وانتزعت منه

[1] احمد فؤاد الأهواني : المرجع نفسه، ص 22.

[2] جون ديوي : إعادة البناء في الفلسفة ، ت: أحمد الأنصاري ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010، ص ص ، 59 ، 60 ،61 .

[3] محمد مهران رشوان : المرجع السابق، ص 55.

صفة جوهرية لكل كائن حي هي أنه يعيش في زمان ، وسميت أوجه التفكير بأسماء كثيرة مثل التصور والحكم والاستدلال وإنما هذه الأوجه إنما تدل على نتيجة بحث ، وأن البحث يشغل منزلة متوسطة في الخبرة " [1] .نفهم من هذا أن الفلسفة المثالية فلسفة فارغة من المحتوى ، تحلّق في السماء بعيدة عن مشكلات الإنسان اليومية حيث عزلت الإنسان عن واقعه ، ودعته للتفكير في التصورات وعليه أبعدته عن الخبرة، وقد أنكر "جون ديوي" مذهب الوحدة كما أنكره البراغماتيون جميعهم:" لقد كان مزاج أصحاب الوحدة غاية في الحدة والبطش والعنف بحيث كان في بعض الأحيان قطعيا باتا " [2]. وكان عيب الفلسفات القديمة فيما يذهب إليه "جون ديوي"، هي أنها تجعل الأشياء الخارجية والوقائع من صنع التفكير لكن في حقيقة الأمر العكس ذلك أن هذه الأشياء محفز للتفكير ، وهي أصل تفكيرنا فالفلسفات المثالية مثلا تزعم وجود قوة عاقلة تريد أن تحقق ذاتها في التجارب الإنسانية أما البراغماتية فهي فلسفة تبحث عن الحلول عن طريق التفكير الذي هو أداة للسيطرة على الطبيعة وهي سيطرة تتم عن طريق الأفعال والخبرة [3] ، يبدو ان هذا الرفض كان واضحا جدا، من خلال أنها تأتي من أعلى إلى أسفل أي من التفكير نحو الأشياء الخارجية الواقعية، معتبرة ان التفكير هو الذي يصنع الواقع، و بتعبير " افلاطون" العالم المحسوس ظل للعالم المعقول، لكن في حقيقة الأمر هو العكس، فالأشياء الخارجية هي التي تجعلنا نفكر، مما يمكن تفكيرنا من أن يكون ذا غاية عملية، ينتج عنها آثار نفعية.

وإن براغماتية "جون ديوي"فلسفة شملت بمباحثها المتنوعة والنسقية مجالات واسعة من مباحث الفلسفة في المنطق والمعرفة والأخلاق والفن والتربية والسياسة ، من خلال الاعتماد على مختلف العلوم (العلوم الطبيعية علم الأحياء ، علم النفس ، علم الاجتماع) ، وقد اعتبرت هذه البراغماتية الإنسان جزء من بيئة طبيعية متطورة [4]، وفي هذه الحالة تظهر المؤثرات العلمية والفلسفية في فكر الفيلسوف، فالبراغماتية كما قلنا سابقا تؤكد على دور العلم والتجربة في بناء أفكارنا، الأفكار التي تؤدي وظيفة معينة في واقعنا، فهي قابلة للعمل من اجل تحقيق المنفعة.

وحملت البراغماتية عنده أسماء أخرى أسماء أخرى على غرار (الأداتية) ؛ ذلك أن الفكر ماهو إلا أداة لخدمة الحياة باعتبار أن الإنسان لا يبدأ في التفكير إلا إذا بصعوبات تواجهه في الحياة ؛ لهذا كانت

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني : المرجع السابق، ص 101.

[2] محمد مهران رشوان : المرجع السابق ، ص 57.

[3] أحمد فؤاد الاهواني : المرجع نفسه، ص 104.

[4] علي عبود المحمداوي وآخرون ، المرجع السابق ، ص 344.

فلسفته البراغماتية رؤية تهدف إلى معالجة مشاكل الحياة الاجتماعية التي تتخلل الحياة الإنسانية يقول في كتابه (إعادة البناء في الفلسفة) :" (...) إن مشكلات الفلسفة وموضوعاتها قد نتجت من مشكلات الحياة اليومية وضغوطها ، وتتماشى مع التغيرات التي تحدث في الحياة الإنسانية وتشكل في معظم الأحيان نقطة التحول في التاريخ الإنساني" [1]، فكل شيء مرتبط بالفكرة عنده، وكل فكرة لابد ان تكون وسيلة أو ذريعة خدمة الحياة، وعليه لا بد من رسم الأهداف من خلال التفكير، وهذا التفكير لا بد ان يؤدي وظيفة معينة، وظيفة نفعية تساعد الإنسان على مواجهة مشاكله والتكيف مع المحيط الخارجي، وضمن التفكير نجد الفلسفة؛ والفلسفة شيئا أو لا معنى لها :" وماذا تكون الفلسفة إن لم تكن –كما يصفها ديوي– تعبيرا عقليا عن الصراع الداخلي الذي يسري في ثقافة العصر ؟ مهمة الفلسفة هي أن تتعقب خيوط هذا الصراع إلى أصولها لتضع أمام النظر مصادر القوى التي تتجاذب عقول الناس فيسهل بذلك تشخيص الداء ووصف الدواء [2]، فمفهوم الفلسفة عند "جون ديوي" اتخذ منحى آخر عما كان متعارف عليه في القديم ، لقد صارت الفلسفة عنده :" رؤية تهدف إلى تحرير العقول من الأهواء ، وتخفيف حدة التوتر في الحياة الاجتماعية السائد في عصره " [3] .

وتبعا للأداتية التي تميز فلسفة "جون ديوي " والتي تتخذ من الفكر أداة للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يريده في مجتمع متطور ، آمن (ديوي) بأن كل شيء في حياة الإنسان قابل للتغيير ، على حسب الدواعي والضرورات ، ولا يجوز ان يقف شيء عائقا أمام الإصلاح الاجتماعي وتوفير الحياة الرغيدة للإنسان ،فلا بد من تغيير قواعد الأخلاق إن اقتضى الإصلاح ذلك وكذلك الأمر ينطبق على السياسة والاقتصاد والتربية والهدف العام هو تغيير الحياة تغييرا يجعلها أكثر ملاءمة لظروف العصر الجديد [4]، وهذا ما يجعل من الفلسفة مصدرا لعملية التغيير الفكري يقول "جون ديوي" :" إذا كانت نشأة الفلسفة قد جاءت من عملية الاستجابة للصعوبات التي تواجهنا في الحياة ، فإن نموها لا يتحقق إلا إذا توفرت المادة التي تجعل هذه الاستجابة العملية واضحة وقابلة للتغيير عنها فكريا ولغويا ، وتصبح أفكارا قابلة

---

[1] جون ديوي : إعادة البناء في الفلسفة، المصدر السابق ، ص 17.

[2] فواد كامل : المرجع السابق ، ص118.

[3] يحيى هويدي : قصة الفلسفة الغربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط، 199، ص 130.

[4] فؤاد كامل :المرجع نفسه، ص 118.

للمشاركة والتبادل ، صاحبت التغيرات الاقتصادية والدينية والسياسية ثورة علمية واسعة لم تترك اعتقادا من المعتقدات الخاصة بالطبيعة مادية كانت أو إنسانية قائما وثابتا دون تعديل " [1] .

إن فلسفة "جون ديوي" تقوم بالربط بين الوعي والطبيعة ، لهذا نجده يتحدث كثيرا عن ذلك الارتباط الموجود بين الخبرة والوعي ، والخبرة هي في النهاية محصلة التفاعل بين الكائن وبيئته ، والفلسفة ليست طريقا ينتهي إلى أشياء غريبة ، عن الفكر والأخلاق والبيئة ، بل هي نقد فاحص لكل الأفكار التقليدية من أجل تجديدها ، وجعلها تساير روح العصر والمقتضيات الراهنة [2].

هذا وأكد "جون ديوي"على دور العلم في مختلف المجالات ، فدعا إلى تطبيق منهج البحث العلمي على مجالات شتى من التفكير ولا سيما الأخلاق ، والسياسة والتربية وغيرها ، أملا في أن يؤدي هذا إلى تغيير القيم وإحداث ثورة فيها ،بحيث تلائم ظروف الحياة وتتمشى مع مقتضياتها ، والمنهج العلمي الذي يتحدث عنه "ديوي" هو طريقة يضعها الباحث من اجل الخروج من نطاق الفكر إلى العمل [3].

3. فلسفة الخبرة عند جون ديوي :

إن الخبرة عند "جون ديوي" هي المقولة الأساسية في كل فكرة ، ولقد التزم بالنهج الدارويني في وصفه للخبرة ، بأنها مجموع التفاعلات المتبادلة بين الكائن وبيئته ، وان تحتوي كل التفاعلات الفيزيائية والنفسية التي تجري بين البشر وعوالمهم الطبيعية والبشرية يقول :" إن قوام الخبرة ذاتها هو العلاقات الفعالة التي تقوم بين الإنسان وبيئته الطبيعية " [4]، وسيتضح فيما بعد أن هذه الخيرة وسيلة هامة للربط بين الإنسان وبيئة، فهي المنشط الذي يحرك التفاعلات التي يقوم بها الإنسان والتي يهدف من خلالها على التكيف مع محيطه، وعليه فالخبرة مسألة فعل وعمل قبل ان تكون مسألة معرفة ، وهنا يظهر التجديد الذي أكد عليه "جون ديوي" من خلال خبرة تعتمد على السلوك وتتعقب نتائج العمل في ظل التوافق القائم بين الفرد ومحيطه ومحاولات التكيف ، واعتبار الخبرة كإجراء وفعل ناتج عن ان كل كائن حي في ضروب نشاطه يعاني نتائج سلوكه ، فهذا الارتباط بين الفعل وبين معاناة نتائجه والانفعال ذلك هو الخبرة [5].وتبعا لذلك

---

[1] جون ديوي : إعادة البناء في الفلسفة، المصدر السابق ، ص 75.

[2] رالف ن وأين : المرجع السابق ، ص 162 ، 163.

[3] توفيق الطويل : أسس الفلسفة ، مكتبة النهضة المصيرة ، القاهرة ، ط3، د س ، ص 118.

[4] جون ديوي : الديمقراطية والتربية ، ت: منى عفراوي و زكرياء مخائيل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط1، 1954، ص 288.

[5] محمد جديدي : المرجع السابق ، ص 62.

فالخبرة تقال على الأمور الإنسانية التي هي ثمرة المعاناة داخل الفرد ، وذلك في مقابل الأمور الطبيعية المستقلة عن الخبرة الإنسانية ، ولتوضيح معنى الخبرة يضرب "ديوي" مثالا مشهورا مثال الطفل الصغير الذي يلمس النار بإصبعه فليس حرق النار لإصبع الطفل كافيا للحصول على الخبرة ، بل لا بد أن يتألم ، ثم يدرك ان النار محرقة ، ثم يتعلم من ذلك انه يجب أن يتجنب النار ومعنى هذا أن الخبرة تقوم على فعل وانفعال [1].

يقول "جون ديوي" : لم تعد الخبرة مجرد تلخيص تعلمناه في الماضي على سبيل المصادفة بل هي سيطرة متعمدة على ما نعمله من الأشياء ، بحيث يصبح ما يحدث لنا منها ، وما نفعله نحن بها بحيث يصبح وسيلة لامتحان هذه المقترحات وتبيين صحتها[2]، وقد تطرق "جون ديوي" لعلاقة العقل بالخبرة في كتابه "إعادة بناء الفلسفة" فطرح عدة تساؤلات حول الموضوع ، ما هي الخبرة وما هو العقل ، إلى أي مدى تعد الخبرة أرضا صلبة للاعتقاد وتعد مرشدا موثوقا للسلوك أهناك حاجة لعقل يفوقها ويتجاوزها ليمد العلم، بالمبادئ المؤكدة ويوجه السلوك ؟ [3]، وفي رده على السؤال الأخير في حاجتنا إلى عقل ؛ أي العقل السامي المفروض من الخارج ، وهو الرفض ولا يريد "ديوي" أن يقابل الخبرة بالعقل ، بل يبحث عن تكامل بينهما فلا جدوى من الحديث عن خبرة دون عقل او عقل دون خبرة.[4]، فهو يسعى إلى ايجاد معالم التكامل بين العقل والخبرة، على عكس الفلسفات المثالية التي ترفض تماما هذا الطرح وهذا ما وضحه بقوله:" نعرف جيدا إجابات الفلسفة التقليدية ، إن الخبرة لا يمكن أن تتجاوز إطلاقا الجزئي والعارض والمحتمل والمتغير ، ولا تستطيع الخبرة تحقيق الكلي أو الانتقال إلى الضروري واليقيني إلا عن طريق قوة متعالية في أصلها ومضمونها تجاوزها وتضمها .[5]،وهذه الوجهة رفضها (ديوي) ويؤكد على تجسيد التكامل بينهما في : فالعقل المزعوم خارج نطاق الخبرة أمر مرفوض ، ومعناه أن العقل ينبغي أن يكون ضمن دائرة الخبرة ، وطبيعي ان يدرج العقل كعنصر مساعد في تحصيل الخبرة وتدعيمها ليس إلا ، وإلا ظلت الدعوة على تجديد مفهوم الخبرة دعوة بائسة لا تغير في الأمر شيئا وإن العقل ليس هيئة مفارقة تشرف على توجيه شؤون المرء الفكرية والسلوكية من فوق ، وإنما يتدخل كجزء هام في هذا العالم ، وعليه

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني : المرجع السابق ، ص 51.

[2] جون ديوي : الديمقراطية والتربية ، المصدر السابق ، ص 284.

[3] جون ديوي : إعادة البناء في الفلسفة ، المصدر السابق ، ص 91.

[4] محمد جديدي :فلسفة الخبرة ، المرجع السابق ، ص 70.

[5] جون ديوي :إعادة البناء في الفلسفة،المصدر نفسه ، ص 70 .

فهو يتحرك باستمرار وليس مطلقا وثابتا.يقول"جون ديوي":" لم يعد العقل مجرد مشاهد يطل على العالم من الخارج ويجد ذروة رضاه في متعة التأمل المكتفي بذاته ، فالعقل داخل العالم كجزء متكامل ملتحم في سبيل العالم الماضي قدما على نحو موصول [1].

يتضح مما سبق تحليله أن"جون ديوي" تابع للفلسفة البراغماتية ، فهو قد تأثر في بناء فكره بكثير منهم المنطلقات التي ساهمت في تكوين البراغماتية بصفة عامة ، وبراغماتيته تنطلق من الثورة على الفلسفات التقليدية وخاصة المثالية ، وهي أداتية حيث أن الفكر ماهو إلا أداة لخدمة الحياة باعتبار أن الإنسان لا يبدأ في التفكير إلا بصعوبات تواجهه في الحياة ، وأكد على دور العلم في مختلف المجالات فدعا إلى تطبيق منهج البحث العلمي على مجالات شتى من التفكير.

ثالثا– من الخبرة إلى الخبرة الجمالية (التفاعل بين الفن والمنفعة)

يمكن أن نلمس فلسفة الجمال عند (جون ديوي) في كتاب خصصه لذلك عنوانه "الفن خبرة"، وكما ذكرنا سابقا فالخبرة عنده تنطبق على كل حقول المعرفة لدى الإنسان ؛ السياسة ، التربية ، وحتى الفن ، لهذا سنجد مفهومه للخبرة ينعكس على نظرته للفن ، ويظهر بقوة في فلسفة الجمال عنده ، من خلال ما يسمى الخبرة الجمالية التي ربط من خلالها بين المنفعة والجمال .

1. انتقادات لبعض التصورات في فلسفة الجمال :

ينتقد "جون ديوي" كثيرة من النظريات التي تحاول ان تسمو بالفن فوق معطيات الواقع ، وتبعده عن الخبرة الملموسة ، وتجنبه تحقيق اي منفعة معينة ، أو تربطه بكل ما هو روحي إذ يقول معبّرا عن رأيه فيما يخص هذه النظريات :" (...) أمّا في رأيي فإن العيب في النظريات القائمة أنها تبدأ من نزعة انفصالية سابقة أو من تصور روحي للفن يقطع كل صلة بينه وبين الموضوعات الملموسة "[2].

لهذا ستتمركز انتقاداته حول النظرة الانعزالية للفن ، والنظرة الشكلانية له ، وهما نزعتين في فلسفة الجمال فصلتا الفن عن الخبرة الملموسة ، ربطته الأولى بالجانب الروحي ، والثانية بالجانب الشكلي (الصورة) للفن أما عن نقده التصور الانعزالي للفن :فقد اصطدمت نظرية "جون ديوي" في الفن ، وحديثه عن الخبرة الجمالية بنظيرتها النزاهة الجمالية والتي وضع أسسها الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" الذي عزل الفن

[1] رالف ن.وين : المرجع السابق ، ص 148.

[2] جون ديوي : الفن خبرة ، ت: زكرياء إبراهيم ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، دط ،2011: ص 23.

عن الخبرة العملية أو خبرة الحياة اليومية واعتبر أن الفن الحقيقي هو الذي لا يهدف إلى أي غاية محددة ، فالحكم الذوقي عند "كانط" حكم تأملي صرف ، وبالتالي هذا الحكم لا يكترث بوجود موضوع ؛ ذلك أن فصل التجربة الجمالية عن كل مضمون أو معنى ، وجعل منها قلعة خالية لا يسكنها غير شعور مجرد ومنعزل والذوق هو ملكة نحكم بها على موضوع ما عن طريق الشعور بالارتياح ، دون ان يكون للمصلحة أي دخل في هذا الحكم وبالتالي عزل النشاط الفني عن النشاط العملي [1]،هذه الوجهة يرفضها (جون ديوي) فقد رفض جميع النظريات التي تفسر الفن من منطلق روحي ، وبعبارة أخرى تلك النظريات التي تحاول ان تقطع صلة الفن بموضوعات الخبرة الملموسة ، دون أن تنتبه على وجود صلة قوية لايستهان بها بين الفنون الجميلة وممارسات الحياة اليومية ، وعليه فالفن متصل بمسيرة الحياة ، منبثق من الظروف الاجتماعية ، وقائم عن طريق الأنظمة الاجتماعية[2] ، ومتى كان الفن غير ذلك فهو لا معنى له ، بل هو مقصي من دائرة الفنون الجميلة ، ويقع وحده في عالم منعزل يقول (جون ديوي) :" وحينما تنفصل الموضوعات الفنية عن كل ظروف نشأتها وشروط فعلها في دائرة التجربة ، فإن ثمة سياجا منيعا يجيء فيحيط بها من كل صوب ، ويسقط حجابا معتما على مدلولها العام ، وعندئذ لا يتلبث الفن أن يجد نفسه مقصيا في عالم منعزل تنقطع فيه كل رابطة بينه وبين الأدوات والغايات التي ينطوي عليها [3]، وقد وصف "كانط" الجميل على أنه غائية من دون غاية أي أن:" اللذة الجمالية لا تستهدف إرضاء ميل معين ولا ترتبط برغبة للجسم أو للنفس، ولا تسعى إلى تحقيق أية مصلحة ، ولا تبعث عن ضغط أي دافع شخصي لكن رغم ذلك ليست تجربة خلت من كل شعور أو انفعال ، وإنما يظهر هذا الشعور والانفعال نتيجة لها دون أن يكون هو سبب وجودها ، فهي منزهة بمعنى أنها لا تنبعث عن اهتمام خاص بموضوعها ولكنها غرضية لأنها تخلق هذا الاهتمام بالموضوع الجمالي بعد تأمله" [4].

هذه الفكرة كان لها اثر بالغ في شيوع نظرية (الفن من اجل الفن) خلال منتصف القرن العشرين ، وهي الفكرة التي تصدى لها (جون ديوي) فهو لا يعترف بهذه الفكرة " الفن من اجل الفن" لأن الفن يجب أن يكون تفسيرا وتعبيرا نفهم فيه معاني الحياة ونستمتع بها ، فالفن يثري الحياة [5]، أما عن نقده للتصور

---

[1] حسين علي : فلسفة الفن (رؤية جديدة) ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 2010، ص 187.

[2] كريمة محمد بشيوة :أعلام الفن في الفكر الغربي المعاصر ، المجلة الجامعة ، العدد الخامس عشر ، المجلد الثالث ، 2013 ، ص 91.

[3] جون ديوي : الفن خبرة ، المصدر السابق ، ص 9 ، 10.

[4] حسين علي : المرجع السابق ، ص 186.

[5] كريمة محمد بشيوة : المرجع السابق ، ص 91.

الشكلاني في الفن، وهو تصور ناتج عن النزعة الشكلانية للفن يتزعمها "روجر فراي"Roger Fry(1866-1934) وهو رسّام وناقد انجليزي والذي شدد على الخصائص الشكلية للوحات الفنية وعلى الأفكار المرتبطة بها مناشدا التركيز على مضمونها التمثيلي ، اعتبارا لهذا كانت ترى هذه النزعة أن القيم الجمالية تكمن في الصورة لا المادة والموضوع ، والعمل الفني بوصفه موضوعا جماليا إنما يتمثل في تلك العلاقات الشكلية القائمة بين أجزائه (الألوان ، والخطوط ، اللحن ، التراكيب الصوتية) [1]. لكن "جون ديوي" يرفض الفصل بين الشكل والمضمون او الموضوع ، فالفن يمزج بين الوسائل والغايات فالوسائل التي تستخدمها الفنون تصبح غاية في حد ذاتها ، وإن خبرتنا في الفن لا تنحصر في الشكل او الصورة بل في الخبرة العملية [2]، وبالتالي فإنه يحرص على التكامل بين جميع عناصر العمل الفني حتى يكون لها معنى، وتؤدي دورا وظيفيا يعزز الخبرة الجمالية التي تساعد الإنسان على حل مشكلاته.واعتبر ما جاءت به هذه المدرسة ومن كان على شاكلتها دخيلة على الفن ولا تفقه حقيقته، بل إن هذا التصور للفن أبعد الناس عن كل ما له علاقة بقيمة العمل الفني يقول :" (...) ولم تلبث بعض الاعتبارات الدخلية ؛ كلذة الحصول على المجموعات الفنية أو عرضها على الناس ، أو اقتنائها أو التفاخر بحيازتها أن موّهت على الناس حقيقة القيم الجمالية " [3]، فالفن الجميل الذي يحمل قيما جمالية ؛هو ذلك الفن الذي يجعل من النشاطات البشرية المختلفة تحمل في ذاتها قيمة تعمل على خلق التغيير والتطور ، ويحدث له ذلك متى ارتبط بالخبرة يقول:" والواقع أن أي تصور للفن إذ جعل نقطة بدايته تلك الصلة الوثيقة التي تجمع الفن من جهة والكيفيات المكتشفة في الخبرة العادية من جهة أخرى فإنه لابد من أن يصبح في مقدوره إظهارنا على العوامل التي تساعد على تحويل ضروب النشاط البشري إلى أمور ذات قيمة فيه [4]، إذن فالعمل الفني هو امتزاج للصورة والمادة ، وتكافؤ الشكل مع الموضوع ، وبالتالي يشترط للعمل الفني وحدة فنية تجعل منه موضوعا جماليا ، وبهذا يرفض "ديوي" أي تفرقة بين المادة والصورة ، ويرى أن الأمانة الفنية تنعدم حين يوجد انفصال بين المادة والصورة ، وإن القيمة الجمالية تنحصر في تكامل هذين العنصرين فالخبرة هي الصلة الوثيقة بين الفعل والانفعال ، العمل والمعاناة في صميم تفاعل الكائن

[1] سعيد توفيق : من مقدمة ترجمة كتاب الفن خبرة لجون ديوي ، المصدر نفسه ، ص ،ح.

[2] المرجع نفسه ، ص (ط).

[3] جون ديوي : الفن خبرة ، المصدر السابق ، ص23.

[4] جون ديوي: الفن خبرة، الصدر السابق، ص 23. .

الحي مع عالم الطبيعة لذلك ان النظريات التي تفصل بين المادة والصورة إنما جاء نتيجة إهمال هذه العلاقة[1].

2. علاقة المنفعة بالجمال (تحليل الخبرة الجمالية عند جون ديوي) .

من خلال تحليلنا للخبرة الجمالية عند "جون ديوي" ستظهر العلاقة القائمة بين المنفعة والجمال وأن أفكاره حول الخبرة ستنعكس حول أفكاره في الخبرة الجمالية .

والمفهوم الأولي للخبرة الجمالية عنده يمكن ان نلمسها في قوله :" لما كانت الخبرة هي بمثابة تحقيق يضطلع به الكائن الحي في صراعه مع عالم الأشياء ، ومحاولاته الظفر ببعض المكاسب ، فأنها تمثل الفن في بذوره الأولى حتى انه لو نظرنا إلى إشكالها البدائية فنجد أنها تحتوي على تباشير ذلك الإدراك الحي اللذيذ ، الذي نطلق عليها اسم الخبرة الجمالية "[2] ، فالخبرة الجمالية خبرة بسيطة هذه التي تشكل البذور الأولى للفن إذ تربط بين الكائن وبيئته في ضرب من المقاومة ، من اجل تحقيق جملة من المنافع وفي ظل هذه المقاومة يحقق نوعا من اللذة والمتعة .والخبرة الجمالية هي خبرة واسعة تعمل على تحقيق ضرب من الإشباع أو المتعة الجمالية ، وفي إطار هذا التفاعل بين الكائن وبيئته يقوم الإنسان بضروب عديدة من المقاومة ، إذ نجد الطاقة البشرية بتعبير "جون ديوي" :" تجمع ، وتنطلق ، وتحبس ، وتحبط وتنتصر ، وفي ظلال هذه العمليات جميعا نشاهد ضربات من إيقاعية من الحاجة والإشباع [3]، ولكن أين يوجد الإحساس بالجمال أو تقدير الفن في وسط هذا النسق القائم على الخبرة والتفاعل المتبادل بين الإنسان وبيئته ؟ يجيب عن هذا من خلال أن الإحساس بالجمال يتأتى عن طريق ترحيب أو استجابة الكائن الحي لما يدركه في بيئته الخارجية من نظام ، حيث تكون استجابة لهذا النظام هي الشعور بالمشاركة والتوافق والانسجام وعندما تأتي هذه المشاركة للكائن الحي مع بيئته من خلال العلاقات المنظمة التي يمارسها في فيما بعد مرحلة من الصراع والمعاناة ففي هذه الحالة تكمن بذور التحقق الجمالي[4]، واعتبارا لكل هذه المعطيات يرفض "جون ديوي" أن تستمد الخبرة الجمالية من المتاحف والمعارض والمكتبات إنما توجد في سياق الحياة اليومية والعملية ، فكل خبرة عادية سواء كانت عملية

---

[1] منتهى عبد جاسم : فلسفة الفن عند جون ديوي ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، العدد 101 ، ص 537.

[2] جون ديوي : الفن خبرة: المصدر السابق، ص 36.

[3] المصدر نفسه، ص 30.

[4] كريمة محمد بشيوة : المرجع السابق ، ص 93.

ذهنية او مجرد آداء عملي يدوي ناجح لها طابع جمالي [1]،بل وإنه ينبذ تلك النظريات التي تفعل مثل هذه الأمور (كما رأينا سابقا) يقول :" (...)لا بّد ان تكون هناك أسباب تاريخية قد عملت على ظهور هذا التصوّر الانعزالي للفن الجميل ، وحسبنا ان نلقي نظرة على متاحفنا ومعارضنا الرّاهنة التي اعتدنا أن ننقل إليها ونختزن فيها شتّى الآثار الفنية ، لكي نقف على تلك العلل التي عملت على عزل الفن ، بدلا من اعتباره ظاهرة مصاحبة للمعبد ، والمحكمة ، والساحة الشعبية ، وسائر أشكال الحياة المشتركة"[2]، هذا وان التجربة الجمالية هي تلك التي تعيد لنا الحياة الواحدة المتماسكة إزاء أنفسنا وإزاء العالم أي هي الحياة التي يجد فيها المرء نفسه موجودا كاملا ، ودون فراغ ، يعيش قوة في الانسجام والتوافقمع نفسه ومع الآخرين[3] إنه بحث عن الدور العملي للفن، دور يتمكن من خلاله الإنسان ان يكون نشيطا، النشاط الذي يرتبط بحياته، ويجعله في تفاعل مستمر على محيطه، وبالتالي تحقيق التوازن والتوافق والانسجام مع بني جنسه.

ويرى "جون ديوي""أن للعقل دور فعال في إنتاج الأعمال الفنية ، لأنه يقوم على استخدام مناسب ومعين التفكير وبين استخدام نوع خاص من المواد ، والفرق بين صاحب النزعة الجمالية وصاحب النزعة العقلية هو فرق في الذوق ، أما علاقتهما بالخبرة فهي واحدة يقول ما يحدد الفارق بين صاحب النزعة الجمالية ، وصاحب النزعة العقلية هو اختلافهما في تأكيد الجانب الهام من ذلك الإيقاع المستمر الذي يميز تفاعل الكائن الحي مع بيئته ، أما المكانة القصوى للتجربة عند كل منهما فهي واحدة" [4].إذن فالخبرة الجمالية خبرة كباقي الخبرة الأخرى ، تنتج نتيجة تفاعل بين الكائن وبيئته ، في ضرب من المقاومة حيث يقتفي الفرد سلوكه ، وينتظر ما يتحقق منه من نتائج ، تعود عليه في نهاية المطاف بالمنفعة ، واعتبارا لهذا يبتعد الفن تماما عن الغاية الروحية ، أو الفن المطلوب لذاته ، وهو الفن الذي لا يحتك بالممارسة اليومية وبنشاطات الفرد داخل المجتمع وخارجه.

أما عن شروط الخبرة الجمالية، فهي الشروط التي يطلق عليها بعض المفكرين مبادئ ، وآخرون يطلقون عليها معايير ، ومهما تعدد التسميات فالمقصد واحد ، وهو المتعلق تكوين نظرية للخبرة الجمالية يتسنى من خلالها لأي إنسان تطبيقها على مجال الفن ، وتحقيق الغاية المرجوة منه ، وهي التفاعل بين

---

[1] أميرة حلمي مطر : المرجع السابق ، ص77.

[2] جون ديوي : الفن خبرة، المصدر السابق، ص17.

[3]زكرياء إبراهيم : مشكلة الفن ، دار مصر للطباعة ، مصر ، دط، دس ، ص ص ،161 ، 162 ، 163.

[4] جون ديوي : الفن خبرة، المصدر السابق، ص 29.

الكائن وبيئته ، والربط بين المنفعة والجمال ، وبالتالي تحقيق منفعة من خلال ممارسة النشاط الفني والشرط الأول هو التفاعل الخبرة الجمالية لا تحدث داخل الشخص فقط ، بل تعمل على بلورة سلوكه الذي يؤثر في اتجاهاته ومشاعره ويمكنه في النهاية من التفاعل الايجابي مع محيطه ، وذلك من اجل الخروج بخبرات جديدة تتفاعل بدورها لتنتج عنها خبرات أخرى جديدة وهكذا، فكل شيء يمتزج مع بعضه بعضا ، ويتداخل فيما بينه في الحياة التي يعيشها الفرد ، وكلما حدث ذلك حدث التفاعل ، وكلما حدث التفاعل أقام الفرد علاقة جديدة مع بيئته ، وبذلك يكتشف ضروبا جديدة للتكيف ، يقول "جون ديوي" :" والمشاهد في عملية الحياة أن بلوغ مرحلة التوازن يكون في نفسه فاتحة لإقامة علاقة جديدة مع البيئة ، وهذه العلاقة إنما تجلب معها مقدرة خاصة على تحقيق ضروب جديدة من التكيف (...) وحين تكون الحياة حياة بمعنى الكلمة لأن كل شيء لا بد أن يتداخل مع ما عداه ولابد أن يمتزج بما عداه "[1]، فالخبرات متنوعة ومتعددة ، وأبرزها الخبرة الجمالية ، وإن كل خبرة تعد شرطا لظهور خبرة أخرى في إطار التداخل الامتزاج المؤدي إلى التفاعل ، والخبرة الجمالية نقطة تفاعل بين الفنان ومظاهر العالم الذي يعيش فيه ، ودور التفاعل هو الحفاظ على الحركية والربط والترتيب (الانسجام) ، لهذا أكد "جون ديوي" على أن ربط الفن والإدراك الجمالي بالخبرة ، يشكل حيوية فيما يخص تفاعل الفرد وبيئته ، مما يجعله يتصل بكل ما يملكه من مشاعر وأحاسيس بالعالم، وهذا الاتصال طبعا يكون واعيا ، وفي النهاية تتداخل الذات تداخلا تاما مع الموضوعات والأحداث [2]، أما الشرط الثاني فهو الاستمرار أو تواصل الخبرة الجمالية ؛ فالخبرة الجمالية تبقى دائما مستمرة ولا تتوقف ، فهي لا تعرف الاستقرار مادام الكائن الحي في تفاعل دائم مع البيئة فالخبرة الحاضرة تأخذ من الخبرة الماضية وتؤثر على اللاحقة ، وفي ظل هذه الاستمرارية يعمل الإنسان على تكوين الخبرة الجمالية ، وفي الوقت نفسه يعدّلها وتطورها ويؤكد "جون ديوي" أن كل ضروب التفاعل التي تسعى للاستقرار مليئة بالتغيّر فهي لا تهدأ ، تعيش حالة من المد والجزر ، حيث تذهب جملة من الإيقاعات ، وتأتي أخرى ، وفي ظل هذا يحدث التناسق والانسجام ، وبالتالي لا يوجد شيء تام ومكتمل ، كل شيء عليه ان يبدأ من جديد يقول :" (...) وحيث يكون هناك كل شيء منذ البداية تاما مكتملا ؛ فإنه لا يمكن أن يكون هناك موضوع لإنجاز أو تحقيق (...) وحيثما يبلغ المرء حدّ الكامل أو أقضى الغاية فإنه سرعان ما يشعر انه مازال عليه ان يبدأ من جديد "[3].وأن هذه

[1] جون ديوي : المصدر نفسه ، ص 32 ، 33.

[2] المصدر نفسه، ص 35 ، 36.

[3] المصدر نفسه، ص 32.

الاستمرارية في الخبرة الجمالية ، نتيجة حتمية للتفاعل مع البيئة من جهة ونظرة الإنسان نحو المستقبل من جهة أخرى ، فكلما اتجه الفرد نحو المستقبل نجده دائما في تجدد مستمر ، لا يعترف فيه بالكمال ينطلق من الماضي ليصنع الحاضر ويستشرف المستقبل ، وفي هذه النقطة بالذات يستعمل "ديوي" المنهج الأركيولوجي لتوضيحها ؛ فالإنسان المتوحش أو البدائي لديه إحساس بالحياة ناتج عن الملاحظة ، في الوقت الذي نجده ينفعل حين يراقب ما حوله ، فهو يثور ويتهيج ، خاصة في مطاردته لفريسته ، وملاحظته في نهاية المطاف تحمل جانبين هي فعل في دور الإعداد ونظرة ثاقبة للمستقبل [1].

أما الشرط الثالث فهو القصد الشعوري فالخبرة الجمالية ظاهرة مستمرة لا تعرف الانقطاع (كما قلنا سابقا) فالخبرة الجمالية السابقة تمهّد للاحقة ، وهي الأخرى بدورها تنتهي إلى ظاهرة أخرى جمالية ليستمر التفاعل بين الكائن وبيئته ، وهذا التفاعل فيه ضرب عميق من المقاومة والصراع ، حيث تمتزج الخبرة بالانفعالات والأفكار فتتطور وتتنوع ، وكل هذا يتولد عنه القصد الشعوري ، ذلك ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية ، يقول "جون ديوي" :" والإنسان يفوق كل ما عداه من المخلوقات في تعقدها وتنوعها ودقتها ، وهذه الواقعة نفسها هي التي تولد الحاجة إلى قيام علاقات أدق واشمل بين مقومات وجوده (...) وآية ذلك أن هناك فرضا اكبر للمقاومة والتوتر ، كما ان هناك اتجاهات أكثر نحو التجريب والابتكار ، وبالتالي جدة اكبر في العقل وسعة وعمقا في البصيرة ، وتزايدا في حدة الشعور [2]،بل وإن الإنسان في علاقته مع الطبيعة عليه أن يجسد الشعور أو القصد الشعوري ، فكلما بنى تفاعله على هذه الميزة تمكن من خلق وسائل لبلوغ غايات كثيرة ، وبتعبير (جون ديوي) :" (...) ما كان صدمة يصبح نداء أو دعوة ، والمقاومة تستحيل إلى شيء يستخدم في تفسير التنظيمات القائمة للمادة " [3].

وبهذا يربط "جون ديوي" الفن بالخبرة ، حيث أن الفن يزيد من عمق الخبرات واتساعها وتطورها كونه يولد تفاعلا بين الفرد وبيئته في إطار من الصراع والمقاومة، وأعطى للفن صبغة لاعتقاده ان الفن يحقق للإنسان مكاسب في إطار المقاومة مع البيئة، وقد رفض كل النظريات التي جعلت الفن باء روحي ، أو أنها تتجه إلى الفن من اجل الفن ، والخبرة الجمالية عنده خبرة بسيطة كغيرها من الخبرات اليومية ، بل إنه جعل من الخبرة العادية البذرة الأولى للفن ،لها قدرة على التنظيم والتنسيق بين مختلف الدوافع الإنسانية ، وفي النهاية تحقق لذة ومتعة، وهي خبرة تقوم على التفاعل أي تفاعل الكائن وبيئته

[1] جون ديوي : الفن خبرة، المصدر السابق: ص 35.

[2] المصدر نفسه،ص 42.

[3] المصدر نفسه، ص 45.

وعلى الاستمرارية أي أن كل خبرة تؤدي إلى الأخرى ، وهي لا تعرف السكون والاستقرار، وتقوم على القصد الشعوري الذي يجعل الإنسان يسخر طبيعته لتحقيق منافع.

تعقيب :

الفلسفة البراغماتية التي ينتمي إليها "جون ديوي" فلسفة تعكس صور الحياة الأمريكية ، بما تنطوي عليه من تمجيد كبير لا يستهان به للمادية ، وحب إمتلاك عنصري ، وعبادة للحياة المادية الليبرالية من هذا المنطلق ربطت كل شيء بما يحققه من نتائج نفعية مادية وآمنت بالتعددية هذه الأخيرة التي جعلت من التغير والمغامرة والصراع فضيلة [1]، لقد أنزلت الإنسان إلى مستوى الحيوانية ، فقد ربط "جون ديوي" الخبرة الجمالية بالجانب البيولوجي للفرد فهو القائل :" ولئن كانت هذه الوقائع البيولوجية حقائق معادة ، إلا أنها تنطوي على دلالة هامة لأنها تمس الظاهرة الجمالية في صميم التجربة " [2]،لهذا يؤكد النقّاد أن "جون ديوي" بالغ في ربطه الفن بالممارسات اليومية ، وتحقيق النتائج ، فهذا الموقفي حقيقته يؤدي إلى ضياع الفنون الجميلة الخاصة ، وسط التعميم الذي لا مبرر له لعنصر الجمال في نشاط الإنسان [3] ،وكان الفن في متناول الجميع، وكل نشاط يقوم به الإنسان في حياته ويؤدي إلى نتائج عملية يغدو وسط هذه الحركية فنا، م يعد الفنان ذلك الشخص المتميز الذي يمكن أن ينتج اعمالا لا ينتجها أي إنسان عادي، وإلا لما سميناه إبداع فنيا، صار العمل المنتج هو الإبداع إن الفنان ليس كأي إنسان عادي فهو ذلك الشخص :" الذي يصور حتى القبح تصويرا جميلا هو الذي ينأى بنفسه فوق معطيات الواقع الفجة ليكون واقعيا بفن " [4]، وليس الفن هو الواقع تماما ، إنه حصيلة التقاء بين الفنان المبدع والواقع ، فليس من السهل أن تكون فنانا وذا خبرة جمالية ، وليست الفنون التطبيقية في نهايتها مجالا للحرية الخالصة ، باستهدافها غايات نفعية بل تستهدفه التجربة الفنية الخالصة الخلق الفني في ذاته ولذاته [5]، ولقد أخطأ (ديوي) حين اعتبر الخبرة الجمالية خبرة إنسانية اجتماعية متصلة دائما بالخبرات العادية الأخرى غير أن كثيرا من النقاد المعاصرين يفضلون الخبرة الجمالية عن الخبرات العادية ، ويجعلون لها طابعها الخاص ، إنها ذات نوعية مختلفة عن كل خبرات الحياة ، وابرز المدافعين عن

---

[1] محمد مهران رشوان : المرجع السابق ، ص 78 ، 79.

[2] جون ديوي: المصدر نفسه ، ص 27.

[3] محمد علي أبو ريان : فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، د ط، دس ، ص 191.

[4] داني هويسمان : علم الجمال ، عويدات للنشر والتوزيع ، بيروت ، دط،2017، ص 11.

[5] محمد علي أبو ريان : المرجع السابق ، ص 191.

هذه الفكرة الفيلسوف الاسباني الليبرالي(أورتيجا جاست) José Ortega y Gasset (1883-1955)* ، الذي أكد على استقلال الخبرة الفنية عن الحياة الواقعية ، وهو يرى إنه من العبث الكبير أن نبحث في العمل الفني عن موضوعات ومعان مستمدة من حياتنا اليومية ، فإن ذلك انحطاط كبير للفن [1].

خاتمة:

وفي الأخير يمكننا القول أن فلسفة "جون ديوي" في الفن تقع ضمن النسق لفلسفته البراغماتية التي تجعل من الفكر ذريعة لخدمة الحياة ، وبالتالي يقاس الفعل بمدى ما يحققه من نجاح ، هذا النجاح المرتبط في نهايته بالمنفعة ، وعلى هذا الأساس ارتبط الفن عنده بالمنفعة ، فلا معنى للفن إن لم يتداخل مع مشكلات الحياة لدى الإنسان ويعمل على تشخيص الداء لإيجاد الدواء ، ليس الفن من أجل الفن بل الفن من اجل تحقيق غاية نفعية ، ولم يعد الإنسان يعد الفن الذي ينتجه الإنسان ينظر إلى النجوم المزدانة بالنجوم فوق رأسه ، بل ينزل لمعطيات الواقع كي يصارع ويقاوم ، ثم يتكيف ويتفاعل ، وينتهي إلى التطور الذي بدوره ينتهي إلى اللذة والمنفعة ، تلك هي الجمالية الجميلة المنشودة من أي تطور ممكن في الخبرات البشرية ؛ تلك هي الخبرة الجمالية تلك الناشئة عن تفاعل الكائن الحي مع بيئته تكيفا وانفعالا، مكابدة وعناء .

بل وأكثر من ذلك إن الفن هو العنصر الفعال المساهم في رقي الحضارات فكل حضارة فنونها الخاصة التي تساهم في تطورها وتقدمها ، ويكفيك أيها الإنسان أن تحفر في تاريخ الحضارات حتى تلاحظ الدور الفعال الذي لعبه الفن في نشوء الحضارات ورقيها وتطورها .

* مفكّر إسباني ، أحد أعلام النهضة الإسبانية المعاصرة ، التي بدأت مع الجيل الذي يطلقون عليه (جيل العام الثامن والتسعين) ، ففي سنة 1898 ، وقعت الهزّة الكبرى التي زلزلت الحياة الإسبانية ، من اعماقها ، إذ انهزمت اسبانيا في الحرب أمام الولايات المتحدة الأمريكية ، هنا طرح السؤال ما مصير إسبانيا؟ درس في ألمانيا في جامعات لايبتزغ ، وبرلين ، حتى سنة 1907 ، في سنة 1917 ، أسس مجلة عنونها (اسبانيا) ، في سنة 1923 ، أنشأ مجلّة (الغرب) (عبد الرحمان بدوي : موسوعة الفلسفة ، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 1984).

[1] أميرة حلمي مطر : المرجع السابق ، ص 78.

قائمة المراجع والمصادر:

أولا- قائمة المصادر

1. جون ديوي : إعادة البناء في الفلسفة ، ت: أحمد الأنصاري ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1،2000.
2. جون ديوي : الديمقراطية والتربية ، ت: منى عفراويوزكرياء مخائيل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،ط 1 ، 1954.
3. جون ديوي : الفن خبرة ، ت : زكرياء إبراهيم ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، دط ، 2011.
4. وليام جيمس : البراغماتية ، ت: محمد علي العريان ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، دط ، 2008 .

ثانيا – قائمة المراجع :

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم : نقد المذاهب المعاصرة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، مصر ، ط1 ،2000.
2. أحمد فؤاد الأهواني : جون ديوي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، دس .
3. براتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغر بية ، ج1، الكتاب الثالث ، ت: محمد فتحي الشنيطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، دط، 1977.
4. داني هويسمان : علم الجمال ، ت: ظافر الحسن ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، دط،2017.
5. علي عبود المحمداوي وآخرون : الفلسفة الغربية المعاصرة ، ج1، منشورات الأختلاف ، الجزائر منشورات ضفاف ، بيروت ، ط1 ،2013.
6. زكرياء إبراهيم : مشكلة الفن ، دار مصر للطباعة ، مصر ، د ط ، د س .
7. توفيق الطويل : أسس الفلسفة ، مكتبة النهضة المصيرة ، القاهرة ، ط3،دس.
8. محمد جديدي : فلسفة الخبرة (جون ديوي نموذجا) ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ط1،دس .
9. محمد علي أبو ريان : فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، دط د س ، ص191.
10. محمد مهران رشوان : مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة دط، 1980.
11. يحيى هويدي : قصة الفلسفة الغربية ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،دط،1993.

ثالثا–قائمة الموسوعات :

1. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الأول ، ت: خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات بيروت ، دط،دس.
2. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج1،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دط،دس.
3. رالف.ن.وين : قاموس جون ديوي للتربية ، ت: محمدعلي العريان ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ،دط،1964.
4. رزنتال يودين وآخرون : الموسوعة الفلسفية ،ت: سمير كرم ،دار الطليعة والنشر ، بيروت ،دط،دس.

رابعا–قائمة المجلات :

1. إيناس مهدي إبراهيم الصفار : أبعاد الفكر البراغماتي في فن الباوهاوس ، مجلة جامعة بابل (العلوم إنسانية) ، المجلد66،العدد2014،5.
2. كريمة محمد بشيوة : أعلام الفن في الفكر الغربي المعاصر ، المجلة الجامعية ،العدد الخامس عشر ، المجلد الثالث ، 2013.
3. منتهى عبد جاسم : فلسفة الفن عند جون ديوي ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، العدد 101.

خامسا–الرسائل الجامعية :

1. بشير خليفي : البراغماتية الجديدة في فلسفة ريتشارد رورتي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة ، جامعة وهران ، الجزائر ،2009–2010 .

موقف ابن خلدون من علم الكلام

الباحثة / مريم فيلالي ـ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة– الجزائر.

الملخص:

علم الكلام علم جليل ظهر أثناء الفتوحات الإسلامية لمواجهة التنوع العقدي والأيديولوجي والرد على الشبهات العالقة بأذهان أصحاب الديانات المراد دعوتهم للإسلام، فظهر المتكلمون منافحين عن عقائد الإسلام ورادين عن الشبه العالقة حول الدين، ومن أبرز هؤلاء المتكلمين العلامة التونسي والمغاربي "عبد الرحمن ابن خلدون". وهنا تكمن إشكالية البحث فهل مواقف ابن خلدون من علم الكلام متناقضة أم أنه تراجع عن آرائه لا غير؟ ومنه ما ماهية علم الكلام عند ابن خلدون؟ وما الأسباب التي جعلته يغير موقفه وآراءه من علم الكلام؟

الكلمات المفتاحية: موقف، ابن خلدون، علم الكلام.

Summary:
During the Islamic conquests, Ilm al-Kalām emerged during the Islamic conquests to confront the ideological and ideological diversity and to respond to the lingering suspicions in the minds of the people of the religions to be invited to Islam. The speakers appeared to be competing for the doctrines of Islam and Radin for their similarity to religion. The most prominent speakers were the Tunisian and Maghreb scholar Abdel Rahman Ibn Khaldoun. And here lies the problem of research. Are Ibn Khaldun's positions on , Ilm al-Kalām contradictory or do he retreat from his views? And what is the science of speech when Ibn Khaldun? What causes it to change its position and views from , Ilm al-Kalām?
key words: Attitude, Ibn Khaldun,Ilm al-Kalām.

مقدمة:

ابن خلدون يعد من علماء المغرب الغربي الذين أثروا الفكر الإسلامي، ويبرز البحث النص الخلدوني المتمثل في تعريف علم الكلام والمسائل المندرجة ضمنه،وقد حصر ابن خلدون علم الكلام على أهل السنّة والجماعة وبالأخص الأشاعرة، ورأى ضرورة الاستناد إلى الأدلة النقليّة والعقليّة في إثبات قضايا الإيمان، وأردت من خلال هذا البحث التأكيد على ازدواجية الموقف الخلدوني من علم الكلام خلال فترة حياته، ولاشك أن لحيثيات العصر الاجتماعية العامة دورا في طبيعة الموقف أو المواقف التي اتخذها فقهاء بلاد المغرب منهم ابن خلدون من علم الكلام وغيره في العصر المريني وبعده حيث تراجع الاهتمام بالعلوم الأخيرة بين منافح ومناهض وبين مؤول ومفوض وبين معترض مجادل ورافض متشدد، فالتشكيك

في شرعية هذه العلوم ومنها علم الكلام قد صاحبها منذ ظهورها على أرض الإسلام غير أن النقاش حول جدوى علم الكلام عاد ليبرز بحدة بعد تراجع الاهتمام بعلوم الفلسفة بين علماء أهل السنة الذين انقسموا إلى مؤيدين ورافضين ومعتمدين لمواقف توفيقية. غير أن هناك تساؤلا يخطر ببالنا إذا كان ابن خلدون ألف كتاب المحصل فظهر فيه متكلما أشعريا ليعود ليقول بمقدمته أن علم الكلام علم عفا عنه الزمن وانقرض بانقراض الشبهات والمتشككين وأن أهل السنة والأشاعرة على وجه الأخص قد كفونا الرد على الشبهات، وعلى الرغم من عدم صحة هذا الفرض وعدم تصويبي له فان الموقف الثاني لابن خلدون يطرح تساؤلا ما هو الموقف الذي ثبت عليه ابن خلدون؟

المبحث الأول: التعريف ابن خلدون وموقف العلماء منه

المطلب الأول: التعريف بابن خلدون

الفرع الأول: المولد والنشأة

- ✓ ذكره ابن الخطيب[1] فقال هو ابن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي من ذرية عثمان أخي كريب المذكور في نبهاء ثوار الأندلس، وينتسب سلفهم إلى وائل بن حجر[2].ولد بتونس برمضان وفيها شب وتعلم فكان أبوه معلمه الأول، ثم اختلف على العديد من العلماء والمشايخ فحفظ عليهم القرآن وجوده بالقراءات السبعة وتلقف عنهم علوم الشرع ودرس علوم اللسان ثم درس المنطق والفلسفة وعلوم الطبيعة والرياضة، يقول ابن الخطيب (قرأ القرآن على المكتب "أبي عبد الله محمد بن سعد ابن برال"[3]، والعربية والفقه والمعقول وسائر الفنون على المقري "أبو العباس أحمد الزواوي إمام المقرئين بالمغرب وابن العربي"، وتأدب بأبيه وأخذ عن المحدث "أبي عبد الله محمد بن جابر الواد ياشي" الذي وصفه ابن خلدون بصاحب الرحلتين، وحضر مجلس القاضي أبي عبد الله ابن عبد السلام الذي اخذ عنه سماعا واجازة الأمهات الست وكتاب الموطأ والسير لابن اسحق وكتاب ابن

---

[1]– **محمد بن عبد الله بن احمد السلماني** :وزير وشاعر السلاطين، قرأ القرآن والعربية على أبي عبد الله بن عبد الولي العواد وأبي القاسم بن جزي، كتب (اللمحة البدرية في الدولة النصرية، السحر والشعر، المحبة، الطاعون،مقام السياسة، حمل الجمهور على سنن المشهور) ، (أبي عبد الله محمد بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مراجعة بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، الجزائر، ط1، سنة 2009م، ج5، ص 642، 688)

[2]–المصدر نفسه، ج4، ص516

[3]– يقول ابن خلدون فيه (أصله من جالية الأندلس من أعمال بلنسية وكان اماما في القراءات) (عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، منشورات دار الكتاب اللبناني، د.ط، سنة 1979م، ص 17)

الصلاح في الحديث[1]، وروى عن الحافظ عبد الله السطي والرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، ولازم العالم الشهير "أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي"[2] فانتفع به[3].

✓ لقبه السلطان الظاهر برقوق من سلاطين المماليك في مصر عند عهده إياه بمنصب قاضي قضاة المالكية بمصر، وفي 751هـ تولى ابن خلدون كتابة "العلامة" للسلطان وكانت أول وظيفة يتولاها بدولة بني حفص[4].

✓ عقب سقوط حكم ابن تافراكين في 754هـ هرب ابن خلدون للجزائر وتزوج، وفي فاس عاود ابن خلدون الدرس والاتصال بالشيوخ والعلماء من المغرب وممن وفد عليها من الأندلس. وثم ارتحل إلى غرناطة في الأندلس 764هـ واتصل بأمير غرناطة محمد بن يوسف بن الأحمر ووزيره الأديب لسان الدين ابن الخطيب الذين تربطهما بابن خلدون صداقة قوية حيث تولى مناصب عديدة وكان في كل مرة عرضة للوشاية والعزل فكان يبتعد عن السياسة لكن ولعه بها يعيده إليها وبموت الوزير ابن الخطيب انقطع ابن خلدون عن السياسة وانغمس بالكتب وبدأ بالترحال ليكمل كتاباته ويتعرف على التاريخ.ويقول ابن الخطيب في 768 عمل ابن خلدون عند الأمير ابي عبد الله بن الأمير أبي حفص ببجاية فولاه الحجابة، ثم ظهر عليه ابن عمه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة ثم اختلف معه بسبب الوشايات فانصرف عنه واستوطن بسكرة بجوار أبي العباس بن مزني[5].

✓ انتقل إلى القاهرة 784هـ وبقي بها عهدا من الزمن فدرس بالأزهر وأشهر مدارسها وتولى مشيخة خانقاه بيبرس الذي كان من أكبر التجمعات الصوفية وتقلد فيها منصب شيخ قضاة المالكية، وفي 789هـ سافر لتأدية فريضة الحج، وسافر الى القدس سنة 802 هـ وكانت آخر رحلاته إلى دمشق والتقى فيه بتيمورلنك سنة 803هـ، يصف ابن خلدون ظروف هذا اللقاء أنه كان بالشام وكانت في حالة هياج واضطراب خوفا من غزوهم من قبل التتار فخرج ليلا فاستقبل بخيمة تيمورلنك وعرف بانه قاضي المالكية

---

[1]–ابن خلدون تولى كرسي الحديث في أيام وجوده في مصر فدرس موطأ الإمام مالك وكتب الصحاح والسنن وبهذا فقد مر على كتب وأبواب التوحيد والقضاء والتعليل وتدل كتاباته أنه نحا في مسائل الأسماء والصفات منحى الأشاعرة (عبد الله عبد الرشيد عبد الله عبد الجليل، ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد، أطروحة دكتوراه بجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، نوقشت بتاريخ 1421/9/28هـ، ص194).

[2]–يصفه ابن خلدون بشيخ العلوم العقلية وأصله من تلمسان(المصدر نفسه، ص21)

[3]–أبي عبد الله محمد ابن الخطيب، المصدر السابق، ج4، ص519

[4]–**الحفصيون** : (1174–1195م) استعادت الدولة الحفصية حيويتها ونشاطها مع حكم كل من أبي العباس أحمد وأبي فارس عبد العزيز ثم أبي عمر يحي، عرفت هذه الفترة الاستقرار وعم الأمن أرجاء الدولة، أصبحت العاصمة تونس مركزا تجاريا (سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، سنة 2009م، ص 188)

[5]– أبي عبد الله محمد ابن الخطيب، المصدر السابق، ج4، ص ص (562–563)

المغرب وكان المترجم للحوار من بطانته الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء المالكية بخوارزم سأل ابن خلون عن الناس وعن حياته وعن المغرب ثم لم يكتف بذلك يقول في ذلك **ابن خلدون** (فقال لا يقنعني هذا وأحب أن تكتب لي بلاد المغرب كلها أقاصيها وأدانيها وجباله وأنهاره وقراه وأمصاره حتى كأني أشاهده، فقلت يحصل ذلك بسعادتك وكتبت له بعد انصرافي من المجلس لما طلب من ذلك و أوعبت الغرض فيه في مختصر وجيز قدر اثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع)[1]

الفرع الثاني: مؤلفاته

1-"لباب المحصل في أصول الدين": في علم الكلام وهو ملخص لمحصل فخر الدين الرازي ، يعرض فيه ابن خلدون مفاهيم كالعلة والمعلول ويتعرض للذات الإلهية، وفي السمعيات يتطرق لمسألة النبوة والمعاد والأحكام)[2]

2-"المقدمة، والعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر":ويسمى كذلك "تاريخ ابن خلدون" يقول **مصطفى الشكعة** (في الخامسة والأربعين من عمره اعتزل الناس وآوى الى أحد قصور بني عريف في قلعة ابن سلامة، بمدينة ندرومة التابعة لولاية تلمسان. وظل بها عاكفا على الكتابة لمدة أربع سنوات أخرج فيها كتابه "العبر" و "المقدمة" المشهورة التي هي في حقيقتها مقدمة للكتاب والتي أثارت كثيرا من الجدل ... ومن عجب أن كتابه "المقدمة" لم يستغرق منه أكثر من خمسة أشهر في النصف الأول من سنة 776هـ)[3].

3-وذكر ابن الخطيب أنه شرح البردة، ولخص العديد من كتب "ابن رشد"، وكتب للسلطان في علم المنطق، وألف في الحساب وشرح الرجز الذي أصدره ابن الخطيب في أصول الفقه[4].

4-"التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا": وهو عبارة عن سيرة ذاتيه عرف فيها بنفسه وأصله ونسبه ومشايخه والرسائل التي كاتب فيها السلاطين وأصدقائه من البلاط وذكر خطبه ودروسه وأسفاره العلمية والسياسية وحتى الدينية لإقامة منسك الحج وذكر فيه ابن خلدون لقاءه بتيمورلنك والعهد لكتابة تاريخ وجغرافية المغرب العربي وهو ما سماه المقدمة وديوان المبتدأ والخبر، والكتاب يقع في 432 من الصفحات[5].

---

[1]-عبد الرحمان بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص ص(407-412)

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق عباس محمد حسن سليمان، راجعه محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، منشورات مركز التراث القومي والمخطوطات، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، سنة 1996م،

[3]- مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، سنة 1993م، ص22

[4]- أبي عبد الله محمد ابن الخطيب، المصدر السابق، ص539

[5]- عبد الرحمان بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ص ص(431-432)

5-"شرح قصيدة ابن عبدون": وشرح قصيدة البردى، وكتاب "طبيعة العمران"[1]

6-"شفاء السائل وتهذيب المسائل": في التصوف يوضح لنا فيه ابن خلدون الأسباب والدوافع التي حملته على تأليف هذا الكتاب والذي ألفه في مرحلة متأخرة من عمره يقول عن سبب تدوينه (أما بعد فقد وقفني بعض الإخوان وصل من عدوة الأندلس وطن الرباط والجهاد ومأوى الصالحين والزهاد...طالبا كشف الغطاء في طريق الصوفية أهل التحقق في التوحيد الذوقي والمعرفة الوجدانية هل يصح سلوكه والوصول به إلى المعرفة الذوقية ورفع الحجاب...والكلام في هذه المسألة يستدعي تحقيق طرق الصوفية وتمييزها)[2]، والكتاب يدل على ثقافة ابن خلدون واحاطته بما كتب في مجال علم التصوف سواء في عصره أو قبله.

الفرع الثالث: موقف الباحثين والعلماء من علاقة ابن خلدون بعلم الكلام وعصره والمنطق

1-تعدد الآراء حول أصالة وجدة الإنتاج المتعلق بعلم الكلام الخلدوني: ومن ذلك

أ-رأى فيه بعض المعاصرين "كلويس جارديه وجورج قنواتي وأبو العلا العفيفي" :متكلما أصيلا ضليعا بعلم الكلام .

ب-رأى "عمر فروخ": ابن خلدون أشعري المذهب، أما"محجوب ميلاد": فقد رأى فيه أشعريا في الأصول وينتحل طريقة المتأخرين، أما "عبد الله عنان" فاعتبر أن اهتمام ابن خلدون بعلم الكلام كان مبكرا فكتب (لباب المحصل)وهو ملخص كتاب (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين) للفخر الرازي، ولابن خلدون رؤية إيمانية تتصف بمجمل الخصائص العامة لرؤية العالم الدينية الإسلامية[3].

ج-في حين رأى "كلود هورو" عدم استمرار ابن خلدون في فتوحاته التاريخية العقلانية والوضعية للعمران البشري ويرجع ذلك إلى أنه ظل متأثرا بالأيديولوجيا الدينية الأشعرية التي كانت سائدة في عصره[4]

2-"مصطفى الشكعة ":يرى أن هناك جانبين من شخصية ابن خلدون جذبا أنظار القدماء والمحدثين من الباحثين (أما الجانب الأول فهو الجانب الفكري والثقافي، وأما الجانب الثاني فهو الجانب السياسي)، ففي الجانب الثقافي بالإضافة لتحصيله العديد من العلوم فان ما ميزه بتحصيله هو دراسة المنطق والفلسفة في

---

[1]-نوري الجراح، رحلة ابن خلدون 1352-1401م، تعليق محمد بن تاويت الطنجي، منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 2004م، ص4

[2]-عبد الرحمن ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، سنة 1996م، ص ص(32-34)

[3]-إسماعيل سراج الدين، ابن خلدون انجاز فكري متجدد، اعداد محمد الجوهري ومحسن يوسف، مكتبة الإسكندرية، مصر، ط1، سنة 2008م، ص144

[4]-أحمد ادريس عبد الله، موقف ابن خلدون من علم الكلام، مقالة بموقع اسراء، بتاريخ ; الثلاثاء 23 نوفمبر 2010م، على الساعة 16 :11 زوالا على الرابط التالي: http://esraa-2009.ahlamountada.com/t4823-topic

حين لم يحفل العديد من العلماء في عصره بدراسة هذين العلمين بل حرمت دراستهما، أما في الجانب السياسي فقد اجتذبت شخصية ابن خلدون أنظار السلاطين فعينه سلطان تونس بمنصب "كاتب العلامة"، ثم عينه السلطان أبي عنان المريني عضوا بمجلسه، وعينه أبو سالم المريني بمنصب كاتب السر والإنشاء ثم المظالم، وحين ذهب ابن خلدون لغرناطة أرسله السلطان محمد بن الأحمر سفيرا إلى أمير قشتالة ليبرم الصلح بينهما، وقلد الحجابة ببجاية وهي أعلى منصب بالدولة، وبمصر عين قاضي القضاة على المذهب المالكي،واصطحبه معه السلطان الناصر فرج الذي برحلته لدمشق لملاقاة تيمورلنك الطاغية المغولي فحصل بينهما ود وكلفه بكتابة تاريخ وجغرافية شمال افريقيا[1].

3-"علي الوردي": يرى أن ابن خلدون تجاوز الفلاسفة الإسلاميين في التفكير المنطقي الأرسطي ليبدع منطقا لا يتسم بالصورية بل يتعداه للواقعية يقول في ذلك (اعترف ابن خلدون بأن المنطق القديم له فائدة للمفكر إذ هو يجعله بارعا في ترتيب الأدلة والحجج ولكن ابن خلدون يعود فيقول بأن المنطق القديم لا يطابق الحياة الواقعية وأن الواجب يقضي على من يريد فهم الحياة الواقعية أن ينظر فيها حسب منطق آخر.إن الإبداع العظيم الذي جاء به ابن خلدون أنه استطاع أن يتحرر من المنطق القديم وأن يتخذ لنفسه منطقا جديدا)[2].

المطلب الثاني: علم الكلام في عصر ابن خلدون وماهيته مواقفه منه

الفرع الأول:علم الكلام في عصر ابن خلدون

عرف علم الكلام في عصر ابن خلدون مستويات ثلاث تتمثل في:

1-اختلفت الآراء حول علم الكلام مع ابن خلدون فيراه البعض أنه معه عرف قمته ، ويرى آخرون في المقابل أنه معه عرف انتكاسة. وعصره شهد متكلمين كثر يفوقون ابن خلدون انتاجا وعناية بهذا العلم.

2-تراجع الجدال الكلامي الرفيع في بلاد المغرب في هاته الفترة وانحصاره داخل المذهب السني ويرجع تراجع الأشاعرة المتأخرين وطرائقهم نتيجة اقتضاءات ظروف عصرهم وصعود خصوم سنيين أقوياء يرفضون النظر الكلامي أصلا ومضمونا وطريقة وهم يمثلون التوجه التقليدي ويمكن أن نضيف إلى ذلك وضعية العصر الاجتماعية العامة التي وان عرفت نوعا من الاستقرار على عهد بعض الأمراء الحفصيين والمرينيين الذين شجعوا العلم وأهله وشيدوا المدارس إلا أنه وبعد منتصف القرن الثامن كثرت الأوبئة

---

[1]- مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص ص(21-25)

[2]-علي الوردي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، دار كوفان للنشر، لندن، توزيع دار الكنوز الأدبية، لبنان، ط2، سنة 1994م، ص13

وتقلص انتشار التعليم فالطاعون الجارف إضافة إلى غرق الأسطول البحري المغربي في التاريخ نفسه فمات علماء عديدون وضاعت المؤلفات.

3- موقف يجتمع فيه (الرفض والدفاع عن علم الكلام فيتبنى الكلام ممارسة ويرفضه مبدأ. ويجمع بين طريقتي (التأويل، الوقف) معا تبعا لطبيعة القضايا الثيولوجية المثارة)[1].

الفرع الثاني: تعريف علم الكلام عند ابن خلدون

يعرف"**ابن خلدون**"علم الكلام بقوله : (هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد...اعلم أن الحوادث في عالم الكائنات لابد لها من أسباب متقدمة عليها وكل واحد من تلك الأسباب حادث أيضاً، ولا تزال تلك الأسباب مرتقية حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب وموجدها وخالقها، لا إله إلا هو سبحانه..وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر إلى الأسباب والوقوف معها، فإنه واد يهيم فيه الفكر ولا يخلو منه بطائل، ولا يظفر بحقيقة (قل الله،ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)[2].

✓ نلاحظ في تعريف ابن خلدون لعلم الكلام هناك وجهتا نظر متناقضتان وهما:

وجهة النظر الأولى: ايجابية ترى أن تعريفه لعلم الكلام يجيب على تساؤلات عقدية مصيرية وممن يرى بذلك: "**صالح نعمان**" و"**حامد طاهر**"، أما "**صالح نعمان**" فيرى أن تعريف ابن خلدون لعلم الكلام عرف غائي أساسا، بناءا على التصور الدفاعي للكلام واعتباره وسيلة، وتتضح ماهية هذا العلم عن طريق بيان غايته وهدفه إذ هو يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات وهما غايتان دفاعيتان لعلم الكلام مع ذكر موضوع علم الكلام ألا وهو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع، وهذه علامة تميز وامتياز عنده عن كثير من المتكلمين والمشتغلين بعلم الكلام الذين عرفوه إما بالغاية أو بالموضوع فقط[3]، أما"**حامد طاهر**"فيرى أن ابن خلدون حدد محتوى علم الكلام بأنه: العلم الذي يتضمن...الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة، فابن خلدون منذ البداية يصدر في تصوره لعلم الكلام عن مذهب السلف وأهل السنة، وبالتالي فإنه يضع في

---

[1]- سعيد البوسكلاوي، موقف ابن خلدون من علم الكلام، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية للدراسات والأبحاث، 12نوفمبر 2016م، ص ص(6-7)

[2]-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، مكتبة دار المدينة للنشر والتوزيع، الدار التونسية للنشر، ط1، سنة 1984، ج2، ص 557

[3]-صالح نعمان، الهندسة المعرفية لعلم الكلام عند ابن خلدون وأبعادها الواقعية، مجلة المعيار التابعة لجامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، العدد 20، سنة 2008م، ص 92

الجهة المقابلة: مذاهب المتكلمين الأخرى، التي تخالف هذا المذهب. ولأنه يرى أن جوهر العقائد الإيمانية أو "سرها" على حد تعبيره هو (التوحيد) ، فقد أفرد لهذا الموضوع الهام جزءا خاصا، حاول فيه أن يقدم برهانا عقليا يكشف فيه عن التوحيد من أقرب الطرق والمآخذ، ويقوم دليل التوحيد عند ابن خلدون على أن (الحوادث) في عالم الكائنات لابد لها من أسباب متقدمة عليها، تقع بها في العادة المستقرة وعنها تتكوّن. وكل واحد من هذه الأسباب حادث أيضا، ولابد له من أسباب أخرى، ولا تزال تلك الأسباب مرتقية حتى تنتهي إلى مسبِّب الأسباب وموجدها وخالقها : سبحانه لا إله إلا هو، والسؤال هنا : لماذا تنتهي هذه الأسباب عند الله تعالى ، ولا تستمر إلى ما لا نهاية ؟ وعن هذا السؤال الافتراضي يجيب ابن خلدون بأن تلك الأسباب في ارتقائها "تتفسح وتتضاعف طولاً وعرضًا ، ويحار العقل الإنساني في إدراكها ، فإذن لا يحصرها إلا العلم المحيط وهو علم الله تعالى. "وإذا اقتصرنا فقط على الأفعال البشرية والحيوانية ، وجدناها تصدر عن إرادة وقصد ، وهذه الإرادات والقصود أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات عقلية سابقة يتلو بعضها بعضا، وتلك التصورات هي أسباب قصد العقل. بل إن تلك التصورات قد تكون مسببات لتصورات أخرى. وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه، إذ لا يطلع أحد على مبادئ الأمور النفسانية ولا على ترتيبها، وبالتالي فإن الإنسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها، وكل ما يحيط به في الغالب إنما هي الأسباب ذات الطبيعة الظاهرة. وإذن فإن المحيط بهذه التصورات المتسلسلة، والناتج بعضها عن بعض هو من علمه محيط بكل شيء وهو الله تعالى. من هنا يمكن أن ندرك حكمة الشرع حين نهانا عن النظر إلى الأسباب والوقوف معها. فإنه واد يهيم فيه الفكر ولا يرجع بطائل ولا يظفر بحقيقة ، بل ربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء إلى ما فوقه فزلت قدمه[1]، ولذلك يقول عزوجل (قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)[2]

وجهة النظر الثانية: سلبية ترى أن ابن خلدون غير موضوعي وغير أمين في تعريفه بل مجحف ومتعصب لمذهبه وممن يرى بذلك:"أحمد صبحي منصور" و "لبيوض مسعود" و "محمد زاهد جول" و"ساعد الخميسي"، فيرى "**أحمد صبحي منصور** أن :(**علم الكلام**) **اشتهر به المعتزلة وارتبط بهم أكثر من غيرهم إلا إن ابن خلدون يرى أنه علم الدفاع عن العقائد الإيمانية السنية السلفية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعين المنحرفين عن عقائد السلف وأهل السنة. ويجعل ابن خلدون من التوحيد السلفي**

[1]–حامد طاهر، موقف ابن خلدون من علم الكلام، مقالة بصفحة :أ.د حامد طاهر، نشرت بتاريخ : 28 ديسمبر 2010م، بتوقيت 34 : 19، على الرابط التالي http://www.hamedtaher.com/index.php?option=com_content&view=article&id=161:2010-12-28-17-35-24&catid=154:2010-12-28-17-34-21

[2]– الأنعام: 91

سر العقائد الإسلامية[1]. ويرى"**لبيوض مسعود**"أن : من الظاهر أ ّن تعريف ابن خلدن لعلم الكلام يؤكد، على الطبيعة الدفاعية والنضالية لعلم الكلام، ولكنه يتضّمن إشارات هامة للتصّور الخلدوني حول العلم؛ فهو يشير إلى أن نشأة العلم راجعة إلى رغبة أصحابه في منح الحصانة اللازمة للسنة النبوية ضد الانحرافات، ونقل المعرفة الدينية إلى مستوى عال من الوثاقة والمتانة، ولهذا نجده يقصي كل الآراء الاعتقادية السابقة للمذهب الأشعري فعلم الكلام في نظر ابن خلدون منحصرا في فرقة الأشاعرة، مادامت الاعتقادات التي سبقت أبا الحسن الأشعري، وهو "إمام المتكلمين" كما يسميه، ليست سوى بدع وعقائد منحرفة بعيدة عن السنّة.[2]ويرى"**محمد زاهد جول** أن :ابن خلدون يتابع الأشاعرة، والغزالي على وجه الخصوص، بأن علم الكلام خاص بأهل السنة، ولا يخفى ما في هذا القول من التحيز والتعصب والقصور، فمن المعروف أن علم الكلام نشأ على أيدي المعتزلة قبل ظهور الأشاعرة والماتريدية بزمن طويل، وبلغ درجة من النضج والاكتمال متوسلين بالمنطق والفلسفة، من أجل توضيح العقيدة والدفاع عنها من شبه الثنوية والملحدين، إن التعريف الخلدوني لعلم الكلام يظهر تحيزًا وتعصبًا واضحًا لعلم الكلام في مرحلته الثانية "فالحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقليّة" ينطبق فعلًا على المرحلة الأولى من تطور علم الكلام الذي بلوره المعتزلة.أما "الرد على المبتدعة المنحرفين عن مذاهب السلف وأهل السنة" فهو تعريف ينطبق على علم الكلام الأشعريّ، ويكشف عن قصور وتعصب واضح ضد المعتزلة، ويبدو أن ابن خلدون كان أسيرًا للرؤية الأشعريّة التي تبلورت على يدي الباقلاني، والجويني، والغزالي، والرازي، التي انطبعت في سياق الصراع والتنافس مع المعتزلة ولم يلتفت إلى التطور الذي لحق بالمذهب بعد أن خف الجدال مع المعتزلة[3]. أما "**ساعد الخميسي**" فيرى أن ابن خلدون أخذ بتعريف الغزالي لعلم الكلام حتى كاد أن يكون بنفس العبارات، حيث جاء في تعريف الغزالي لعلم الكلام قوله: (حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة). ولم يكتف ابن خلدون من تضييق دائرة علم الكلام من حيث الموضوع والمنهج، بل ذهب إلى أنه علم ما كان ليكون بين المسلمين، لاعتماده وسيلة عاجزة على معرفة عقيدة التوحيد معرفة تامة، فهو غير ضروري، ومن الأفضل التخلي عنه باعتماد النص أو الكشف، لأن الكشف هو علم بالنص وممارسته سلوكا، أو هو أعلى درجات المسلم الذي أسلم وآمن وبلغ

---

[1]–أحمد صبحي منصور، عرض مقدمة ابن خلدون: ب6:(ف10)علم الكلام، مقالة نشرت بموقع أهل القرآن، بتاريخ الإثنين 14 سبتمبر 2015م، على الرابط التالي http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=13770

[2]–مسعود لبيوض، ابن خلدون وعلم الكلام المعاصر، مجلة دراسات فلسفية، العدد 12 بتاريخ 2016م، الجزائر، ص 148

[3]–محمد زاهد جول، علم الكلام الخلدوني، مقالة بموقع الملتقى الفكري للابداع، نشرت بتاريخ 04.03.2010 ، على الرابط التالي http://almultaka.org/site.php?id=825

مقام الإحسان. ويبدو هذا الرفض واضحا من خلال النقد المباشر لاستعمال العقل لبلوغ التوحيد باعتماد مبدأ العلية الأرسطي.ولكن هذا لا يعني أن ابن خلدون يرفض العقل مطلقا فهو فيلسوف التاريخ الذي قوم فعل التأريخ بإخضاعه لمعيار العقل، فالعقل معيار صحيح لا يخطئ في نظر ابن خلدون ولكن فيما هو ميسر له، وهنا يبدو وبوضوح المنحى الأشعري الغزالي لفكر ابن خلدون عند الحديث عن حد للعقول تقف عنده، قبل ذلك عند الحديث عن الربط بين الحوادث والأسباب بمقتضى العادة لا بمقتضى الوجوب و التلازم، أو كما يعرف بقانون العلية وحتميته، لم يكتف ابن خلدون بجعل علم الكلام علما حادثا لأجل الدفاع عن عقيدة السلف ضد المبتدعة، بل جعله بمثابة المهمة المنتهية، لأن الدفاع عن العقيدة تم التكفل به من علماء أشاعرة وهو فيما يبدو يعكس واقعا زال فيه التحدي العقدي لضعف المسلمين عامة؛ لأن التاريخ يثبت أن عصر ابن خلدون هو عصر الاختلافات و كثرة البدع والفتن التي تحتاج إلى علماء يدافعون عن العقيدة بصفائها الأول، وهو الواقع نفسه الذي ربما يبرر وجود علماء متشددين في ضرورة التمسك بالنص و بظاهره[1]

الفرع الثالث: مواضيع علم الكلام عند ابن خلدون

التوحيد ومسائل الإيمان هي مواضيع علم الكلام يقول ابن خلدون: (اعلم أن الشارع وصف لنا هذا الإيمان الذي هو تصديق، وعين أمورًا مخصوصة كلفنا التصديق بها بقلوبنا، واعتقادها في أنفسنا معا لإقرار بها بألسنتنا، وهي العقائد التي تقررت في الدين، قال صلى الله عليه وسلم،حين سئل عن الإيمان فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" وهذه هي العقائد الإيمانية المقررة في علم الكلام)[2]

المبحث الثاني: مواقف ابن خلدون من علم الكلام وتقييمها

المطلبالأول: مواقف ابن خلدون من علم الكلام

الفرع الأول: موقف إيجابي من علم الكلام يتمثل في فك اشكال المتشابه

يدافع ابن خلدون عن الموقف الأشعري في العقيدة بقوة ويرد دعاوي الخصوم ومن ذلك ينافح عن علم الكلام ومنهجه ضد الرافضين للتأويل، ويظهر ذلك في عرضه مسألة الأسماء والصفات بين المعتزلة والأشاعرة والسلف، لينتهي في الأخير لانتخاب وسطية الأشاعرة كالتالي:

---

[1]– ساعد خميسي، موقف ابن خلدون من علمي الكلام والتصوف، كقالة نشرت بتاريخ 27 مايو 2011م، بتوقيت 43: 11، https://web.facebook.com/notes/sociology-and-anthropology//156336524432933

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، ج2، ص562

1-القرآن فيه المحكم الواضح الظاهر الدلالة والمتشابه مجهول الدلالة فيوهم التشبيه في الذات أو الصفات

2-السلف[1] غلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل فوقعوا في التشبيه في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهر النصوص، فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق

3-لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر الأنحاء وألف المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في آي أسلوب، فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والإرادة والحياة زائدة على أحكامها، لما يلزم ذلك من تعدد القديم بزعمهم، وهو مردود بأن الصفات ليست عين الذات ولا غيرها، وقضوا بنفي صفة الإرادة فلزمهم نفي القدر لأن معناه سبق الإرادة للكائنات وقضوا بنفي السمع والبصر لكونهما من عوارض الأجسام وهو مردود لعدم اشتراط البنية في مدلول هذا اللفظ، وإنما هو إدراك للمسموع أو المبصر وقضوا بنفي الكلام لشبه ما في السمع والبصر، ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بأن القرآن مخلوق، وذلك بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة

4-ظهور أهل السنة المتمثلين في الأشاعرة للرد على البدع فقام الشيخ أبو الحسن الأشعري[2] إمام المتكلمين، فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه، فأثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام[3] القائم بالنفس بطريق العقل والنقل ورد على المبتدعة في ذلك كله، وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري، فتصدر القاضي أبوبكر الباقلاني للإمامة في طريقتهم، وهذبها ووضع المقدمات العقلية التي

---

[1]- عندما تطرّق ابن خلدون لعلم الكلام ، لم يذكر الحنابلة أصلا ؛ رغم أنهم قد صنفوا كتبا كثيرة في أصول الدين و علم الكلام ، منها : المعتمد في أصول الدين، و كتاب تحريم النظر في كتب علم الكلام (خالد كبير علال، الحنابلة في مقدمة عبد الرحمن بن خلدون، مقالة بموقع صيد الفوائد، على الرابط التالي https://saaid.net/bahoth/82.htm)

[2]-أبو الحسن الأشعري البصري(260-324هـ) شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وامام المتكلمين، أخد عن أبي علي الجبائي وتبعه في الإعتزال أقام عليه أربعين سنة، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فأخبره بنصرة المذاهب المروية عنه، قال فيه العلماء صاحب فراسة ونظر بنور الله وكان سيدا في التصوف واعتبار القلوب وفي علم الكلام وأصناف العلوم، كان شافعيا تفقه على أبي إسحاق المروزي (تاج الدين أبي نصر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، ط1، سنة1914م، ج3، ص ص(347-352))

[3]- يذكر ابن خلدون الخلاف الذي حدث بين السلف والأشعرية في مسألة السمع والبصر والكلام وغيرها، يرى أن المتكلمين يثبتون صفة الكلام، وأما السمع والبصر فانه يسلك في طريقة اثباتها لله تعالى على منهج الأشاعرة أي يثبت الأسماء والصفات العقلية السبعة، وفي الصفات الخبرية كذلك يدافع عن المذهب الأشعري مع الاعتراف بأنه مخالف للسلف في التفويض ويثبت المجاز فيها ويلوم أتباع السلف على اثباتهم جميع الأسماء والصفات ورفضه لمقولة الامام مالك "الاستواء معلوم" (عبد الله عبد الرشيد عبد الله عبد الجليل، مرجع سابق، ص ص(197-201))

تتوقف عليها الأدلة، والأنظار وجعل هذه القواعد تبعًا للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول)[1]

الفرع الثاني: موقف سلبي يتمثل في أهم أسبابه ومؤاخذاته على علم الكلام

وحصرت هذا الموقف في ثلاثة مسائل هي عبارة عن حصر آرائه ومواقفه من: (العقل، الفلسفة، علم الكلام)[2]

1- مواقفه من العقل: متضاربة بين الدفاع عنه ورفض أدواته، وأراه أبدع في الموقفين بطريقة احترافية فمن موقفه من العقل يسوق علة التوحيد وفيصل التفرقة بين الاعتقاد وبين الشريعة ومن ذلك قوله : (ولا تثقن بما يزعم لك الفكر مني أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله، وسفه رأيه في ذلك...فاتهم إدراكك ومدركاتك في الحصر واتبع ما أمرك الشارع به في اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك،لأنه منظور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أن كلا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة[3]، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك .على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته...فيضل العقل في بيداء الأوهام ويحار وينقطع)[4]

2-موقفه من الفلسفة والمنطق : موقفه من الفلسفة[5] والمنطق[6]يتمثل في تطرقه لعدة قضايا يظهر بها التحولات الواقعة لعلم الكلام، وكان للمنطق والفلسفة[1] الدور البارز في بلورة علم الكلام وتطويره ومن ذلك

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، ج2، ص ص(563-565)

[2]-ونجد أن مسائل علم الكلام، خصوصاً مع المعتزلة، اختلطت بمسائل الفلسفة في العالم الإسلامي وابن خلدون في تصنيفه للعلوم أدرج علم الكلام كعلم مستقل عن علم الإلهيات وباقي العلوم التي تدرس داخل الفلسفة كالمنطق والطبيعيات، فميز بالتّالي الكلام عن العلوم الفلسفيّة. (محفوظ أبي يعلا، فلسفة الدين وعلم الكلام واللاهوت، مجلة الجديد، العدد: 11، نُشر في 2015/12/01، ص30)

[3]-وظّف ابن خلدون مفهوم الفطرة في مجالات شملت العقيدة وعلم الكلام، حيث نجده يرتب عليها الخصوصيّة التي تمكّن النبيّ من الاتصال بالعوالم العلويّة واستقبال الوحي (سعاد دوفاني، الإنسان والقيم عند ابن خلدون، مقالة منشورة بأكاديمية النور للدراسات الحضارية والفكرية، في الرابط التالي http://iikv.org/ar/nurmajalla/article.php?cid=1&c=12&id=387)

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، ج2، ص ص(558-560)

[5]-ابن خلدون يوافق الغزالي في أن الفلاسفة شذوا عن الدين، وقد نقد ابن خلدون المنطق الذي سار عليه الفلاسفة فيراه لا يفيد إلا في ترتيب الأدلة، أما فيما عدا ذلك فاستخدام المنطق يؤدي إلى نتائج مغلوطة في الأمور الإلهية وفي السياسية (علي الوردي، مرجع سابق، ص 193-195)

[6]-**المنطق** هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات، وهذا السعي منا لفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد، فاقتضى ذلك تمييز الطريق الذي يسعى بها لفكر في تحصيل المطالب العلمية، ليتميز فيها الصحيح من الفاسد (عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، ج2، ص ص(613-614))

أ–انتشر علم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون ومعيار للأدلة فقط، يسبر به الأدلة، مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والإلهيات، هذه الطريقة تسمى طريقة المتقدمين.

ب–طريقة المتأخرين أدخل الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الإيمانية، وجعلوهم من خصوم العقائد، وتوغل المتأخرون في مخالطة كتب الفلسفة[2]والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيهما واحدًا، من اشتباه المسائل فيهما وهو نوع واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته، استدلالهم غالبًا فالجسم الطبيعي الذي ينظر فيه الفيلسوف[3] في الطبيعيات، فهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن، والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل، وكذا نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته، ونظر المتكلم في الوجود من حيث إنه يدل على الموجود، وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية، فترفع البدع وتزال الشكوك والشبه عن تلك العقائد، وعلى الجملة، فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا [4].وأما الآن، فلم يبق منها إلا كلام تنزه البارئ عنه لكن فائدته أنه لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها)[5]

موقفه من علم الكلام والاشتغال به جملة : لا ينكر ابن خلدون أهمية علم الكلام في الحجاج والدفاع عن عقائد الإسلاميين، لكنه رفض دمج مباحث اجتماعية سياسية كالإمامة بالعقائد، كذلك ينتقد طرح

---

[1]–ومعلوم أن ابن خلدون انتمى لعصر اتسم ببروز موقف متشدد من الفلسفة بوجه عام ومن الفلسفة الرشدية بوجه خاص، وحري به أن لا يضع نفسه موضع اتهام لم يبرأ منه، حتى وهو يشغل وظيفة الفقيه المالكي الأول (غسان اسماعيل عبد الخالق الفطافطة، موقف ابن خلدون من علم الكلام والفلسفة، مجلة تاريخ العلوم التابعة لجامعة فيلادلفيا، العدد 10، بتاريخ ديسمبر 2017م، ص8)

[2]– السلف لم يشتغلوا بعلم الكلام، بل بالغوا في ذمّه وتحريمه، **وعلم المنطق** : استخدامه في الإلهيات والنبوات وإثبات العقائد أدى لانحرافات عن الدين **وأما علم الكلام** : فنشأ للرد على كلام أهل الإلحاد في معارضة العقائد السلفية بالبدع النظرية، ولكن المتكلمين وقعوا في نفس الآفة التي وقع فيها الفلاسفة، فاعتبروا القياس المنطقي قطعيات عقلية ردوا بها نصوص الشرع. (موقف السلف من علم الكلام، مقالة الكترونية مركز سلف للبحوث، تحت اشراف محمد بن إبراهيم السعيدي، على الرابط التالي(https://salafcenter.org/2456/)

[3]–خلاصة رأي ابن خلدون في الفلسفة أنها ليس فيها سوى ثمرة واحدة هي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة، وهو ينصح الناظر في الفلسفة أن يكون متحرزا جهده من معاطبها فلا ينظر فيها إلا بعد الإمتلاء من العلوم الشرعية، ومرد ذلك أن ابن خلدون كان يخشى أن يتهمه الناس بأنه فيلسوف، وهذه تهمة كان لها عواقب وخيمة في أيامه (علي الوردي، مرجع سابق، ص199)

[4]–ابن خلدون مضطرب في آرائه فقد شنع على المحدثين وفي نفس الوقت اتبع طريقتهم في كثير من مسائل العقيدة، فيتبع المتكلمين في اثبات الصفات السبع على حقيقتها واطلاق المجاز على بقية الصفات الأخرى فيأخذ بتأويلات عقلية بعيدة عن منهج السلف، لكن لما ضد المشبهة وافق السلف وأهل السنة في انكارهم القول بأن الله جسم، ثم يعود ليقول مقولة غامضة هي أن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حدا وأنهم لا يحدون شيئا من صفاته (عبد الله عبد الرشيد عبد الله عبد الجليل، مرجع سابق، ص ص(218–220))

[5]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، ج2، ص ص(565–567)

المتأخرين من علماء الكلام العقائد بمنهج ومباحث الفلسفة، وهذا ما يوضح إصراره على انتهاء فعالية هذا العلم والحكم عليه بالانتهاء يقول في ذلك (وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية بعد فروضها صحيحة من الشرع، من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية، فترفع البدع وتزال الشكوك والشبه عن تلك العقائد. وإذا تأملت حال الفن في حدوثه، وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرًا بعد صدر، ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين، والتبست مسائل الكلام، بمسائل الفلسفة، بحيث لا يتميز أحد الفنين عن الآخر وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا .وأما الآن، فلم يبق منها إلا كلام تنزه البارئ عن الكثير من إيهاماته وإطلاقاته)[1].يقول في هذا الشأن عبد الله: (ابن خلدون في هذا الشأن لا يحبذ النظر في هذه الأسباب لأنها طويلة يحار العقل في إدراك المسبب لها ولا توصل إلى المقصود والمراد...فهو ينتقد هذا المسلك وسبب نقده مبني على أمور منها أن وجه تأثير هذه الأسباب في الكثير من مسبباتها مجهول وأن حقيقة التأثير وكيفيته في أكثر الأحيان مجهولة في مسبباتها، ولهذا يذهب ابن خلدون إلى إثبات توحيد ربوبية الله عن طريق فطرة الإنسان التي تعرف الخالق والمعبود الذي هو مسبب الأسباب مباشرة وفاعلها وموجدها لترسخ صفة التوحيد في النفس)[2]

المطلب الثاني: موقف ابن خلدون من علم الكلام في كتابه لباب المحصل

أردت أن أفرد لهذا عنوانا مستقلا لأن محقق[3] هذا الكتاب بدوره استغرب الفيصل بين هذا الكتاب والمقدمة، وتنقسم هذه الرسالة الملخصة إلى مقدمة وأربعة أركان كالتالي :

1-في المقدمة يبين ابن خلدون السبب الذي دفعه إلى القيام بهذا التلخيص

2-جاء الركن الأول في البديهيات هي حقائق تدرك في ذاتها من حيث هي دون أي اعتبار أو تصور، ثم يحاول معالجة موضوع التصورات فيرى أنها غير مكتسبة وذلك لأمرين: (أولهما، أن المطلوب إن كان مشهورا به طلب حصوله، وثانيهما، أن تعريف الماهية لا يكون بذاتها) [4]. ثم شرع في توضيح ذلك فيقول (ومعنى هذا أن ابن خلدون يرد على القائلين بالمثل من الفلاسفة حينما يقولن إن المثال هو ماهية

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، ج2، ص ص(566-567)

[2]- عبد الله عبد الرشيد عبد الله عبد الجليل، مرجع سابق،ص ص(168-169)

[3]-يقول المحقق(يلاحظ أسلوب ابن خلدون في ملخصه المسمى "لباب المحصل" يختلف إلى حد كبير عن أسلوبه السهل في مقال "المقدمة" الأمر الذي جعلنا نشكك في نسبة هذا الملخص إليه...(ولهذا نرجح كثيرا ما يلي إما أن هذه الرسالة مشكوك في أمر نسبتها إلى ابن خلدون أو أن ابن خلدون قد استمع إلى ملخصها من شيخه الأبلي) (عبد الرحمن بن خلدون، لباب المحصل في أصول الدين، ص 18-34)

[4]-المرجع نفسه، ص18

الإنسان بالذات أي المنطق، ويرى ابن خلدون استحالة ذلك لجواز اختلاف الأفراد بلوازم مختلفة فينظر إلى الماهية على أنها تحمل كثرة هذه اللوازم ..وهو هنا يعيد إلى الأذهان ما سبق ذكره في المقدمة من حيث أن الإلهام هو طريقنا إلى إدراك هده التصورات وكيف أن هذه التصورات هي أجزاء للتصديق، ومعالجة التصديق هنا هي معالجة منطقية فلسفية لم يتعرض لها ابن خلدون في مقدمته، ويستطرد ابن خلدون في ملخصه فيذكر أن البسيط لا يعرف إذ المركب وحده هو الذي يمكن تعريفه تعريفا حديا أي التعريف بالحد بينما يجب أن نحترز في نظره عند التعريف بالرسم أو بالأخفى أو العين وهو يقدم الأعم لأنه أعرف ولأن هذا الأعم أي التعريف أو الحكم كما نقول هو ما يسميه بالتصديق والتصديقات غير بديهية بينما البساط بديهية، ويستطرد ابن خلدون في الرد على الطوسي الذي يرى بقاء ما ليس بباق مثل الصفات الثانوية للأشياء، وهنا نجد ابن خلدون يختلف في موقفه هذا عن موقف الأشاعرة الذين يرفضون فكرة بقاء الجوهر في الزمان وأن الوجود الحقيقي هو للذوات وللآنات الزمانية التي يخلقها الله لمناسبة الفعل الأمر الذي يدل عن أن بعض محتويات هذه الرسالة ليست أشعرية و أما قوله بأن الحس لا يستحضر زمانين فهذا موقف أشعري صحيح، وكذلك قوله بأننا لا ندرك الكل في كليته بل ندرك الأجزاء أي الذرات في آنات منفصلة لا يربط بينها سوى الفعل الإلهي، ويذكر ابن خلدون أن البسائط هي من المحسوسات ومن فقد حسا فقد العلم المقابل له وحينما أراد أن يعطي أمثلة على البسائط أورد بعض البديهيات كأمثلة عليها أي على البسائط وهي أربعة أمثلة تتضمن (أن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان، وأن الكل أعظم من الجزء[1]، والأشياء المساوية لشيء واحد متساوية. والجسم الواحد في الزمان الواحد لا يكون في مكانين)،لينتقل بعد هذا إلى مناقشة حقيقة الإدراك الذي هو لباب المعرفة ويضع أدلته في صورة مسائل وأولى مسائل الإدراك التي يتناولها ابن خلدون هي أن الإدراك إنما يقوم على مقدمات يقينية تفضي بنا إلى نتائج أو قضايا أخرى قائلا إن هذا هو أيضا مفهوم الإستدلال وبهذا يؤكد ابن خلدون أن الإدراك العقلي صادق في العلم وفي الإلهيات على خلاف ما يراه الحسيون، أما معرفة الله بغير معلم فابن خلدون يشجبها تماما اتفاقا مع ظاهر الشريعة الإسلامية التي تقر بالوحي والنبوة ونراه في هذه المسألة يميز بين قول المعتزلة بمعرفة الله فقط وقول بعض المعتزلة والأشاعرة بضرورة الوحي)[2]

---

[1]– ويناقش ابن خلدون الفكرة القائلة بأن الكل أعظم من الجزء كما يقول الطوسي يرى أن المطلوب عنده هو التسليم بان الكل هو مجموع الأجزاء بالإضافة إلى كليته أي أن صفة الكلية تتضاف على الأجزاء كصفة زائدة، وهنا نجد أن رأي الأشاعرة يتلخص في ان الإدراك ينصب على الجزئي دائما وأن الكليات لا يمكن أن تكون بهذه الصفة أي في صورتها الكلية المؤلفة من جزئيات إلا بفعل التدخل الإلهي ولهذا فهو يرد على صاحب المحصل وعلى الطوسي فيما يسميانه بالبديهيات فيرى غير بديهية من حيث الإمتناع أو العدم (عبد الرحمن بن خلدون، لباب المحصل في أصول الدين، ص19)

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، لباب المحصل في أصول الدين، ص ص(18–20)

المطلب الثالث:تقييم الموقف الخلدوني

1-موقف مساير لأهل الفقه بعصره ولنا في وصفه وضعية علوم أخرى ففي وصفه واقع علم الخلافيات يسجل الفقيه المالكي بكل حياد أن (تآليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تآليف المالكية لأن القياس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم فهم لذلك أهل النظر والبحث، أم المالكية فالأثر أكثر معتمدهم وليسوا بأهل نظر وأكثرهم أهل المغرب)ويقول عن علوم الجدل (هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين المذاهب الفقهية فينتبه إلى أنه بعد تطور الحضارة وانتشار التعليم والمناقشة والخلاف في عدة مسائل فقهية وغير فقهية، برزت الحاجة إلى التصنيف في هذا العلم أي إلى معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره)[1]

2-في تعريف ابن خلدون لعلم الكلام يمكن القول أنه تعريف لا يعتبر جامعًا مانعًا باصطلاح المناطقة، فابن خلدون يقصر وظيفته هذا العلم على مجرد الدفاع، وبالتالي فإنه ينفي عنه أي صفة تحصيلية، تفيد في فهم الإيمان ومعرفة الله تعالى، ولهذا فإنه يؤكد على عدم الحاجة إلى هذا العلم في عصره أي في القرن الثامن الهجري، لأن المبتدعة المنحرفين قد انقرضوا، ولأن الأئمة من أهل السنة قد وفقوا في الرد عليهم بأدلة عقلية لا مزيد عليها، فهو يقول: (هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذا الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم، فالوضع الذي وصل إليه علم الكلام في عصره بشكل عام، والمغرب العربي بشكل خاص، غاب الإبداع في هذا العلم، وانتشرت الملخصات والحواشي والشروح والتعليقات على ما أبدعه المتقدمون، حتى إن ابن خلدون قام بتلخيص كتاب «المحصّل» لفخر الدين الرازي[2]

3- ابن خلدون في كتابه لباب المحصل[3] الذي افردت له من بحثي هدا مكانة يظهر ابن خلدون مقلدا غير مجتهد لا يتمتع بالحد الأدنى من الأصالة والتجديد، مع وجود تعليقات قليلة على بعض المسائل عبر عنها بقوله: "فيه بعض من لبنات أفكاري"وفي المقدمة لا نظفر بتقدير لهذا العلم، بل إنه يقلل

---

[1]- سعيد البوسكلاوي، مرجع سابق، ص 26

[2]-محمد زاهد جول، مرجع سابق

[3]-توضيح مدى التأثير الذي مارسه الآبلي شيخ ابن خلدون عليه، فقام باكساب تلميذه نمطا من المعارف والأدوات والملكات بدءا بالعلوم البحثة مرورا بالتاريخ وانتهاءا بالعلوم العقلية والفلسفية وكانت نتيجة ذلك كله محاولة مبكرة لابن خلدون تجلت في "شرح اللباب على محصل الرازي" والتي مثلت لابن خلدون مدخلا جيدا للاطلاع على إشكاليات الفكر العربي الإسلامي (غسان اسماعيل عبد الخالق الفطافطة، مرجع سابق، ص 8)

فائدته، إذ يقول: (فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها)[1]

4- موقف ابن خلدون ليس جديدا بل هو انعكاس التاريخ الفكري الإسلامي، وأشد الخلاف هو الصراع بين تيار العقليين وبين تيار النقليين المتشددين الرافضين للكلام وإعمال الرأي في أمور الدين وظل الصراع بينهم حول إعطاء الأولوية للعقل على حساب النقل أو للنقل على حساب العقل. وبعد اجتثاث الفكر الفلسفي المشائي والعقيدة الإعتزالية من التربة السنية بشكل يكاد يكون نهائيا،انحصر الخلاف بين الأشاعرة والحنابلة، بين المدافعين عن الكلام والرافضين وحفظا لوحدة الإسلام والأمة وتفاديا لخطورة الصراع العقدي والسياسي[2].

5-موقف الكشف عن تاريخ الكلام وامتزاجه التدريجي بأصول المنطق والفلسفة والتلاعبات في أحداث التاريخ التي تحصل في اطار العصبية المذهبية والتي وقع فيها ابن خلدون نفسه_هاته النقطة هي ما أشرت إليها سابقا تحت عنوان موقف ابن خلدون من العقل الفلسفة علم الكلام_وصل امتزاج علم الكلام بالمنطق والفلسفة قمته مع الغزالي وابن تيمية فهذان الفيلسوفان ينبهان على ضرورة تجنب الخوض في هذا العلم[3]، الهدف الأساس لعلم الكلام الخلدوني ينحصر في البحث الوجودي ودلالته على الموجد والمطلوب البحث عن الحجج التي تعضد العقائد الإيمانية ومذهب الشرع، وهذا هو الفرق بين المتكلم والفيلسوف الذي يسعى إلى التعليل بالأدلة من خلال النظر في الوجود من حيث هو وجود. وابن خلدون يقرر أن «نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق»، فالعقل لا يمكن أن يحيط بجميع الكائنات وأسبابها، فالهدف الأسمى لعلم الكلام الخلدوني هو توحيد الله، وهو أمر يعجز العقل عن إدراكه. ويحرص ابن خلدون على التَّمييز بين منهج الكلام والفلسفة، ويعتبر أن سبب الالتباس والضلال إنما نشأ عن الخلط بين المنهجين وابن خلدون حريصٌ على عدم مخالفة النَّسق الفكري للأشعريَّة المالكيَّة في المغرب[4]

---

[1]-المرجع نفسه

[2]- سعيد البوسكلاوي، مرجع سابق، ص 26

[3]- سعيد البوسكلاوي، مرجع سابق، ص 26

[4]- محمد زاهد جول، مرجع سابق

6-موقف يختزل في ثلاثة مستويات

أ-**الأول تاريخي يختزل الجدل الأشعري_الاعتزالي بدافع أيديولوجي مضمر** فينطلق ابن خلدون من فهم الأشعرية لمفهوم العلة خالصا إلى قصور العقل (مفهوم السببية وتدرج الحوادث للوصول إلى خالقها وقصور العقل عن الوصول لتلك النقطة وإدراك الخالق عز وجل)

ب-**الثاني أيديولوجي ملتزم بالأشعرية الغزالية** وهو مستند يوظفه في نفيه للفلسفة في إطار علم الكلام

ج-**الثالث واقعي يمثل خروج ابن خلدون من اشكالية علم الكلام لتأسيس نظرية في المعرفة** استنادا إلى نفي علم الكلام ذاته، في الوقت الذي سيوظف معطيات علم الكلام لنفي الفلسفة[1]

7-موقف مزدوج بين انهاء دور علم الكلام وجعله قابلا للاجتهاد في حقل الأشاعرة فتحيزه للأشاعرة جعله يناقض نفسه ويقف موقفا مزدوجا من علم الكلام، حيث يقف من جهة بعلم الكلام عند حد ما وصل إليه الأشاعرة في صياغة العقيدة، فيكون بذلك علما جامدا غير قابل للتطور والتجديد، ومن جهة أخرى يعتقد أن علم الكلام (علم زماني) انتهت وظيفته الاستدلالية الدفاعية عندما انتهى تحديات العصر الذي وضعت وحددت فيه، وزال أصحابها الذين وضعوها أو كانوا سببا في وجودها وهم المعتزلة بالدرجة الأولى، حيث انتهى علم الكلام المعتزلي وحل محله علم الكلام الأشعري وهو طور تجديدي لعلم الكلام، إلا أن هذا التطور توقف عند الأشاعرة مذهبهم وحده المذهب الحق وطريقتهم المثلى الموصلة لمعرفة الحق[2]، وتنتهي أهمية علم العقيدة بانتهاء العصر الذي وجد فيه ويتغير منهجه ودوره بتغير معطيات عصره من حيث المصطلحات والأدلة ووسائل الدعوة والتعليم[3]

8-موقف مزدوج بين الانتصار لعلم الكلام لأشعريته وابطال علم الكلام بحكم عصره وبيئته المالكية

أ-موقف أولى الى نكران ضرورة التأويل والحاجة إلى النظر الكلامي فلا ينتصر للتفويض على حساب التأويل

ب-موقف يعكسه مؤلفه لباب المحصل ينتصر للتأويل وأهله في مواجهة أهل الحديث[4]

خاتمة:

تناولت في هذا البحث عدة نقاط وحاولت الاعتماد على ما قاله ابن خلدون بنفسه لاعتماد الدقة والموضوعية، ابن خلدون هو علامة مغربي وهو مؤرخ وقاضي وسياسي وعالم اجتماع وفيلسوف تاريخ

---

[1]-غسان اسماعيل عبد الخالق الفطافطة، مرجع سابق، ص 7

[2]-صالح نعمان، مرجع سابق، ص 114

[3]-المرجع نفسه، ص 110

[4]- سعيد البوسكلاوي، مرجع سابق، ص 27

ومتنسكا صوفيا لم يترك علما إلا وتعرض له بالتحليل أو الإشارة، وبعد دراسة موقفه من الكلام اتضح لنا أن موقفه من علم الكلام ينمكن حصره في نقطتين

1-أنه يراه علما تم التدوين له بشكل كاف مما يريحنا من عناء البحث فيه، بالإضافة لانعدام المتشككين والملاحدة فليس من داع من الإبقاء على هذا العلم فقد ولت مرحلته.

2-أنه يراه علما يدافع على العقيدة الإسلامية وينتخب المذهب الأشعري كأوسط المذاهب الإسلامية عامة والمذهبين الإعتزالي والسلفي أي بين التفويض والتأويل.

من خلال ما سبق لاحظنا أن موقف ابن خلدون عصي عن التصنيف لظروف عصره حيث كانت الفلسفة وعلم الكلام مرفوضين من قبل المثقفين، فكانت صنعة علم الكلام تكاد تكون نادرة ومن يتعلمها فهو فريد عصره، ثانيا أن اشتغال ابن خلدون بالسياسة وفي نفس الوقت بعلم الكلام والفلسفة ألب عليه أصحاب البلاط وكثرت حوله الوشايات وقد عرفنا علاقة ابن خلدون كانت طيبة مع السياسيين حتى مع الطغاة منهم كتيمورلنك، ففضل ترك السياسة وعلم الكلام على السواء ليتفرغ للعلم والكتابة. وبالتالي فانه لا يمكن الحكم على آراء مؤرخ ومتكلم مشتغل وبارع في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام لكنه مرة مؤيدا للمذهب السلفي ومرة ناكرا عليه في مسألة التفويض والحقيقة في القرآن فيسلم بوجود المجاز به ومرة مؤيدا للأشعري ويرى نقطة انطلاق لعلم الكلام متجاهلا وجاحدا لفضل المعتزلة، بالإضافة إلى تبني ابن خلدون للآراء المزدوجة واشتغاله بمجالات سياسية وعيشه في بيئة مالكية أشعرية تضيق الخناق على المشتغلين بعلم الكلام أو بالأحرى علم الكلام في صورته الحادثة على يد المتأخرين من المتكلمين الذين خلطوا مسائل علم العقيدة بالفلسفة وذلك أشبه بخلط العسل بالخل، وبالتالي نقدر أن نحكم أن ابن خلدون كان غير مرتاح في التعبير عن آرائه بمصداقية فلاحظنا نوع من المداهنة في آرائه كمدح المالكية والأشعرية ونبذ المعتزلة ونكران فضلهم وذلك بحكم العصر الذي كان متواجدا به وبحكم اشتغاله بمناصب سياسية وبالتالي محاولته الحفاظ على منصبه وقد وصل في نهاية المطاف أن ضاق صدر ابن خلدون من بيئته وعصره فكان كثير التنقل وانتهى به المطاف باعتزال السياسة والمجتمع وانغماسه في الكتابة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة الكتب والمجلات

1. أبي عبد الله محمد بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مراجعة وتقديم بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، الجزائر، ط1، سنة 2009م،

2. إسماعيل سراج الدين، ابن خلدون انجاز فكري متجدد، إعداد محمد الجوهري ومحسن يوسف، مكتبة الإسكندرية، مصر، ط1، سنة 2008م،

3. تاج الدين أبي نصر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، ط1، سنة1914م

4. سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، سنة 2009م

5. سعيد البوسكلاوي، موقف ابن خلدون من علم الكلام، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية للدراسات والأبحاث، 12نوفمبر 2016م

6. صالح نعمان، الهندسة المعرفية لعلم الكلام عند ابن خلدون وأبعادها الواقعية، مجلة المعيار التابعة لجامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، العدد 20، سنة 2008م

7. صبري مسلم حمادي، ابن خلدون وعلم الفولكلور، مجلة الثقافة الشعبية، السنة الثالثة، العدد الثامن، شتاء 2010م، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، المنامة مملكة البحرين

8. عبد الرحمن ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، سنة 1996م

9. عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، منشورات دار الكتاب اللبناني، د.ط، سنة 1979م

10. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، مكتبة دار المدينة للنشر والتوزيع، الدار التونسية للنشر، ط1، سنة 1984

11. عبد الرحمن بن خلدون، لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق عباس محمد حسن سليمان، راجعه محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، منشورات مركز التراث القومي والمخطوطات، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، سنة 1996م

12. عبد الله عبد الرشيد عبد الله عبد الجليل، ابن خلدون وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد، أطروحة دكتوراه بجامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، نوقشت بتاريخ 1421/9/28هـ

13. علي الوردي، منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، دار كوفان للنشر، لندن، توزيع دار الكنوز الأدبية، لبنان، ط2، سنة 1994م

14. غسان اسماعيل عبد الخالق الفطافطة، موقف ابن خلدون من علم الكلام والفلسفة، مجلة تاريخ العلوم التابعة لجامعة فيلادلفيا، العدد 10، بتاريخ ديسمبر 2017م

15. محفوظ أبي يعلا، فلسفة الدين وعلم الكلام واللاهوت، مجلة الجديد، العدد 11، نشر في 01/ 2015/12م

16. مسعود لبيوض، ابن خلدون وعلم الكلام المعاصر، مجلة دراسات فلسفية، العدد 12 بتاريخ 2016م، الجزائر

17. مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، سنة 1993م

18. نوري الجراح، رحلة ابن خلدون 1352-1401م، تعليق محمد بن تاويت الطنجي، منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، سنة 2004م

ثانيا: قائمة المقالات الالكترونية

19. أحمد ادريس عبد الله، موقف ابن خلدون من علم الكلام، مقالة بموقع اسراء، بتاريخ ; الثلاثاء 23 نوفمبر 2010م، على الساعة 16 :11 زوالا على الرابط التالي: http://esraa-2009.ahlamountada.com/t4823-topic

20. أحمد صبحي منصور، عرض مقدمة ابن خلدون: ب6:(ف10)علم الكلام، مقالة نشرت بموقع أهل القرآن، بتاريحالإثنين 14 سبتمبر 2015م، على الرابط التالي http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=13770

21. حامد طاهر، موقف ابن خلدون من علم الكلام، مقالة بصفحة :أ.د حامد طاهر، نشرت بتاريخ : 28 ديسمبر 2010م، بتوقيت 34 : 19، على الرابط التالي:
http://www.hamedtaher.com/index.php?option=com_content&view=article&id=161:17-35-24&catid=154:2010-12-28-17-34-21

22. خالد كبير علال، الحنابلة في مقدمة عبد الرحمن بن خلدون، مقالة بموقع صيد الفوائد، على الرابط التالي: https://saaid.net/bahoth/82.htm

23. ساعد خميسي، موقف ابن خلدون من علمي الكلام والتصوف، كقالة نشرت بتاريخ 27 مايو 2011م، بتوقيت 43: 11، https://web.facebook.com/notes/sociology-and-anthropology//156336524432933

24. سعاد دوفاني، الإنسان والقيم عند ابن خلدون، مقالة منشورة بأكاديمية النور للدراسات الحضارية والفكرية، في الرابط التالي:http://iikv.org/ar/nurmajalla/article.php?cid=1&c=12&id=387

25. محمد بن إبراهيم السعيدي، موقف السلف من علم الكلام، مركز سلف للبحوث، على الرابط التالي: https://salafcenter.org/2456/

26. محمد زاهد جول، علم الكلام الخلدوني، مقالة بموقع الملتقى الفكري للابداع، نشرت بتاريخ 04.03.2010 ، على الرابط التالي: http://almultaka.org/site.php?id=825

"نظرية كل شيء" و نسبية النظرية الفيزيائية

د/ محمد تونسي ـ جامعة عمار ثليجي .الأغواط ـ الجزائر.

ملخص:

يظهر من تطور الفيزياء من زمن نيوتن إلى يومنا هذا أنها تتجه صوب توحيد قوانينها و فهم الظواهر الفيزيائية ضمن إطار نظري واحد ،و قد بذلت جهود مضنية دامت لعقود لأجل توحيد قوانين الفيزياء النظرية التي تصف القوى الفيزيائية الأربعة المكتشفة في الطبيعة ،و التي توجد ضمن نظريتي النسبية و الكوانتم ،و قد ظهرت نظرية الأوتار الفائقة كتتويج لمسيرة توحيد القوانين حيث يرى أصحابها أنها توفر إطارا رياضيا متسقا يعمل على توحيد كل القوانين الأساسية للفيزياء النظرية ،و رغم أن هذه النظرية لا تزال عبارة عن فرضية و لا تستند إلى تأكيدات تجريبية إلا أن بعض الفيزيائيين علقوا عليها آمالا كبيرة و ذهبوا لوصفها بأنها نظرية كل شي، بمعنى أنها النظرية التي يمكننا من خلالها فهم كل العالم الفيزيائي. إن الدروس التي قدمها لنا تاريخ العلم تثبت أن النظرية العلمية مهما زادت دقتها و وفرت إطارا خصبا لتفسير أكبر عدد من الظاهر ستبقى نسبية، و مهما عمرت طويلا ستصطدم بحقائق جديدة تثبت محدوديتها ،فالمعرفة العلمية لا يمكن إلا أن تكون نسبية ،من جهة أخرى هل اكتشفنا كل شيء حتى ندعي أننا نمتلك نظرية كل شيء،نحن لم نكتشف إلا جزء ضئيل من هذا الكون و لا ندري أي نوع من الظواهر الفيزيائية ينتظرنا في المناطق البعيدة من الكون، فهل القوانين التي شيدناها هي قوانين كونية أم محلية فقط ؟ ،إن نظرية الأوتار إن نجحت تجريبيا فإنها تفسر ما نعرفه فقط و ليس هناك ما يدعو للقول أنها تفسر كل شيء ، يمكن أن نكتشف ظاهرة واحدة في الطبيعة تكون غريبة ولا نستطيع استيعابها بقوانيننا عندئذ ستجبرنا على إعادة النظر فيما لدينا من قوانين فيزيائية، إذن مهما تطورت الفيزياء و بلغ الفيزيائيون من الطموح لابد من الاقتناع بنسبية النظرية العلمية و أن مسيرة الفيزياء تتمثل في السعي لتوفير إطار نظري أفضل لفهم الظواهر و حل المشكلات الفيزيائية، لكن بالتأكيد لن يكون هذا الإطار نهائي .

الكلمات المفتاحية: نظرية ، الأوتار، الفيزياء، نسبية، التوحيد .

Abstract:

Physics from the time of Newton to the present day is moving toward the unification of its laws and the understanding of physical phenomena within a single theoretical framework, were an important efforts for decades to unify the laws of theoretical physics that describe the four physical forces discovered in nature, which exist within the theories of relativity and quantum, Super-string theory emerged as the culmination of the unification of laws. Physicists see it as providing a coherent mathematical framework that unify all the fundamental laws of theoretical physics, Although this theory is still a hypothesis and is not based on experimental assertions, some physicists have pinned great hopes on it and have come to describe it as the theory of everything in the sense that it is the theory by which we can understand the entire physical world, The lessons provided by the history of science prove that the scientific theory no matter how accurate and provided a fertile framework for the interpretation of the largest number of phenomena will remain relative, and no matter how old the time will clash with new facts and prove their limitations, Scientific knowledge can only be relative. On the other hand, have we discovered everything until we claim that we have the theory of everything? We have discovered only a small part of this universe and we do not know what kind of physical phenomena in the remote regions of the universe. Are the laws we have constructed are universal or locale?.if The string theory have an empirically successful. It explains what we know only. There is no need to say that it explains everything. We can discover one phenomenon in nature that is strange and we do not know. It will force us to reconsider our physical laws, So, no matter how the physics developed and physicists came from ambition, it is necessary to be convinced of the relativity of scientific theory ,and that the process of physics is to seek to provide a better theoretical framework for understanding phenomena and solving problems, but certainly this framework will not be final.

Keywords: theory, string, physics, relativity, unification

مقدمة :

في النصف الثاني من القرن العشرين أحرزت الفيزياء النظرية عدة نجاحات على مستوى توحيد القوانين التي تصف القوى الأساسية في الطبيعة ،و ظهرت نظريات موحدة للقوانين بعضها تأكد تجريبيا و بعضها لا تزال عبارة عن فرضيات، و قد ظهرت نظرية الأوتار الفائقة كتتويج لمسيرة التوحيد بحيث تمكن علماؤها من إيجاد إطار رياضي يجمع بين قوانين نظريتي النسبية والكوانتم، ويعتقد فيزيائيو الأوتار أن هذه النظرية أن تأكدت تجريبيا بإمكانها أن تصف لنا العالم الفيزيائي ككل و تقدم لنا إجابات عن بداية الكون، و قد ذهب بعض الفيزيائيين لوصفها بأنها نظرية كل شيء في إشارة إلى أنه بمقدورها أن تكون إطارا مفسرا لجميع الظواهر الفيزيائية و أن كل الفيزياء النظرية ستختزل في هذه النظرية ،و قد اعتبروا أن

الفيزياء النظرية شارفت على اكتمالها بحيث لن يبقى بعدها سوى التدقيق و البحث في باقي فروع الفيزياء ،أمام هذا نتساءل :على أي أساس يدعي هؤلاء الفيزيائيون أنهم على وشك الوصول إلى نظرية كل شيء في حين أننا لا نعرف إلا جزءا ضئيلا من الكون ؟، ألم نتعلم من تاريخ العلم بأن النظرية العلمية مهما عمرت طويلا لا يمكن إلا أن تكون نسبية ؟

مسار الفيزياء نحو توحيد القوانين:

إن المتتبع لحركة تطور الفيزياء منذ نيوتن إلى يومنا هذا يدرك أن مسيرة الفيزياء هي مسيرة توحيد قوانين القوى و الظواهر الفيزيائية و محاولة تفسيرها بنظرية واحدة، لقد عمل إسحاق نيوتن على توحيد جاذبية الأرض و السماء و رأى أن القوة التي تجعل من التفاحة تسقط هي نفسها القوة التي تجعل القمر يدور حول الأرض ،بعد نيوتن بقرون تمكن ماكسويل من توحيد قوانين القوتين الكهربائية و المغناطيسية ،ليحل القرن العشرين قرن الفتوحات العلمية الذي شهد تحولات كبرى و ظهور نظريات جديدة أفرزت نظرة جديدة للعالم الفيزيائي ،لقد أعادت نظرية النسبية النظر في الكثير من المفاهيم المعتمدة في الفيزياء الكلاسيكية حيث لم يعد يرى إلى المكان و الزمان بوصفهما منفصلين ،لقد تم توحيد المكان و الزمان و تبين أن الحادثة الفيزيائية تتأطر بأربعة أبعاد ،فالمكان و الزمان يشكلان نسيجا لكينونة واحدة تدعى الزمكان ،كذلك توصلت النسبية إلى أن هناك علاقة وطيدة بين الجاذبية و الزمكان و انه تربطهما قوانين موحدة ،و كذلك الأمر بالنسبة للمادة و الطاقة فهما وجهين لعملة واحدة ،حيث يمكن للمادة أن تتحول إلى طاقة و العكس ، لقد كان اينشتاين على دراية بمسار الفيزياء التوحيدي و كان يؤمن أنه سوف يتمكن الإنسان في يوم ما من تفسير الكون الفيزيائي بمعادلة واحدة و قد دأب في السنين الأخيرة من حياته على توحيد القوانين الكهرومغناطيسية و الجاذبية فيما يسمى بنظرية المجال الموحد[1]،حيث كان يعمل على توحيد قوانين القوتين في نظرية واحدة .

لم يكن اينشتاين يعلم أن العالم الفيزيائي لا يزال يخفي قوى فيزيائية أخرى و أن مسيرة الاكتشافات ستتعمق في فهم القوى النووية ،لقد اكتشف الفيزيائيون القوة النووية الشديدة و القوة النووية الضعيفة و أصبح الفيزيائيون يدركون أن العالم الفيزيائي يتكون من أربعة قوى بدلا من قوتين، و سرعان ما ازدادت المساعي لضم هذه القوى في أطار نظري واحد ،و قد نجح فيزيائيون في توحيد القوتين الكهرومغناطيسية

[1] – جورج غاموف ، قصة الفيزياء ، ترجمة: جمال الدين الفندي (مصر ، دارالمعارف ، 1984)،ص228

و الضعيفة سنة 1967،حيث تمكن كل من ستيفن وانبرغ و محمد عبد السلام و شيلدون غلاشو في إيجاد إطار رياضي نظري موحد للقوتين ، و قد أعطى هذا دعما كبيرا للفيزيائيين للبحث عن التوحيد المنشود ،خاصة بعد تأكيد النظرية سنة 1983 في المختبرات لتكشف القوة الكهروضعيفة Electroweak Force عن نفسها .بعدها حاول الفيزيائيون ضم القوة النووية الشديدة و لم تمضي إلا سنوات حتى تقدم الفيزيائيان هوارد جورجي و شيلدون غلاشو بنظرية تعتبر إطارا نظريا لتوحيد القوى الثلاث: القوة الكهرومغناطيسية و القوتين النوويتين الضعيفة و الشديدة ، و لقد أطلق على هذه النظرية إسم نظرية التوحيد الكبرى Great Unived Theory، هذه النظرية تبين أن هذه القوى الثلاث التي تكون ذات خصائص متمايزة في الطاقات المنخفضة سوف تكون متطابقة أو بالأحرى ذات طبيعة واحدة عند بلوغ حد كبير جدا من الطاقة، حيث تدمج هذه القوى في قوة واحدة ، تعليقا على هذه التطورات ألقى غلاشو عام 1979 كلمة بمناسبة نيله جائزة نوبل جاء فيها : « ... عندما باشرت دراسة الفيزياء النظرية عام 1956 كان بحث الجسيمات الأولية بالنسبة لي ، أشبه بعمل اللحاف المرقع كان الديناميك الكهربائي و التفاعلات الضعيفة و التفاعلات الشديدة أنظمة منفصلة تدرس و تدرس بشكل معزول ، لقد تغير كل شيء ، إننا نملك اليوم ما يمكن أن نسميه نظرية معيارية في الفيزياء الجسيمية ، تنبثق فيها التفاعلات الكهرومغناطيسية و الضعيفة و الشديدة من مبدأ وحيد ، إن النظرية التي نحوزها هي عمل متكامل.» [1]

إن القوى الثلاث – الكهرومغناطسية ،الضعيفة و الشديدة–كلها تخص الذرة ،و قد تم توحيدها في إطار نظرية الكوانتم ، بقيت قوة الجاذبية تمثل تحديا أمام الفيزيائيين حيث أنها توصف ضمن نظرية النسبية العامة ،إن توحيد قوة الجاذبية مع القوى الذرية الأخرى يعني توحيد نظريتي النسبية و الكوانتم ،إن ما حير الفيزيائيين هو أن هاتين النظريتين تبدوان غير منسجمتين، لقد شكل توحيدهما تحديا كبيرا في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث أن التعارض بينهما ينطوي على خلل عميق في قلب الفيزياء النظرية فلطالما طرحت صعوبات عديدة أمام توحيدهما و أدت محاولات التوحيد إلى رياضيات غير متماسكة و لم تعطي إلا سلسلة من التناقضات ، صحيح أن النظريتين تهتمان بمستويين مختلفين لكن يجب ألا ننسى أنهما تدرسان عالما واحدا ،فكيف يمكن تصور نظريتين متناقضتين لعالم واحد؟، في الثمانينات من القرن العشرين ظهرت نظرية يعتقد علماؤها أنه بإمكانهم توحيد نظريتي النسبية و الكم ، تسمى هذه النظرية بنظرية الأوتار الفائقة Theory superstring ،عام 1984 تمكن مايكل غرين و جون

[1] – ميشيو كاكو ، جونيفر ترينر : ما بعد اينشتاين، ترجمة: فايز فوق العادة، (ط1،بيروت،لبنان،أكاديميا،1991)، ص 91.

شوارتز من توحيد القوى الأربع في إطار رياضي متماسك خال من التناقضات[1] ،و رغم أن هذه النظرية تتطلب طاقات خيالية لاختبارها إلا أنها نجحت رياضيا في توحيد القوى الأربعة ، و أكثر من هذا قدمت أمالا كبيرة في تفسير بداية الكون ،حيث يعتقد الفيزيائيون أنه كان هناك تناظر فائق لا تتمايز فيه القوى الأربع و المادة .

هكذا يتضح مسار الفيزياء المعاصرة الهادف إلى توحيد القوانين الطبيعية ،و تفسير العالم الفيزيائي و حتى بدايته بقانون واحد تنبثق عنه كل الفروع الفيزيائية « لقد تطورت فكرة التوحيد إلى نهج مسيطر في الفيزياء النظرية..بعد أن كانت تعتبر مجرد نموذج جميل ليس له أهمية عملية على الإطلاق، و ربما كان ما نشاهده الآن أمام أعيننا التتويج المظفر لعمل دائب في الفيزياء خلال ثلاثة قرون كان نيوتن أول من بدأه...إن المحاور المختلفة للفيزياء قد بدأت تتقارب الآن لتشكل نسيجا خارق الجمال و الأناقة»[2]، فهل نصل في يوم ما لمعادلة الكون الفيزيائي المنشودة. لقد تمكنت نظرية الأوتار الفائقة من إيجاد صيغة نظرية لتوحيد قوى الطبيعة و المادة ،و أصبحت في نظر الكثير من الفيزيائيين النظرية التي تختم مسيرة التوحيد التي بدأت منذ نيوتن ،و بالتالي ستكون نظرية كل شيء لأنها توحد قوانين الفيزياء، و ربما تفسر لنا حتى بداية الكون إذا تمكنا من فهمها أكثر، و يمكننا أن نصف الكون من بدايته حتى حالته الراهنة بنظرية واحدة ،ستغدو نظرية تفسر كل الكون و ليست مقتصرة على جزء منه فقط ،و قد أطلق بعض الفيزيائيين على نظرية الأوتار اسم نظرية كل شيء حيث أنها تمثل ثمرة تطور الفيزياء النظرية ،لقد علق الفيزيائي الكبير ستيفن هوكينغ بقوله أن « نهاية الفيزياء النظرية أصبحت في مرمى البصر»[3]. فهل حقا بعد أن ترسى نظرية الأوتار الفائقة بشكل جيد تكون الفيزياء النظرية مكتملة ؟. لقد رأى جون اليس و هو فيزيائي من مركز البحوث النووية الأوروبي انه إذا امتلكنا نظرية كل شيء سوف نتجه إلى التطبيقات ،أما ليون ليدرمان مدير المسرع الأوربي نجده يعلق أمالا أكبر على نظرية كل شيء حيث يرى « أنها ستكون دستورا يمكن أن تحمله في جيب قميصك »[4] ،بل و أكثر من هذا فان البعض يرى أننا يمكن أن نخلص إلى معادلة واحدة و بسيطة تفسر لنا الكون بأسره ،إن هذا الطموح نراه في محله، لكن ما يهمنا هنا هو هل الفيزياء وصلت إلى درجة من التطور بحيث تفسر الكون بنظرية واحدة ،أم انه لا يزال أمامنا الكثير ؟.

---

[1] – المرجع نفسه،ص 192

[2] – المرجع نفسه ،ص 214

[3] – بول ديفيس ، جوليان براون، الأوتار الفائقة، ترجمة : أدهم السمان ، (ط 1 ،دار طلاس للدراسات و النشر،دمشق، 1993) ص 74.

[4] – المرجع نفسه ، ص 14.

نسبية المعرفة في الفيزياء :

انتقد الكثير من الفيزيائيين الاعتقاد أن الفيزياء النظرية شارفت على اكتمالها ،فبالرغم من أن نظرية الأوتار توحد قوانين الفيزياء النظرية التي اكتشفناها ألا أن هذا لا يعني أنها قد تكون لها القدرة على تفسير كل شيء ،فهل نحن اكتشفنا كل شيء حتى نقول أننا نستطيع تفسير كل شيء؟، لقد سئل الفيزيائي ريتشارد فاينمان حول القول أن نهاية الفيزياء النظرية قد تكون في المستقبل المنظور ،فأجاب قائلا: « لطالما سمعت أناسا يعتقدون أن الجواب أصبح عند ناصية الشـارع ،لكن الإخفاق كان نصيب هذه التكهنات مرات و مرات، منهم ادينغتون الذي ظن بعد نظرية الالكترونات و ميكانيكا الكم أن كل شيء سيكون بسيطا ،و أن بالإمكان التنبؤ بكل شيء،لكن تخمينه كان خاطئا، ومنهم أيضا اينشتاين الذي ظن انه يرى النظرية الموحدة عند ناصية الشارع ، لكنه لم يعرف أي شيء عن نوى الذرات و كان عاجزا بالطبع عن التكهن بشأنها ،و أمامنا اليوم عدد كبير من الأشياء لم نفهمها بعد ،ولا نقدرها حق قدرها ، ويظن بعضهم إننا قريبون جدا من الجواب لكنني لا اعتقد ذلك »[1] .إننا حسب فاينمان بالكاد لا نستطيع أن نفسر و نحلل تحليلا مباشرا الأمواج التي تضرب السدود والعواصف و البروق و الرياح، و لو فرضنا أننا قد توصلنا إلى نظرية تصف العالم الفيزيائي أحسن وصف فإن تعقيدات الطبيعة تشعرنا انه لا يزال أمامنا الكثير.

لقد رأى غلاشو انه هناك فرق في أن أتعلم لعبة الشطرنج بمعرفة قواعدها ،و أن أصبح بطلا فيها بان أتقنها بمهارة فائقة ،و حال نظرية الأوتار إذا نجحت هو أنها تعرض لنا القواعد الأساسية للعبة لكنها لا تعلمنا كيف نصبح سادة عظام ،و هذا يبين أن معرفتنا بالقوانين الأساسية التي تحكم العالم الفيزيائي لا تعني أننا نستطيع فهم أدق تفاصيل هذا العالم.[2] لقد شكك غلاشو في نظرية الأوتار و انتقدها لكونها تتطلب طاقات عالية لاختبارها حيث قال : « أنا سعيد جدا بهذا العدد من زملائي الذين يعملون في النظريات الوترية لان ذلك يبقيهم خارج دائرة اهتمامي، إني أعلم أنهم لن يتوصلوا إلى شيء عن العالم الفيزيائي الذي أعرفه وأحبهُ... و مع ذلك ما يزال بعضنا يحاولون إتباع الطريق المستقيم الذاهب من التجربة إلى النظرية، بدلا من أن يلاحقوا فكرة الوتر الفائق التي تتطلب من الطاقات العالية فوق ما نحلم ببلوغه لبناء نظرية تتعامل مع العالم الأرضي الأدنى الواقع تحت أقدامنا »[3]. لقد اعتبر غلاشو أن هذه

[1] – المرجع نفسه ، ص 177.

[2] – ميشيو كاكو ، جونيفر ترينر ، ما بعد اينشتاين ، ص 220-221.

[3] – بول ديفيس ، جوليان براون ، الأوتار الفائقة ، ص176

النظرية ليست نظرية كل شي بل إنها قد تعرقل مسيرة تقدم الفيزياء حيث إنها تبقى مسيطرة على العقود القادمة بدون أن تثبت نفسها، و تصرفنا عن اكتشافات من المفترض أن نكتشفها، لقد رأى أنها « تهدد مستقبل الفيزياء بالطريقة نفسها التي اتبعها لاهوتي القرون الوسطى لهدم العلم في أوروبا آنذاك»[1] .كذلك نجد مؤسس نظرية الأوتار مايكل غرين غير متحمس لوصف النظرية بأنها نظرية كل شيء،فهو يرى أن نظرية الأوتار هي بداية للمزيد من الأسئلة حيث يقول « قد نجد أنفسنا أمام مجموعة أمور جديدة كلها،و مجموعة أسئلة لا تستطيع النظرية الإجابة عنها ،حتى أنني لا اعتقد أننا نعرف الأسئلة قبل أن نفهم النظرية بطريقة أكثر منطقية»[2] .من جهته لا يعتقد محمد عبد السلام أنه يمكننا الوصول إلى ما يسمى نظرية كل شيء طالما نحن بعيدين عن الاختبار المباشر للنظرية الوترية ،و لا يمكننا سوى إجراء اختبارات غير مباشرة ،و بالطبع هذه الاختبارات ليس في إمكانها أن تتناول كل شيء ،و رغم أن نظرية الأوتار الفائقة هي نظرية جذابة و تشكل تطورا مهما فهذا لا يعني أننا على عتبة كل شيء[3].

إن الاعتقاد أن الفيزياء النظرية أشرفت على نهايتها ليس بجديد ،فقد ظهر في مراحل مختلفة من تاريخ العلم كالسراب الخادع ،كلما اقتربنا منه يبتعد أكثر ،كان الاعتقاد السائد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن ميكانيك نيوتن و النظرية الكهرومغناطسية لماكسويل تحتويان العالم الفيزيائي ،و بقي العلماء يعتقدون لفترة طويلة أن كل الطبيعة تتمظهر في قوانين الجاذبية و الكهرومغناطيسة ، و أن مهمة الفيزيائيين بقيت تقتصر على التدقيق في المقادير الفيزيائية ،حتى أن الفيزيائي كلفن صرح في محاضرة ألقاها عام 1900 في الجمعية البريطانية للعلوم قائلا: «لم يبقى أمامنا الآن شيء جديد نكتشفه في الفيزياء ،بقي علينا فقط أن نزيد في دقة القياسات»[4]، لكن سرعان ما طرأت تحولات جذرية في الفيزياء بينت أننا كنا نحلم فقط، و كذلك الحال بالنسبة لأينشتاين الذي اعتقد في السنوات الأخيرة من حياته أن نظرية المجال الموحد التي تجمع بين الجاذبية و الكهرومغناطيسة هي الأمل في توحيد فرعي الفيزياء دون أن يعرف أنه لا يزال الكثير أمام الفيزيائيين لأجل إيجاد إطار نظري يضم القوة الجاذبية مع القوى الأخرى. قد يكون حالنا اليوم لا يختلف عن حال سابقينا ، حيث نكتشف في المستقبل حقائق أخرى نعرف من خلالها أننا خطونا خطوة إلى الأمام لكنها ليست الأخيرة.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 108

[2] – المرجع نفسه، ص 128.

[3] – المرجع نفسه ، ص 158.

[4] – المرجع نفسه، ص 11.

ماذا يتوقع الفيزيائيون من نظرية كل شيء المنشودة ؟: لا بد لهذه النظرية أن تشرح التشكيلية الجسيمية الأولية للعالم الفيزيائي، و أن تتنبأ بكل خصائصها ، الكتلة و الشحنة و السبين، و أن تقدم أوصافا موثوقة لكل التفاعلات بين هذه الجسيمات ، و أن تعطي الشدات النسبية للقوى الطبيعية الأربع ، و حساب كل العوامل التي تحدث في الطاقات العالية ، بالإضافة إلى هذا تمكننا من شرح هندسة الزمكان و خصائصه الطوبولوجية ، و طبيعة أبعاده ، وكيف انبثق الكون و انفصلت القوى الأساسية [1] .مهما كانت الحلول التي نطلبها من نظرية كل شيء علينا ألا ننسى أننا نطلب ما نعرفه فقط ، فربما كانت القوى الأساسية أكثر من أربعة، هل هناك دليل يثبت أن الكون الفيزيائي لا تحكمه سوى القوى الأربعة ، ألا يمكن أن تكون هناك قوى أخرى لم نكتشفها بعد ؟ ، بالإضافة إلى هذا ما هي طبيعة القوة التي تجمع القوى الأربع أو ما يسمى عند علماء الكونيات بالطور المتناظر ، إن الأسئلة التي نطرحها عن نظرية الأوتار قد تتغير تماما عندما تطرأ مستجدات و هذا يبين أننا نطلب ما نعرفه فقط. إن بعض الفيزيائيين يقدمون عبارات موثوقة تتناول وصف الطبيعة في نظرية واحدة و كذالك بدء الزمن مع أننا لا زلنا حديثي العهد بالعلم و التكنولوجيا ،لم يمضي إلا زمن قصير على محاكمة غاليلي فهذا الزمن لا يعتبر بمقياس الحضارات إلا أياما معدودة ،و ها نحن هنا نطرح بجرأة نظرية تختزل الكون بأسره ،و نحن لم نفلت من جاذبية الأرض ،إننا بالكاد خرجنا من المجموعة الشمسية بآلاتنا غير المأهولة ،و لم نتمكن من استغلال موارد كوكبنا بأكملها حتى نكون في مستوى وصف الطاقات الهائلة .إن الإنجازات التي حققها الإنسان حتى اليوم من تمكنه من إضاءة مدن بأكملها، و إرسال مسابر إلى القمر و الكواكب، سوف تكون بالنسبة لنيوتن تقدما باهرا لم يكن ليحلم به ،و لعل الشاكلة التي نرى بها نيوتن سوف نكون نرى بها نحن من طرف الأجيال القادمة ، و ربما سنبدو كأجيال فاصلة بين مرحلتين من تاريخ الفيزياء ، و لهذا لا يسعنا إلا أن نقول أن نظرية الأوتار التي يصفها البعض بأنها نظرية كل شيء ، أنها ستكون سوى مرحلة أو لفة من لفات عجلة التطور العلمي، و ربما ستكون في يوم ما نظرية تتضمنها كتب تاريخ الفيزياء، و هذا ما يجعلنا نرى أن تسمية هذه النظرية بنظرية كل شيء أنها تسمية مبالغ فيها، صحيح أن فيزيائيي الأوتار بذلوا جهودا مضنيا لأجل التوحيد النظري لكن هذا لا يعني أن هذه النظرية تستطيع الإجابة على كل شيء .

[1] – المرجع نفسه ، ص 13.

نسبية النظرية العلمية في الابستمولوجيا المعاصرة:

إن القول أن نظرية الأوتار يمكن أن تقدم إجابات نهائية للأسئلة المطروحة في الفيزياء يصطدم بالرأي التالي: إن المعرفة الفيزيائية المعاصرة بالرغم من تطورها إلا أنها تبقى رهن البرادايم الذي شكلها، بمعنى أنه إذا تغير البرادايم فإنه حتما ستكون لدينا معرفة مختلفة و حقائق جديدة .اهتم فيلسوف العلم الأمريكي توماس كون بالنموذج المعرفي و استعمل مفهوم البرادايم paradigme للإشارة إلى النموذج الذي يساهم في فهم المشكلات المعرفية و حلها في عصر ما ،و البردايم هو مجموع الأدوات و التقنيات و المناهج و المفاهيم و القوانين والنظريات المتاحة في حقبة ما و قناعات و قيم و معتقدات المجتمع العلمي و الشروط السيكولوجية التي تساهم في تكوين المعرفة في فترة معينة، يقول كون في تعريفه للبرادايم : « مجموعة متآلفة منسجمة من المعتقدات و القيم و النظريات و القوانين و الأدوات يشترك فيها أعضاء مجتمع علمي معين ،و تمثل تقليدا بحثيا كبيرا أو طريقة في التفكير و الممارسة و مرشدا و دليلا يقود الباحثين في حقل معرفي معين»[1].إن البرادايم متغير من عصر إلى آخر و تبعا لهذا فإن المعرفة تتغير و لا تتوقف عند حقيقة ثابتة و دائمة ،فالمعرفة نسبية لأنها مرهونة بأدوات متغيرة، فالبرادايم يمثل المناهج و طرق التعامل مع المشكلات العلمية ومعايير الحلول التي تسلم بها أية جماعة علمية في أية حقبة زمنية كما أن تقدم الاكتشافات ينتج عنه تغير المشكلات المطروحة و «يلزم عن ذلك أنه غالبا مع يحتم انبثاق بارادايم جديدة إعادة تعريف العلم المناظر ،هكذا تحال بعض الإشكاليات القديمة إلى علم آخر و قد تعد غير علمية أصلا، أيضا ثمة إشكاليات لم تكن موجودة أو عدت مبتذلة قد تصبح حلولها في ضوء البرادايم الجديدة أمثولة للانجاز العلمي ،و بتغير المشاكل غالبا ما تتغير المعايير التي تميز بين الحل العلمي الأصيل وما هو مجرد تأمل ميتافيزيقي أو مماحكة لفظية أو ضرب من اللهو الرياضي»[2]. يرى توماس كون أن المعرفة تتطور بالانتقال من مرحلة العلم السوي إلى العلم الجديد، و العلم السوي هو العلم السائد في فترة معينة و الذي ينشأ فيه العلماء بما يحمله من نظريات و مناهج و أدوات سائدة والمعتقدات البحثية،و يؤدي تمسك العلماء بهذا العلم السوي إلى إقصاء كل نظرية تتناقض معه، إلا أن هذا الإقصاء الذي تتعرض له النظريات الجديدة لا يمنعها من أن تثبت قدرتها على استيعاب ظواهر عجز العلم السوي عن فك ألغازها وفهمها، مما يقلل من دائرة الاقتناع بالعلم القائم ويوجه الأنظار نحو العلم الجديد،يقول توماس كون: « ففي تطور علم طبيعي ما عندما يكون أول ما يعمله فرد أو مجموعة هو تأليف فكرة

[1]– توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة ،الكويت ،1992، ص99.

[2]– ددلي شابير، إشكاليات فلسفية في العلم الطبيعي، ترجمة: نجيب الحصادي (المكتب الوطني للبحث والتطوير،د.ت)، ص189

قادرة على اجتذاب معظم المشتغلين من الجيل التالي ،فان ما يحصل هو أن المدارس القديمة تختفي اختفاء تدريجيا .و بعض علة اختفائها يمثل تحول أعضائها إلى البرادايم الجديد »[1]، في هذه المرحلة يحدث التحول الذي يسميه كون بمرحلة الثورة ،أي الثورة على المفاهيم أو النظريات التي كانت سببا في عجز العلم السوي عن تفسير ظواهر جديدة ،بهذا رأى كون أن تطور العلم يمر بثورات بنيوية يحدث من خلالها تحول البراديم وهذا دليل على الطابع النسبي للمعرفة.

يمكن القول إن تاريخ العلم ما هو إلا تاريخ براديغمات تسعى للحفاظ على بقائها و تعمل على استيعاب مختلف ظواهر الواقع، لكن اصطدامها بظواهر جديدة تعجز عن تفسيرها يبين محدوديتها وعدم قدرتها على تقديم تفسير مقنع، مما يدفع بعض العلماء للتشكيك في النسق الفكري القائم أو البارادايم ويدخل العلم السوي في مرحلة أزمة تتمثّل بتزايد المطالبات بتفسيرات واضحة وفي النهاية يتم حل هذه الأزمة عن طريق تغيير جذري ثوري في البرادايم، و بعد أن يحصل هذا التحوّل يرجع المجال العلمي لمرحلة علم سوي جديد ويستمر الحال على هذه المرحلة حتى يحصل التحوّل مرة أخرى وهكذا تستمر صيرورة المعرفة العلمية حيث أنه ليس هناك برادايم نهائي أو صحيح بالمطلق،« من البديهي أنه ما من أحد يمكنه التأكيد على أن العلم يقول الحقيقة الخالصة فقابليته للتصحيح خاصة في أوقات التغير الثوري تعني أن التقريبية هي كل ما له أن يدعيه »[2] ، فالمعرفة العلمية لا يمكن إلا أن تكون نسبية و لا تقوم إلا على أساس التقريب وهذا ما يشير إليه الكثير من فلاسفة العلم المعاصرين أمثال باشلار و بوبر و رايشنباخ و غيرهم .

لقد مثل كتاب "المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية " طفرة علمية و كان مرجعية أساسية للفيزياء حيث اعتمد عليه العلماء والفيزيائيون والرياضيون في بحوثهم و فهمهم للظواهر ، لقد كان هذا الكتاب بمثابة دستور للفيزياء نظرا لما له من تأثير كبير في الفكر العلمي و كان مرجعية لحل مشكلات علم الفيزياء و بقي بمثابة أنموذج مسيطر على الفيزياء لأكثر من قرنين، شرح نيوتن في كتابه مبادئ الميكانيكا و قوانين الحركة و الجاذبية ، و عمل على توضيح الطرق العلمية و تقديم الصيغ الكمية في تفسيره لعدة ظواهر طبيعية مثل ظاهرة المد والجزر وحركة الأقمار والكواكب والمذنبات و قدم الطرق الرياضية الدقيقة الموصلة إلى حل المسائل الفيزيائية ، إن النجاح التجريبي الذي أحرزته فيزياء نيوتن في تفسير عدة ظواهر جعل من انجازات نيوتن محط إعجاب كبار العلماء حتى أن الرياضي الفرنسي لاغرانج عبر عن

[1] – توماس كون، بنية الثورات العلمية ،ص75

[2] – جون بولكينجهوم، ما وراء العلم ، ترجمة:علي يوسف علي ، (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998)،ص21

انجاز نيوتن بقوله إن للكون قانونا واحدا و قد اكتشفه نيوتن ،رغم النجاحات التجريبية التي أحرزتها فيزياء نيوتن و سيطرتها على العقول لقرون إلا أنها عجزت في أواخر القرن التاسع عشر عن تفسير نتائج بعض التجارب و تبينت محدوديتها و عدم صلاحية بعض المفاهيم التي اعتمدت عليها، هذا يوضح أنه مهما علا شأن النظرية الفيزيائية و مهما تمتعت بالشواهد التجريبية إلا أن ظاهرة واحدة أو نتيجة تجربة يمكن أن تجبر المجتمع العلمي على إعادة النظر فيها، و يمكن أن يتخلى عنها العلماء إذا ظهرت نظرية جديدة قادرة على تفسير و استيعاب الظواهر الجديدة ،لقد وضع كارل بوبر مبدأ قابلية التكذيب"falsification" الذي يشير إلى أن القضية العلمية هي تلك القضية القابلة للتكذيب حيث يمكن نقضها بافتراض أساسي، فإذا توافق هذا الافتراض مع تجربة سيعتبر دحضاً صحيحاً ، لقد رأى بوبر أن آلاف الوقائع المؤيدة لا تثبت صدق النظرية صدقاً كاملاً في حين يمكن لواقعة واحدة معارضة للنظرية أن تكذبها ،هذا يوضح أن النظرية التي يمكن أن تعمر لقرون يمكن أن لتجربة واحدة أو ظاهرة واحدة أن تدحضها ،و هذا ما حدث مع فيزياء نيوتن على سبيل المثال حيث أدخلتها تجربة مايكلسون و مورلي في أزمة انتهت بالتخلي عن مفاهيم كانت أساسية في فيزياء نيوتن مثل مفهوم الأثير و المكان و الزمان المطلقين ،و تبين أن فيزياء نيوتن عاجزة عن استيعاب الظاهر ذات السرعات العالية لتحل محلها نظرية النسبية التي استطاعت أن تقدم تفسيرا لنتائج تجربة مايكلسون و مورلي.

لقد رأى فيلسوف العلم غاستون باشلار أنه ليس ثمة حقيقة نهائية في العلم فالمعرفة العلمية هي دائما عرضة للنقد و إعادة النظر، فليس ثمة نظرية نهائية أو مفهوم نهائي حيث أن المعرفة العلمية هي معرفة تقريبية مفتوحة على النقد و المراجعة ،كما أنه ليس ثمة منهج شامل و نهائي فتراكم الخبرات العملية و النقد المستمر سيفتح آفاقا جديدة ،كذلك ليس هناك واقع بسيط يقتصر العالِم على معاينته وشرحه، بل إن المعقد والمركب دائما ما يختبئ خلف البسيط ،فلقد كان الاعتقاد في الماضي أن الذرات هي عبارة عن وحدات أساسية نهائية و بسيطة لكن سرعان ما تطور العلم و كشف أن الذرة عالم مركب يخفي جسيمات و قوى و تحكمه قوانين ،إن الفكر العلمي الجديد لا يأخذ الأفكار البسيطة على أنها بسيطة فعلا يجب التسليم بها دون مناقشة، بل أنه يجتهد في نقد هذه البسائط نقدا جدليا لتكشف عما تنطوي عليه من مركبات. فإذا اتبع العلماء هذه الطريقة تصبح الموضوعات العلمية عبارة عن مجموع الانتقادات التي وجهت إلى صورتها الحسية القديمة ،فليست الذرة مثلا هي هذه الصورة التي أعطاها لها هذا العالم أو ذاك بل هي مجموع الانتقادات التي وجهت إليها من طرف العلماء والباحثين اللاحقين، إن فلسفة النفي إذن ترفض كل تصور علمي يعتبر نفسه كاملا نهائيا، إنها الفلسفة التي ترى أن كل نظرية أو مفهوم هو

ظرفي و مؤقت لا يصف بناء نهائيا للفكر العلمي، بل فقط بناء يبني على الدوام ويعاد فيه النظر باستمرار ولذلك فالعلم هو محاولة دائبة للكشف عن الحقيقة و كل مرة يزيح الأخطاء في مسيرة تقدمه، إن تاريخ العلم هو في الواقع تاريخ أخطاء العلم، يقول باشلار: «إن الفكر العلمي بالدرجة الأولى هو تصحيح معرفة ،توسيع اطر المعرفة ،إنه يحكم على ماضيه التاريخي بإدانته ،و أن بنيته هي الوعي بأخطائه التاريخية .ثم إن العلماء يفكرون في الحقيقي من الناحية العلمية على أنه تصحيح تاريخي لخطأ طويل ،و يفكرون في التجربة على أنها تصحيح وهم مشترك أولي .و أن حياة العلم الفكرية بأسرها لتستند من الوجهة الجدلية على هذا الحساب التفاضلي للمعرفة، و تقوم في تخوم المجهول، و أن قوام الفكر ذاته أن يفهم المرء أنه لم يفهم»[1]

كذلك عبر فيلسوف العلم هانز رايشنباخ على نسبية المعرفة و احتماليتها و رأى أن الحقيقة النهائية و المطلقة لا وجود لها ،يقول رايشنباخ « أما الفلسفة العلمية فهي ترفض أن تقبل أية معرفة بالعالم الفيزيائي على أنها تتصف باليقين المطلق .فليس من الممكن التعبير عن الحوادث الفردية و لا عن القوانين التي تحكمها بصورة مطلقة ... قد تبدوا الرغبة في بلوغ اليقين المطلق هدفا وطموحا جديرا بالإعجاب ،و لكن الفيلسوف العلمي ينبغي عليه أن يتجنب مغالطة النظر إلى العادات المألوفة على أنها مصادرات للعقل، ويجب أن يتعلم أن المعرفة الاحتمالية تكون أساسا يبلغ من المتانة حدا يكفي للإجابة عن جميع الأسئلة التي يكون من المعقول سؤالها»[2]. لقد اقتنع الكثير من العلماء إن ما أحرزناه من تقدم في الفيزياء يعد خطوة من بين الكثير من الخطوات ، وان فكرة اكتمال الفيزياء محض سراب خادع ظلل الكثير من قبل، لقد رأى الفيزيائي ريتشارد فاينمان أن التطورات التي حصلت في الفيزياء المعاصرة و الأفكار التي أفرزتها هي بداية للمزيد من الأسئلة حيث قال : « كلما تطرقنا إلى مسالة ما بتعمق ، ومع تكاثر المعلومات تأتي تساؤلات أعمق ، و تطرح مسائل أكثر غرابة و روعة ، و إننا لا نفكر أبدا أن الأجوبة قد تأتي مخيبة لظننا و أملنا ، بل نمضي بثقة و سعادة للبحث تحت الأحجار و خلف الأشجار عن غرائب لم يتصورها أحد من قبل تؤدي دوما إلى تساؤلات جديدة رائعة و إلى أسرار مذهلة»[3] .

---

[1] – غاستون باشلار،الفكر العلمي الجديد،ترجمة :عادل العوا ،(المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ،بيروت،1983)،ص170

[2]– هانز رايشنياخ، نشأة الفلسفة العلمية،ثم : فؤاد زكرياء (القاهرة،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968)،ص265-266

[3] – جمال ميموني ، نضال قسوم ، قصة الكون (الجزائر ،دار المعرفة ،1998)، ص 319.

هل قوانيننا الفيزيائية كونية أو "محلية" :

رأى ريتشارد موريس أنه « لولا أن العلماء يفترضون بعض الفروض الفلسفية المعينة غير القابلة للإثبات لكان من المستحيل عليهم أن يفهموا أدنى الفهم ما يلاحظونه من ظواهر في العالم الطبيعي.و كمثل فسيكون من المستحيل عليهم انجاز أي فيزياء لو أنهم لم يفترضوا أن هناك أشياء من مثل القوانين الفيزيائية و أن هذه القوانين تظل دائما هي نفسها ...لا توجد أي وسلة للبرهنة على أن قوانين الفيزياء يجب أن تكون في المجرات البعيدة هي نفس القوانين بالضبط كما في منطقتنا من الفضاء »[1]. إن الفيزياء و العلم عموما يعتمد على مسلمة ضمنية هي عدم التفاوت في الطبيعة أو وحدتها وتمتد هذه المسلمة إلى جذور التفكير العلمي ذاتها ، فثبات قوانين الطبيعة في الكون يشير إلى أن الإنسان مهما سير أغوار الكون لن يكشف قوانين مستعصية جديدة ، وأن القوانين التي نتعامل بها عالمية كونية وليست محلية فقط .لو افترضنا أن الإنسان استطاع أن يجول هذا الكون الشاسع فهل يجد بانتظاره مادة مثل مادتنا ؟ هل التركيب الكلي للكون أساسه المادة الموجودة والمعروفة عندنا، هذه الأسئلة أضحت تمثل إشكالا حينما اكتشف العلماء مادة غريبة تدعى المادة الظلماء dark matter، هذه المادة التي لا نعرف عنها سوى تأثير كتلتها[2]، إن هذا الاكتشاف يهز بشدة المسلمة التي ترى أن المادة والقوانين المألوفة عندنا هي مادة وقوانين كل الكون ولا وجود لغيرها خاصة وأن المادة الظلماء لا تزال مجهولة من جهة خصائصها والقوانين التي تتحكم فيها. إن الجزء الذي يمكن أن نكتشفه من الفضاء سيكون ضئيلا بالتأكيد و بالتالي من يعطينا الحق أن ندعي أن ما نملكه من قوانين يشمل كل الكون؟ ،و أن الجزء الضئيل الذي اكتشفناه من الكون و أقمنا عليه هذه القوانين يمثل الكون بأمانة ،كيف يمكن أن ندعي أننا نملك نظرية كل شيء في حين أننا لا نعرف إلا القليل عن الكون الشاسع؟ ،فربما اكتشفنا أسرارا جديدة غيرت نظرتنا للعالم بشكل جذري ،يقول جون بولكينهوم: « من الواضح أنه ليس بالإمكان القول بأن العلم يحكي الحقيقة في ثوبها النقي البسيط ،فالولوج إلى مضمار لم يطرق من قبل (و ليكن مجال الطاقات العالية أو المسافات القصيرة للغاية أو أي شيء آخر) يقود في الغالب إلى ظواهر غير مألوفة ،كثيرا ما تستدعي

[1] – ريتشارد موريس، العلم حافة الحد عبور: من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، ترجمة د. إبراهيم مصطفى فهمي، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي1994، ص214)

[2] – ميشوكاكو، جنيفر تريز، ما بعد اينشتاين، ص 27

تعديلا ،إن لم يكن تغييرا شاملا في نظرتنا البديهية للكون و منهج تصورنا له .و في هذا المعنى نقول إن نتائج العلم هي دائما وقتية » [1]

افترض الفيزيائي الانجليزي فريد هويل قصة "السحابة السوداء " ليبين من خلالها أن الفيزياء مهما تطورت و مهما وصلنا فيها من انجازات فأنها مرتبطة بشكل أو بآخر ببنيتنا البيولوجية[2]، لقد افترض هويل وجود سحابة على شكل كائن حي أجزاؤه غير متراصة ولا مكثفة ،وذو تركيبة مختلفة عن تركيبتنا، فهو ذو شكل غازي ممتد ، ويمتلك نظام قادر على التكاثر وتكييف نفسه لمواجهة تغيرات محيطه لاستمراريته ،كما أن هذه البنية البيولوجية تتأثر بفعل القوة الكهرومغناطيسية و ليست الجاذبية ،تساءل هويل : إن تمكنت هذه السحابة السوداء من التوصل إلى تفكير معين في فهم العالم الفيزيائي ،أي نوع من الفيزياء ستتوصل إليه ؟[3] ، هل باستطاعتنا القول أنها توصلت أو ستتوصل إلى نظرية النسبية لأن هذه النظرية تمثل وصفا للمادة و الجاذبية ، أو نظرية الكم أو نظرية الأوتار ، إننا نشترك في وصف عالم واحد لكن هل نفهمه على نحو واحد ؟ إننا نكون مفاهيم عن الفيزياء مستوحاة في أساسها من بنيتنا البيولوجية ، فمثلا الكتلة مستوحاة من تأثير الجاذبية الأرضية على أجسامنا ، و القوة لها علاقة بالقدرة العضلية ، و الطول مستوحى من طول أجسامنا و الأشياء ، فهل هذه المفاهيم التي كونّاها عن عالمنا هي ذات صلاحية للتطبيق العام ؟ قد تكون السحابة السوداء قد توصلت إلى مفاهيم مختلفة جذريا عن مفاهيمنا ، حيث أنه ليس عليها تأثير كبير للجاذبية و يمكن القول أن القوة الكهرومغناطيسية تلعب دورا يعوض الجاذبية ، ومن هنا يمكن القول أن الفيزياء التي قد تتوصل إليها هذه السحابة تكون مستوحاة من تركيبتها ، فقد يكون لفيزياء الغازات شأن كبير عند هذه السحابة بحيث تكون قد تطورت قبل فيزياء الأجسام الصلبة، وربما تكون هذه السحابة قد اكتشفت قوى أخرى لا تسمح لنا تركيبتنا البيولوجية باكتشافها ،ستغدو لديهم فيزياء مختلفة عن الفيزياء التي لدينا، إن هذا الكلام خطير حيث أنه مهما تقدمنا يبقى العلم الفيزيائي مرتبطا في أساسه بنا ، و هذا ما يجعل الشك يحوم حول فكرة "كونية الفيزياء " فهل يمكن أن نقول أننا على وشك إنجاز نظرية كل شيء ، أم نقول أننا على وشك إنجاز نظرية فيزيائية متكاملة خاصة بنا لكنها ليست كونية .أمام كل هذا من يعطينا الحق أن نقول أننا على وشك بناء نظرية لكل شيء ،في حين أننا لم نتعد نظامنا الشمسي ، فربما كانت خارج مجرتنا ظواهر جديدة تتطلب فروعا

[1] – جون بولكينجهوم، ما وراء العلم ، ص15.

[2] – جمال ميموني ، نضال قسوم ، قصة الكون ، ص 294-295.

[3] – المرجع نفسه ، ص 295.

جديدة من الفيزياء ، وما يمكن أن نقوله هو انه لا يزال أمامنا الكثير لأننا لم نكتشف كل كوننا ، و ربما تتجه الفيزياء في المستقبل إلى فهم ظواهر كونية غريبة عنا ، نحن بعيدين عن إنجاز نظرية لكل شيء ،لقد رأي فيلسوف العلم كارل بوبر « أن معرفتنا لا يمكن إلا أن تكون محدودة ، بينما جهلنا لا نهائي بالضرورة » [1]، وهذا يبين انه يجب أن نكون أكثر تواضعا و اقل غرورا أمام الاكتشافات العلمية الجديدة، وقد عبر نيوتن عن هذا تعبيرا رائعا حيث قال : « لا اعرف كيف أبدوا للعالم، ولكنني أبدو لنفسي طفلا يلهو على شاطئ البحر ، ألهي نفسي في البحث بين الحين و الأخر عن حصاة ملساء أو صدفة أكثر جمالا ، بينما محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامي مجهولا »[2].

يتضح مما سبق أن الادعاء بأن الفيزياء النظرية أصبحت على مشارف اكتمالها أو أن الفيزيائيين بصدد انجاز نظرية كل شيء يتعارض مع الدروس التي قدمها لنا تاريخ العلم، وكذا القناعات التي كرستها الابستمولوجيا المعاصرة بأن المعرفة العلمية لا يمكن إلا أن تكون نسبية ،حيث أنه ليس هناك نظرية نهائية و إنما هناك نظرية تقدم فهما معينا لمجموعة من الظواهر تبقى لزمن معين لتأتي نظرية جديدة تقد إطارا أفضل لفهم الظواهر ،فليس هناك نظرية كل شيء و الأصح القول أنها نظرية موحدة لكل ما نعرفه من قوانين الفيزياء ،كيف يمكن أن ندعي أننا بصدد فهم كل التفاعلات ضمن إطار نظري واحد في حين أننا لا نعرف من هذا الكون إلا جزء ضئيل ،فعلى أي أساس ندعي أن ما لدينا من قوانين يمثل كل الكون، ربما هناك ظواهر لا نستطيع استيعابها بالقوانين التي نعرفها فربما القوانين التي لدينا هي قوانين محلية فقط و لا تزال الطبيعة تخفي قوانين أكثر شمولية ، قد نصطدم بظواهر غريبة تعجز قوانيننا عن تفسيرها و حينها سنضطر إلى إعادة النظر في نظرياتنا و ربما سنغيرها تماما،إن الانجازات الكبيرة التي حققتها الفيزياء المعاصرة تعتبر بالتأكيد نقلة نوعية و كمية في تاريخ الفيزياء ،لكن هذا لا يعني أن الإنسان أصبح على عتبة معرفة كل شيء ،و كل مل يمكن تحقيقه هو التصحيح المستمر لنظرتنا للعالم الفيزيائي و الاقتراب من الحقيقة، لكن الحقيقة النهائية بعيدة بعد الهوة بين عقولنا المحدودة و هذا الوجود الذي لا نعرف له حدود.

---

[1] – المرجع نفسه ، ص 311.

[2] فيرنر هايزنبرغ، – للعلوم الفلسفية المشاكل 81. ص ، (1972 ، الكتاب للهيئة المصرية ، مصر) ، تر: أحمد مستجير ، النووية

قائمة المراجع:

1 – بول ديفيس ، جوليان براون، الأوتار الفائقة، ترجمة : أدهم السمان ، (ط 1 ،دار طلاس للدراسات و النشر،دمشق، 1993)

2– توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة ،الكويت ،1992.

3 – جمال ميموني ، نضال قسوم ، قصة الكون ،(الجزائر ،دار المعرفة ،1998).

4– جورج غاموف ، قصة الفيزياء ، ترجمة : جمال الدين الفندي (مصر ، دارالمعارف ، 1984).

5 – جون بولكينجهوم، ما وراء العلم ، ترجمة:علي يوسف علي ، (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998)

6 – ريتشارد موريس، حافة العلم :عبور الحد من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، ترجمة :مصطفى إبراهيم فهمي،(منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي1994) .

7– غاستون باشلار،الفكر العلمي الجديد،ترجمة :عادل العوا ،(المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ،بيروت،1983)

8– فيرنر هايزنبرغ، المشاكل الفلسفية للعلوم النووية ، ترجمة: أحمد مستجير ، (مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1972) .

9 – ميشيو كاكو ، جونيفر ترينر : ما بعد اينشتاين، ترجمة: فايز فوق العادة، (ط1،بيروت،لبنان،أكاديميا،1991).

10– هانز رايشنياخ ، نشأة الفلسفة العلمية،ترجمة: فؤاد زكرياء (القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، 1968).

11– ولي شبير، إشكاليات فلسفية في العلم الطبيعي، ترجمة: نجيب الحصادي (المكتبة الوطنية للبحث والتطور،1965).

PROJET D'UN MUSÉE MARITIME À MAHDIA (TUNISIE)

D/Adel Njim -Université de Sfax (Tunisie).

Résumé :

La ville de Mahdia située au Sahel tunisien possède un potentiel géographique et historique exceptionnels. Mahdia a tous les atouts pour se doter d'un nouveau musée dédié à la mer. Ce musée sera original à la fois dans son architecture et sa vocation. Il aura la forme d'un bateau et sera une institution ouverte aux jeunes et aux chercheurs. L'endroit idéal où ce musée sera installé est au voisinage de la future marina de Mahdia. Plusieurs instances à la fois nationales qu'internationales seront très motivées pour adopter un tel projet innovant et le financer car il donne une impulsion exceptionnelle à la fois à cette ville qu'à la Tunisie.

Mots-clés : Mahdia - Caractéristiques géographiques - Potentiel historique - Musée maritime - Plan insolite - Fonctionnalités innovantes.

Abstract :

The city of Mahdia located in the Tunisian Sahel has an exceptional geographical and historical potential. Mahdia has all the assets to build a new museum dedicated to the sea. This museum will be original both in its architecture and its vocation. It will have the shape of a boat and will be an institution open to young people and researchers. The ideal place where this museum will be installed is in the neighborhood of the future marina of Mahdia. Several national and international bodies will be very motivated to adopt such an innovative project and to finance it because it gives exceptional impetus to both this city and Tunisia.
Keywords: Mahdia - Geographical features - Historical potential - Maritime museum - Unusual plan - Innovative features.

Introduction :

Le tourisme est un dossier capital aussi bien pour la Tunisie que pour le reste des pays du Maghreb. Ce phénomène est très riche et complexe. De plus, il est en pleine mouvance et mutation. Ses retombées sont multiples aussi bien économiques que sociales.

Le tourisme culturel est une branche très prometteuse de ce phénomène. Le patrimoine maritime constitue le filon le plus riche du patrimoine culturel. En effet, la mer et le patrimoine maritime géographique, historique, archéologique et culturel sont de plus en plus au centre des préoccupations scientifiques. Cette entité et ses potentialités diverses nécessitent d'être valorisées.

Ma contribution à ce souci porte sur l'initiative de réfléchir à un projet d'un musée maritime dans la ville tunisienne de Mahdia. Cette idée m'est venue suite à l'installation à Mahdia d'une nouvelle maquette d'un poisson de type espadon dans un boulevard de la ville (figure 1). C'est ainsi que j'ai pensé à élargir cette initiative en rendant un hommage plus large à la

mer. Une première ébauche de ma réflexion était présentée lors une journée d'études organisée par l'Association de Sauvegarde de la Médina de Mahdia sur les potentialités historiques et archéologiques de la région de Mahdia. Lors de cette rencontre j'ai présenté un bilan du potentiel archéologique de Mahdia. Pour préparer cette note j'ai dû me rendre à l'actuel Musée de Mahdia. Les constatations que j'ai pu faire sont les suivantes. D'abord, la ville de Mahdia mérite un musée meilleur que celui qui existe déjà. La seconde constatation est que la part de la mer est très peu présente dans l'actuel musée de Mahdia. Suite à cette présentation, l'accueil favorable à cette contribution m'a donné l'idée de concevoir ce projet qui est celui de créer un musée maritime à Mahdia.

Ma communication va porter sur trois axes. D'abord, je vais énumérer les composantes maritimes de Mahdia. Ensuite, j'exposerai les motivations de créer un projet maritime à Mahdia. Enfin, je présenterai les modalités de concrétiser ce projet.

I. Composante maritime de Mahdia

Un musée maritime à Mahdia est une fenêtre qui s'ouvre sur des horizons multiples de différentes échelles qui s'imbriquent harmonieusement

1. Echelle méditerranéenne

En effet, la mer Méditerranée est le centre du monde jusqu'à la découverte du nouveau monde. Elle concentre notre histoire depuis la préhistoire en passant par l'antiquité, le moyen âge et les autres phases historiques jusqu'à nos jours. L'importance de la Méditerranée dans son ensemble est soulignée par de nombreuses études relatives à la Préhistoire[1] comme à l'époque moderne[2]. La ville de Mahdia est méditerranéenne par excellence. L'échelle aussi bien nationale, régionale ainsi que locale concrétisent cette vérité.

2. Echelle tunisienne

La Tunisie occupe une place de choix au sein de l'espace maritime méditerranéen. Sa situation au centre des pays du Maghreb lui confère une fonction charnière. Son avancée dans la mer lui accorde une position clé qui contrôle avec la Sicile un couloir stratégique au centre de la Méditerranée.

3. Echelle du Sahel

La côte orientale de la Tunisie allant de la ville de Kélibia à l'île de Jerba fait face une large partie de la Méditerranée. La région du Sahel est au centre de cette façade maritime. Cette région a jouit depuis l'Antiquité d'un nom qui lui est propre celui de la Byzacène devenue le Sahel durant la période islamique (figure 2).

[1] Guilaine, Méditerranée.
[2] Braudel, Méditerranée.

4. Echelle de Mahdia

La ville de Mahdia est l'une des trois principales villes du Sahel. Cette ville possède une grande particularité que lui confère sa géographie conjuguée à son histoire.

a. Position

Mahdia est une protubérance rocheuse de mille quatre cent mètres de long sur cinq cent mètres de large rattachée au continent par une étroite gorge sablonneuse de cent soixante douze mètres de long. Elle est reliée à la terre par un fossé reliant les deux rives (figure 3)[3].

b. île de Mahdia

Mahdia n'est pas une presqu'île comme beaucoup pensent. Au contraire c'est une île. Elle est d'une particularité exceptionnelle. Nous avons récemment pu découvrir cette réalité géographique qui fera l'objet d'une note à part.

c. Mer de Mahdia

Du fait de son avancement Mahdia est très ouverte sur la mer. Depuis l'Antiquité elle est intimement liée à la Méditerranée. Privilégiée sans doute par les Puniques et par la suite par les Romains du fait de son potentiel maritime. Certes, le port historique creusé dont le roc dont Mahdia dispose fait encore débat sur son attribution chronologique[4]. Récemment, nous avons pu identifier des mouillages sans doute de tradition libyque[5] qui renforcent l'importance de Mahdia comme destination maritime. Cette notoriété a sûrement continué tout au long de la période antique ce que confirme l'épave romaine découverte au large de Mahdia qui est celle d'un navire antique qui sillonnait la Méditerranée dont Mahdia constituait sans doute un port de secours qu'il n'a pas pu atteindre[6].

d. Le cordon tyrrhénien

Parmi les particularités géographiques du Sahel dont Mahdia a pu bénéficier il faut mentionner le cordon tyrrhénien qui est ceinture de pierre de bonne qualité bordant la côte des villes du Sahel. Cette réserve de pierre est intimement liée à l'histoire de Mahdia. Elle a constitué aussi les lieux de prédilection des tombes d'époque à la fois libyque et punique comme les carrières d'extraction de la pierre qui constituent un aspect incontournable du paysage urbain actuel de la ville de Mahdia[7].

5. Potentiel historique de Mahdia

a. Histoire et archéologie de Mahdia

* Préhistoire

[3] Djelloul, Voile I, p. 158.
[4] Younes, Portus.
[5] Njim, Peuplement.
[6] Jockey, L'archéologie, p. 111.
[7] Njim, Nécropoles.

Il n'y a aucun doute que la préhistoire de Mahdia est intimement liée à celle de la région du Sahel. Au cours de nos investigations multiples sur la presqu'île de Mahdia, nous avons découverts des débris en silex dont nous sommes certains qu'ils sont sur place et en rapport avec un peuplement préhistorique de cette zone.

* Protohistoire

Une découverte récente faite sur l'île de Mahdia confirme une fréquentation remontant à la protohistoire. Il s'agit d'un grand nombre de monuments funéraires de type haouanet dont la majeure partie est très mutilé par la mer (figure 4)[8].

* Punique

La présence punique à Mahdia est certaine grâce surtout à un grand nombre de tombes puniques y compris sur l'île de Mahdia[9].

* Romain

La période romano-byzantine à Mahdia n'est pas assez étudiée. Une étude récente mais l'accent sur la richesse de cette région durant cette période[10]. De plus, l'épave d'époque romaine découverte au large de Mahdia attire l'attention sur le rôle maritime de cette ville et de ces navigateurs durant cette période[11].

* Fatimide

La ville de Mahdia doit son nom islamique à son destin de l'époque fatimide où elle était devenue la capitale de cet Emirat au Maghreb. Elle en garde un potentiel historique et archéologique relatif à cette civilisation qui constitue une grande originalité de cette ville. Certains vestiges fatimides sont en rapport direct avec la mer comme le port et l'arsenal.

* Ottoman

Durant l'époque moderne une communauté ottomane s'est installée surtout sur l'île de Mahdia et y a laissé beaucoup de traces de sa culture dont des monuments militaires comme la forteresse, des monuments religieux et des demeures somptueuses d'une valeur historique exceptionnelle.

* Colonial

Mahdia dispose de bon nombre de monuments d'époque coloniale aussi bien sur l'île que dans le reste du territoire de cette ville. Cet héritage est de plus en plus valorisé par les recherches.

b. Particularités de Mahdia

[8] Njim, Peuplement.
[9] Ben Younes, Sahel, p. 252-304.
[10] Younes, Urbanisme.
[11] Jochey, l'archéologie, p. 111.

*Cosmopolitisme de Mahdia

Mahdia a été touchée par toutes les périodes historiques de la Tunisie. Cette donnée a eu des répercussions évidentes sur son peuplement et sa culture. Cette fréquentation a eu un effet sur le cosmopolitisme de cette ville. En effet, durant la période fatimide par exemple, Mahdia entretenait des relations commerciales suivies avec Alexandrie et l'Europe. Les Génois résidaient à l'intérieur de la ville. Il y avait aussi des Catalans, des Sardes et des Napolitains[12].

* Multiculturalisme à Mahdia

De multiples communautés sont présentes à Mahdia. C'est ainsi que sur l'île non loin d'un café appelé Café Gamra au centre du noyau historique islamique on trouve des lieux de culte islamiques, juifs et chrétiens ce qui ne peut que témoigner du multiculturalisme qui régnait à Mahdia.

II – Motivations du projet

L'énumération de l'héritage historique, archéologique et culturel de Mahdia n'est pas exhaustive. Elle vise surtout à montrer le potentiel dont pourrait une structure muséographique comme celle que nous étudions dans cette note. L'une des motivations de ce projet est le désir de dépasser l'infrastructure muséographique existante.

1. Les musées de Tunisie

Notre époque est marquée par l'importance grandissante des institutions culturelles. Le rôle économique des musées est un fait de plus en plus signalé par les recherches scientifiques[13].

Une institution muséographique est un témoignage sur son temps. Elle est sans doute le fruit d'un contexte d'une époque. C'est ainsi qu'en Tunisie pour une longue période nous ne disposons que de deux grands musées celui de Carthage et du Bardo.

Petit à petit d'autres musées naissent dans d'autres villes tunisiennes. Par ailleurs, les musées ne sont plus réservés aux vestiges archéologiques. On voit d'abord apparaitre les musées ethnographiques qui consacrent progressivement la notion de patrimoine culturel. Ensuite on voit naître les musées thématiques. Chaque région ou chaque ville se voit dotée d'un musée en rapport avec ses spécificités artisanales. Par exemple, la ville de Kairouan consacre un musée à l'artisanat du tapis, la ville de Nabeul à celui de la poterie et la ville de Mahdia se dote d'un espace nommé « Dar el Hemma » c'est-à-dire « Maison de l'habillement » destiné au costume traditionnel particulier qui la distingue.

2. Le Musée archéologique de Mahdia

L'actuel Musée Archéologique de Mahdia occupe une bâtisse historique d'époque coloniale réhabilitée. Ce bâtiment était le Cinéma de Mahdia. L'actuel Musée de Mahdia n'est qu'une sorte d'Antiquarium où sont déposées et exposées certaines des trouvailles archéologiques faites dans la région remontant à des époques historiques différentes en plus de certains

[12] Djelloul, Capitale fatimide, p. 129.
[13] Benhamou, Economie, p. 50.

aspects du savoir-faire spécifique de Mahdia comme le tissage. Aussi bien sur le plan du contenu que celui des fonctionnalités cette structure est saturée et ne correspond plus aux potentiels de la ville de Mahdia.

3. Spécificités du Musée maritime de Mahdia

Le nouveau Musée de Mahdia aspire à être plus qu'un espace d'exposition. Il veut être une véritable institution de recherche patrimoniale qui s'occupe des multiples composants du patrimoine aussi bien de la région que de la ville de Mahdia. Ainsi, aussi bien l'infrastructure de ce nouveau projet que son mode de fonctionnement doit refléter cette nouvelle stratégie.

III – Concrétisation du projet

1. Composantes du Musée

a. Plan

Le plan de ce futur musée sera très original. Il va s'inspirer du patrimoine matériel de la région. Nous avons pensé à tirer l'idée du plan de ce futur musée de la forme d'un théâtre antique ou d'un bateau d'époque islamique (figure 5). Nous en présentons une esquisse générale (figure 6). Ce choix est pour tenter de commémorer un des aspects prestigieux de la ville de Mahdia.

b. Eléments du Musée

Ce Musée comportera toutes les composantes de service d'une institution muséographique moderne.

Cependant, cette nouvelle institution muséographique aura quelques spécificités intéressantes. Elle comportera un espace de spectacles à ciel ouvert destiné à de multiples activités telle que des animations ludiques pour les enfants liées au patrimoine. Ce musée comportera aussi au jardin botanique d'espèces méditerranéennes endémiques qui fera partie du contenu du musée pour valoriser ce patrimoine naturel.

c. Contenu du musée

La présentation du contenu du musée pourrait se faire de manière classique et englober tous les éléments du patrimoine de la région du Sahel en général et de la ville de Mahdia en particulier. Cependant, il est préférable d'opter pour une autre présentation qui se focalisera sur des aspects bien déterminés de l'histoire de Mahdia. Une telle approche fera mieux ressortir l'originalité de Mahdia tant sur le plan géographique que historique ou patrimonial.

2. Le lieu

L'une des plus importantes questions qui déterminera la visibilité de ce projet est relative au lieu où sera implanté ce musée. Le noyau historique de la ville de Mahdia est saturé et ne peut assurer une grande notoriété à ce projet. Deux endroits sont d'un grand potentiel pour l'avenir de la ville de Mahdia (figure7). Le premier se situe au nord de la ville de Mahdia au sein de la zone touristique où se trouve la majorité des hôtels. Le second lieu où ce mussée pourrait être

installé se situe au sud de Mahdia dans la zone de la future marina. L'installation d'un nouveau musée dans l'un de ces lieux lui assure sans doute une bonne visibilité.

3. Le financement du projet

L'ultime souci du projet du musée de Mahdia et non des moindres est celui du financement de cette initiative ambitieuse. Le domaine de la culture est de plus en plus prisé par les investisseurs. De plus, le contexte aussi bien local qu'international est très favorable à l'idée d'investir en Tunisie. Ainsi, des instances tunisiennes ou étrangères arabes, européennes ou asiatiques seront motivées pour se lancer dans la réalisation de ce projet culturel.

Conclusion :

Il est certain que la ville de Mahdia est dotée d'un potentiel géographique et historique exceptionnels. Celle-ci dispose d'atouts solides pour se développer. Le domaine de la culture est de plus en plus intégré dans les programmes de développement aussi bien en Tunisie qu'ailleurs.

Les structures déjà existantes à Mahdia ne sont plus adaptées aux nouveaux défis que la ville doit relever. Ce projet d'un nouveau musée à Mahdia à la fois original par son architecture et son contenu est une initiative dont la réussite est assurée. L'intégration de cette nouvelle structure moderne dans le tissu urbain et institutionnel de Mahdia assure à la ville un grand potentiel pour l'avenir. Sur le plan local, il est souhaitable que les instances gouvernementales et civiles prennent conscience de l'importance d'une telle structure culturelle pour le devenir de la ville de Mahdia.

Le défi que connait la cité historique de Mahdia est commun à des multiples villes du Maghreb qui aspirent à une valoriser meilleure de leur patrimoine face aux nouvelles exigences aussi bien locales et internationales.

BIBLIOGRAPHIE

-Benhamou, Economie : F. Benhamou, L'économie de la culture, Paris 2011.

-Ben Younes, Sahel : H. Ben Younes, La présence punique au Sahel d'après les données littéraires et archéologiques, Thèse de troisième cycle, Tunis 1981.

-Braudel, Méditerranée : F. Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, 2 volumes, Paris 1982.

-Despois, Sahel : J. Despois, La Tunisie orientale Sahel et basse steppe, Paris 1955.

-Djelloul, Capitale fatimide : N. Djelloul, Mahdia capitale des Fatimides, Tunis 2003.

-Djelloul, Voile : N. Djellloul, La voile et l'épée Les côtes du Maghreb à l'époque médiévale, 2 volumes, Tunis 2011.

-Guilaine, Méditerranée : Jean Guilaine, La mer partagée la Méditerranée avant l'écriture, Paris 1994.

-Jockey, L'archéologie : Ph. Jockey, L'archéologie, Paris 1999.

-Masmoudi, Mahdia : A. Masmoudi, Mahdia étude de géographie urbaine, Tunis 1984.

-Njim, Nécropoles : Que reste-t-il des nécropoles de Madia ? , Patrimoine en péril action publique et politiques de préservation au Maghreb, Colloque International, Hammamet 13-14 novembre 2017, En cours de publication.

-Njim, Peuplement : Njim, Vestiges méconnus de peuplement libyque à Mahdia, dans A. Mrabet (Editeur), Le peuplement du Maghreb antique et médiéval, Sousse 2017, p. 211-219.

-Younes, Portus : A. Younes, Le portus antiquusgummitanus mise à jour à partir de nouveaux documents archéologiques, dans M. Hassen, Byzacium antique et Sahil médiéval urbanisme et occupation du sol, Tunis 2005, p. 17-36.

-Younes, Urbanisation : A. Younes, Recherches sur l'urbanisation et l'architecture dans le Sahel méridional tunisien de l'antiquité au haut moyen âge, Tunis 2012.

LISTE ET REFERENCES DES FIGURES

Figure 1 : Maquette d'un poisson de type espadon à Mahdia ; collection de l'auteur.

Figure 2 : La carte du Sahel tunisien ; Despois, Sahel, p. 116, figure 16.

Figure 3 : Vue aérienne de Mahdia ; Google map, Mahdia (Tunisie).

Figure 4 : Les monuments de tradition libyque de type haouanets découverts à Mahdia ; Njim, Peuplement, p. 215, figure 4.

Figure 5 : Un bateau islamique sur un plat hafside ; Djelloul, Capitale des Fatimides, p. 26.

Figure 6 : Esquisse du plan du musée maritime de Mahdia inspirée de l'image d'un bateau ; dessin

de l'auteur.

Figure 7 : Carte urbaine de Mahdia ; Masmoudi, Mahdia ; p. 55.

CATALOGUE DES FIGURES

Figure 1

Figure 2

Figure 3

Figure 4

Figure 5

Figure 6

MAHDIA
N
Mer Méditerranée
Les Hôtels
Lycée
Er Rouda
Er Rerfiel
Palais de Justice
Ville Moderne
Zouila
Quartier ouest
Quartier centre
Quartier est
Quouach Dar Braham
Quouach Dar Hencha
Quouach Dar Ben Cherch
Quouach Dar Ben Salem
Sekkha ben Rayeda
Salines
Ez zahra
La Sqiraa
Cordon littoral fossile
MC 88 vers Sousse
Cap d'Afrique
Medina Ancienne
Le Port
Zone touristique en projet
Zone industrielle actuelle
Principaux établissements industriels
Zone industrielle proposée
Routes principales
Routes secondaires
Projet de voie ferrée
Hôpital en cours de construction
0
500m
Source: d'après la direction de l'aménagement du territoire

Figure 7

المركز الجامعي آفلو

ص ب 603